في البناء الفدائي على طريق الجهاد

(2-1)

الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا

الجزء الأول: التجربة والعبرة (آلام وآمال)

الجزء الثاني: الفكر والمنهج :(أبحاث وأساسيات على طريق جهاد ثوري مسلح)

بقلم: عمر عبد الحكيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى النشء المجاهد من أبناء الحركة الإسلامية، المنطلق بإيمانه وسلاحه يدك عروش الطغيان في كل أرجاء الوطن الإسلامي الكبير.

إلى الذين حملوا السلاح دفاعاً عن دين الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً.

إلى المنطلقين بروح التجديد في بنيان الحركة الإسلامية مستجيبين لأمر الله تعالى: "فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاًَ".

إلى هؤلاء ... أقدم ثمرة تجارب وأفكار ومبادئ آمنا بها وجاهدنا لها في سبيل الله في الشام المباركة.

إليهم لنكون يدا واحدة على أعداء الله . ولنبلغهم الرد الموجز على إجرامهم وظلمهم للذين يأمرون بالقسط من الناس :

((ارجع إليهم ، فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)) إن شاء الله تعالى.

((و لينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)). صدق الله العظيم.

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً).

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً).

أما بعد:

فهذه هي الطبعة الأولى لهذا الكتاب الذي فرغنا من كتابته في أواخر عام 1987 وقرأه بعض الإخوة مخطوطاً، وكان الغرض منه بحث موضوع الجهاد في سوريا؛ تاريخه ومآله وآماله والتجارب المستخرجة منه ودراستها في محيط محدود. ثم تمَّ نسخه وتسربت بعض نسخه إلى دائرة أوسع من محيط الإخوة السوريين. فلما وجدت إلحاحاً من العديدين منهم لنسمح بنشره، تم توزيعه عدة مئات من النسخ التي سحبت على النسخة المطبوعة فكانت طبعة تجريبية انتشرت منذ أواخر 1989. وقد رأيت السماح بانتشاره رغم ما يحف ذلك من مخاطر عامة وإشكالات مع أطراف إسلامية وغير إسلامية متعددة. قررت ذلك لما وجدت حاجة الإخوة العاملين للإسلام والجهاد في مناطق وبلاد مختلفة، حاجة ماسة للاطلاع على تجربة كهذه كي يحاولوا أن لايقعوا في أخطاء دفعنا الدم الزكي ثمناً لها، وليتجنبوا تجارب وصراعات وتصورات خاطئة استغرقت منا خمسة عشر سنة كي نصل بها إلى تصور أقرب للصواب إن شاء الله تعالى.

فلما انتشر منه عدة مئات من النسخ التجريبية في مختلف الأوساط الإسلامية، حاولت رصد التعليقات والملاحظات التي تلت انتشاره لأستفيد منها عندما نتوجه لطباعته في نسخة رسمية في كتاب، وتلقيت عدداً من النصائح المفيدة وتشجيعاً مشكوراً من إخوة أحباب على متابعة الكتابة في هذه البحوث، وفق هذا النهج الجريء المتميز الصريح المباشر. وأحب هنا أن أسجل بعض الملاحظات التي استفدتها من جراء الطبعة التجريبية:

1- أن التقدير العظيم الذي لاقاه الكتاب كان في قطاع الإخوة غير السوريين رغم أنهم أصحاب القضية والذين كانوا الهدف الرئيسي من كتابته، وذلك لعدة أسباب أجملها فيما يلي:

أ- أن درجة الإحباط العالية لدى من تبقى من حطام الجهاد في سوريا بلغت حداً أنهم لايريدون العمل لقضيتهم حتى ولا القراءة عنها وللأسف، فقد ملّوا حتى سماع أخبارها.

ب- أن أحد أهم الأمراض العضال التي خرج بها هؤلاء المساكين هو روح الأستاذية الفارغة، فهم يتصورون أنهم مروا بتجربة يعرفون كل ما فيها فلِمَ يتكلفون قراءة مئات الصفحات؟

ج- أن كثيراً من الإخوة السوريين مايزالون ولو شكلياً وإسمياً تابعاً للجماعات الإسلامية الرئيسية التي ساهمت في القضية الجهادية وكانت مساهمتها تتراوح بين السلبية وبين كونها كارثة على الجهاد نفسه، فهم منحازون سلفاً ودون أن يقرءوا لأنهم سمعوا أن الكتاب يعري دور جماعاتهم المخزي في القضية، أما الذين انصفوا في الكتاب كما يعتقد الكثيرون فغالبيتهم الساحقة قد استشهدت أو التهمتها السجون والمعتقلات، ومن تبقى منهم وللأسف شريحة لا تقرأ ولا تكتب كما هو حال كثير من أصحاب الخط الجهادي العملي، حيث أن أكثر الحقائق مأساوية في العمل الإسلامي عموماً وليس السوري فقط أن معظم العاملين المجاهدين لايقرأ كي يستفيد ويرشّد عمله، ولا يكتب عن تجاربه كي يستفيد الآخرون، ويعتبر هذا من صفات الذين لا يعملون.

كما أن معظم الذين يقرأون ويكتبون يقرأون أكثر من اللازم، حتى أنهم لايعملون، ويكتبون أكثر من اللازم حتى أنهم يحبون أن يحمدوا بما لم ويكتبون عن أعمال غيرهم وكأنها لهم. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

د- على اعتبار أن الكتاب عن قضية الجهاد في سوريا، والكاتب أحد إخوانهم، وعلى اعتبار أن جارية الحي لاتطرب، فإنهم استهانوا به دون أن يطلعوا عليه. وعلى كل حال فالأسف الشديد الذي اعترانا لعدم اكتراث الإخوة السوريين (بقايا القضية وضحاياها) بالبحث وهم أول المقصودين به لعلهم إلى رشدهم يثوبون، عوضه الفرحة الغامرة ونحن نرى كثيراً من الإخوة المجاهدين غير السوريين أفراداً وقيادات وجماعات تتلهف لقراءته وتحاول الإفادة منه، وأرجو الله أن نكون قد قدمنا للعاملين وجبة فكرية مهمة تعينهم على دربهم الشائك. وحسبنا فرحة أن نتصور أن مجاهداً في سبيل الله في أي مكان من هذه المعمورة قد نجى من عثرة محتملة لأنه أخذ بنصيحة تنبهه إليها ويا لها من فرحة بعمل نرجو أن يكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

2- الملاحظة الهامة الثانية هي أن كثيراً من الذين قرأوه وقفوا في الاستفادة عند حدود نهاية الفصل الأول من الكتاب الأول وهو التاريخ، وخرجوا بانطباع عن الكتاب.

فمن كان ناقماً على الإخوان المسلمين –وما أكثرهم في ساحات الجهاد الفعلي– فرح وكأنه وقع على كنز يعزز مالديه من مطاعن على الإخوان المسلمين –وما أكثرها أيضاً وقد آل الحال بقيادتهم الفاجعة إلى ما آلوا إليه– وهؤلاء فرحوا وراحوا ينشرون الكتاب وهم غافلون عن لبه وأساسه الذي لم يكن التاريخ وسرده السريع إلا متكأً للوصول إليه.

وأما الإخوان المسلمون من مختلف الأقطار وكثير من عناصرهم التي ماتزال مخدوعة بهم –فك الله أسرهم- فقد استاؤوا من الكتاب وهاجموه وصنفوه في قائمة الممنوعات من الفكر الهدام!

والحقيقة أن لا هذا أنصف ولا ذاك وأحب هنا أن أعيد تقديم كتابي بإيجاز كي يستفاد منه:

أ – الشريحة الأساسية المقصودة من الكتاب –بعد كل طالب حق وفائدة- هم الشباب العامل للإسلام في قواعد مختلف الحركات الإسلامية، ولاسيما قواعد الإخوان المسلمين ومن شابههم من الشباب المخدوع الباحث عن العمل للإسلام والجهاد في سبيل الله فعلاً لا زعماً.

إن هذه الشريحة من الشباب المؤمن الملتزم الذي التحق بتلك الحركات مقتنعاً بالشعارات الجامعة البراقة –العمل للإسلام .. الدعوة إلى الله ... إقامة الخلافة ... الله غايتنا ... الرسول قدوتنا ... الجهاد سبيلنا ... الموت في سبيل الله أسمى أمانينا .. وغيرها من الشعارات التي تلف وتدور حول هذه المعتقدات الثابتة والأماني العظيمة ...

هذا الشباب الذي تربى على الالتزام والطاعات والنسك هم هدف أول بالنسبة للكتاب. وفي رأينا يجب أن يكونوا الهدف الأول بالنسبة لتيارات وتنظيمات الجهاد .. أن يأخذوا بأيديهم ويبصرونهم بحقيقة الحركات التي ينتسبون إليها وما وصلت إلأيه بسبب قياداتها الهرمة المنحرفة عن الجادة، أو الناكصة عن التضحية والبذل ودرب الشهادة، وما وصلت إليه من زيغ وانحراف في الراية والعقيدة، وما أوغلت فيه عبر طريق التقاعس والذل، وليطبقوا عليهم قول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغُنا ثم يملؤنا ...".

يجب أن نفرغهم مما ملأ أولئك الضائعون من حداة القافلة –وللأسف- من مفاهيم البدعة والانحراف في العقيدة والراية بدعوى المصالح التي لا تستند إلا إلى أهواء لا تمت للتأصيل الشرعي وفقه السياسة الشرعية بصلة.

إن هذا الكتاب موجَّه في الدرجة الأولى لخدمة هذا الهدف وانتشال هذه الشريحة الكبيرة الغالية التي تبقى بالنسبة لتيارات الجهاد الحقيقية العاملة أهم من الشباب التائه في دياجير الضلال والبعد عن الدين، الذي يجب أن تبنيه من الصفر وتنظفه من أدران المادية وتيارات العلمانية والجحود على ما في هذه الشريحة أيضاً من عينات كثيرة تميزها الفطرة السليمة، ففيهم الكثير من خيار الجاهلية الذين يصيرون إن شاء الله من خيار الإسلام إن فقهوا ولا يخلو البحث من توجيهات تفيدهم أيضاً. أما الشريحة الثانية المقصودة بالكتاب فهم الذين اختاروا الطريق الي اخترنا وعزموا على الجهاد الفعلي في سبيل الله قولاً وعملاً لا زعماً وتمنّياً، كي يستفيدوا من تجربتنا ويتعظوا بها ويكون الكتاب الذي بين أيدينا وجبة غنية في فقه الحركة والجهاد، ويتزودوا منه ليضيفوا لتجربتهم الذاتية خطوة أخرى إلى الأمام على الطريق.

ب – يقع الكتاب في جزأين اثنين: أما الأول فيقع في فصول أربعة: أولها سرد تاريخي للأحداث بعد مقدمة وجيزة، والهدف منه إعطاء فكرة عملية للقارئ عن الساحة التي ولدت فيها أفكار الكتاب من تحليل ودروس وتجارب ونظريات عمل لن يمكن فهمها إلا بقراءة موجز التاريخ، وقد ذكرنا في المقدمة –وأعيد- أن هذا السرد خطوط عريضة لو أردنا تفصيلها وتوثيقها بكل مالدينا ومايمكن تحصيله لخرجنا بعدة مجلدات نسأل الله أن يوفقنا لعمل ذلك.

ولكن الأهم من هذا الفصل هو الدروس التالية المستخرجة والتحليلات الدقيقة التي حاولنا عبرها تتبع مايمكن الإفادة منه وتقديمه للقارئ ميسراً، ليعينه على التعمق في تحليل الحدث والاستفادة منه وهي بحوث هامة جداً من الناحية التطبيقية للسائرين على نفس الطريق.

أما أهم فصول الكتاب على الإطلاق بالنسبة لي فهو الفصل الثالث من الكتاب الأول، الذي حاولنا فيه وضع نظرية عمل ومنهج تجديدي في الفكر الجهادي من الناحية التنظيرية السياسية والحركية والعسكرية، حتى أننا أعدنا وضعه مرة أ×رى في السياق في الجزء الثاني من الكتاب لنعيد التذكير بأهميته بع دالمقدمات الشرعية والفقهية التي جاءت في الجزء الثاني.

لقد حاولنا أن نرسم حقيقة الصراع بين العقلية الجهادية الفدائية المضحية لدى المجاهدين الحقيقيين في التنظيمات الإسلامية وهم المصطلح على تسميتهم لدى القيادات القاعدة الناكصة عن الجهاد بالمتسرعين تارة والمتشددين تارة والدمويين تارة ...الخ، بين هذه العقلية المتدفقة إخلاصاً وحماساً للجهاد وبين تلك العقليات السياسية الهرمة إلى حد الشلل والمستسلمة المداهنة الساعية وراء أنصاف الحلول مع الطواغيت والأعداء وقوى الباطل على مختلف أشكالها إلى حد يثير مزيجاً من الغضب والشفقة والازدراء يحار معه المرء. كما أنّا وضعنا خلاصة مطالعاتنا لعشرات الكتب التي بحثت وأرخت لكثير من حروب المقاومة السياسية وانتفاضات الشعوب المختلفة، وهي تجارب إنسانية قيّمة حاولنا تسجيل خلاصاتها في ذلك الفصل.

أما الفصل الرابع فأهميته بالدرجة الأولى هي للبقية الباقية من الإخوة المجاهدين السوريين إن كان قد بقي فيهم بقية تريد متابعة الطريق وأداء الأمانة، وهم نذر يسير تائه وسط لجج من النكوص والإحباط والظروف المأسوية، كما أنه يهمّ من كان في مثل ظروفهم من بقايا حركات ضربت وتمزقت وبقي منها بقية تريد النهوض وجمع الشتات.

وأما الكتاب الثاني أو الجزء الثاني فيغلب عليه التأصيل الفقهي والسياسي الشرعي لكثير من المفاهيم الهامة والضرورية للانطلاقة الجهادية، فهو أصول وذخيرة فكرية يتعذر الانطلاق بدونها، وهي معتقدات وتصورات وفقه يمثل خلاصة ما اعتقدناه ونحن نحمل السلاح في سبيل الله، بل خلاصة ما توصلنا إليه من مبادئ وأفكار وأساسيات لا يمكن الانطلاق بالسلاح في سبيل الله إلا بعد التشبع بها وبأكثر منا في هذا الإطار، وهي التي تميز المجاهد العارف عن المحارب الذي قد ينقلب إلى قاطع طريق لا سمح الله .

وهكذا أعيد التأكيد على إخواني الذين قرأوا الفصول الأولى وتوقفوا، أو قرأوا الكتاب ولم ينتبهوا إلى هذه الجوانب أن يعيدوا قراءته مرة ثانية فإنهم يقرأون في حروف مرصوفة قليلة، عبر دماء جرت وأعصاب احترقت وعواطف تأججت ودموع انسكبت ودعوات جأرت إلى بارئها من خلال راية الجهاد التي ارتفعت يوماً في سبيل الله في تلك الربوع التي باركها الرحمن وكتب على أهلها أن رجالهم ونساءهم وعبيدهم وإماءهم في رباط إلى يوم القيامة ولم يكن الفصل الأول من اكلكتاب إلا سرداً تاريخياً موجزاً لفصل قصير من مسرحية طويلة لم تنته بعد.

3 – الملاحظة الثالثة سأضمنها الرد الموجز على بعض المزاعم والتنطعات التي سمعتها أو بلغتني عن بعض شخصيات الإخوان المسلمين السوريين ومن على شاكلتهم من أصحاب مذهب العصمة الكهنوتية الذين لا يجيزون النقد البنّاء ولا غيره، ولا التلميح ولا التصريح و النصح ولو كان على سبيل العبرة وترشيد المسيرة طالما حوى شيئاً ولو يسيراً من النقد لهذه المدرسة المقدسة وآياتها الذين ابتلي بهم العلم الإسلامي المعاصر. وأُجمل هذه الانتقادات التي سمعتها بما يلي:

1- أن ما يذكره الكتاب هو نشر لغسيل الحركة الداخلي على السطح، وهو وإن كان صحيحاً لا يجوز، لأنه يفضح العمل الإسلامي ويشمت أعداءه، فإذا كان لابد من نصحية بناءة فلتكن إسراراً لا إعلاناً.

2- أن ذكر أسرار العمل الإسلامي وخبايا حركة إسلامية تخوض حرباً مع النظام النصيري سفيد العدو قبل الصديق بما يضع تحت يده من مادة معلوماتية كثيفة وأسرار وأسماء لا يجوز البرح بها.

3- أن الكتاب يحوي تجريحاً بشخصيات متعددة لها تاريخها المجيد في العمل الإسلامي وهذا لا يجوز.

4- الانتقاد الرابع جاء من جهة معاكسة وهم بعض الإخوة من تنظيمات جهادية، إذ اعتبروا أن الكتاب لين أكثر من اللازم مع الإخوان وأخذوا عليه أنه يركز ويتبنى بعض نظريات العمل والفكر الإخواني.

هذه أهم الانتقادات التي سأفندها في هذه الملاحظة إن شاء الله، أما التعليقات الأخرى التي كان معظمها تشكيكاً وتجريحاً في الكتاب، وتكذيباص في بعض الأحيان لما جاء به، أو تقليلاً من شأنه أو طعناً بمن كتبه حيث حاول هؤلاء المدافعون عن باطل من يدافعون عنه الرجم بالغيب لتحديد كاتب الكتاب وقدّروا جملة من المتهمين وراحوا يجرحون فيهم، وهي طريقة لا تستأهل الهبوط إلى مستواها للرد عليها فيكفي ما في الكتاب من توثيق يدين من يريدون تبرئته ويكفي المئات إن لم يكن الآلاف من شهود المرحلة ممن عايش الأحداث أو احتك بها وجلهم أحياء، وتكفي طريقتهم الهابطة في الدفاع عن تكلف الرد عليها.

أما الرد على النقطة الأولى فنقول والله المستعان: أنه يكفي فيها قول سيد قطب رحمه الله الذي يعتبر قاعدة ذهبية في العمل الحركي الإسلامي قوله: (إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج). وإذا كان لا بد من الانحياز لأحدهما فإننا منحازون قطعاً للمنهج السوي ولو أدى هذا لكشف المنحرف وتعريته وإسقاطه بعد أن تُستنفذ معه كل أسباب الإصلاح والرد إلى الصواب.

أما موضوع النصحية إسراراً فقد تمت مراراً وتكراراً حتى غدا كل مصلح ناصح عدواً لدوداً لأعمدة النكسة في الجماعة التي استطاع أقطابها كما ستقرأون بالتفصيل في هذا الكتاب ولاسيما في الفصل الرابع من الجزء الأول أن ينتصروا في الصراع الداخلي، وأبعد كل العاملين المنتجين ليبقى في الجماعة قيادات متسلطة لا يردعها رادع، وبقية قواعد غلبتها الإمعية أو أسكنتها الحاجة والتبعية. فلما وصلنا لنهاية الشوط كان لا بد من المواجهة ولو بالتعرية التي لا نملك غيرها حتى يتبين المنصف من أبناء الصف الحق من الباطل، ويستفيد إخواننا في حركات أخرى من التجربة فيتعظوا، ونقدم الحق للمسلمين كاملاً غير منقوص أداءاً للشهادة وهي من حق الإسلام والدعوة ودماء الشهداء علينا وقد فعلنا ولسنا بنادمين والحمد لله.

فضلاً عن أن العبرة من الحدث والاستفادة منه وتشخيص التجربة لاسيما بعد أن صارت كل أسرارها في يد الأعداء حق للمسلمين حق علينا تقديمه ليستفيدوا منه.

أما النقطة الثانية فالمتابع لأحداث القضية الجهادية في سوريا يعرف أنها من الدعاوى الفارغة فلقد تكمنت أجهزة الأمن والاستخبارات وسلطات القمع السورية –ولاحول ولا قوة إلا بالله- من أسر العشرات من قيادات الطليعة المقاتلة وأعضاء الجهاز العسكري للإخوان المسلمين ومراسليهم –فك الله أسر الجيمع- بالإضافة لآلاف المعتقلين من أعضاء الإخوان والتنظيمات الإسلامية الأخرى، كما تمكنت عن طريق الاستدراج مستفيدة من الضغوط النفسية الهائلة التي تعرض لها الإخوة في قواعد كافة التنظيمات من قبل قيادات الإخوان المتسلطين أولاً، ومن ضغوط الأنظمة التي اضطررنا للتحرك على أراضيها ثانياً، في ظروف صعبة عموماً تتفاوت من بلد لآخر، تمكنت الدولة من استدراج العشرات من ضعفاء النفوس الذين عادوا للبلد معترفين بكل تاريخهم ومقدمين كل ما يعلمون من أسرار ومعلومات عن بقايا حطام العمل والجماعات في الخارج. فدعوى أننا نقدم أسراراً عظيمة في الايجاز الذي جاء في الفصل الأول عبر مئة صفحة ونيف هي دعوى سخيفة إذا ما عُلم هذا. بل أقول أنه يا ليت لنا معلومات عن الأحداث وتفاصيلها وخلفياتها وأسرارها وإحصائياتها كتلك التي لدى المخابرات السورية عن القضية الجهادية وإرهاصاتها، لتمكنا إذاً من إخراج عشرات المجلدات التاريخية التي كانت تقدم للعمل الإسلامي ذخيرة ودروساً لا تُقدر بثمن.

- وأما موضوع نقد الأشخاص وتعرية دورهم والتعريف به لاسيما عندما يكون تخريباً بيناً كالذي فعلته قيادة الإخوان السوريين فما أدري كيف يطالبون بوقفه وتسميته تجريحاً وتجريم فاعله .. وهذا علم الرجال وتاريخ الإسلام وسير الأعلام مليئ بذخيرة تفرد بها

المسلمون عن سائر الحضارات بشكل يدعو للفخر فالصفات المحددة والاصطلاحات التي قام عليها ذلك التأصيل لتحديد الثقات والعدول من أعلام العلم والعمل والسياسة وتمييزهم عن المتروكين أو الوضاعين أو الكذابين أو المنافقين أو المجهولين، وذكر التفاصيل والأدلة والأحداث كما كانت تراث رائع نتفرد به بمنهج شرعي متميز لم يسبق المسلمين فيه أحد ولم يلحق بهم من بعدهم لاحق، فمن ذا الذي حرم هذا من أجل حفنة من العاملين الفاشلين الذين يريدون ستر أفعالهم وآثارها على العمل الإسلامي بأسلوب أقل ما يقال فيه أنه من كهنوت النصارى، أو عصمة الآيات وعلى حساب ماذا؟ حساب الحقيقة التي يعلمها العدو وينكبّ على دراستها للفتك بنا وبأشباهنا من الحركات الإسلامية والجهادية، ونريد أن نطمسها نحن حتى لا تتشوه صورة الذين يسمون قادة في العلم الإسلامي.

ومع ذلك –يشهد الله– أني حاولت إنصافهم وذكر الأمور كما كانت فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واشهدوا على المحسن بأنه محسن وعلى المسيء بأنه مسيء، وهذا ما حاولت اقتفاءه من خلال سردي للأحداث وأسأل الله الأجر فيما أصبت والمغفرة فيما كان من زلة غير متعمدة.

أما بالنسبة للانتقاد الرابع من بعض الإخوة من تنظيمات الجهاد الذين رأوا في طريقة العرض ليونة مع الإخوان المسلمين لاتتناسب مع حجم إجرامهم في قضية الجهاد في سوريا وغيرها من قضايا الجهاد في أكثر من مكان.

كذلك إشارتهم إلى أنني أتبنى بعض مفاهيم العمل الإخواني وطروحاته ...

فأقول والله المستعان أني سجلت خلاصة تجربتي بحياد وأعتقد أني حاولت ماأمكن أن أكون حيادياً فقد وجد في صفوف الإخوان ولاسيما الشباب وقطاع الجهاز العسكري وقيادته وبعض قيادات الوسط إخوة طيبون مخلصون حقيقة كما حاولت بعض قياداتهم الضعيفة المخلصة التائهة الإنقاذ والعمل دون جدوى وكان عليّ أن أسجل ذلك وأشير إليه.

أما بالنسبة لبعض الأفكار التي يتبناها الكتاب وهي من نتاج المدرسة الإخوانية فقد تبنيت منها ما أعتقد أنه حق وصواب ولا أعتقد أنّ كل فكر الإخوان شر وانحراف بل على العكس أعتقد أن فيه الكثير من الحق والفكر البنّاء بالإضافة لبعض جوانب الخطأ والشذوذ المردود كما أعتقد أن الإخوان وفكرهم على ما فيه مرحلة أساسية من تطور الفكر الإسلامي المعاصر علينا تنقيحها وردّ الخطأ منها والبناء على ما أتوا به من صواب. كما أني أعتقد أن الخلل في الإخوان هو في القيادة والقدوة السيئة والنكوص والانحراف أكثر من كونه في الفكر نفسه وإن كان يحمل جوانب مردودة أشرت كثير منها. وأصبحت جوانب الانحراف لديهم مشهورة.

ومع ذلك فقد أخذت ملاحظة إخواني هؤلاء بجدية وتم تعديل بعض فقرات الكتاب بناءً على نصائح بناءة جاءتني منهم. وسيلمس القارئ ذلك في بعض الفقرات التي عُدلت في هذه الطبعة وجزاهم الله كل خير.

4- الملاحظة الرابعة أنه بين أواخر 1987 وهو تاريخ الانتهاء من كتابة الكتاب وبين إعداده للبطعة الأولى الآن ونحن في أواخر أبريل من 1991 نحو ثلاث سنوات ونصف حصلت فيها تطورات في القضية الجهادية في سوريا يجدر تسجيلها لأنها تؤكد الانطباع الذي خرجنا به عن سير الأحداث في ختام هذه المرحلة.

كما أن أحداثاً عالمية هائلة عصفت بالعالم الإسلامي عامة ومنطقتنا المنكوبة منه خاصة بشكل سيؤثر حتماً على مستقبل قضايا الجهاد في المنطقة ولاسيما في بلاد الشام وما جاورها، ولذلك فإننا سنضيف للكتاب فصلاً ملحقاً في آخر الجزء الأول نتعرض فيه لموجز التطورات التي طرأت على القضية الجهادية في سوريا حيث أننا بعيدون عن المكتبة والأرشيف التي تساعد على الاستطراد والتوثيق وسنعود لتفصيلها إن قدر الله في الجزء الثالث من هذه السلسلة.

كما أننا سنتعرض لتسجيل بعض الأفكار والآراء التي تشكلت عندنا عبر هذه السنوات الهامة في تاريخ المسلمين والتي شهدت هبوب الحملات الصليبية واليهودية وحلفها المشؤوم مع قوى الردة والنفاق في المنطقة ومنها الدولة الباطنية النصيرية المحتلة لمعظم بلاد الشام وأمور أخرى في ملحق ا لجزء الثاني من الكتاب.

وإني إذ أختم مقدمة ا لطبعة الأولى هذه أسأل الله تعالى أن يبارك فيما أحسنت بكرمه وفضله، ويتجاوز عما أسأت بعفوه ومغفرته إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عمر عبد الحكيم 1991/4/27م

شوال 1411 هـ

مقدمة وتعريف بالكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين وبعد :

فهذا هو الكتاب الأول من سلسلة {في البناء الفدائي على طريق الجهاد}، والتي أعتزم فيها متوكلا على الله تعالى تقديم بعض البحوث الإسلامية الحركية الجهادية. ساعيا لسد ثغرة ببعض القليل المتواضع الذي عندي، مما أعتقد أننا كمجاهدين في سبيل الله بحاجة إليه وإلى أضعافه على صعيد المعرفة والثقافة والعلوم الإسلامية الحركية الجهادية.

فما كتب ويكتب من كتب وبحوث ومقالات إسلامية فكرية متنوعة جهد كبير وتراث رائع ضمته المكتبة الإسلامية إليها في العقود الخمسة الأخيرة.

أما اليوم والحركة الإسلامية في كثير من البلدان تخطو خطواتها الأولى نحو العمل والتطبيق فهي بحاجة إلى كتابات من نوع متميز، تكمل ذلك المشوار، وفي هذا المضمار أحاول أن أدلو بدلوي على تواضع الإمكانات فيما أراه ضروريا ومفيدا إن شاء الله تعالى، آملا أن يُوفق حملة القلم والفكر الإسلامي السليم ولا سيما علماؤنا الأجلاء على ندرتهم إلى مزيد من العطاء الذي نحتاجه على هذا الصعيد. رغم ما يحف البحث في هذه الأمور من مخاطر وما يتجشمه الساعي من مشاق، ولكنها الأمانة. نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لأدائها إنه على كل شئ قدير.

وقد كانت البداية عندما طلب مني بعض الإخوة من رفاق الجهاد أن أكتب كتاباً يضم نبذة عن تاريخ حركتنا الجهادية المسلحة في سوريا وخلاصة بعض الأفكار والأساسيات التي ننطلق منها في عملنا الجهادي وتصوراتنا إجمالا.

وقد بدأت هذا البحث منذ أكثر من عامين، ولم يكن يدور في ذهني أن هذا العمل سيتحول إلى كتاب ضخم بهذا الحجم، فكل ما تصورته أنه لن يعدو كراسة من الحجم المتوسط، ولكن ما إن بدأت بتوفيق الله بتجميع المادة وكتابة مسودات البحث حتى تنامى العمل واستقام على هذا الشكل. وكنت كل فترة أذاكر الإخوة فيما توصلت إليه وأستفيد من الحوارات الكثيرة معهم كما كنت على صلة ببعض أصحاب الخبرة والتجربة السابقة أطلعهم على الجهد وأفيد من توجيهاتهم ولا أنسى هنا أن أتوجه بالشكر والدعاء لأولئك الأحباب الذين ساهموا بحواراتهم تلك في إثراء البحث فجزاهم الله كل خير وتقبل منا جميعا.

وبعد أن فرغت من البحث عرضته على بعض الإخوة فأشار علي أستاذي الكريم أن أقسمه إلى كتابين منفصلين، قسم يضم ما يتعلق بالثورة الجهدية المسلحة في سوريا تاريخا ودروسا عبرا مستفادة كنموذج عن حركة جهادية مسلحة تصدت لطاغوت كافر في بقعة مباركة من بلاد المسلمين.. وقسم يضم البحوث الفكرية أو الحركية الصرفة، مما أفدنا منه عبر تجربتنا العنيفة، وما تبنيناه من مبادئ من خلال مدرسة الدعوة وتراثها المجيد، ولقد نظرت في اقتراحه وشرح الله صدري له، عمدت للبحث ففصلت أبوابه ضمن هذا السياق وارتأيت أن أعطي لكل كتاب عنوانا يناسب محتواه، مع الاحتفاظ بعنوان رئيسي للكتابين سأجعل منه إن شاء الله عنوانا لسلسة من عدة كتب، وذلك نظرا لأني وجدت حاجة لتصنيف كتب أخرى حول بحوث مرت بإيجاز في هذين الكتابين وتحتاج لإسهاب نظرا لحاجتنا للتفصيل فيها، بالإضافة لبحوث أخرى أرى ضرورتها في هذا السياق.

وأرجو الله تعالى أن يوفقني وأن يتقبل مني ويعينني على إتمام العمل ويجعله خالصا لوجهه تعالى.

وهذا الكتاب {الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا– التجربة والعبرة–} يضم فصولا أربعة:

الفصل الأول: ويتحدث في معظمه عن تاريخ وتسلسل الأحداث في الثورة الجهادية المسلحة في سوريا كما حصلت وكما عايشتها بنفسي وشاركت فيها بما قسمه الله وأسأل القبول، فمعظم ماورويته هي أحداث عايشتها ساعة بساعة أو تفاصيل سمعتها مشافهة من أصحابها المجاهدين الثقات.

ولقد كان لي احتكاك بمعظم الشخصيات الرئيسية التي ساهمت في تلك الحوادث كما ربطتني بأغلبهم صداقات أو علاقات عمل حركي في مختلف المراحل.

ويعلم ويشهد المئات من الإخوة الذين جاهدوا ورابطوا وجلهم مازال حياً أن الأحداث جرت بهذا السياق. ولقد كنا نتذاكر فيها باستمرار من خلال عملي الميداني في نطاق القواعد مما أكمَلَ معرفتي التي حصلتها من خلال احتكاكي بالشريحة القيادية في رأس الهرم التنظيمي للإخوان المسلمين الدوليين وللطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين. وإني إذ أدلي بشهادتي الحية هذه لم أرقب إلا الله تعالى مدركاً أبعاد هذه المغامرة بقولي الحقيقة والإدلاء بها علناً مع كل ما يراد لها من الطمس والتجهيل. فالله المستعان وأسأله المغفرة لما قد يكون من زلل غير متعمد.

ولما كان لابد لفهم السياق العام ودوافعه من مقدمة عن ظروف الثورة قدمت لهذا الفصل نبذة عن أرض سوريا، وعن حزب البعث أصل البلاء وعن المحتلين النصيريين ودينهم ليدرك القارئ أبعاد البلاء الذي نحن فيه.

الفصل الثاني: وقد تطرقت فيه لتحليل الأحداث التي تقدم سردها وإبداء بعض الملاحظات تمهيداً لاستخلاص العبرة من تلك التجربة وللوقوف على الأخطاء والمشاكل التي أدت إلى هزيمتنا الفاجعة في تلك الجولة من وجهة نظري المتواضعة وقد قسمت التحليل إلى عدة مناحي:

- ملاحظات علّقت بها على التجربة ككل.
- ملاحظات على التجربة الجهادية للفرقاء الذين شاركوا بها كلاً بحسبه لتباين الأساليب واختلاف النماذج إلى حد ما. ففصلت بين التجربة الجهادية لكل من: الطليعة – الإخوان – القيادة الميدانية في الداخل عام 1981.

الفصل الثالث: وتحدثت فيه عن خلاصة تجربتي وما توصلت إليه من أفكار ونظريات عبر تحليل لتجربتنا الخاصة التي عشتها واطلاعي على تجارب إسلامية أخرى ودراستي لتجارب عالمية مشابهة ولقد جاء هذا الفصل ميالاً إلى الأسلوب الفلسفي والمنطقي لطبيعة البحث، فأستميح القارئ عذراً إنْ لمس شيئاً من الإطالة والجفاف، وبعض التكرار المتعمد لبعض الأفكار الهامة.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر للعديد من إخواني الذين أثرت محاورتهم البحث وأفادت مناظرتهم في وصوله لهذا المستوى، ولاسيما أستاذي الكريم عمر فللجميع خالص شكري وامتناني.

الفصل الرابع: وحاولت في إثبات بعض المفاهيم ورسم بعض الملامح على طريق إيجاد بديل للإنقاذ في واقع الحركة الإسلامية والبلد المصاب مما تردى فيه من متاهات. ولابد أن القارئ الكريم سيلمس بوضوح الاتجاه الجذري في التفكير والتصور الذي خلصت إليه من خلال فهمي لديني وإيماني بالله تعالى وبرسالته المحكمة، ومن خلال إدراكي لأبعاد

المصيبة التي نحن فيها، ولاشك أن صراحتي التي انتهجتها في كتابة هذا الكتاب ستجعل صدوراً تضيق وأنوفاً تحمرّ وآراءً تحمل على كاتب هذه السطور وترشقه بما يليق بها، ورغم هذا فإني آثرت أن أنهج هذا النهج المباشر والصريح مدركاً خطورته وضرورته في نفس الوقت.

ضرورته لنا كمجاهدين سوريين كي نستفيد من أخطائنا، وضرورته لشعبنا المسلم في سوريا لفهم التجربة التي ذاق لوعة نتائجها وحده كاملة، وضرورته لمن يفكر من أبناء هذا البلد أن يكمل المسيرة ليبدأ من حيث انتهينا، وضرورته لإخوة في الله لنا يحملون السلاح ضد طواغيت بلادهم كي يتعظوا بتجربتنا ولايكرروا كوارث دفعنا زكي الدم ثمناً لها، وضرورته لأنه حق وصدق ويجب الجهر به أولاً وقبل كل ذلك ...

وإني إذ أعرض خلاصة فكري وتجربتي ولاسيما في الفصلين الأخيرين أسأل الله تعالى السداد والتوفيق للصواب إنه لا يهدي للحق إلا هو وأرجو من إخواني أن يتفضلوا علي بما يرونه تصويباً لي وتوجيهاً لعملي نحو الحق ولهم جزيل شكري.

وختاماً أحمد الله الذي راقبته في عملي هذا مااستطعت فإن أصبت فمن الله عز وجل وهو الموفق، وإن أخطأت فمن نفسي المقصرة وهو الغفور الرحيم.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وتقبل منا وارزقنا الإخلاص والشهادة في سبيلك يارب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بعونه تعالى في 1987/10/13

فهرس الجزء الأول

فهرس الوثائق

الباب الأول

سـوريا الشام

الباب الأول :

أولاً : بلاد الشام :

هـي المنطقـة الواقعـة بـين جبـال الأناضـول (تركيـا) شمـالاً وبـين جزيـرة العـرب جنوبـاً وبـين بـلاد العـراق شـرقاً والبحـر الأبـيض المتوسـط غربـاً حيـث تمتـد في جنوبهـا الغـربي لتشـمل جـزءاً مـن صـحراء سـيناء. ويمكـن القـول حسـب المصـطلحات السياسـية الجغرافية المعاصرة أنها تضم كلاً من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وصحراء سيناء بشكل عام.

وقــد تم فــتح هــذه الــبلاد ودخلهــا الإســلام وأزيلــت عنهــا ســلطة الــروم في عهــد الراشــدين أبي بكــر وعمــر رضــي الله عنهمـا، فـروت أرضـها دمـاء الصـحابة والتـابعين رضـوان الله تعـالى علـيهم حـتى اسـتتب أمـر الإسـلام فيهـا وأصـبحت واحـدة مــن أهــم حاضــرات الخلافــة الإســلامية علــى مــر العصــور. فســاهمت بــدورها الحضــاري في مختلــف وجوهــه العلميــة والدينيــة والسياسـية والأدبيـة والفنيـة .. وحفـل تاريخهـا بالعطـاء الزاخـر في كـل المجـالات. كمـا كانـت قلعـة الإسـلام الرئيسـية الـتي صـدت عنـه عـزوات الغـزاة علـى مـر العصـور مـن تتـار وصـليبيين وغـيرهم. ومـاتزال واحـدة مـن أهـم قـلاع الإسـلام وجبهـة رئيسـية في صـراعه التـاريخي مـع اليهـود الـذين شـغلوا قطعـة مـن أهـم وأقـدس أراضـي المسـلمين. وسـتبقى بـلاد الشـام كمـا قـدر الله تعـالى لهـا إلى أن تكـون بهـا الملحمـة الكـبرى بـين المسـلمين واليهـود، بـين المـؤمنين ونبينـا عيسـى عليـه وعلـى نبينـا الصـلاة والسلام وبين الدجال على ما أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

تعـيش في بـلاد الشـام الآن غالبيـة سـاحقة مـن المسـلمين إلى جانـب أقليـات أخـرى كالنصـارى واليهـود الأصـليين، بالإضـافة لشـراذم من الفرق الدينية المنحرفة عن الإسلام والخارجة عنه كالنصيرية والدروز والإسماعيلية واليزيدية (عبدة الشيطان).

هذا بالإضافة إلى الصهاينة الغزاة الذين يحتلون عموم بلاد فلسطين وجزءاً من سوريا ولبنان.

إن تعـدد التركيبـات الدينيـة والعرقيـة والسياسـية فيهـا وتـداخلها حـتى سميـت بالمنطقـة الفسيفسـائية أثّـر كثـيراً في تسلسـل الأحـداث وتطـور أحابيـل ومـؤامرات أعـداء الإسـلام، بفضـل مـا لعبتـه تلـك الأقليـات والكتـل السياسـية المنحرفـة ومـا قدمتـه مـن عـون لأعـداء الإسلام على مر العصور.

ثانيا: فضل بلاد الشام وبشائر الرسول عليه الصلاة والسلام فيها:

يجدر بنا هنا وقبل البدء في هذه الفقرة لفت النظر إلى أن إيماننا يديننا الحنيف يجعلنا لا نفرق بين أرض إسلامية وأخرى، وبين مسلم شامي وآخر مصري أو تركي، فالإسلام دين عالمي لا فضل فيه لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأرض الإسلام كلها حرام على أعدائه، ولقد كان لبقاع إسلامية عديدة وشعوب إسلامية مختلفة الأصول شرف الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه والمساهمة في تراثه الديني والعلمي والأدبي والفني على مر العصور.

ولعل مثال محمد الفاتح التركي وصلاح الدين الكردي وكثير غيرهم من قادة شعوب إسلامية شتى خير مثال على ذلك، وما مثال إخواننا الأفغان ونحن في القرن العشرين عنا ببعيد.

إن هذا المفهوم يجب أن يكون وازعا لأهل كل بلد وسكان كل ثغر من ثغور الإسلام أن يهبوا ليؤدوا دورهم في خدمة الإسلام والتعاون مع إخوانهم على بعد الدار والمزار لإعادة مجده الذي بشرنا الصادق صلى الله عليه وسلم بعودته، وبقيام الخلافة الراشدة بعد حكومات العسف والجور والطغيان، وما إشارتنا لبركة وفضل بلاد الشام إلا تبركا بكلام الله تعالى وتيمنا بكلام سيدنا محمد صلى اله عليه وسلم، وهذا حق فكما قيل فإن لله خواص في الأمكنة والأزمنة والأشخاص.

فقد اختار الله من الأمم العرب لحمل رسالته، ومن العرب قريش، ومن قريش هاشم ومن هاشم محمدا صلى الله عليه وسلم (كما في الحديث). وهذا اختيار تكليف ثم تشريف كما فضل مكة والمدينة على غيرها من البقاع وخص الشام بالبركة التي ذكر وخص أخرى بما شاء وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء على علم وحكمة منه عز وجل.

فما نذكره من فضل الشام وبركتها هو تيمن وبركة، وإيعاز لمسلمي هذه البلاد ومن حولهم وسائر المسلمين لأن يأخذ كل دوره ويتحمل مسؤوليته، فهي مزية تكليف قبل أن تكون مزية تشريف.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مناقب الشام وأهله ما نقتطف منه ما يلي: (ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء وهي أحد ما اعتمدته في تحضيضي للمسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق ونهي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي للعسكر المصري إلى الشام وتثبيت العسكر الشامي فيه...

بركة الشام:

وهذه المناقب هي أمور أحدها البركة فيه، وقد ثبت ذلك بخمس آيات من كتاب الله تعالى:

1 - قوله تعالى في قصة موسى: {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بين إسرائيل بما صبروا }[الأعراف 137] ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن غرق فرعون في اليم.

2 - قوله في قصة الإسراء: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} [الإسراء 1] . وهو وصوله صلى الله عليه وسلم أرض الشام.

3 - وقوله تعالى في قصة إبراهيم:**{وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين، ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين}** [الأنبياء 70-71]. ومعلوم أن إبراهيم نجاه الله ولوطا إلى أرض الام من أرض الجزيرة والعراق.

4 – وقوله تعالى:{ **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ علمين}** [الأنبياء 81] وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكو سليمان.

5 – وقوله تعالى في قصة سبأ **{وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا ليالي وأياما آمنين}** [سبأ 18].وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكر العلماء.

فهذه خمسة نصوص حيث ذكر الله تعالى أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها ومسرى الرسول إليها، وانتقال بني إسرائيل إليها، ومملكة سليمان بها ومسير سبأ إليها، ووصفها بأنها الأرض التي باركنا فيها، وأيضا فيها الطور الذي كلم الله عليه موسى والذي أقسم الله به في سورة الطور **{والتين والزيتون وطور سينين}**، وفيها المسجد الأقصى ومنها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم، ومنها معراجه، وبها ملكه وعمود دينه وكتابه والطائفة المنصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد، ومن ذلك أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي ثبت فيها الحديث في الصحاح من حديث معاوية وغيره "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة" وقال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام وهو كما قال لوجهين، أحدهما: أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام، وثانيهما أن لغة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مدينته في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق، وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل المغرب، ويسمون الثوري شرقيا ومن أهل الشرق، ومن ذلك أنها خيرة الله في الأرض وأن أهلها خيرة الله وخيرة أهل الأرض، واستدل أبو داوود في سننه على ذلك بحديث كثير مثل:

"حديث عبد الله بن حوالة الأزدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ستجندون أجنادا جندا بالشام وجندا بالعراق، فقال الحوالي: يا رسول الله اختر لي ؟ قال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها حزبه من عباده، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله" أخرجه أحمد والطحاوي في مشكل الآثار وكان الحوالي راوي الحديث يقول: من تكفل الله به فلا ضيعة عليه ومن ذلك أن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها على الشام كما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر[1] ومن ذلك أن عمود الإسلام في الشام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"وعقر دار المؤمنين في الشام" أخرجه أحمد وابن سعد في الطبقات والنبوي في مختصر المعجم وغيره انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

كما ذُكر في الشام وأهله وفضله طائفة من الأحاديث ننقل بعضا منها:[2]

1 – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول صلى الله عليه وسلم: إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام، ألا إن الإيمان في الشام إذا وقعت الفتن حديث صحيح أخرجه الحاكم وأبو نعيم في الحلية.

---

[1] ذكر الشيخ الألباني أنه صحيح وإن كان ليس من حديث عبد الله وإنما من حديث زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف الرقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" طوبى للشام" فقلنا لأي ذلك يا رسول الله ، قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها.

[2] اعتمدنا على تخريج الأحاديث على كتاب فضائل الشام ودمشق للربعي ومناقب الشام وأهله لابن تيمية . تحقيق الألباني.

2 – أخرج الطيالسي في مسنده عن شعبة عن معاوية مرفوعا" إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة"كذلك أخرجه الترمذي من طريقه وقال حسن صحيح.

3 – عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ :ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس "قلنا فبماذا تأمرنا يا رسول الله ؟ قال عليكم بالشام" حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذي في الفتن وصححه ابن حبان في صحيحه.

4 – عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فسطاط المسلمين يوم الملحمة في الغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من قلب مدائن الشام وفي رواية ثانية: سمعت النبي ﷺ يقول: يوم الملحمة الكبرى، فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ صحيح أخرجه أبو داوود والحاكم وأحمد قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

5– عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه سمع الرسول ﷺ يقول ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق" صحيح أخرجه الطبراني وله شواهد من روايات أخرى.

6 – عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثا من الموالي أكرم العرب فرسا وأجودهم سلاحا، يؤيد الله بهم الدين "حسن أخرجه ابن ماجة والحاكم . أ.هـ.

ثالثا: سوريا بين الماضي و الحاضر

سوريا الشام هي المنطقة المحددة سياسيا (وحسب اتفاقيات سايكس بيكو المشؤومة /1917/ والتي تمت بين المحتلين الفرنسيين والانكليز إبان الحرب العالمية الأولى والتي تناهبت بموجبها هاتان الدولتان الاستعماريتان معظم بلاد المشرق الإسلامي)، هي المنطقة الواقعة بين تركيا شمالا والعراق شرقا والأردن وفلسطين جنوبا ولبنان والبحر الأبيض غربا. هي الدولة الأكبر من دول بلاد الشام نظرا للمساحة(185.000كم²) وتعداد السكن والأهمية الاقتصادية والتاريخية والسياسية عاصمتها دمشق ويتوزع معظم سكانها في مدن الشريط الشمالي والغربي وحول المناطق الزراعية ونهر الفرات الشهير، يقترب عدد السكان اليوم من (14 مليون نسمة) وتتألف الشريحة السكانية لهذه المنطقة التي كانت محل صراع الشرق والغرب والطامعين منذ فجر التاريخ وأيام الفرس والرومان وحتى الآن، تتألف من مزيج عرقي فيه بعض التعقيد (العرب– الأكراد– الآشوريين– التركمان–الأتراك –الشراكسة– الداغستان–الشيشان–الأرمن). أما من الناحية الدينية فتقطنها أغلبية ساحقة من المسلمين السنة بالإضافة إلى أقليات دينية تقدر بحوالي (7 %) من النصارى (8%) من النصيريين(2%) من الدروز بالإضافة إلى عدة آلاف من كل من الإسماعيلية واليزيدية عبدة الشيطان مع أقلية يهودية تقدر بنحو (5 آلاف نسمة). وكما أسلفنا فقد كانت سوريا الشام وعاصمتها دمشق واحدة من الحواضر الإسلامية المشعة إبان المرحلة التي سيطرت فيها الدولة الأموية والمراحل التي تلت، ولا سيما أيام التتار والصليبيين ثم كانت كذلك أيام الخلافة العثمانية، إلى أن سقطت بيد المحتلين الفرنسيين بعد سقوط الخلافة العثمانية وكان ذلك عام 1920، ثم حصلت على الاستقلال في عام 1946، وشهدت بعده فترة شديدة التقلب والتعقيد سياسيا نتيجة صراع الصنائع الاستعمارية التي خلفها الاستعمار وراءه. فتنازعت السلطة أحزاب علمانية وقومية وإلحادية وتجمعات

مصلحية متضاربة الأهداف مختلفة المشارب، ثم تلت مرحلة أخرى تميزت بتوالي الحكومات والانقلابات العسكرية بشكل عجيب.

ومع مطلع الستينات تمكنت أقلية من المغامرين السياسيين والعسكريين يترأسها حزب البعث العربي الاشتراكي من الوصول إلى السلطة، ومع مطلع السبعينات سيطرت الأقلية النصيرية الكافرة من البعثيين على السلطة تماما ونجحت في عزل خصومها عنها، وتفردت في الحكم وهي مستمرة إلى الآن (وسنفرد للحقبة البعثية النصيرية فقرة خاصة نظرا لأهميتها وعلاقتها المباشرة بميلاد الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا. إن شاء الله) .

إن هذه الوتيرة السريعة من التقلبات السياسية عكست توترات معقدة على كل الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والفكرية، وخلفت فرزا كبيرا في هذه الدولة على كل الأصعدة، وقد زاد الموقف تعقيدا وكذلك في كل بلاد المشرق الإسلامي في هذه الحقبة غزو الصهاينة لبلاد فلسطين واحتلالهم إياها وإعلانهم دولة إسرائيل. كذلك تعقد النزاعات الطائفية في الدويلة الصغيرة (لبنان) والتي أوجدها الفرنسيون لتكون لهم ركيزة استعمارية أكثر فاعلية نظرا لتركيبتها الطائفية والقومية المعقدة العجيبة، وحيث تسيطر عليها أغلبية لا إسلامية من نصارى ودروز ونصيريين وروافض شيعة وغيرهم، مما يخلق جوا مرضيا يناسب الجرثومة الاستعمارية ويتناسب مع مخطط أبناء صهيون القاضي بإحاطة الدولة اليهودية الناشئة بدويلات طائفية تكون لها سياجا مهلهلا.

إذن أسفر الوضع الجديد بعد الحرب العالمية الأولى عن تقسيم بلاد الشام المباركة إلى خمسة أقسام:

1 – دولة سوريا وكانت أكبرها وأغناها بمقومات الدولة سكانا واقتصادا ومعطيات حضارية.

2 – دولة لبنان: وهي دويلة صغيرة لا تزيد مساحتها عن مساحة محافظة متوسطة الحجم من المحافظات السورية، بتركيب سكاني طائفي معقد وبمعطيات اقتصادية ضحلة تم تفاديها بعض الشئ بتوسيع حدوده على حساب الجوار حتى بلغ حجمه الحالي نحو (10.000 كم ²) !وبتعداد سكاني قدره نحو أربعة ملايين مواطن. (القاطن فيه منهم نحو مليونين ونصف مليون نسمة)

3 – الأردن: وهي دويلة صحراوية صغيرة ضعيفة الاقتصاد وتعيش معزولة عن منابع الخيرات في الجوار مفصولة بفضل أسلاك (سايكس بيكو) الشائكة. يسطر عليها الجو القبلي العشائري ويبلغ عدد السكان نحو أربعة ملايين نسمة منهم نحو مليونين ونصف مليون فلسطيني نازح، الغالبية الساحقة من سكانها من المسلمين بالإضافة إلى أقلية مسيحية.

4 – فلسطين: وهي محصورة بين الأردن والبحر المتوسط وهي أراضي متينة الاقتصاد، وقد سيطر عليها اليهود عبر سلسلة من المؤامرات العالمية والحروب الإقليمية والخيانات العربية التي أدارتها الحكومات المتتالية على المناطق المجاورة. فشرد معظم الشعب الفلسطيني ومن بقي منهم رزح تحت الاحتلال اليهودي الذي يتمدد سرطانيا نحو الجوار كلما سنحت الفرصة.

5 – صحراء سيناء: وتقع جنوب غرب فلسطين وشمال شرق مصر وهي ملحقة بها. ونظرا لأهميتها بالنسبة لليهود فقد أتموا احتلالها إبان مسرحية حرب 1967 وبقوا فيها حتى اتفاقية الصلح المنفرد مع الطاغوت القتيل (أنور السادات) حيث أعيدت مقابل صفقة مرحلية هامة للإدارة المصرية عام 1979 وما تلاها.

وبفضل هذه الأوضاع المناسبة لبني يهود أصبحت المنطقة الإسلامية الهامة واحدة من أكثر بؤر التوتر سخونة في العالم.

رابعا :سوريا والنكسة البعثية فالاحتلال النصيري

بعد أن تم إنشاء حزب البعث العربي الاشتراكي برعاية استعمارية وصليبية وتأسس على يد الصليبي (ميشيل عفلق) والنصيري (زكي الأرسوزي) ولفيف من أبناء الطوائف النصرانية والأقليات المرتدة عن الإسلام بالإضافة إلى بعض المرتدين من أبناء المسلمين من أمثال أكرم الحوراني وصلاح البيطار وتم إعلان تأسيسه في نيسان 1947. ويبدو أن المخطط الاستعماري اليهودي استقر على إعطاء الدور الخياني الفعال في المنطقة وما يجاورها لهذا الحزب المارق، فتم لهم ذلك بانقلاب (8 آذار 1963) في سوريا حيث آلت السلطة لحزب البعث وكذلك بلاد العراق المجاورة ويجدر بنا هنا أن نعطي نبذة مختصرة عن هذا الحزب المارق.

حزب البعث العربي الاشتراكي:

هو تجمع يقوم بصورة أساسية على أبناء الأقليات الطائفية ذات الأطماع، بالإضافة إلى لفيف من المرتدين من أبناء المسلمين، وقد تم إنشاؤه برعاية يهودية صليبية غدت معروفة. يطرح الحزب شعار الوحدة والقومية العربية ويتخذ منها صنما عليه مدار فكره وردته، كما هو حال معظم الأحزاب التي تم إنشاؤها في مختلف أرجاء الوطن الإسلامي حول بدعة القومية والوطنية، ينادي الحزب بالنهج الاشتراكي اقتصاديا -نظريا طبعا- حيث أن النهج المطبق هو مزيج غريب من الرأسمالية والدكتاتورية والاشتراكية وغير ذلك.

كما ينادي بالعلمانية ويعلن فصل الدين عن الدولة، ويعتبر الإسلام دينا شخصيا كغيره من أديان المنطقة وإن كان ذا دور أوسع على سبيل كونه تراثا غابرا مجيدا، وبناء على ذلك يتبنى شعار الحرية وتفسيرا خاصا لها وهي تمام الثالوث البعثي الجامع لأهدافهم (وحدة، حرية، اشتراكية). وعلى الرغم من شعار الحرية المزعوم، فالسائد حيث يسيطر البعث حكومة الحزب الواحد، بكل ما يعني هذا من الخنق والكبت لكافة الاتجاهات الفكرية والسياسية والحزبية، مهما كان طرحها، ولم ينج من هذا حتى الشيوعية الوافدة ولا حتى الأحزاب العلمانية المارقة الأخرى والمتصارعة معه على تولي دور العمالة وحرب الإسلام. ولطالما كان هذا النهج هو المتكرر من هذا الحزب مهما تبدلت الواجهة الديكتاتورية التي تتوالى على زعامته. ولمن أراد مزيدا من الاطلاع على أفكار هذا الحزب المشبوه الرجوع إلى بياناته الصادرة في مؤتمراته القطرية القومية وعلى نظامه الداخلي والنشرات الخاصة به.

ويجدر بالذكر أنه لا خلاف بين علماء الإسلام قديمهم ومعاصرهم على كفر هذه الأفكار، وكفر حاملها جملة وتفصيلا، وبخيانتهم لله ورسوله والمؤمنين [3]. وهذا ما أكدته سيرة الحزب السياسية وما أورثه للإسلام من نكبات ومصائب. والناظر في خريطة الإنجازات الصهيونية والاستعمارية في عهد هذا الحزب يرى العجب مما يؤكد ما ذكرنا في شأن هذا التجمع الجرثومي المسمى حزب البعث العربي الاشتراكي.

[3] سيأتي بيان ذلك في كتابنا الثاني (أبحاث وأساسيات على طريق جهاد ثوري مسلح) إن شاء الله.

إذن استلم الحزب المذكور السلطة في سوريا في آذار 1963، وكانت واجهته من بعض أبناء المسلمين وعلى رأسهم (محمد أمين الحافظ) الذي غدا رئيسا للجمهورية آنذاك. واستمر الصراع داخل الحزب نفسه بين الكتل اللامتجانسة من دروز ونصيرين ونصارى. فكانت كل فترة تفرز رجالها وتتوالى الواجهات ويستمر النهج كما هو وتستمر إنجازات أعداء الإسلام على الصعيد الداخلي وعلى صعيد الجوار المنكوب بالاحتلال الصهيوني وكذلك إنجازات المستفيد الإمبريالي من خيرات هذه البلاد، إلى أن كان انقلاب (23 شباط 1966) حيث أبعد أمين الحافظ وزمرته ولجؤوا للعراق. (حيث كان البعث يحكم أوما سمي بالجناح اليميني أو جناح العفالقة هناك) وآل الحكم لما سمي باليسار البعثي وترأس الجمهورية مرتد آخر من أبناء المسلمين هو (الدكتور نور الدين الأتاسي) وليحكم النصيري القوي (صلاح جديد) من وراء الستار وكان جديد آنذاك هو الأمين العام للحزب. فزادت بشكل ملحوظ سلطة الأقلية النصيرية في الحزب والجيش والتي كانت قد بدأت منذ عهد الرئيس الماجن أمين الحافظ. وبدأ ميزان القوى يرجح بشكل ملموس لصالح النصيريين بزعامة وزير الدفاع في حينها الرئيس الحالي (حافظ الأسد) وبحلول عام 1967 وباكتمال فصول مسرحية حرب حزيران في كل من سوريا بقيادة البعث النصيري وفي مصر بزعامة الطاغوت الهالك (جمال عبد الناصر) سفاح المسلمين في أرض الكنانة ، تزعم النصيريون وأسدهم الخائن دور العمالة وسلم الجولان قلعة المشرق العسكرية بلا حرب بيعا كما يعرف ذلك القاصي والداني [4] كما خسر المصريون سيناء وطورها المقدس واستحق النصيريون وأسدهم المكافئة اليهودية وتم انقلاب 1970 وما تلاه مما سمي بالحركة التصحيحية، وتمت سيطرة واحتلال النصيريين لسوريا وأصبح حافظ الأسد رئيسا للجمهورية وتمت سيطرة الكفرة على رقاب المسلمين...نعم المسلمين ! أما السؤال المنطقي كيف رضي المسلمون بهذا ؟ كيف سكت زعماؤهم وكبار علمائهم، وقادة حركاتهم ؟ فله مجال آخر للبحث سيأتي إن شاء الله.

وبدأت سلسلة التصفيات والإبعاد واحتكار السلطة العسكرية والمدنية والاقتصادية والسياسية، حتى آل الوضع لحكم فئوي طائفي نصيري شبه صرف باستخدام بعض كلاب المصالح من المرتدين من أبناء المسلمين المتمسكين بكذبة البعث العربي الاشتراكي، وجبهة الأحزاب الوطنية بتمثيل هش ذلك الحزب الذي أصبح دخوله إلزاميا لتلمس أسباب عيش الكفاف الذليل، وتم بذلك احتلال سوريا من طائفة كافرة متمايزة عن المسلمين دينا وعرقا ومسكنا وحتى لهجة، قضت تاريخها معزولة في جبالها عن المسلمين مؤدية دور الخيانة المتابعة للتتار منذ أيام ابن تيمية رحمه الله تعالى وللصليبيين أيام صلاح الدين رحمه الله، ومن ثم للفرنسيين من بعدهم، ومن ثم لليهود والإمبريالية الشرقية والغربية الآن. أما العجب ففي أن المسلمين وعلماءهم من لا يسمي هذا احتلالا لأنه من فئة مواطنة تضمها أسلاك (سايكس بيكو) التي حددت حدود الوطن القزم ويحمل أفرادها الهوية السورية الممنوحة من قبل فرنسا بموجب الاستقلال الجغرافي...ويبدو أنه لدخول الحوار – وسيأتي إن شاء الله– يجدر بنا أن نبدأ بتعاريف محددة لأمة الإسلام وأمم الكفر وللهوية، والاحتلال وكيف يكون من وجهة نظر الإسلام الحنيف، ومنذ ذلك الوقت رزح الشعب المسلم تحت الاحتلال البشع الذي فاق في تصرفاته احتلال اليهود لمسلمي فلسطين. فحورب الإسلام حتى في جزئياته، وحورب المسلمون حتى في أسباب معاشهم، وانفجر الحقد واللؤم القرمطي النصيري المحتل عندما فزع نفر من أبناء الإسلام

[4] راجع سقوط الجولان (خليل مصطفى)

العظيم للذود عن حياضه، رافضين هذا الذل والخنوع الذي لزم مختلف طبقات المسلمين وعلمائهم وقادتهم ردحا غير قليل من الزمن. فانفجرت الثورة الجهادية وانفجر معها اللؤم النصيري وعرف المسلمون ما هي مظاهر الاحتلال...قتل بعشرات الألوف، هدم للمساجد تمزيق للمصاحف، انتهاك للحرمات والأعراض، نزع للحجاب من على رؤوس الحرائر المسلمات، ملاحقة كل حر وصاحب ضمير شريف، ماذا بعد ..؟ وكيف يكون الاحتلال وسيطرة الكفر إن لم يكن هكذا ..؟ وهكذا أصبحت الفكرة قابلة للنقاش الآن بعد أن أعطى النصيريون الدليل الذي قد يلزم بعض من يسمون علماء المسلمين حتى يصدروا فتواهم في السياسية الشرعية! ويجدر بنا وعدونا فئة متمايزة لها خصائصها وتاريخها..أن نعطي فكرة موجزة عن النصيرية كمعتقد وأمة وتاريخ وواقع.

خامسا: النصيرية، أمة، عقيدة، تاريخا، وحكم الإسلام فيها:

النصيرية:

هي إحدى فرق الشيعة الغلاة التي تفرعت عن المذهب الشيعي، وانبثقت من مزيج من العقائد والشعائر ذات الأصل المجوسي واليهودي والفارسي والمسيحي والإسلامي والبوذي، والفلسفات القديمة التي كانت منتشرة في ذلك العصر، تأسست في أواسط القرن الثالث الهجري على يد محمد بن نصير النميري، الذي ادعى النبوة وزعم أن الإمام أبا الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر عند الشيع الجعفرية الإمامية) كان ربا، وأنه هو الذي أرسله نبيا، ثم صدع بمزيج من العقائد والأفكار كانت منطلقا لدين هذه الفرقة، وكان مما جاء به قوله بالتناسخ وإباحة نكاح المحارم وإباحة نكاح الرجال بعضهم بعضا. وزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه أحد الشهوات والطيبات المباحة من الله عز وجل- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-[5]

مواطن النصيرية الحالية:

تتوزع النصيرية حاليا في مناطق متقاربة شرق البحر الأبيض المتوسط وهم بطون وعشائر عديدة، كعشائر (الخياطين، الحدادين، المثاورة، الكلبيين ...الخ)

أما عن توزعهم الجغرافي فهو كالتالي:

1 – سوريا:

وهي من أهم مناطقهم نظرا للكثافة النسبية لأبناء الطائفة، ولكونها قد احتلت سوريا وأقامت فيها نظام حكم ديكتاتوري طائفي متحكمة برقاب باقي أبناء الشعب السوري. ويتوزع النصيريون في سوريا على الشكل التالي:

---

[5] راجع شأن النصيرية: فضائح الباطنية لأبي حامد الغزالي–الفتاوى الكبرى لابن تيمية– الملل والنحل للشهرستاني– فرق الشيعة للنوبختي – المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة– الجذور التاريخية للنصيرية العلوية.

جبال اللاذقية التي سميت بجبال النصيرية وتقع في غرب سوريا محاذية ساحل البحر، ثم أطلق عليها الفرنسيون اسم جبال العلويين لخداع المسلمين هناك وإخفاء حقيقة ردة هذه الفئة وتميزها.

منطقة حمص وخاصة الريف، ويسكن به نسبة غير قليلة منهم وقد تعرضت حمص-المدينة العريقة- لهجرة منظمة من أبناء الطائفة أبان توليهم السلطة لمخطط مبيت تسربت بعض أخباره، من زعمهم على جعلها عاصمة دويلة خاصة بهم في حال تم إجلاؤهم عن الحكم في سوريا، وهذا مخطط يدل عليه ويؤيده مجموعة المشاريع الإنشائية المدنية والعسكرية والاقتصادية التي تمت منطقة الجبال المذكورة ومنطقة حمص وما حولها.

منطقة تلكلخ: وهي تقع في المنطقة الغربية من سوريا قريبا من لبنان والبحر.

كما يوجد أقلية نصيرية في محافظة حلب في قريتي (البغالية-الزهرة) كذلك في منطقة الجولان محافظة القنيطرة وكذلك في حوران في منطقة نبع الصخر وعين شمس وزمرين. منكت الحطب وبئر السبل. الهيجانة قرب دمشق.

إلا أنه وبعد توليهم السلطة في سوريا الشام حصل بعض التعديل في توزيعهم السكاني إذ أن معظم قياداتهم السياسية والعسكرية انتقلت مع عائلاتها وأزلامها لمناطق الحكم والفعاليات الأساسية، فنزح معظمهم إلى دمشق وأسسوا لأنفسهم موطئ قدم حيث أسسوا شبه مستعمرات في دمر -برزة- القدم- المعضمية- مخيم اليرموك- الست زينب. كم أقدم بعضهم على التزاوج من أبناء وبنات المسلمين في غفلة من الوعي الديني وسعيا من بعض ضعاف النفوس للتقرب من السلطة الحاكمة، وهي زيجات باطلة شرعا لأنها مع كفرة. كما حصلت مثل هذه الهجرة في باقي المحافظات السورية بنسب أقل وكذلك في منطق الثروات الاقتصادية وتجمعات الصناعة، في حين بقي الجبل موطنهم الأساسي ومستقر ثرواتهم ومشاريعهم الإعمارية والاقتصادية، ويقدر عدد السكان النصيريين في سوريا بنحو 8% من السكان أي ما يقرب من المليون نسمة.

****

2 - تركيا:

وبها نسبة غير قليلة من النصيريين أيضا. ويقطن جلهم تقريبا في الجنوب الغربي من تركيا ومنطقة غرب كليكيا ولواء اسكندرون. وقد قويت شوكتهم بتسلم أقربائهم للحكم في سوريا، وتسلل العديد منهم ليعمل في خدمة السلطة العسكرية السورية، وقام البعض الآخر بتلقي الأسلحة والذخائر والدعم والتدريب في سوريا ليشاركوا في مؤامرات وقلاقل في تركيا. ويقدر عددهم في تركيا بمليوني نسمة.

3 - لبنان

ويقطنه نسبة منهم في الشمال وقضاء عكار، ومعظمهم نازح من سوريا وقد قويت شوكتهم كذلك بعد تولي النصيريين للسلطة في سوريا، وتلقوا الدعم والسلاح وشاركوا في الحرب الأهلية اللبنانية كمنفذين لرغبة أسيادهم في دمشق والجبل، ويقدر عددهم في لبنان بأربعين ألف نسمة. وما يزال تيار هجرتهم وتوطنهم في الشمال والساحل وحول طرابلس مستمراً في ظل الاحتلال النصيري للبنان.

4 – العراق:

وفيه نسبة قليلة جدا منهم في منطقة (عانة) قرب الحدود السورية تقدر بعدة ألوف.

****

5 – فلسطين

وفيها نحو ألفي نسمة في منطقة الجليل.

****

العقيدة النصيرية :

كما قدمنا فالنصيرية هي إحدى طوائف الشيعة الغلاة الذين ألهوا عليا – رضي الله عنه– ومعظمها متفرعة من المذهب السبئي الذي أتى به اليهودي عبد الله بن سبأ.

وجملة الغلاة ومنهم النصيرية متفقون على القول بالتناسخ والحلول والتفسير بالباطن، ويعتبرون دينهم سرا لا يجب كشفه ولا يعلمه الصغار حتى يجاوزوا الحلم.

وعقائد النصيرية مزيج مكون من أصول دينية وفلسفية أهمها المجوسية والأديان السماوية الثلاث فلهم ثالوث يرمز له (ع،م، س) أي علي ومحمد عليه الصلاة والسلام وسلمان الفارسي، ويفسر عندهم أن (ع) تعني الرب والإله، ويسمى المعنى وهو الغيب المطلق، و(م) وهي صورة المعنى الظاهر، وترمز لمحمد صلى الله عليه وسلم و(س) هي صورة المعنى الظاهر أو طريق الوصول للمعنى وهو سلمان الفارسي.

ومن المؤشرات المسيحية في النصيرية، احتفالهم ببعض الأعياد النصرانية وإقامة طقوس لها مثل الاحتفال بعيد الميلاد، حيث يقدمون النبيذ ويذبحون البقر للطعام، وعيد الغطاس، وعيد الصليب، والبربارة، كما يحتفلون بعيد الغدير وهو يوم آخى النبي ﷺ بينه وبين علي رضي الله عنه ولهم أعياد خاصة. ومن قولهم بالحلول أن الله تعالى حلّ وتجلى على مر الزمان عددا من المرات في صورة مخلوقاته، كان منها تجليه على صورة علي رضي الله عنه، كما تجلى في عدد من الأنبياء منهم(شيث،سام، إسماعيل، هارون) حيث اتخذ في كل مرة منها له رسولا ينطق بكلامه، فاتخذ علي محمدا واتخذ موسى هارون... وهكذا، فكان محمد متصل به ليلا منفصل عنه نهارا، حيث أن عليا خلق محمدا ومحمد خلق سلمان الفارسي وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السماوات والأرض والموت والحياة وهم: المقداد –أبو ذر الغفاري– عبد الله بن رواحة– عثمان بن مظعون– قنبر بن كادان –على النصيرية لعنة الله – وعلى أنبياء الله الصلاة والسلام.

تقول النصيرية بالتقمص، وهي مقولة بوذية المنشأ تنص على أن البشر كانوا كواكب نزلت بهم الخطيئة إلى الحياة الدنيا، ولكي تطهر هذه الأرواح فإنها تنتقل من جسم لآخر عدة مرات حتى تطهر وتعود إلى السماء.

لا تعتقد النصيرية باليوم الآخر ولا بالحساب ولا بالجنة ولا بالنار، بل يعتقدون أن الجنة والنار هي الحياة الدنيا.

يتفق النصيريون مع معظم الشيعة حتى المعتدلين منهم على لعن أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد وخالد بن الوليد ومعظم الصحابة والخلفاء والعلماء وأئمة المذاهب الإسلامية رضي الله عنهم أجمعين.

العبادات عند النصيرية مستمدة من أصول الصورة الإسلامية وتختلف عنها في الأحكام والتفريعات عنها في الأحكام والتفريعات.

فالصلاة خمسة أوقات ذات أداء مختلف في عدد الركعات والسجود.. وأهمها صلاة المغرب، لا يعترفون بصلاة الجمعة ولا يقربون مساجد المسلمين، ولأمور الطهارة عندهم أحكام خاصة بهم. كما أن بعضهم يعتقد أن علياً أعفاهم من الصلاة لإخلاصهم له بل أعفاهم من كل العبادات.

أما الصوم فهو كما كان عند المسلمين، يضاف إليه اعتزال النساء كلية خلال الشهر، ولا يلتزم جلهم برمضان.

أما الزكاة، فهي موجودة في أصول الدين مضافا إليها الخمس الموجود عند فرق الشيعة، وتذهب لمشايخهم.

الحد مرفوض ومحرم عند النصيرية، ويكن النصيريون للكعبة عداء خاصا ويحرمون زيارة الرسول ﷺ لمجاورة الصاحبين له.

وكما كان حال مؤسس دينهم فالنصيرية يبيحون الخمور واللواط ونكاح بعض المحارم.

للنصيرية صلوات وطقوس وتمتمات وأدعية خاصة حاوية لبعض معتقداتهم مما مر معنا على سبيل الإيجاز، وكلها تنطق بالشرك الصرف والكفر بالله تعالى، ومنها ما هو حديث المنشأ يعود لأيام تولي سليمان المرشد الربوبية عندهم برعاية الفرنسيين عام 1920.

هذه نبذة عن بعض معتقدات وشعائر وعبادات النصيرية في واقعها الحالي. وسنلاحظ عندما نورد كلام ابن تيمية عنهم مرجع هذه الحال لتلك الأصول الضالة منذ أن نشأت هذه الفرقة المنحرفة.

من تاريخ النصيرية :

حفل تايخ النصيرية على مر الزمان بالعداء للإسلام والمسلمين، وكان من أشهر تآمرهم تعاونهم مع الصليبيين عندما غزوا المشرق العربي ووقوفهم إلى جانبهم، وقد حاربهم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله فروا إلى منعزلهم في الجبال مترقبين فرصة أخرى. كذلك كان دأبهم مع التتار فقد عاونوهم ومكنوهم من رقاب المسلمين وعظم أمرهم في ذلك الوقت، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أمرهم الذي عاصره فأوسع وأجاد وترك لنا قولا جامعا مفيدا في ذلك -سيأتي بيانه- فلما غزا الفرنسيون بلاد الشام عام 1920 لم تفتهم فرصة الاستعانة بهؤلاء الخونة أعداء الإسلام. فقربوهم ومدوا لهم يد العون، وقد قام المستشار الفرنسي آنذاك بمساعدة أحد النصيريين ويسمى سليمان المرشد في ادعائه الألوهية حيث أمده بالوسائل اللازمة لذلك، لخداع الجهلة أبناء طائفته فاتخذ لنفسه رسولا اسمه (سليمان الميدة) وكان هذا الرب يخرج لأبناء طائفته بثياب فيها أزرار كهربائية تضيء أنوارها ليخر له أنصاره ساجدين . وكان المستشار الفرنسي نفسه يخاطبه بصفة الإلهية ! .

يقول الزركلي في كتاب الأعلام ج/3/ص/170: سليمان بن مرشد بن يونس، علوي من النصيرية ادعى الألوهية من قرية (جوبة برغال) شرقي اللاذقية وتلقب بالرب، بدأت سيرته سنة (1920) ونفي للرقة حتى (1925) وعاد من منفاه وتزعم أبناء نحلته النصيرية، وهم من فرق الباطنية التي تؤله عليا وتقول بالحلول. وكانت الثورة في سوريا أيام عودته قائمة على الفرنسيين، وانتهت بتأليف حكومة وطنية لها شيء من الاستقلال الداخلي، فاستماله الفرنسيون واستخدموه وجعلوا لبلاد النصيريين نظاما خاصا، فقويت شوكته وتلقب ب (رئيس الشعب العلوي الحيدري الغساني)،

وعيّن سنة (1938) قضاة وفدائيين وفرض الضرائب على القرى التابعة له، وأصدر قرارا جاء فيه: (نظراً للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السني على أفراد شعبي، فقد شكلت لدفع هذا الاعتداء جيشا يقوم به الفدائيون والقواد) وجعل لمن أسماهم الفدائيين ألبسة عسكرية خاصة، وكان في خلال ذلك يزور دمشق نائبا عن العلويين في المجلس النيابي السوري، ولما تحررت سوريا وجلا الفرنسيون عنه ترك له هؤلاء من سلاحهم ما أغراه بالعصيان، فجردت حكومة سوريا قوة فتكت بأتباعه واعتقلته مع آخرين، ثم قتلته في دمشق شنقا سنة (1946). انتهى.

وبعد أن قتل سليمان المرشد ألهوا ابنه مجيب المرشد الذي قتل فيما بعد أيضا، واتخذ اسمه قيمة قدسية لدى النصيريين وسمي بالمجيب الأكبر، ويرد اسمه في كثير من الصلوات الخاصة بصيغة الربوبية.

ونجد الآن في وثائق الخارجية الفرنسية وثيقة تحت رقم (3547) تاريخ 1936/6/10، نص العريضة التي رفعها زعماء الشعب العلوي كما أسماه سليمان المرشد إلى جناب الحكومة الفرنسية المنتدبة يطالبونهم بعدم إنهاء الانتداب هذا نصها:

(دولة لين بلوم، رئيس الحكومة الفرنسية:

إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس، هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم (السني) ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل.

إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين !! وأن هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام، ونشروا على أرض فلسطين الذهب والرفاه !ولم يوقعوا الأذى بأحد، ولم يأخذوا شيئا بالقوة، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود إنكلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا، إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم للدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله، ولكن سوريا لا تزال بعيدة عن الهدف الشريف خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين.

ونحن الشعب العلوي الذي مثَّلَه الموقِّعون على هذه المذكرة نستصرخ حكومة فرنسا ضمانا لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله، وهو واثق أنه لابد واجد لديهم سندا قويا لشعب علوي صديق قدم لفرنسا خدمات عظيمة.

التوقيع: سليمان أسد (جد رئيس الجمهورية الحالي حافظ الأسد)

محمد سليمان الأحمد ---------- محمود أغا حديد

عزيز آغا هواش ----------- سليمان مرشد

محمد بك جنيد) اهـ.

ترى كم من عريضة لم تصلنا كتبت بأيد عميلة نصيرية لتنسج خطوط التآمر على المسلمين مع الصليبيين ثم مع التتار، ثم مع كل أعداء الإسلام حتى جاء الاحتلال الفرنسي الذي حفظت لنا وثائق خارجيته هذه الوثيقة التي تعطف على اليهود وتستبقي الاحتلال ! وتدور الأيام ويتسلم حزب البعث العربي الاشتراكي راية العمالة في سوريا، وبتصميم

أجنبي وتنفيذ نصيري تتدفق طلبات الانتساب على هذا الحزب الذي كان أحد مؤسسيه نصيريا (زكي الأرسوزي)، ويتدفق شبابهم على التطوع في الجيش والقوات المسلحة، ليكون الحزب والجيش مطية النصيرية الجديدة للتآمر على الإسلام والمسلمين وكان الهدف هذه المرة كبيرا ...استلام السلطة في سوريا، وتسلم مهمة تنفيذ مخططات أبناء صهيون الذين عطف عليهم جد حافظ الأسد، تسلمها الحفيد ليرأس شعبه وشعب سوريا بالكامل، وكان ما رأينا. ويعرف القاصي والداني كيف باع الأسد الجولان. وكيف سلمها بدون حرب وهي قلعة المشرق العسكرية، ثم كيف قبض ثمنها ما قبض، والذي كان منه توليه رئاسة الجمهورية، ويستمر المخطط.

ويستمر النصيريون في قيادة الدولة وعبر الحزب العميل في معركة حرب الإسلام ...مخطط فاجر مكشوف عبر علمنة أجهزة التربية ومؤسسات الدولة، وتفسيق وتكفير الشعب بشكل جماعي عبر أجهزة الإعلام والوسائل الخسيسة الأخرى...نهب ثروات البلد، خدمة أعداء الإسلام ...الخ.

وتتفجر الثورة الإسلامية (التي كانت في رأي بعض علماء الإسلام في غير وقتها) وتتصدى لها قوى العدو النصيري المحتل المتسلط على رقاب المسلمين،وتبدأ حملات مجازره وتنكيله بالمسلمين، وقتلهم وسجنهم وتشريد من نجى منهم.

حتى كان آخر إنجازاته وليس آخرها اقتحام المدن الكبرى وتمشيطها وتفتيشها والتنكيل بأهلها، ثم ضرب حماة بالمدافع والطائرات، بعد أن استعصت عليه وقتل ما يزيد عن خمسة وثلاثين ألفا من المدنيين خلال ثمانية عشر يوما، ثم استباحة المدينة عدة أيام حيث عاث جنودهم والضالون من أبناء المسلمين في جيشه الوطني فسادا في المدينة.

****

رأي علماء المسلمين من الأقدمين والمعاصرين في النصيرية.

نص فتوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله، فيهم وقد جاءت في كتابه جامع الفتاوى الكبرى[6]

(سئل شيخ الإسلام وناصر السنة (...)تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، عن النصيرية وما يتعلق بهم بمقتضى سؤال حرره الشيخ (...)أحمد بن محمد بن محمود الشافعي رحمه الله:

-صورة عن كتاب السائل عن النصيرية:

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين وأعانهم على إظهار الحق المبين وإخماد شغب المبطلين، في النصيرية القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار البعث والنشور، والجنة والنار في غير الحياة الدنيا، وبأن الصلوات هي عبارة عن خمسة أسماء وهي علي، حسن، حسين، محسن، فاطمة ؟؟؟

فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزئهم عن الغسل والجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها، وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدون في كتبهم، ويضيق هذا الموضع عن إبرازهم، وبأن إلههم الذي خلق السماوات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهو عندهم الإمام في السماء والإمام في الأرض، فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت- على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعبدونه ويعرفونه، وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيريا يجالسونه ويشربون الخمر معه ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من

---

[6] اعتمدنا في نقلها على النص الصادر عن مطبوعات دار الإفتاء -الرياض -السعودية.

نسائهم حتى يخاطبه معلمه، وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفونه على كتمان دينه ومعرفة مشايخه، وأكابر أهل مذهبه، وعلى ألا تنصح مسلما ولا غيره، إلا من كان من أهل دينه، وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف انتقال الاسم والمعنى في كل حين وزمان بالاسم عندهم، في أول الناس آدم والمعنى هو شيث، والاسم يعقوب والمعنى هو يوسف. ويستدلون على هذه الصورة كما يزعمون بما في القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما السلام فيقولون: أما يعقوب فإنه كان الاسم فما قدر أن يتعدى منزلته فقال: (سوف أستغفر لكم ربي)، وأما يوسف فكان المعنى المطلوب فقال (لا تثريب عليكم اليوم) فلم يعلق الأمر بغيره لأنه علم أنه الإمام المتصرف. ويجعلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى، ويقولون يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره فهل ترد الشمس إلا إلى ربها، ويجعلون سليمان هو الاسم و(آصف) هو المعنى ويقولون سليمان عجز عن إحضار عرش بلقيس وقدر عليه آصف، لأن سليمان كان الصورة وآصف كان القادر المقتدر وقد قال قائلهم:

هابيل شيث يوسف يوشع --------- آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الأنبياء والمرسلن واحدا واحدا على هذا النمط إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون محمد هو الاسم وعلي هو المعنى، ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان إلى وقتنا هذا، فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم أن عليا هو الرب وأن محمدا هو الحجاب وأن سلمان هو الباب، وأنشد بعض أكابر رؤوسهم وفضلائهم لنفسه في شهور سنة سبعمائة فقال:

أشهد أن لا إله إلا   حيدرة الأنزع البطين

ولا حجاب عليه إلا   محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليه إلا   سليمان ذو القوة المتين

ويقولون إن ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال، وكذلك الخمسة الأيتام والإثني عشر رقيبا، وأسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الخبيثة، وإنهم لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبدا وسردا على الدوام والاستمرار. ويقولون أن إبليس الأبالسة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر (رضي الله عنه) ثم عثمان (رضي الله عنهم أجمعين وشرفهم وأعلى مراتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين) فلا يزالون موجودين في كل وقت حسب ما ذكر من الترتيب.

وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام، وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب. وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس أيضا في هذا الزمان، لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الإفرنج المخذولين على البلاد الساحلية، فلما جاءت أيام الإسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم.

فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم او يتزوج منهم ؟ وهل يحل أكل ذبائحهم والحالة هه أم لا ؟ وما حكم الجبن المعمول بأنفحة ذبيحتهم ؟ وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها إليهم ؟ أم يجب على ولي الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من المسلمين الكفاة ؟ وإذا استخدهم وأقطعهم أو لم يقطع لهم هل له صرف أموال بيت المال عليهم ؟ وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة ؟ وأموالهم حلال أم لا ؟ وإذا جاهدهم ولي الأمر أيده الله تعالى بإخماد باذلهم

وقعهم عن حصون المسلمين وحذر أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم وإلزامهم بالصوم والصلاة، ومنعهم من إظهار دينهم الباطل، وهم الذين يلونه من الكفار، هل ذلك أفضل وأكثر أجرا من المتصدي لقتال التتار في بلادهم، وهدم بلاد السيس وديار الإفرنج على أهلها ؟ أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطا، ويكون أجر من رابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الإفرنج أكبر أم هذا أكبر أجراً ؟ وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم وإظهار الإسلام بينهم فلعل الله تعالى يهدي بعضهم إلى الإسلام وأن يجعل في ذريتهم وأولادهم أناسا مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم ؟ أم يجوز التغافل عنهم والإهمال ؟ وما قدر أجر المجاهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط له والملازم عليه ؟

ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى إنه على كل شئ قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نص جواب شيخ الإسلام:

أجاب شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وقال: الحمد لله رب العالمين، هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية، أكفر من اليهود والنصارى، بل أكفر بكثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفرا المحاربين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت.

وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا بجنة ولا بنار ولا بأحد من الرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ولا بملة من الملل ولا بدين من الأديان السالفة، بل يأخذون من كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين ويتأولونه على أمور يفترونها، ويدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكره السائل.

فإنهم ليس لهم حد مدد فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه، إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريقة مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكر السائل، ومن جنس قولهم أن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، و(الصيام المفروض) كتمان أسرارهم، و(حج البيت العتيق) زيارة شيخهم، وأن أيدي أبي لهب هما أبو بكر وعمر، وأن (البناء العظيم والإمام المتين) هو علي بن أبي طالب. ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا إمرة الحجاج وألقوهم في بئر زمزم، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة وقتلوا علماء المسلمين ومشايخهم وأمراءهم وجند لا يحصي عدده إلا الله[7]...

وصنفوا كتبا كثيرة مما ذكره السائل وغيره، وصنف علماء المسلمين كتبا في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، وبينوا ما هم عليه من الكفر والزندقة. والإلحاد الذي هم فيه أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام، وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء من وصفهم، ومن المعروف عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من وجهتهم. وهم دائما مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على

---

[7] ويقصد القرامطة أجداد النصيريين وأصولهم عندما هاجموا بيت الله وسرقوا الحجر الأسود.

المسلمين. ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين، ومازالت بأيدي المسلمين- حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى أثناء السنة الرابعة – فهؤلاء المحادّون لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره، فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد، وصلاح الدين، وأتباعهم وفتحوا السواحل مع النصارى ممن كان بها منهم، وفتحوا أيضا أرض مصر فأنهم كانوا مستولين عليها نحو مئتي سنة[8].

فاتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام في الديار المصرية والشامية، ثم إن التتار ما دخلوا لبلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم، فإن مرجع هؤلاء الذي كان وزيرهم وهو (النصير الطوسي) كان وزيرا لهم وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء...

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين، تارة يسمون (الملاحدة)، وتارة يسمون (القرامطة)، وتارة يسمون (الباطنية)، وتارة يسمون (الإسماعيلية)، وتارة (النصيرية)، وتارة يسمون(الخربوية)، وتارة يسمون (المحمرة)، وهذه الإسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم، كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين ولبعضهم أسماء يخصه، إما النسي وإما المذاهب وإما البلد وإما غير ذلك. وشرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين، ولا بنوح ولا بإبراهيم ولا بموسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله عليهم أجمعين، لا بشيء من كتب الله المنزلة، لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن. ولا يقرون أن للعالم خالقا خلقه، ولا بأن له دينا أمر به ولا أن له دارا يجزي الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار، وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطاغين والإلهين، وتارة يبنونه على قول الفلاسفة وقول المجوس الذين يعبدو النور، ويضمون إلى ذلك الرفض، ويحتجون لذلك بكلام النبوات إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أول ما خلق الله العقل) والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ولفظه "أن الله لما خلق العقل فقال له أقبل فأقبل فقال له أدبر فأدبر فيحرّفون لفظه ويقولون" أول ما خلق الله العقل" ليوافقوا قول الفلاسفة أتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود العقل. وأما بلفظ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحرفونه عن مواضعه كما يضع أصحاب رسائل (إخوان الصفا) ونحوهم فإنهم من أئمتهم، وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف المنتسبين إلى العلم والدين، وإن كانوا لا يوافقون على أصول الدعوة النهائية، وهي درجات متعددة، ويسمون النهاية (البلاغ الأكبر) والناموس الأعظم.

ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى والاستهزاء به وبمن يقربه حتى يكتب أحدهم اسم الله تعالى في أسفل رجله، وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم من جنسهم طالبين للرئاسة فمنهم من أحسن في طلبها ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل. ويجعلون محمدا وموسى من القسم الأول ويجعلون المسيح من القسم الثاني،

---

[8] عندما حكمها الفاطميون وهم فرقة من القرامطة الإسماعيلية حكموا مصر (...) وأشهر ملوكهم المعز لدين الله الفاطمي.

وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم و الحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش وما يطول وصفه، لهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضا. وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم، وأما إذا كثروا يعرفهم عامة الناس فضلا عن خاصتهم، وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم، ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم، ولا يتزوج منهم امرأة، ولا تباح ذبائحهم. وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الإفرنج الذين يقال عنهم بأنهم لا يذكون الذبائح وأما أوانيهم وملابسهم فكأواني المجوس وملابس المجوس على ما عرف من مذاهب الأمة والصحيح في ذلك أن أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها فإن ذبائحهم ميتة، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلى على من مات منهم، فإن الله تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين كعبد الله بن أبيّ ونحوه . وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف الإسلام، ولكن يسرون ذلك فقال الله : { ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون} فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد. وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم، وهم أحرص الناس على إفساد المملكة والدولة، وهم شر من المخامر الذي يكون في العسكر فإن المخامر إما أن يكون له غرض مع أمير العسكر وإما مع العدو وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها، وهم أحرص الناس إلى تسليم الحصون إلى عدو المسلمين وعلى إفساد الجند على ولي الأمر وإخراجهم عن طاعته، ويجب لولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في ثغر ولا غير ثغر فإن ضررهم في الثغر أشد، وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام وعلى النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بل إذا كان ولي الأمر لا يستخدم من يغشه –وإن كان مسلما– فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ؟ ولا يجوز تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أي وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك، وأما إذا استخدموا وعملوا العمل المشروط فلهم إما المسمى وإما أجرة المثل لأنهم عوقدوا على ذلك، فإن كان العقد صحيحا وجب المسمى وإن كان فاسدا وجبت أجرة المثل، وإن لم يكن استخدامهم من جنس الإجارة اللازمة فهي من جنس الجعالة الجائزة، لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون إلا قيمة عملهم فإن لم يكونوا عملوا عملاً له قيمة فلا شيء لهم. لكم دماؤهم وأموالهم مباحة. وإذا أظهروا التوبة، ففي قبولها منهم نزاع بين المسلمين، فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام أقروهم عليها ومن لم يقبلها، وورثتهم من جنسهم فإن مالهم يكون فيئا لبيت مال المسلمين، لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية والكتمان لأمرهم وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف، فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم، فلا يتركون مجتمعين ولا يمكنون من حمل السلاح وإن يكونوا من المقاتلة، ويلزمون شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام ويحال بينهم بين معلمهم، ومن كان من أئمة ضلالتهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير إلى بلاد المسلمين التي ليس لهم بها ظهور، فإما أن يهديه الله تعالى وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين.

ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب(...) ويجب على المسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر به الله ورسوله، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :{يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين }. والمعاون على كف شرهم هدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر ما لا يعلمه إلا الله تعالى. فإن المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم كما قال الله تعالى:{كنتم خير أمة أخرجت للناس} قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الإسلام، فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الإمكان، فمن هداه الله منهم سعد في الدنيا والآخرة ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره...

انتهينا من جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

رأي الإمام أبو حامد الغزالي فيهم وأشكالهم من الباطنية:

قال الإمام الغزالي في كتابه فضائح الباطنية ص 156: "والقول الوجيز أنه يسلك بهم (الباطنية) مسلك المرتدين في النظر في الدم والمال والنكاح والذبيحة ونفوذ الأقضية وقضاء العبادات، أما الأرواح فلا يسلك فيهم مسلك الكافر الأصلي إذ يتميز في الكافر بين أربع خصال المن والفداء والاسترقاق والقتل ولا يتميز في حق المرتد...وإنما الواجب قتلهم وتطهير وجه الأرض منهم".

هذه هي النصيرية كعقيدة وتاريخ وكأمة خائنة معادية للإسلام فكرا وعقيدة وتاريخا.

وهذا هو حالهم في الماضي والحاضر، وهذه آراء العلماء من كبار أسلافنا ومعاصرينا فيهم. منهم فريق مندس في خاصرة الأمة يُكِنّ لها العداء ويحيك الدسائس، فما حكم حالهم وحالنا معهم وقد ولغوا في دمائنا وهتكوا أعراضنا وسلبوا أموالنا واستباحوا حرماتنا ؟ وقد أقاموا فينا شرعهم وشرع كل شيطان مريد من أعداء الإسلام، وما حكم من لا يجيز جهادهم ممن يسمون علماء المسلمين ويسمي ذلك فتنة ويدّعي أن قتالهم فتنة طائفية بين المسلمين ؟

أسئلة مُلحة ينطوي عليها بحث هذا الأمر نضعها بين يدي علماء الأمة ليجيبونا عليها ؟

****

سادسا: جذور الحركة الإسلامية في سوريا الشام:

المسلمون في سوريا الشام شعب متدين بالفطرة، يتميز حتى غير المطبقين لدين فيه أو غير المثقفين دينيا ثقافة صحيحة بعاطفة دينية جياشة تعتبر المصدر الرئيسي لكثيرمن العادات والتاليد التي أصبحت مع الزمن عرفا ساريا لديهم .. كما تقوم المساجد في هذا البلد الإسلامي المبارك ومنذ زمن موغل في القدم بدور ريادي في توجيه الناس وتوعيتهم وإقامة الدروس وحلقات الذكر في سائر أنحائه..وقد كان لهذا الدور الريادي الذي قام عليه الكثير من العلماء والدعاة

الأجلاء الأثر الكبير في إرساء أساس الحركة الإسلامية المعاصرة التي قامت لتكمل المشوار ولتضم قطاع الشباب الذي تاه عن دينه فترة من الزمن تتقاذفه أمواج الشرق والغرب في بحور التيه، وقد بدأت جذور الحركة الإسلامية والصحوة في هذا البلد المبارك بعد سقوط لاخلافة الإسلامية العثمانية ودخول المحتل الصليبي كما كان الحال في كثيرمن بلدان المشرق الإسلامية، فنشأت الجمعيات والتكتلات الدينية منذ وقت مبكر يعود لمطلع الثلاثينات، ثم توحدت كثير من هذه التيارات في حركة واحدة سنة 1944 مشكلة جماعة الإخوان المسلمين، وانتخب الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله أول مراقب عام لها.

كما قامت تجمعات سياسية حركية أخرى كحزب التحرير وحزب الله، وشباب محمد، ولكن نشاطها بقي في حيز أضيق من نشاط الإخوان المسلمين، كما نشطت حركة التبليغ والدعوة فيما بعد ولا سيما في الأرياف المحيطة بالمدن الرئيسية وكان لها مساجدها ومراكز نشاطها، كما أنشئت مدارس علمية وشرعية وتجمعات لمريدي العلماء في حركة مسجدية نشطة كانت تتراوح بين النشاط العلمي الشرعي وحلقات التصوف في بعض الزوايا والمساجد، وبرز الكثير من العلماء العاملين والدعاة المخلصين في مدن البلد الرئيسية وامتد نشاطهم كذلك إلى القرى والأرياف المحيطة بتلك المدن الهامة كدمشق وحلب وحمص وحماة ودير الزور واللاذقية...

قدمت هذه المساجد الرافد الأكبر للحركة الإسلامية الناشئة في البلد واستمر هذا النشاط المسجدي الخاص مواكبا لحركة الإخوان المسلمين التي حملت لواء الدعوة حتى انفجار الأحداث الصدامية مع النظام المحتل النصيري الكافر.

أما حركة الإخوان المسلمين فقد بدأت نشاطها بحيوية بالغة وشارك جيلها الأول في الجهاد من أجل الاستقلال عن المستعمر الفرنسي، ثم شارك شباب الجماعة في النشاط الفدائي في فلسطين ضمن كتائب الإخوان المسلمين التي قتلت في شمال فلسطين بقيادة المراقب العام السباعي جنبا إلى جنب مع قوات الشهيد الحسيني مجاهد فلسطين الكبير، في الوقت الذي كان فيه إخوانهم المسلمون المصريون يقاتلون اليهود في جنوب فلسطين، كما قامت الجماعة بحركة دعوية مسجدية نشطة وافتتحت المراكز وأصدرت المجلات والصحف وشاركت في الأحداث السياسية للبلد بشكل فعال، ودخلت في النشاط البرلماني سنة 1943 و 1947 و 1950 و1961 وشاركت في الحياة الدستورية بفعالية.

ومع نهاية الخمسينات حظر نشاطها كجماعة أو حزب علني وتحولت للنشاط السري الدعوي ولاسيما في قطاع الطلاب والمثقفين وكان أبرز وجوه نشاطها في لاعمل المسجدي.

بعد وفاة مصطفى السباعي بدأت بذور الخلاف تدب بين أقطاب الدعوة الرئيسية ولاسيما بين مسؤولي دمشق ومسؤولي (حماة-وحلب). وبرز تكتلان أحدهما دمشقي حول عصام العطار وآخر (حموي-حلبي) حول كل من عبد الفتاح أبي غدة في حلب، وسعيد حوى في حماة، ولم تجد محاولات رأب الصدع التي قام بها المخلصون، وبعد تدخل مجلس الإرشاد للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين في عملية تحكيم اعتبرت جناح (حلب-حماة) هو الجماعة الشرعية بعد عدة مراحل من الأخذ والرد. ورفض العطار لنتيجة التحكيم، وترسخ الانشقاق سنة 1970 موجدا تنظيمين للإخوان المسلمين في سوريا، أحدهما سمي التنظيم الدولي أو جناح (حلب حماة) برئاسة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، وآخر دعي جناح دمشق وانقسمت باقي المراكز (إدلب -حمص-الساحل-المنطقة الشرقية -الجنوبية) بين هذين الجناحين بشكل شبه متوازن. ثم رحل العطار لألمانيا مؤسساً حركة الطلائع وبقي مترئساً لجناحه في سوريا معتبراً نفسه رئيسا لجماعة

الإخوان المسلمين وبهذا اللقب كان ومازال يصدر بياناته. وفيما بين عامي 1975-1977. انشق عن عصام العطار كتلة أخرى تزعمها الشيخ محمد سرور نتيجة ملاحظات على المنهج والإدارة التي خلفها عصام وراءه. وهكذا وجدت كتلة ثالثة متفرعة عن الإخوان دعيت باسم مؤسسها الذي ارتحل إلى الخليج وأوجد لجماعته فيما بعد امتداداً في أقطار أخرى حول منهج يتراوح بين السلفية والإخوانية. وبقي لهم فرعهم التابع لهم في سوريا.

استمرت هذه الكتل الإخوانية ولاسيما جناح التنظيم الدولي بعملها الدعوي المسجدي كما استمرت الكتل والأحزاب والجماعات والهيئات الخيرية الإسلامية بنشاطها الدعوي، وشهدت السبعينات ومطلع الثمانينات حركة دعوية مسجدية ذاخرة كونت كادرا شابا لا يستهان به للحركة الإسلامية، فعمرت المساجد وقامت الحلقات والخطب والرحلات الدعوية وامتدت ظاهرة الحجاب واتخاذ اللحى في أوساط الشباب ولاسيما الطلاب وأصبحت الحركة وقد فرضت نفسها على المجتمع.

بالطبع لم يقابل النظام النصيري هذه الظاهرة بالارتياح، وحصلت احتكاكات عديدة بينه وبين الحركة الإسلامية كان أهمها أحداث الدستور سنة 1973، والتي اعتقل فيها كثير من الشباب والعلماء والعاملين الذين أفرج عن معظمهم سنة 1978 حيث لم تلبث الأحوال أن التهبت بين الحركة الإسلامية والنظام والتي انتهت بالصدام المسلح الذي فجرته الطليعة المقاتلة سنة 1979 ولاقى العمل الجهادي من هذه الذخيرة الشعبية الإسلامية التي ترسخت أسسها عبر ذلك النشاط الدعوي الميمون كل دعم وتأييد.

الباب الثاني : لمحة موجزة في تاريخ وتسلسل أحداث الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا

مقدمة لابد منها

قبل أن نبدأ بسرد تاريخ حقبة من أهم ما مر في تاريخ سوريا المعاصر، يجدر بنا أن نلفت النظر لعدة نقاط هامة وأساسية.

أولا: أن هذه العجالة التاريخية لا تفي بالغرض من وجهة نظر تاريخية أكاديمية، وإنما الغرض منها أهداف محددة لخدمة سياق الكتاب وتحقيق جزء من أهدافه، بيد أننا إن شاء الله سنخصص للتوسع في هذه الفقرة كتابا مستقلا يغطي تاريخ هذه الحقبة وأحداثها الجسام، كتابا مشعفا بالوثائق وأسماء المواقع والأشخاص والتواريخ، إذ أننا لا يريد أن يخرج هذا الكتاب عن هدفه من ناحية، كما أننا لا نريد أن نوغر صدور بعض إخواننا بذكر المحرجات في سياق كتاب نريد منه هدفا محددا، فما سنرويه هنا هو السياق العام لتسلسل الأحداث مما يجب ذكره ليطّلع عليه المهتم بقراءة هذا الكتاب وليحيط بالمجرى المنطقي العام لولادة أفكار هذا الكتاب ومقدماتها وقد انبثقت من مشاركة واقعية في التجربة السالفة التي نرويها.

ثانيا: كان لزاما علينا أن نعيد رواية الأحداث ولو بإيجاز لأنها المقدمة أو جزء من المقدمة التاريخية والمنطقية لفكرنا من ناحية، ولأن هذه الأحداث قد أسيئت روايتها عمدا أو جهلا، فغدت لغزاً يصعب فهمه على كثير من المسلمين في سوريا –وهم الشعب المعني بهذا الأمر– كذلك في خارج سوريا وهم شريحة المسلمين الكبرى التي شاركت في الأحداث ماديا أو وجدانيا، فقد أسيئت رواية الأحداث عمدا من جل الذين كانوا مسؤولين عن صنع بعض جوانبها لأغراض شتى، يدخل جلها في باب التحزب وتبرئة المتهمين، وقد حصل هذا خاصة من جانب أغلب أفراد قيادة التنظيم الدولي في سوريا حيث زوروا –ولابد للأسف من قول هذه الكلمة –زوروا الأحداث لأغراض شخصية لا يقرها شرع ولا إسلام:

1 – ليتبنوا بطولات المجاهدين الذين لم يكن لهم بهم علاقة، وليجنوا ثمارها المادية والسياسية.

2 – ليبرئوا أنفسهم من تبعة خسائر ومجازر فادحة لحقت بالمسلمين من جراء سوء إدارتهم للأحداث خلال تلك الفترة وليلقوها على الآخرين.

وقد استباح إخواننا هذا واعتبروه من الكذب المباح ...كما أسيئت روايتها عمدا من جانب جماعات أخرى كانت أقل تورطا في الأحداث لتبرير موقف أو تراجع عن موقف كان قد اتخذ...

ويدخل في سياق إساءة الرواية عمدا ما فعله أشخاص متناثرون بصرف النظر عن انتماآت محددة، لأغراض شخصية شتى أقلها عرض العضلات ...

أما إساءة رواية الأحداث جهلا، وبصورة غير متعمدة، فقد حصلت من بعض إخواننا الصغار في القواعد، كنتيجة للتربية المهلهلة التي ربت معظم الجماعات قواعدها عليها، لتصنع منهم جيشا من الإمّعات. فكان من الطبيعي أن يردد إخواننا الصغار أكاذيب كبرائهم لأنها تتنزل عليهم من فوق كحق لا جدال فيه، فساهموا في نشر الروايات المزورة، أما القسم الأعظم من الرواية الخاطئة جهلا فقد حصل في قطاع إخوتنا غير السوريين في قيادات التنظيم الدولي وغيره من

الجماعات والصحف ووسائل الإعلام بحكم الثقة المتبادلة بينهم، ولأغراض جانبية أخرى تخصهم.. ولم تُعر تلك الجهات بالاً لنداءات الحق التي كانت تندفع هنا وهناك من بعض المخلصين باحثة عن منبر حر يدافع عن الحق الضائع، لأن روايات أولئك القادة والشيوخ الأعلام كانت تعتبر حقائق لا شك فيها ولأن اعتبارات التحزب والانحياز كانت هي السائدة أنذاك.

ثالثا:نعتقد أن الوقت والظرف الآن مناسب جدا لدى كل المعنيين والمهتمين الآن بأمر قضية الجهاد السورية لسماع رواية الحق في شأن ما مضى، بعد أن تحول معظم رواة الماضي من شيوخ المرحلة الماضية وقادتها إلى دائرة الاتهام والشك لدى غالبية أبناء الوسط الإسلامي، بعد انكشاف عوارهم، وهو ما تكفلت به الأيام مصداقا لقول الله تعالى: {كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال} الرعد 71 فلقد تحول معظم أولئك الثقات الذين تصدروا المجالس وعناوين الصحف والإذاعات...كأبطال الثورة الإسلامية والمتحدثين باسمها تحولوا لكي يكونوا رموزاً لتلك النكسة العارمة التي اجتاحت المسلمين، وليدخلوا دائرة الاستفهام، ولتدخل رواياتهم دائرة الشك، وبفضل الله أصبح ملائما والحالة النفسية لإخواننا مناسبة لسماع رواية شهود المرحلة عن تلك الأزمة التي مرت، وهذا ما سنحاول تقديمه مستعينين بالله في هذه العجالة ثم في كتاب جامع مفرد إن شاء الله.

رابعا: يجب أن نلفت الانتباه إلى أن الغرض الرئيسي من ذكر هذه النبذة التاريخية ودراستها هو استخلاص الدروس والعبرة، أولا لتقديم تجربة للمسلمين، لعلهم يستفيدون منها، وهذا من صميم ديننا وقد حفل القرآن الكريم بالعشرات من الآيات التي تلفت نظر المومنين للنظر في التاريخ وقراءة سنن الذين كانوا قبلنا لاستخلاص العظة والعبرة، فما أحرانا أن نستفيد من تجربتنا الإسلامية في كل بقاع العالم الإسلامي وهي مأساة متكررة متشابهة فهذا أقل الواجب. وثانيا لنستفيد نحن من تجربتنا ولننكب على دراسة أسباب هزيمتنا في الجولة السالفة لعل الله تعالى يوفقنا للوقوف على أسبابها ثم لإزالة هذه الأسباب، ثم لاعتصار التصور الصحيح من خلال التجربة والمعاناة التي مررنا بها بأنفسنا، ثم للمضي قدما في إكمال المسيرة معتمدين على الله متجنبين خطأ ما مر بنا، متلمسين ملامح درب صحيح يرضي الله تعالى ويحقق النتائج المطلوبة، ففي الوقت الذي وقفنا فيه مشدوهين أمام تلاحق هزائمنا نردد كما ردد الصحابة الكرام إثر هزيمة أحد "أنى هذا " ؟؟ أتاهم الجواب ماثلا كما شهدناه أمامنا مائلا " قل هو من عند أنفسكم" آل عمران - 165- فحري بنا أن نعود لأنفسنا ونعيد دراسة تجربتنا ونصحح المسير والله المستعان.

خامسا: سننطلق في روايتنا للأحداث وفي تحليلنا لها بشكل أخص من اعتبار المجاهدين الذين حملوا السلاح دفاعا عن دين الله في بلاد الشام ضد الطاغوت النصيري المحتل جماعة واحدة على اختلاف تواجدهم في جماعات شتى وبسبب تداخل الأحداث، ولكن هذا لم يكن ليغير من الواقع شيئا،فالشباب المجاهد الذي باع دمه لله وحمل السلاح واقتنع بالجهاد المسلح فكرا وعملا لإقامة حكم إسلامي نظيف، هم جماعة واحدة وقد آن الأوان ليكونوا عمليا جماعة واحدة، وتحت قيادة واحدة فإن من أهم ما حملته هذه الأحداث في سوريا الشام هو تمايز الطروح والولآت والفكر، فمن آمن بالراية الإسلامية المتمايزة المفاصلة الصافية الصادقة وآمن بالدفاع عنها باللسان والسنان والقلب والفكر يجب أن يتمايزوا.. كما تمايز أصحاب الفكر البعثي الإسلامي الوطني إلى آخر هذه التسميات التي أصبحت وقفا على

جماعة بعينها [9] ... كما انكفأ رموز العجز الوهن ليشكلوا لهم جماعات شتى هنا وهناك، متبلورة حول شخصيات تاريخية هي على عظيم قدرها وتدينها- ولا نزكي على الله أحدا - أعجز من أن تكون حلاً وقد قعقع السلاح وانعقد غبار الحرب، وأكبر دليل على عجزها ما قدمته من مثل خلال طيلة هذه الحقبة الهامة من انزواء عن الحدث الفاعل [10].

إن ما ندعو إليه من وحدة حملة السلاح تحت راية نظيفة يأتي موافقاً لنظرة القرآن الكريم للجهاد والمجاهدين فالله سبحانه وتعالى يقول: {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذين آووا ونصروا، أولئك بعضهم أولياء بعض، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير }، وقال تعالى {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم} الأنفال 72-73-74 . هكذا تمايز رايات وطروح وجماعات، تمايزا لا يقبل التمييع والمزج والخلط.. تمايزا مفتوحا غير مغلق، فمن أراد أن يخرج من معسكر الكفر ليدخل معسكر الإيمان فالباب مفتوح، ومن أراد أن يخرج من معسكر الإيمان الواهن ليدخل معسكر الإيمان المجاهد الرافض لكل أشكال الكفر فالباب مفتوح، أما أن تتمازج الطروح، وتتميع الولاآت، فكفانا ما أتانا به من مصائب وبلايا.. فالذين جاهدوا وهاجروا ورابطوا وعانوا في سبيل الله بعضهم أولياء بعض، ويجب أن يكونوا جماعة واحدة متمايزة مفاصلة على أساس هذا الدين وهذا الطرح بما يقتضيه شرع الله العلي العظيم.

سرد تاريخي:

جذور الثورة الجهادية:

- كما ذكرنا فقد آل الحكم في سوريا الشام إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في 8 آذار 1963 بعد انقلاب عسكري، وترأس الجمهورية في حينها المدعو ؟؟؟ الأتاسي حيث كان رجل الحكم الفعلي محمد أمين الحافظ الذي آلت إليه رئاسة الجمهورية، ومع استلام الحزب للسلطة في سوريا بدأت مشاكل المسلمين معه.
- في عام 1965 تفاقمت الأوضاع بين الإسلاميين والسلطة وتطورت إلى صدام بين المسلمين والسلطة، وفي حماة حصلت اشتباكات مسلحة مع الجيش الذي اقتحم مسجد السلطان هناك، وقتل عدد من جنود الحكومة وعدد من المواطنين المسلمين وألقي القبض على الشيخ مروان حديد وعلى أحد عشر عنصرا من أعوانه كانوا رأس الحركة الإسلامية المعارضة المسلحة، ومن يومها عرف الشيخ مروان حديد كرأس من رؤوس الجهاد، وداعية من دعاته وواحد من أصلب المعارضين المسلمين للحكم، وحكم على الشيخ وتلامذته بالإعدام، وقبيل

[9] وهي الجماعة التي التفت حول عدنان سعد الدين بعد انشطار الإخوان واتخذت من العراق وصدام البعث حليفاً ورائداً.

[10] مثل الجماعة التي التفت حول الشيخ عبد الفتاح أبي غدة وسميت باسمه وهم الذين يتبعون التنظيم الدولي وكذلك مثل جماعة العطار في سوريا وأتباع سرور الذين نسبوا إليه من تلك الجماعة التي لم تقدم ولم تؤخر في قضية "الإسلام في سوريا إلا الاعتزال، أو الفعل السلبي كما سيمر معنا إن شاء الله.

تنفيذ الحكم تدخلت جهات إسلامية في البلد لدى رئيس الجمهورية وعلى رأسهم الشيخ محمد الحامد فقيه سوريا وعالمها الزاهد رحمه الله، وأفرج عن المحكومين بقرار من رئيس الجمهورية وتحت خشية من انفجار الأوضاع إن هو نفذ الأحكام.

- في عام 1966 وبعد انقلاب عسكري ذهب بأمين الحافظ وجماعته الذين لجؤوا إلى العراق وأتي بتركيبة أخرى كان رجلها القوي هو المدعو صلاح جديد الذي كان الأمين العام للحزب. وهو نصيري صلب أمسك بزمام الأمور، وحكم من وراء الستار الذي وضعوه رئيسا للجمهورية وهو نور الدين الأتاسي، فزادت بذلك شوكة النصيريين وقرب استلامهم للسلطة.
- في عام 1967 دارت رحى الحرب مع إسرائيل، والتي انتهت ببيع الجولان ومهزلة تسليم القنيطرة بإشراف وزير الدفاع الخائن –حافظ الأسد– وقيادة أركانه العميلة.
- في عام 1970 تسلم النصيريون السلطة كاملة وبشكل رسمي وترأس الجمهورية وزير الدفاع الخائن السابق –حافظ الأسد– وبذلك طفى للسطح ذلك الصراع الذي كان يحتدم بين المسلمين والسلطة رويدا رويدا..
- أحس الشيخ مروان حديد بخطورة الوضع، وبمخطط النصيريين الرامي إلى تدمير الإسلام، ليتسنى لهم امتلاك زمام الأمور في البلد، فصدع بالحق ونادى بعدم شرعية حكم الكافرين في رعية مسلمة، ووقف وقفة رجولية في دروسه وخطبه وكان من القلائل الذين صدعوا بالحق من بين العلماء المسلمين الذين سكتوا على هذا الظلم الفاحش والوضع المرفوض من تسلم الكفرة حكم المسلمين وانزووا في مساجدهم يعالجون أعراض الفجور وضياع دين المسلمين تاركين رأس الأمر وعموده وهو التكلم في عدم شرعية هذا النظام واحتلاله لبلاد المسلمين وتسلطه على العباد في سوريا الشام.
- بدأ الشيخ مروان حديد رحمه الله عمله الحركي محاولا رأب الصدع الذي كان قد حصل في حركة الإخوان المسلمين وشطرها إلى تنظيمين منفصلين في عام 1970، حيث بقي قسم منها تابعا للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين وترأسه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وكان من أهم شخصياته الشيخ سعيد حوى، علي بيانوني، عبد الله طنطاوي، عدنان سعد الدين، فوزي حمد، أمين يكن وآخرون...الخ.

وتبع الجزء الأصغر أو ما سمي بتنظيم دمشق الأستاذ عصام العطار الذي كان مراقبا عاما قبل الانشقاق والذي استقر في ألمانيا فيما يبدو إلى يومنا هذا مؤسسا حركة الطلائع الإسلامية، وكان جل أتباعه في دمشق وبعض الشباب في المنطقة الشرقية وعلى رأسهم الدكتور حسن الهويدي، ومنهم أحمد الهواري، محمد سليم البغا، محمد لطفي الصباغ، زهير الشاويش.

*لما فشل الشيخ مروان في رأب الصدع، والذي كان قد تعمق، كما كان مكتب الإرشاد للتنظيم الدولي قد فشل قبله في رأبه أيضا، انصرف لإحياء فكرة الجهاد في صفوف التنظيم الدولي الذي كان مروان تابعا ومبايعا له.

وبدأت محنة الشيخ ومعاناته من القيادات التقليدية للتنظيم والتي وقفت بحزم في وجه الشيخ مروان رافضة أي توجه عسكري جهادي في التنظيم خشية صدام السلطة، متذرعين بعدم نصوج التنظيم وضعفه ومتسترين بخطة الإعداد

الطويلة المدى التي حولت التنظيم إلى تنظيم شبيه بتنظيمات التبليغ والدعوة رغم شعارها الذي كان ومازال ذلك الشعار الجامع (الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)!!!

بدأت محنة الشيخ مع جماعته حيث استمر فترة من الوقت يحاول إقناعهم، وكانت كلمته المشهورة "لئن أخرجني الإخوان من الباب فسأدخل عليهم من النافذة، وسأجرهم للجهاد جرا... وهكذا كان.

أخيرا اقتنع الشيخ مروان بعدم جدوى محاولاته في حمل قيادة التنظيم على أن تنهج به نهجا عسكريا إعداديا يناسب حجم المعركة، فقرر إنشاء جماعة خاصة من شباب المسلمين الذين قطعوا شوط التربية والإعداد الديني والتربوي، وكان قسم كبير منهم قد تلقى تدريبا على السلاح مع الشيخ مروان عندما ذهبوا للأردن وعملوا في نطاق فصيل الإخوان المسلمين العامل مع منظمة فتح عام 1969 وخاضوا عددا من المعارك ضد اليهود هناك، وأوفد الشيخ مروان بعض أتباعه لمدينة حلب ليؤسسوا نواة لتنظيمه الذي أسماه (الطليعة) كما أبقى على صلة له في مدينة حماة لنفس الغرض، وتوجه إلى دمشق ليبدأ هناك تأسيس نواة تنظيمه الجهادي ووجه نداء للعلماء وقادة الإخوان وغيرهم من الحركات الإسلامية يحضهم فيه على الجهاد.

نص البيان: (وثيقة رقم 1)

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء إلى العلماء العاملين، والمسلمين المخلصين، والجماعات الإسلامية.

يا إخوة الإسلام

{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده} (الممتحنة 4).

من المخاطب بهذه الآية يا معشر العلماء، وهل هي موجهة إلينا، نحن المسلمين، كل المسلمين؟ وهل نفذتموها مع حكام بلادكم ؟ أم تتعايشون معهم ولا تظهرون لهم العداوة والبغضاء ؟ وهل الحكام يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه وإذا كانوا لا يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه ؟ وإذا كان لا يتخذون من كتاب الله دستورا لهم في حياتهم الخاصة والعامة وفي القانون الذي يحكمون به البلاد فهل هم كفرة أم لا ؟؟ أفتونا بعلم يا علماء الإسلام!!

وإذا كان الحكام كفرة ظالمين وفاسقين، فما الفرق بينهم وبين اليهود ؟؟ وإذا كانوا كاليهود، (2) فهل نعاملهم ونتعايش معهم فيما إذا احتلوا بلادنا وحكمونا ؟ وكيف نفعل، وما يكون موقفا، إذا احتل بلادنا يهود ؟؟؟ وهل هناك فرق بين طاغوت عربي وطاغوت يهودي إسرائيلي؟ وهل يتوجب علينا قتالهم ؟ وإذا كان علينا قتالهم فهل نعد العدة لقتال الكفار ثم نبدأ القتال، أم نقاتلهم من دون إعداد. أم نقول لست لدينا إمكانيات القتال ولذلك لا يجب علينا ؟ وما هو حكم القتال لأعداء الله ولإقامة دولة الإسلام، إذا كان أعداء الله هم الكفرة الحاكمون ؟ هل هو حرام ؟ أم مباح؟ أم مستحب ؟ أم سنة ؟ أم فرض (3)؟ وإذا كان القتال فرضا فهو فرض عين؟ أم فرض كفاية ومتى وبأي سن يكلف المسلم بالقتال؟ وما حكم من يقاتل الكفار بمفرده لإعلاء كلمة الله هل هو في الجنة أم في النار؟ وما حكم من لا ينوي قتال الكفار وإقامة دولة الإسلام، وإعلاء كلمة الله؟ وما حكم من لا يعمل لذلك؟ ما نسمي من يقول: الإسلام ديني، ولا يعمل بكتاب الله، أو ينقص منه إن كان ذلك عن كفر به أم عن جهالة وهل كان التقصير أو الخطأ

من المبادئ، والأفكار الإسلامية أم من الذين ينادون بها ويتبنونها وينتسبون إليها أم من مبادئكم أيها المسلمون وهي القرآن والسنة، هل تؤمنون بالقرآن والسنة جملة وتفصيلا ؟ هل يتوجب عليكم العمل بجميع ما في القرآن والسنة ما عدا الخصوصيات ؟ أم أن القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاص به وبأصحابه ؟ وأن الآيات التي لا تستطيعون العمل بها الآن كآيات الحدود، لعدم وجود الحاكم المسلم والدولة الإسلامية، هل يتوجب عليكم أن تعملوا بكل الوسائل المطلوبة والمشروعة (4) لكي تتمكنوا من تطبيقها في المستقبل وذلك بالعمل على إزالة الطغيان وتحكيم الإسلام لتتمكنوا من تطبيق وتنفيذ أوامر الله أم تهملون ذلك ولا تتحملون نتيجة إهمالكم أية مسؤولية بين يدي الله تعالى ؟ وهل يمكننا والحكام قد ركبوا رؤوسهم ورفضوا أن يحكموا بدستور القرآن وزجوا من يطالبهم بذلك في السجون ؟ هل يمكننا إقامة حكم الإسلام ودولة الإسلام وإعلاء كلمته دون اللجوء إلى القتال وهل نحن مطالبون بإعداد القوة على قدر استطاعتنا لنواجه الكفار ؟ وما معنى قول الله عز وجل: { ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون} {وأعدوا لهم ما استطعتم م قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم } ؟

هل يجوز لمسلم أن يعتقد أن الكفار قد سبقوا وأننا لا طاقة لنا بهم، أم هذا كان ظن الكافرين أنفسهم ؟ {ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون }. أو ليست هي المعركة بين جبار السماوات والأرض وبين الكفار ؟ إنهم لا يعجزون، والله يدلنا على الطريق طريق الإعداد للوصول إلى رضوان الله تعالى، وإرهاب أعداء الله تعالى، ما حكم القتال إذا سيطر الكفار على بلد أنتم فيه وهل يخرج الابن للقتال بدون إذن أبيه، والمرأة بدون إذن زوجها، والمدين دون إذن الدائن. والعبد بلا إذن السيد كما يقول الفقهاء ؟ أم أن هذا الحكم قد تغير في زماننا ؟ وما معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق] (5) أو مات ميتة جاهلية، وما مدى صحة هذا الحديث أو ما معناه ؟ وإن كان صحيحا فهل ينطبق علينا ؟ وهل نحن مطالبون بالعمل بمقتضاه ؟ وهل نغزو في سبيل الله ونترك الكفار يحكمون بلادنا ؟ هل يتوجب علينا قتال الكفار الحاكمين أولا، أم قتال الغزاة الكفرة الذين احتلوا بلداً من بلدان الإسلام البعيدة ؟ وأيهما أولى ؟ ما حكم كل منهما يا معشر العلماء؟ وإذا كنا نريد الغزو والقتال وجهاد أعداء الله صادقين، أوليس من واجبنا إعداد القوة لذلك ؟؟ والله يقول: {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين}.

وماذا نحكم على من لم يعد العدة للقتال وهو يملك أسبابها؟ هل نحن المسلمون عامة، والعلماء والجماعات الإسلامية خاصة، نعيش في بحبوحة من العيش في ظل نظام إسلامي ؟ أم أننا نسام الخسف من عيش الذل؟؟ هل الموت في طاعة الله خير، أم الحياة في ظلمهم وكفرهم وآثامهم والخوف منهم وعدم الاستعداد لقتالهم ؟؟ هل هذه الحياة بهذا الشكل، حياة في طاعة الله أم معصيته ؟

فماذا يقول العلماء المسؤولون عن الجماعات الإسلامية ؟ وما معنى قول الله عز وجل:{ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}. وإذا كان هذا هو الطريق إلى النار، فما هو الطريق إلى الجنة ؟؟؟ {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا } {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين}.

وهـل الجهـاد الـذي يأمرنـا بـه الله سـبحانه بقولـه: {وجاهـدوا في سـبيل الله بـأموالكم وأنفسـكم} هـو جهـاد القلـب واللسـان فحسـب، أم قتـال التضـحية والبـذل؟ مـاذا تقولـون يـا معشـر العلمـاء؟ وهـل يشـتري الله مـن المـؤمنين كـل المـؤمنين أنفسـهم و أمـوالهم، أم ألسـنتهم؟؟ وهـل يسـمى مـؤمن مـن رفـض أن يـبيع نفسـه ومالـه لله ؟ ومـا شـرط هـذه البيعـة مـع الله ؟ ألـيس {يقـاتلون في سـبيل الله فيقتلـون ويقتلـون } ؟ فهـل ترونـه قـال : يخطبـون ويدرسـون ويتفلسـفون ويصـارعون فكريـا أو يستسـلمون لسـجن أعـداء الله وتعـذيبهم دونمـا اعـتراض أو مقاومـة ؟ ومـا معـنى قولـه تعـالى {وأنزلنـا الحديـد فيـه بـأس شـديد ومنـافع للنـاس لـيعلم الله مـن ينصـره ورسـله بالغيـب (6) هـل معـنى هـذا أن ينصـر الله رسـله بحمـل السـلاح لإعـلاء كلمـة الله والـذود عـن دينـه وشـريعته لإقامـة دولـة الله في الأرض، أم معنـاه أن نستسـلم لأعـداء الله يقتلـون ويهتكـون الأعـراض، أعراض المسلمات ويجبرونهن على الزواج من المشركين الحاكمين دون أن نحرك ساكنا أفتونا أيها العلماء !!!

وإذا كـان لا يقاتـل في سـبيل الله إلا المؤمنـون الصـادقون الـذين مـروا بمراحـل التربيـة والسـلوك فمـتى تنتهـي مرحلـة التربيـة هـذه يـا مـن تقـودون الجماعـات الإسـلامية، ومـا هـو المقيـاس لتقـدير أهليـة المسـلم لأن يكـون مقـاتلا ؟ أو أنـه غـير أهـل أو أن الجماعـة وأهـل الطريـق أهـل القتـال أم لا ؟؟ وهـل يمكـن لكـم أن تقـدموا أنفسـكم للقتـال وفيـه مـن الإعـداد الـلازم للقتـال علـى جميـع المسـتويات الماديـة والمعنويـة، والله تعـالى يقـول: {إن الله اشـترى مـن المـؤمنين أنفسـهم وأمـوالهم بـأن لهـم الجنـة، يقـاتلون في سـبيل الله فيقتلـون ويقتلـون وعـدا عليـه حقـا في التـوراة والإنجيـل والقـرآن ومـن أوفى بعهـده مـن الله} وأنـتم ترغبـون بالجنـة، مـا الفـرق يـا أيهـا العلمـاء بـين قـول الله تعـالى {كتـب علـيكم القتـال} وبـين قـول الله تعـالى: {كتـب علـيكم الصـيام} ؟ ومـا معـنى كتـب في الأولى وكتـب في الثانيـة ؟ وإذا كـان معـنى كتـب فـرض فبالتـالي كـان القتـال فرضـا علـى المسلمين، ما هو حال الصيام، ولكن إذا كان موعد الصيام رمضان، فمتى موعد القتال ؟؟ أفتونا يا معشر الفقهاء!!.

فبـأي حجـة أيهـا المسـلمون تعفـون أنفسـكم مـن القتـال ؟؟ وهـل لكـم يـا أيهـا المسـؤولون في الجماعـات الإسـلامية والطرق الصوفية، أن تعفوا أنفسكم من القتال بحجة من الحجج الآتية:

1 – عـدم الاسـتعداد.. ومـا يمـنعكم مـن الاسـتعداد ؟ والله يـأمركم بـه ولم يكلفكـم بـه فـوق طـاقتكم حـين قـال: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}.

2 – الحـذر والخـوف مـن انكشـاف أمـر الاسـتعداد للسـلطة الكـافرة الحاكمـة ..{أتخشـونهم ؟ فـالله أحـق أن تخشـوه إن كنـتم مـؤمنين}، و{ولا تخـافوهم وخـافون إن كنـتم مـؤمنين}، {فيومئـذ لا يعـذب عذابـه أحـد ولا يوثـق وثاقـه أحـد}.. أتتركـون أمـر الله بالاسـتعداد، خشـية الكفـرة، وتخـافون العبيـد الـذين لا يملكـون لأنفسـهم ضـرا ولا نفعـا، وتـرك الاسـتعداد معصية ؟؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:[لموت في طاعة الله خير من حياة في معصيته](7).

3 – أو تعتقـدون أنكـم لسـتم أهـلا للقتـال، أو مواجهـة أعـداء الله وأنـتم تزعمـون أنكـم مـن حـزب الله، وترضـون بالـذل فكأنكم تنسبون الذل لله عز وجل الذي تنتسبون إليه، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}.

4 – أو فقـدان التربيـة الإيمانيـة عنـد أفـراد الجماعـات الإسـلامية أو أهـل الطريقـة أو نقصـانها.. فهـل تربيـة الكفـار أقـوى مـن تـربيتكم لإخـوانكم ومريـديكم حـتى أننـا نجـد أهـل الكفـر ينـدفعون للقتـال، وأنـتم وإخـوانكم ومريـدوكم لا تنـدفعون، فمـا هـي غـايتكم ومـا هـي غـايتهم ومـا هـو طـريقكم ومـا هـو طـريقهم ومـن هـو ناصـركم ومـن هـو ناصـرهم؟؟؟ {ذلـك أن الله

مـولى الـذين آمنـوا وأن الكـافرين لا مـولى لهـم} ...وإن التربيـة الإيمانيـة لا تـأتي إلا لمـن يأخـذون الإسـلام كـاملا، ولا يتخلـون عن فريضة الجهاد.

5 – أو بحجـة الحفـاظ علـى الـدعوة و التنظـيم ومصـلحتيهما.. إذا كـان الحفـاظ علـى التنظـيم هـو الـذي يمـنعكم مـن القتـال فمـا هـي مهمـة التنظـيم؟ إن تنظيمـات الأحـزاب والجمعـات كلهـا تقـوم علـى العمـل للسـيطرة علـى نظـام الحكـم في الـبلاد الـتي يقطنونهـا لكـي يحكمـوا بمبـادئهم ويحققـوا أهـدافهم مهمـا كانـت تلـك المبـادئ والأهـداف، وأمـا أنـتم فتتركـون القتـال وتعصـون الله بـترككم القتـال، وتخـاذلكم عـن نصـرة ديـن الله، والله هـو الـذي علمنـا أن طريـق القتـال هـو الطريـق الوحيـد للنصـر والغلبـة وتحقيـق المبـادئ والأهـداف والله تعـالى يقول: {قـاتلوهم يعـذبهم الله بأيـديكم ويخـزهم وينصـركم علـيهم ويشـف صـدور قـوم مـؤمنين}.. فهـل جعلـتم مصـلحة التنظـيم وثنـاً يعبـد مـن دون الله، وأمـا الـدعوة فهـي دعـوة الله وقـد تكفـل الله بحفظهـا، {إنـا نحـن نزلنـا الـذكر وإنـا لـه لحافظون}،ومـا علـيكم إلا أن تسـيروا في طريـق الـدعوة والقتـال لتنجـوا مـن عـذاب الله تعـالى {وإن تتولـوا يسـتبدل قومـا غـيركم ثم لا يكونـوا أمثـالكم}، {يـا أيهـا الـذين آمنـوا مـن يرتـد مـنكم عـن دينـه فسـوف يـأتي الله بقـوم يحـبهم ويحبونـه أذلـة علـى المـؤمنين أعـزة علـى الكـافرين يجاهـدون في سـبيل الله ولا يخـافون لومـة لائم}.

6 – أو إخفـاق الثـورات كفشـل ثـورة الأكـراد.. مـا بـالكم تضـربون المثـل بـالثورات المخفقـة الفاشـلة، لتـبرروا قعـودكم عـن فريضـة الجهـاد فـإذا لم يكـن في القتـال إلا المـوت أو القتـل في سـبيل الله، فهـل المـوت علـى الفـراش أفضـل؟ وأنـتم تعلمـون أن المـوت والأجـل بيـد الله، ومـن لا يعتقـد بهـذا فهـو كـافر، كـافر بـبعض كتـاب الله ومـن يكفـر بشـيء مـن القـرآن فهـو كـافر، فـاسمعوا إن شـئتم {ومـا كـان لـنفس أن تمـوت إلا بـإذن الله كتابـا مـؤجلا} {إذا جـاء أجلهـم لا يسـتأخرون سـاعة ولا يستقدمون}،{قل إن المـوت الـذي تفـرون منـه فإنـه ملاقيكم}،{قـل لـو كنـتم في بيـوتكم لـبرز الـذين كتـب علـيهم القتـل إلى مضـاجعهم} {أينما تكونـوا يـدرككم المـوت ولـو كنـتم في بـروج مشـيدة}، {ألم تـر إلى الـذين خرجـوا مـن ديـارهم وهـم ألـوف حذر الموت}، ثم اسمعوا إن شئتم {ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون}.

فهـل تجـدون في كتـاب الله عـز وجـل مـثلا يثـبط المـؤمنين عـن القتـال، أم أن الله سـبحانه يقـول: {كـم مـن فئـة قليلـة غلبـت فئـة كثـيرة بـإذن الله والله مـع الصـابرين}،{وكـأين مـن نـبي قاتـل معـه ربيـون كثـير فمـا وهنـوا لمـا أصـابهم في سـبيل الله ومـا ضـعفوا ومـا اسـتكانوا والله يحـب الصـابرين، ومـا كـان قـولهم إلا أن قـالوا ربنـا اغفـر لنـا ذنوبنـا وإسـرافنا في أمرنـا وثبـت أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين}...

ففي القتال ينال ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة

ثم لا تنسـوا أن الأكـراد اعتمـدوا في ثـورتهم علـى إيـران واتخـذوا سـنداً لهـم فلمـا تخلـت عـنهم إيـران وتخلـى عـنهم سـندهم فقـدوا الثقـة بالنصـر وبأنفسـهم، فهزمـت ثـورتهم وأمـا نحـن المـؤمنين فإننـا نتوكـل ونعتمـد علـى الله وهـو ناصـرنا وولينـا، { ومـن يتوكـل علـى الله فهـو حسـبه } { وكفـى بـالله وليـا وكفـى بـالله نصـيرا } {ذلـك بـأن الله مـولى الـذين آمنـوا وأن الكفـرين لا مـولى لهم} {إنـا لننصـر رسـلنا والـذين آمنـوا في الحيـاة الـدنيا ويـوم يقـوم الأشـهاد} {وكان حقـا علينـا نصـر المـؤمنين} {إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده}

ثم اسمعوا إن شئتم :{قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد}

فمن تبشرون بالنصر ومن تبشرون بالخذلان يا معشر المسلمين ؟؟

7 – أو عدم وجود النصير الذي يمد بالذخيرة والسلاح، إن الله كلفنا أن نُعِد استطاعتنا وبعد ذلك نتوكل على الله واسمعوا إن شئتم قوله تعالى:{ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما} هذا من جهة ومن جهة ثانية فإننا ننتزع السلاح من أيدي أعدائنا بإذن الله.

8 – أو عدم الثقة بإخوانكم المسلمين أو عدم التعاون معهم والله تعالى يقول:{وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}، فإن بالإمكان أن يتعاون المسلمون على أكبر خير وشر وهو قتال أعداء الله وإقامة حكم الإسلام ثم تتولد الثقة بطريق القتال ويعرف المخلصون من خلال المحن {وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}، ومما يؤدي إلى الثقة والمحبة بين المسلمين، أن يتذكر كل منا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: [طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس]، وقوله أيضا:[كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون]. وعلى هذا يحاسب كل منا نفسه حسابا عسيرا، ويعتبر كل أخ من إخوانه معرض للخطأ بطبيعته، ولهذا يتوجب أن ينصحه ويتواصى معه بالحق والصبر، ويتسامح معه بنية إصلاحه ولا يتكبر عليه، وما أجمل صفات المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان في كل زمان ومكان اسمعوا: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود}، شغلتهم أخراهم عن التفكير في سفاسف الأمور وتسقط عورات الناس وعيوبهم، وقد فهموا وتمثلوا قول الله تعالى:{تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين} وإن الله قد كلفكم بالقتال وتحريض إخوانكم المؤمنين وإن لم يستجب لكم أحد فعليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا}. فهل تعفون أنفسكم من القتال بحجة عدم الاستعداد والحذر والخوف من اكتشاف الأمر أو فقدان التربية الإيمانية والحفاظ على الدعوة ومصلحتها وإخفاق الثورات الجاهلية وعدم وجود النصير الذي يمدنا بالذخيرة والسلاح وعدم الثقة بإخوانكم فإن الله تعالى لم يعف من القتال إلا الأعرج والأعمى والمريض فما رأيكم يا قادة المسلمين ويا علماءهم؟!.

وتدبروا قول الله تعالى:{ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون، إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون}(1)

والسؤال يا معشر الفقهاء هو : أيعفى من القتال، الفقير الذي لا يملك العدة أم عليه أن يقف إلى جانب المقاتلين، إذا كان القتال فرض عين، يمدهم بالماء وبنقل الجرحى وينتظر حتى يتمكن من الاستيلاء على سلاح يقاتل به أو ينتظر حتى يستشهد أحد إخوانه فيأخذ سلاحه ويقاتل مكانه. وهل يتوجب على الأغنياء أن يسلحوا الفقراء في حالة الإعداد للتقتال ؟ وهل يجوز للمسلمين أن يمنعوا سهما في سبيل الله من أموال الزكاة إن وجد من يطالب به لنتجهز للقتال في سبيل الله ؟ وهل يغني عن الأغنياء أن يدفعوا زكاة أموالهم دون أن يبذلوا من أموالهم ؟ هل ينجيهم ذلك عند الله إذا لم يقاتلوا بأنفسهم وهم من غير أصحاب الأعذار المذكورين وما معنى قول الله تعالى :{يا أيها الذين آمنوا هل

أدلكـم علـى تجـارة تنجـيكم مـن عـذاب ألـيم، تؤمنـون بـالله ورسـوله وتجاهـدون في سـبيل الله بـأموالكم وأنفسـكم، ذلكـم خـير لكـم إن كنـتم تعلمـون} ألا يـوحي هـذا بـأن العـذاب واقـع أو سـيقع إن لم تجاهـدوا وإن النجـاة مـن العـذاب بالجهـاد وإذا كـان السـلاح في أيامنـا لا يسـتطيع اسـتعماله في القتـال إلا المتـدربون، فهـل يكـون التـدريب فرضـا، إذا كـان القتـال فرضـا ؟ ثم مـا المقصـود بقولـه تعالى: {إنمـا السـبيل علـى الـذين يسـتأذنونك وهـم أغنيـاء رضـوا بـأن يكونـوا مـع الخوالـف وطبـع الله علـى قلـوبهم فهـم لا يعلمـون} ثم ألـيس مـن الأفضـل لهـؤلاء الأغنيـاء الـذين رضـوا أن يكونـوا مـع الخوالـف بقعـودهم عـن القتـال ألا يتفلسفوا وألا يتحذلقوا ويتظاهروا بالفهم ويأتوا بالحجج الإبليسية، ليثبطوا همم المجاهدين وهم لا يعلمون.

إنهم لا يعلمون بصريح الآية، فليحذر المؤمنون أن يسمعوا لأقاويلهم ولو كانوا من الكبار.

{وإذا مـا أنزلـت سـورة أن آمنـوا بـالله وجاهـدوا مـع رسـوله اسـتأذنك أولـو الطـول مـنهم وقـالوا ذرنـا نكـن مـع القاعـدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون}..

مـن هـم الـذين {يحلفـون بـالله لتعرضـوا عـنهم فأعرضـوا عـنهم إنهـم رجـس ومـأواهم جهـنم} (1)، أليسـوا هـم القاعـدين عـن الجهـاد، الـراكنين إلى الحيـاة الـدنيا المتخـاذلين عـن نصـرة ديـن الله، الـذين يقـول الله فـيهم إنهـم رجـس، إنهـم نجـس، أنهـم كالجيفة النتنة بين الأحياء، ومأواهم جهنم وساءت مصيرا، لأنهم رضوا بالذل والهوان في الدنيا.

وإذا كـان رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقبـل أن يخـرج معـه للقتـال مـن كـان في سـن الخامسـة عشـرة فبـأي سـن مـن العمـر كـان يعفـيهم مـن القتـال ؟ علمـا أن القتـال كـان بالسـلاح الأبـيض، وهـو مـن أشـق وأصـعب أنـواع القتـال هـل كـان يعفـي مـن القتـال مـن بلـغ الأربعـين عامـا ؟ أم الخمسـين أم السـتين أم السـبعين ؟؟ وكـم كـان عمـر رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم في آخـر غـزوة غزاهـا ؟ ألم يكـن فـوق السـتين عامـا ؟ وكـم كـان عمـره صـلى الله عليـه وسـلم وهـو يقـول في غـزوة حنـين في معترك القتال وقد تراجع عنه أصحابه:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

صـلى الله عليـك يـا سـيدي يـا رسـول الله ، وسؤال إليـك أيهـا القائـد؛ بـأي حجـة تعفـي نفسـك مـن القتـال وترغـب عـن مواقـف وقفهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم في مقارعـة الكفـر والمشـركين والله يقول: {لقـد كـان لكـم في رسـول الله أسـوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا}.

هـل معـنى أن يـتعمم أحـدنا ويطلـق لحيتـه ويـتعلم ويتفقـه في الـدين، أن يعفـي نفسـه مـن القتـال بحجـة حفـظ العلـم وتفقيـه النـاس في ديـنهم ؟ أم أن مـن واجبـه أن يقـود النـاس في المعـارك ويحـرض المـؤمنين علـى القتـال أسـوة برسـول الله صـلى الله عليه وسلم سيد العلماء والفقهاء والمجاهدين ؟

وبـأي وجـه تلقـون الله تعـالى وتقـابلون رسـول الله صـلى الله عليـه إذا سـئلتم يـوم القيامـة عـن قعـودكم عـن قتـال الكفـار وركـونكم إلى الظـالمين هـل تقولـون إننـا كنـا ضـعفاء، أو كنـا لا نجـد النصـير؟ فهـا نحـن نـدعوكم للتعاون معنـا علـى قتـال أعـداء الله، ونحـن الأقـوى بـالله، فـلا تسـول لكـم أنفسـكم بـأنكم معـذورون، بـل حكّمـوا كتـاب الله بيـنكم وبـين أنفسـكم، وزنـوا أنفسكم بميزانه ثم أجيبونا على أسئلتنا بصدق.

ومـن المعلـوم الواضـح أن الإنسـان كلمـا تقـدم في العمـر كلمـا اقـترب أجلـه فلمـاذا تحرصـون علـى الـدنيا ولا تبينـون حكـم الله أو تجاهـدون عنـد اقـتراب أجلكـم لتفـوزوا بالشـهادة ورضـوان الله عوضـا عـن أن تموتـوا علـى فرشـكم، ومـاذا يملـك أعـداء

الله أن يفعلوا معكم إن كنتم مع الله، هل يستطيعون تقديم آجالكم {إذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون} . هل يستطيعون قطع أرزاقكم {وفي السماء رزقكم وما توعدون}. {فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون}. "ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . هل يصيبكم إلا ما كتب الله لكم {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا}

وبأي حال تجدون أجر الله ومثوبته ورضوانه بإغاظة الكفار ومحاربتهم أم برضاهم عنكم والذلة لهم ؟

فكروا قليلا بمصلحتكم كم تخسرون إذا غضب الله عليكم ورضي الكفار عنكم وكم تربحون إذا رضي الله عنكم وغضب الكفار، {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}

إن الخسارة ليست خسارة المال وليست خسارة الوظيفة وليست خسارة الدنيا بأكملها إنما الخسارة أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة {قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون} [الزمر 15-16].

إن أخشى ما أخشاه عليكم إذا بدأ عباد الله بقتال أعداء الله أن تقفوا موقف المتفرج ولا تقاتلوا فتكون النتيجة أن يسحقكم أعداء الله وأنتم في بيوتكم ثم تذهبون بعدها إلى النار وغضب الجبار لأن الله أمركم بالقتال فلم تستجيبوا وأسلمتم إخوانكم المجاهدين لأعداء الله يقاتلونهم وأنتم قاعدون، والله سبحانه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم مقابل الجنة والشرط في هذه البيعة أن تقاتلوا فتَقتُلوا وتُقتَلوا لا أن تتقاعسوا وتستسلموا للقتل كالنعاج، أما إن كنتم من المستضعفين الذين ذكرهم الله {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا}..

فمن واجبكم أن تنصروا المقاتلين بعواطفكم وتشجيعكم ودعواتكم وبأموالكم إن كنتم من أهل المال لا أن تثبطوهم عن القتال والرسول يقول:{من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا}(9).

أما إذا بدأ القتال وأنتم لم تستعدوا لا بالسلاح ولا بالتدريب فهل أنتم معذورون عند الله، ألم تقرؤوا في كتاب الله{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل} .

فهل أنتم معذورون، أو تقبل حجتكم عند الله أم أنكم لا تصغون لهذه الآية وكأنها لا تعنيكم ولعلكم كنتم تقرؤونها في صلاتكم ولعلكم كنتم تفيض لها دموعكم دون أن تشعروا أنكم مطالبون بالعمل بها وما معنى قوله تعالى يا معشر العلماء:{والذين إذا ذكروا بأيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا}. وبعد أن تفهموا لنا معناها تذكروا معنى الآيات الآتية:{ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام}. {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكان رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون}.

فهل تظنون يا معشر العلماء، ويا قادة الفكر والجماعات ويا أهل التربية والسلوك أن القعود عن الجهاد وقتال أعداء الله ذنب صغير ؟ اسمعوا إن شئتم: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ

تُقَـاتِلُوا مَعِـيَ عَـدُوّاً إِنَّكُـمْ رَضِـيتُمْ بِـالْقُعُودِ أَوَّلَ مَـرَّةٍ فَاقْعُـدُوا مَـعَ الْخَـالِفِينَ [11] وَلا تُصَـلِّ عَلَـى أَحَـدٍ مِـنْهُمْ مَـاتَ أَبَـداً وَلا تَقُـمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ }.

فلنتب إلى الله جميعا من ذنوبنا وتقصيرنا وقعودنا عن الجهاد {وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}.

ولنبدأ بالاستعداد للقتال وبأس الكفار واقع بنا لا محالة وليس أمامنا إلا أن يبدأ كل منا القتال ويحرض المؤمنين وهل من طريق إلا أن يكلف المؤمن نفسه ويحرض إخوانه والله تعالى يقول: {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا}.

وهل هناك مجال للاختلاف على الجهاد وقتال أعداء الله والآيات بينات واضحات وما هي نتيجة الخلافات بعد أن جاءتنا البينات اسمعوا إن شئتم قول الله تعالى وهو يحذركم أن تكونوا {كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم}.

{...يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون}.

إننا ندعوكم للقتال معنا لإعلاء كلمة الله وإقامة دولته في الأرض وامتثال أمر الله تعالى "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"

وسوف نبدأ القتال من حيث أمرنا الله أن نبدأ {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة}

فمن كان يخشى على رأسه فليخرج من البلاد إن كان الخروج منجيه { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم}

وأنى للفرار أن ينجي من الموت أو القتل. {قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون}.

وأنى للقعود أن ينجي من القتل: {قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليه القتل إلى مضاجعهم}.

وكونوا على حذر من أن تتولوا أو تقولوا ما يقوله الكافرون {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحي ويميت والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون}.

فالله الله يا معشر العلماء والقادة والمربين.

بيّنوا حكم القتال لإخوانكم وأعدوا أنفسكم ومن معكم للقتال في سبيل الله صفاً واحداً وبآن واحد. ولنترك الخلاف جانباً. لنتق الله فإن في الخلاف معصية الله تعالى والذل والهوان في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة. وإن من صفات حزب الله {يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين. أعزة على الكافرين. يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

---

[11] في الأصل القاعدين والصحيح ما أثبته .

وإن الله يقول على لسان نبيه محمد صلى اله عليه وسلم سيد المجاهدين {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم} وإنا على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرون نفدي إخواننا، كل المسلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها. نفديهم بدمائنا وأرواحنا في سبيل الله، نتقرب بحبهم والذلة لهم والرحمة بهم إلى الله تعالى. ونعلن العداوة والبغضاء والحرب على الكفار وأعوانهم ولا نسلم أنفسنا أو إخواننا لأعداء الله ولا نعطي الدنية في ديننا لأن قائدنا صلى الله عليه وسلم يقول: [من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس مني] وليشعر كل منكم في قرارة نفسه أنه الأعلى والأعز بالله عز وجل {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}.

فيا أيها المسلمون. استعدوا لقتال أعداء الله فرادى وجماعات فقد آن لنا أن نخلع عنا ثوب الذل. ونعيش في الدنيا كراما في ظل نظام الإسلام. أو نلقى الله شهداء وهو راض عنا وإنما لأحدى الحسنيين: نصر أو شهادة.

ألا هل بلغت...اللهم فاشهد. والله أكبر ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} ا.هـ

انتهى بيان الشيخ مروان حديد.

- أحست قيادة الإخوان المسلمين بحركة وحيوية غير طبيعية في صفوف شباب الإخوان الذين انضم بعضهم لمروان وأبقوا على صلتهم بالإخوان، وبدأوا ينشرون فكر الجهاد في صفوف الجماعة، فقامت بفصل عدد منهم من الذين ثبت لهم صلة وثيقة بمروان، وهددت الباقين بالفصل في حال ثبوت صلتهم بالشيخ، وحظر على أفراد الجماعة الصلة بمروان، ولكي يكون الحصار ناجحا، عمدت الجماعة إلى تشكيل جهاز عسكري خاص بها لضم كل متحمس من أفراد الجماعة في حلب ودمشق وحماة حتى يقطعوا الطريق على المتحمسين خشية الانصراف إلى مروان فقد أثبت الواقع أن الشباب الذي تربى على فكر البنا وقطب وعودة رحمهم الله وقرأ الكتب الجهادية لسعيد حوى (الذي تخلى عن طريق الجهاد فيما بعد) وعاش السنوات الطوال في هذه الأجواء، وجد ضالته في زعامة مروان وأفكاره الثورية الجهادية ومناسبتها لما يرى من عسف السلطة وجورها، ونشرها للكفر والفجور والفساد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وخنقها للحريات وتحكمها بالعباد.
- أنشئ الجهاز العسكري للإخوان صوريا للغاية التي ذكرنا وكان جهازا رياضيا أكثر منه عسكريا، ويكفي أن نعرف أن عدد أفراد الجهاز العسكري للإخوان لم يجاوز العشرين شخصا في أحسن أحواله في مدينة حلب مثلا والتي كانت تضم عدة ألوف من أعضاء وأنصار الإخوان المسلمين، مدينة حلب التي يقطنها أكثر من مليون ونصف من السكان. إذن أنشئ الجهاز وذلك بإشراف الأمين العام لجماعة الإخوان المسلمين في حينها "عبد الله طنطاوي" ورغم أنه كان صوريا غير فاعل، فلقد لاقى معارضة شديدة من بعض قيادات ومشايخ التنظيم.

وفي عام 1975 كان الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قد تنازل عن منصب المراقب العام في الإخوان المسلمين وآل هذا المنصب لعدنان سعد الدين، وانصرف الشيخ إلى السعودية متفرغا للعلم والتدريس هناك، وبقيت له صلة شرفية روحية بالتنظيم كأب له وكقطب من أقطابه.

تابع التنظيم الدولي نهجه الذي هو عليه من الدعة والعمل المسجدي والإعداد والتكوين رغم أن أحداثا هامة كانت قد مرت في عام 1973 حيث وقع صدام حاد بين الإسلاميين والدولة بسبب إعلان دستور البلاد في ظل النصيريين والذي لم يكن يشمل أن دين الدولة هو الإسلام، وأدت الأحداث التي سميت بأحداث الدستور لاعتقال عدد كبير

من الإسلاميين وبعضهم من قيادات التنظيم الإخواني وأفراده، كما أدت إلى دخول هذه الكلمة الجوفاء لتتصدر الدستور الكافر المرتد فكتب في أعلاه دين الدولة هو الإسلام كمصدر للتشريع...الخ وتابع الكفر مجراه متسلطا.

- في (1975) اعتقل الشيخ مروان حديد في دمشق بعد اشتباك مع المخابرات واقتيد للسجن ليلاقي أشد أصناف التعذيب هناك حيث قضى شهيدا في (1976) تاركا وراءه عبء الأمانة في حمل راية الجهاد في الشام المباركة مرمية على عاتق أتباعه وتلامذته والمسلمين في هذا البلد المصابر التي ضمّنها وصيته المعبرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصيتي

أنا الفقير إلى الله تعالى ورحمته ورضوانه: مروان حديد أوصي أهلي بتقوى الله تعالى، والتمسك بالإسلام، ووفاء ديوني أو بتحملها عني قبل وضعي في قبري.. أوصي إخواني بالوفاء بعهد الله تعالى. وأوصيهم بمعاملة الخصوم كما أمرهم الله. وأرجو من الجميع الدعاء لي بالمغفرة والرحمة.

كما مات قبلي من أمم فيها النبي المحترم

{إنك ميت وإنهم ميتون}

أسوتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. جاهد في سبيل الله. فتأسوا برسولكم.

وغدا نلقى الأحبة. محمدا وصحبه.

{وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مروان حديد

بدء أحداث الثورة الجهادية

آلت قيادة الطليعة من بعد مروان للأخ عبد الستار الزعيم الذي أخذت الطليعة على قلة عددها تحت قيادته على نفسها عهدا بمواصلة المسير؛ وبدأت عملها بتنفيذ بعض العمليات السرية من إحداث بعض التفجيرات، وقتل بعض زعماء النصيريين ومسؤوليهم المسيطرين على الحكم في البلد فنفذت عددا من الاغتيالات في الفترة الواقعة بين 1976 وربيع 1979 وكان من أهم عملياتها إعدام كل من محمد الفاضل -يوسف اليوسف- محمد غرة- عابد العلي ...

وقعت الدولة في حيرة من أمرها في بادئ الأمر، ولم يدر النظام من يتهم في هذه الأعمال ولم تكن الطليعة تتبنى أعمالها، وبقي الأمر سرا، واستقر رأي النظام على أن هذه الأعمال من فعل النظام العراقي وأعداء الثورة والحركة التصحيحية من عملاء في الداخل كما أسمتهم.

في أواخر 1978 اعتقلت الدولة بعض أفراد الطليعة، وعلمت أنها المسؤولة عن أحداث التفجير والاغتيالات، وثمة آراء حول هذا الكشف.

رأي يقول أن الكشف والاعتقالات تمت كحوادث عادية بفعل نشاط المخابرات وأجهزة الأمن السورية واعتقال بعض العناصر المنفذة أثناء عملها الجهادي.

والرأي الآخر يقول أن الوشاية بمجاهدي الطليعة جاءت من طريق المخابرات العراقية في فترة التقارب التي حصلت بين النظامين البعثيين السوري والعراقي، حيث أن بعض هؤلاء المجاهدين كان قد لجأ إبان مقتل مروان حديد وملاحقة بعض أنصاره إلى العراق ! ودخلوا في جوار البعث اليميني، وبقوا على صلة بإخوانهم الذين يتابعون الجهاد السري ضد النظام السوري.

ثمة رأي ثالث ويبدو أنه أرجح الأقوال إذ يؤيده الكثير من الشهود الأحياء مفاده:

أن الدولة كان لديها بعض الشك ابتداء من طبيعة الاغتيالات أن وراءها إسلاميون ولكنها لم تتوصل إلى شيء.

- في (1978) كان وضع بعض المجاهدين قد ساء في الداخل وخرج بعضهم ليقيم في الأردن عبر بعض الصلات المقامة هناك، وبمعرفة الشيخ سعيد حوى الذي كان يقيم في الأردن منذ خروجه من السجن، كان هؤلاء الشباب وعددهم نحو خمسة يقيمون في أحد البيوت في العاصمة عمان، وكان أحد الشباب واسمه (سلامة فارس) قد أصيب بعدد من الانهيارات النفسية وفقد عقله تقريبا، وقد حذر الشباب من خطورة وضعه، إلا أنه في أحد الأيام وإثر نوبة عصبية غادر البيت متوجها لسوريا وسلم نفسه للمخابرات، واعترف على إخوانه في مدينة الزرقاء ومنهم (عمر علواني) وقامت صلات أمنية بين حكومة الأسد والحسين أدت إلى أن سهلت الأردن مهمة بعثة المخابرات السورية التي دخلت الأردن واعتقلت الشباب بعد أن راقبوا مقر السكن القديم الذي كان قد أخلي إلا أن الشباب زاروه لبعض شأنهم أثناء المراقبة.

اعتقل الشباب وسُلموا بإشراف الأردن إلى سوريا، حيث استمرت التحقيقات وكُشف(مهدي علواني) فبدأت سلسلة الاعتقالات واعتقل مهدي وبعض إخوانه الذين بلغوا نحو سبعة عشر معتقلا، أما الأسرى المسلّمون من قبل الأردن فقد أعدموا بعد أيام...ومن يومها علمت الدولة بتحركات الطليعة ولوحق بضعة عشر شابا منهم معظمهم في حلب وحماة ودمشق ...ولقد أدى اعتقال هؤلاء الشباب إلى الاعتراف على شخص يدعى (رياض حمجور) كان له

علاقة بالجهاز العسكري للإخوان والذي يقوده (عدنان شيخوني) كما أن رياض هذا كان صلة وصل لذلك الجهاز بالطليعة حيث أنه في فترة لاحقة كان ثمة شبه تنسيق بين الجهاز العسكري للإخوان وبين الطليعة بعد جهد مدروس كان يقوم به عبد الستار الزعيم مع بعض الواعين من قيادات الإخوان وقيادة التنظيم العسكري فيه.

أدى اعتقال رياض لانتقال العدوى إلى الإخوان أيضا وفتحت سلسلة اعتقالاتهم بجرم التنظيم العسكري فضلا عن ازدواجية بعض عناصرهم، وأياً كانت حقيقة الأمر التي ستكشفها الأيام إن شاء الله، فقد أدى اكتشاف الطليعة إلى ملاحقة البقية الباقية من عناصرها القليلة، وملاحقة بعض عناصر الإخوان المسلمين وغيرهم من الجماعات الإسلامية الذين كانوا على صلة وتعاون مع الطليعة ولاسيما بعض أعضاء الجهاز العسكري للإخوان وأولئك الذين كان لهم ولاء مزدوج طليعي إخواني.

اندلاع الأحداث وانفجار الصدام العسكري

مع انكشاف الأمر للنظام، قررت الطليعة دخول العمل الجهادي العسكري ضد الدولة علنا، ودون تخطيط مسبق، متابعة البناء من خلال المعركة، وكانت أولى العمليات العسكرية الصدامية مع جهاز الأمن والمخابرات وأذيال السلطة من العملاء والمخبرين المأجورين في ربيع 1979. ثم صُعّد الموقف جدا في حادثة المدفعية وذلك في (حزيران 1979) حيث أقدمت إحدى مجموعات الطليعة المسلحة على إعدام (255) ضابطا نصيريا .. وجرح عشرة آخرين في مجزرة جماعية في مدرسة المدفعية في حلب وانسحبت دون خسائر بإشراف وقيادة الأخ الشهيد إبراهيم اليوسف الذي كان أحد ضباط الدورة في المدرسة وأحد أعضاء تنظيم الطليعة، وأعلنت الطليعة بيانها الأول على جدار المدرسة متبنية العملية باسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) (كتيبة الشهيد مروان حديد)، وزالت الشكوك والإشاعات، وعلم كل الناس في البلد أن حفنة من الشباب المسلم المجاهد قد بدأت صراعها مع النظام النصيري المحتل وانفجر غضب النظام وحقده إبان تصعيد الموقف بعد المدفعية.

وأعلن التلفزيون السوري نبأ المجزرة، ولما كان الأمر قد اختلط على النظام نتيجة وجود ازدواجية واسعة في صفوف الإخوان من عناصر طليعية أو مؤيدة للطليعة، ولما كان حقده على الإسلام والمسلمين قد أعماه عن التوصل لحقيقة الموقف، أعلن حربه على الإخوان المسلمين قاطبة ومن ثم على سائر الحركات الإسلامية وتجمعات العلماء وتلاميذهم وحلقات المتصوفة ومريديهم، ثم طورها حتى صارت حربا على الإسلام وعلى كل مسلم وأصبحت ممارسة أي شعيرة من شعائر الإسلام تهمة لديه بالانتماء للعصابة!! الإخوان المسلمين! (كما يسمي جميع المجاهدين ممن التحق بالطليعة) وهنا اختلط الأمر ورغم أن قيادة الإخوان المسلمين سارعت إلى نفي علاقتها بالأمر، وأصدرت بيانا نشر في مجلة المجتمع الكويتية [العدد (452) -9 شعبان 1399 هـ/3 تموز 1979 وثيقة (2)] نص على أنه لا علاقة لها بالأحداث ونص على رفضها التهمة الملصقة بها من حمل السلاح ضد الدولة، بل ذهب البيان إلى تسمية الشهيد إبراهيم اليوسف (بعثي له مشاكله مع النظام مما دفعه لعمله) لم يفدهم هذا ! واعتقل قسم من قيادة الإخوان المسلمين فيمن اعتقل وفر من بقي إلى الأردن. أما عناصر الإخوان وقيادات الوسط فيهم فلم تدر ما تفعل فقد مشى من بقي من القيادة إلى الأردن فارا بنفسه وعياله عبر الحدود، واعتقل منهم من لم يحالفه الحظ بالفرار، وبقيت القواعد المسكينة

جسدا كبيرا لا رأس له يعطيه الأوامر وكان جواب من تبقى من قيادات الوسط للقواعد: أن لا تعليمات لديهم من القيادة وليدبر كل رأسه بنفسه ! ... فنجى من نجى ومن لم ينج تولت الدولة تدبير رأسه.

الوثيقة (2):

نص البيان الذي وزعته قيادة التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في سوريا ونشرته المجتمع حيث ينفي الإخوان علاقتهم بالجهاد المسلح في سوريا عموما، وبعميلة المدفعية والنقيب البطل إبراهيم اليوسف خصوصا.

مجلة المجتمع الكويتية العدد -452- 9 شعبان 1399

3 تموز يوليو 1979

بيان من الإخوان المسلمين الواقع والتاريخ

إن الإخوان المسلمين قد فوجئوا كما فوجئ غيرهم بالحملة التي شنها عليهم عدنان دباغ وزير الداخلية السوري متهما إياهم بالعمالة والخيانة وغير ذلك، ومحملا إياهم مسؤولية أمور هو أكثر الناس دراية أنهم براء منها، لقد حملهم مسؤولية المذبحة التي حدثت في مدرسة المدفعية كما حملهم مسؤولية الاغتيالات التي جرت، ولا زالت تجري في سوريا.

ونحن نذكر وزير الداخلية السوري أنه بالأمس القريب كان يتهم العراق بهذه الاغتيالات، فلماذا تغيرت النغمة اليوم ؟؟؟

وعلى كل الأحوال فإن الإخوان المسلمين، وهم أكثر الناس إدراكا للوضع الدقيق الذي تمر به بلادهم في هذه المرحلة، يحبون أن يضعوا النقاط على الحروف في الأمور التالية:

1 – إن نغمة عمالة الإخوان المسلمين لشرق أو لغرب نغمة أصبحت معروفة ممجوجة، وإن ما لاقوه من عنت وأذى من عملاء الشرق والغرب إنما كان من أجل مطالبتهم بتحكيم كتاب الله في واقع الحياة.

2 – إنه من العجب أن من يتهم الإخوان بالعمالة لإسرائيل في الوقت الذي يعلم الجميع قتالهم على أرض فلسطين بينما يتحمل غيرهم عار الهزائم المتلاحقة.

3 – والأعجب من هذا أن يتهم الإخوان المسلمون بأنهم يريدون إضعاف مقاومة سوريا، والإخوان المسلمون يقولون (إن الذي أضعف المقاومة في سوريا هو الذي سرح الضباط الأكفياء، وأوقد نار الطائفية في الجيش وغيره، وحطم الاقتصاد السوري، وأفقد المواطن ثقته بكل شيء .

4 – أما إن الإخوان المسلمين يعملون لصالح أصحاب اتفاقيتي "كامب ديفيد" فهذا يدحضه أنهم هم الجهة الوحيدة التي ترفض بصدق وإصرار أن يكون لليهود دولة ولو على شبر واحد من فلسطين.

فإذا اتضحت هذه الأمور، فلنناقش مسؤولية الإخوان عن حادثة مدرسة المدفعية في حلب

أ – أن النقيب إبراهيم اليوسف الذي نفذ حادثة مدرسة المدفعية معروف عنه أنه عضو عامل في حزب البعث السوري، وليس له صلة بالإخوان المسلمين، فلماذا ينسب عمله إلى الإخوان المسلمين ؟

ب – ثم إن السلطة تعرف أن هناك أوراقا خلفها أصحاب الحادثة تبين هويتهم، وأن لا صلة لهم بالإخوان المسلمين [12].

ج – لقد ألفت شعوب المنطقة أن ضرب الحركة الإسلامية لا يكون إلا مقدمة لاستسلام أو تسليم.

د – إن هناك وضعا غير متوازن في سوريا بين الطائفة العلوية النصيرية الحاكمة التي لا تشكل أكثر من 10 بالمئة من سكان سوريا وبين الطوائف، ويكفي التدليل على ذلك ما حدث في مدرسة المدفعية، فمن مجموع طلابها يوجد ثلاثون سنيا من أصل 300 طالب غالبيتهم العظمى من النصيريين العلويين.

أليس هذا وحده قد يكون سببا لاندفاع النقيب إبراهيم اليوسف البعثي السني في السير في طريقه الذي سار فيه.

هـ – أن هناك كثيرين من قادة الإخوان المسلمين وأفرادهم معتقلون منذ أشهر وبعضهم منذ سنين فهل ما أعلن بالأمس كان مؤامرة لإدانة هؤلاء بشيء لم يفعلوه ؟؟؟

و – إن الإخوان المسلمين يتحدون أن تثبت أي جهة في العالم عن طريق تحقيق نزيه أن تكون قيادتهم أو عناصرهم قد سارت في طريق العنف علما بأن الحكم السوري قد أوجد له كثيرا من الخصوم الذين يؤمنون باستخدام العنف.

وأخيرا وليس آخرا فليس من دأب الإخوان المسلمين السباب، ولكنهم يريدون الإصلاح.

{إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله}

والله أكبر ولله الحمد

29 رجب 1399هـ

24 حزيران 1979م "الإخوان المسلمون"

أما عناصر الجهاز العسكري الإخواني وهم نفر قليل فقد التحق من بقي منهم بالطليعة، وقد كان لهم سابق صلة بهم، وكانوا قد حازوا شيئا من التدريب العسكري خلال فترة إنشاء الجهاز العسكري الذي أشرف عليه الشهيد عدنان شيخوني رحمه الله والذي كان فيمن اعتقل في هذه الزحمة ثم فر فيما بعد واستشهد أثناء المعارك.

قسم آخر من شباب الإخوان ممن كان لهم صلة ببعض الخيوط الطليعية التحق بالطليعة أيضا، وخرج قسم آخر مستفيدا من الفوضى التي عمت البلد، أما القسم الأعظم من ألوف الإخوان المسلمين فقد راحوا ضحية الاعتقال والسجن... وهكذا قدمت قيادة الإخوان المسلمين الكادر الأعظم للجماعة لقمة سائغة للوحش النصيري المتعطش للدماء، وذهبت هدراً جهود عشرات السنين من الإعداد والتكوين، وصدقت فيهم توقعات مروان حديد رحمه الله، راجع بيانه ص 78-79.

ماذا أعدت قيادة الإخوان المسلمين لمثل هذا الظرف ؟ رغم أنه كان في علمهم أن نفرا من المجاهدين ماضون في طريقهم، وأن ساعة كهذه لا بد آتية ؟ لا جواب ! بل الأنكى من ذلك أنهم عادوا لنفس الطريقة المتسيبة في الإعداد للمعركة عندما أتيح لهم رئاسة المئات من الشباب المجاهد فيما بعد، ولم يفيدوا منهم، وقدموا من تبقى من المجاهدين مرة أخرى للذبح أو التشريد كما سنبين ذلك إن شاء الله.

---

[12] هي الأوراق التي تركها خلفهم المجاهدون من الطليعة والتي نسبوا فيها العملية إليهم وتبنوها وهنا يؤكد الإخوان أن العملية قام بها الطليعة وأن لا علاقة لهم بهم ولا بالعملية.

تـابع المجاهـدون الـذين اتخـذوا اسـم (الطليعـة المقاتلـة للإخـوان المسـلمين) والـذي اقترحـه الأخ القائـد عـدنان عقلـة -فـك الله أسـره- كـون (الطليعـة) حـاملي فكـر الإخـوان الحقيقـي، ولكـي تفيـد الحركـة الناشـئة مـن سمعـة الإخـوان المسـلمين وماضـيهم وامتـدادهم (كمـا تصـور عـدنان) تـابعوا عملهـم العسـكري المعلـن غـير المخطـط لـه، وبصـورة متسـارعة تتالـت الأحداث وتحول العمل الجهادي في سوريا لإدارات جهادية لا مركزية تماما.

امتـد العمـل العسـكري وتشـعب، ولاقـى تأييـدا منقطـع النظـير مـن قبـل الشـعب المسـلم، وانـدفع مئـات الشـباب المسـلم ممـن لم يكـن لـه سـابقة صـلة بتنظـيم الإخـوان مـن أبنـاء الحركـة الإسـلامية، أو تلاميـذ العلمـاء، أو مشـايخ المتصـوفة أو المسـلمين العـاديين يبحثـون عـن صـلة بالمجاهـدين، ليشـاركوهم شـرف الجهـاد، وخـلال فـترة وجيـزة ارتفـع عـدد المجاهـدين واتسـعت سـلطتهم وأتـاهم هـذا الامتـداد المفـاجئ بإيجابيـات متعـددة كمـا حمّلهـم سـلبيات كبـيرة منهـا ضـعف السـيطرة علـى التنظيم، واتساعه اتساعاً غير مدروس...الخ.

إلا أن المنحـى العـام للعمـل مـن صـيف 1979 وحـتى أواخـر 1980 كـان تقـدما علـى كـل الأصـعدة في المجـال العسـكري حيـث اسـتطاع المجاهـدون أن يُـدخلوا النظـام ورئيسـه في حالـة هسـتيريا أصـبح معهـا -وأمـام كثـير مـن المـراقبين- عمر النظام في تناقص، وأن عده التنازلي قد بدأ.

ورغـم أن سـلبية كبـيرة سـيطرت علـى العمـل، وهـي نهجـه اللامركـزي حيـث آلـت قيـادة العمـل العسـكري وتنظـيم الطليعـة في حلـب إلى عـدنان عقلـة، وفي حمـص إلى عبـد المعـين السـيد وفي حمـاة إلى هشـام جهبـاز بعـد استشـهاد الأخ عبـد السـتار الـزعيم، والـذي حـاول جاهـدا خـلال فـترة قيادتـه إيجـاد نـوع مـن المركزيـة والإدارة الشـاملة للأحـداث إلا أن المنيـة عاجلتـه واستشـهد في (1980) كمـا آلـت قيـادة الطليعـة في دمشـق إلى الأخ أيمـن شـربجي. وتشـكلت نويـات جهاديـة أخـرى أقامـت بعـض الصـلة مـع طـرف أو آخـر مـن هـذه القيـادات، وفي منطقـة السـاحل وإدلـب والمنطقـة الشـرقية والجنوبيـة وإن كان حجم عملها أقل تأثيرا أو فعلا من المناطق الأخرى.

ففـي الوقـت الـذي كـان العمـل العسـكري في حلـب يتقـدم بنمـو مطـرد، كانـت دمشـق سـاكنة لا حركـة فيهـا، ممـا أثـار استفسـار الشـعب في عمـوم البلـد، وفي الوقـت الـذي كـان السـلاح وافـرا في حمـاة كـان مجاهـدو حمـص علـى بعـد 45 كـم فقـط يشـكون ضـحالته وقلـة تواجده...وهكـذا كانـت سـلبيات اللامركزيـة، ورغـم كـل هـذه المصـاعب والمشـاكل الـتي ولـدها تصـعيد العمـل العسـكري غـير المـدروس، اسـتطاع المجاهـدون أن يشـقوا طـريقهم وأن يقفـوا علـى أرجلهـم، وتطـورت وتـيرة أعمـالهم لا سـيما في حلـب وحمـاة، وكانـت في معظمهـا منصـبة علـى اغتيـالات عمـلاء النظـام، ومسـؤولي الحـزب، والمخـابرات وأجهـزة الأمـن، ومهاجمـة الـدوريات ومخـافر التفتـيش، كمـا تطـورت أعمـال الدولـة القمعيـة وتنكيلهـا بالأهـالي، وأعمـال الاعتقـال العشـوائي، وفـرض جـو مـن الإرهـاب في البلـد، وتـأزم الموقـف تأزمـا شـديدا، ولم تجـد الدولـة مفـرا مـن الاتصـال بـبعض المشـايخ والعلمـاء في المـدن المتأزمـة لا سـيما (حلـب وحمـاة)، لعلهـم يسـتطيعون تهدئـة الأوضـاع، كمـا جـرت مفاوضـات مـع قيـادات الإخـوان المسـلمين في السـجن وأفرجـت الدولـة عـن بعضـهم لعلهـم يسـتطيعون تهدئـة المجاهـدين في الخارج.. وحدت الدولة من إجراءاتها القمعية بانتظار فترة المفاوضات.

قامت بعض الصلة بين العلماء والمجاهدين، كان أبرزها تلك التي حصلت في حلب بين (لجنة المشايخ) التي ترأسها (أبو النصر البيانوني) وبين المجاهدين، كذلك حصلت صلة بين بعض قادة الإخوان وبعض شبابهم الذين التحقوا بالجهاد المسلح عارضين عليهم مبلغا من المال ووثائق سفر لكل منهم لتسهيل خروجه من البلد لتهدئة الأوضاع !!!

بدت تلك المفاوضات باهتة جدا، فمن ناحية كانت مفاوضات بين جهات إسلامية لا تمثل سلطة على المجاهدين وبين الدولة، ومن جهة أخرى كانت عروض التهدئة مقابل طلبات تقدمت بها الجهات الإسلامية وكانت تافهة كالإفراج عن المعتقلين، وإنهاء الأعمال الإرهابية، وإعادة بعض الموظفين والمدرسين الإسلاميين إلى وظائفهم في حين كانت أهداف الحركة جذرية تريد إسقاط الاحتلال النصيري لإقامة حكم إسلامي محله.

لم يعر المجاهدون هذه المفاوضات أذناً صاغية، وعاد الحال إلى الانفجار أشد مما كان عليه أما بالنسبة لقيادة الإخوان المسلمين في الخارج وقد تجمع جلهم في عمان، فقد شكلوا نواة قيادية من بقايا قياداتهم السابقة، ممن كان قد خرج أو أفرج عنه ولحق بأصحابه مع جزء من القواعد التي تيسر لها الخروج من البلد، وكان أن اتخذت قيادة الإخوان في الخارج قرارا بدخول المعركة في حزيران 1979 وذلك لسببين هامين:

الأول: أن النظام النصيري لم يفرق بين حربه بين طليعة ولا إخوان ولا صوفي ولا سلفي، وهم داخلون الحرب والنكال دافعوا أم لم يدافعوا، لاسيما بعد أن أصدر النظام النصيري القانون (49) القاضي بإعدام كل من ينتمي إلى الإخوان المسلمين لما اختلط عليه الأمر وصار كل متعاون مع المجاهدين بالنسبة له إخوان مسلمين يدخل تحت طائلة القانون.

الثاني: أن بشائر نصر مجيد وتأييد شعبي واسع تبدو للعيان، ولا بأس في المشاركة في نصر كهذا، فهم قادة الإسلام وأعلامه في البلد والمؤهلون ليكونوا البديل عن النظام ! أما قواعد الإخوان فقد أرادت دخول المعركة –ونقصد من سلم منهم– أولا لأنها تتوافق وتربيتهم الإخوانية الجهادية وثانيا لأنه بدا أمراً لا مفر منه وثالثا لأنه غدا قرار الجماعة الشرعية !

فاتخذ القرار من قبل جماعة الإخوان المسلمين التي كان يرأسها عدنان سعد الدين كمراقب عام، وكان أهم شخصياتها الشيخ سعيد حوى – علي أبو أنس بيانوني– عبد الله طنطاوي –أديب الجاجة – محمد الحسناوي – منير الغضبان[13]– ومن ورائهم الشيوخ كعبد الفتاح أبو غدة –عبد القدوس أبو صالح –فوزي حمد...الخ. رغم أن معارضة كانت قد حصلت ضد هذا القرار من قبل القيادات القديمة للجماعة منهم الشيخ عبد الفتاح أبي غدة ولفيف من الزعماء السابقين والذين كان جلهم يقيم في السعودية منذ زمن طويل.

وكما حصل مع الإخوان المسلمين –التنظيم الدولي– حصل مع جماعات إسلامية متعددة، إذ نالها النكال وطالتها المحنة، وكان تأثرها بها بنسب تفاوت، فقد شارك العديد من شباب الجماعات الإسلامية المختلفة المجاهدين جهادهم بصورة فردية، وبصرف النظر عن آراء شيوخهم وزعمائهم بعد أن رأوا إخوانهم يجودون بأرواحهم دفاعا عن الإسلام، وأصبح الباب مفتوحا لفريضة طالما كانت غائبة عن المسلمين وهي الجهاد، فالتحقوا بالطليعة كأفراد مجاهدين كإخوانهم، صارفين النظر عن كل ولاء سابق بعد أن آن أوان الجد، ونتيجة لمشاركتهم وحقد السلطة الشامل على كل المسلمين،

---

[13] لم يكن الغضبان من الإخوان التابعين للتنظيم الدولي والتحق بهم في الأردن

طالت دائرة النكال معظم الجماعات، وكان أهمها شباب الإخوان (التنظيم الدولي)، شباب الإخوان المسلمين تنظيم دمشق التابع لعصام العطار، حيث اعتقل العديد منهم والتحق من التحق بالمجاهدين وغادر قسم آخر البلد.

أما جماعة سرور وهي جماعة قليلة العدد محدودة الامتداد، تفرعت عن الإخوان في مدينة دمشق وكانت قد ولدت نتيجة الانشقاق الذي قد حصل بن جناح دمشق وجناح حلب وحماة حيث رفض بعض الشخصيات الانحياز لأي من الجانبين وتابعو عملهم كجماعة مستقلة معتبرين أنفسهم (الإخوان المسلمين الشرعيين).

واتخذوا النهج السلفي لإصلاح ما فسد لدى الإخوان، فكانت مشاركتهم فردية وما لبثوا أن غادروا الساحة ولم يكن لهم من بعد فيها أي مشاركة.

أما جماعات العلماء والمشايخ والمتصوفة وأهمها جماعة البيانوني المسماة (جماعة الهدى) وهي جماعة متصوفة يرأسها الشيخ أبو النصر البيانوني في مدينة حلب وما حولها عمل بعض شبابها مع المجاهدين، ثم تعاون الشيخ نفسه معهم في فترة رئاسته للجنة العلماء أيام المفاوضات، ثم اكتشف أمره فلوحق، واعتقل معظم جماعته، وحل بها ما حل بالإخوان والتحق من نجى منهم بالطليعة أو خرج خارج البلد كما فعل الشيخ إثر انكشافه رغم أن قيادة المجاهدين عرضت عليه البقاء معها في حلب لمتابعة الجهاد، إلا أنه آثر الالتحاق بقيادة الإخوان في الخارج لإعادة العمل من هناك وتكرر هذا مع معظم جماعات المشايخ في حمص وحماة ودمشق والمدن الأخرى، وهكذا لم يجد المغادرون أمامهم إلا الأردن، فتدفق مئات الشباب والمشايخ والعلماء خارج البلد ولا سيما إبان مرحلة انكفاء العمل العسكري -كما سنبين ذلك إن شاء الله.

وكما كان الحال في سوريا فقد تكتل المهاجرون من كل جماعة حول من تبقى من قياداتهم السابقون أو حول مشايخهم، وكانت أهم تلك الجماعات بالطبع وأقربها لشكل التنظيم -تنظيم الإخوان المسلمين الدولي- حيث لاقى كل عون وترحيب بفعل الإخوان الأردنيين الذين وقفوا بحق وقفة مشرفة من المشردين مستفيدين من غض البصر الذي مارسه نظام (الملك حسين) وهو عدو تقليدي للأسد بالطبع.

وخلال هذه الفترة تركز جهد قيادة الإخوان المسلمين الدوليين على المحاور التالية:

1 - إعادة تنظيم نفسها كقيادة لتنظيم الإخوان المسلمين السوريين في الخارج وما تبقى في الداخل.

2 - ترتيب أوضاع قواعدها في الخارج وفرزهم في بيوت على أساس أسر مكونة من عدة أفراد بناء على تبعيتهم لأحد المراكز (حلب، دمشق، إدلب..) وإعالتهم وتخصيص رواتب لهم، وإخضاعهم لشيء من البرامج التربوية ثم تدريبهم عسكريا في دورات ومعسكرات في بغداد.

3 - الاتصال بالعراق لفتح المزيد من الخطوط والعلاقات التي ابتدأت كما زعم العراقيون والإخوان دون قيد أو شرط، وشملت برامج تدريب عسكرية بإشراف مدربين من الجانبين العراقي الإخواني.

4 - بدء الصلة والحوار مع المشايخ والعلماء الذين كان لأغلبهم تلاميذ وتشكيلات شبه منظمة، لإدخالهم دائرة الصراع بالإشراف الإخواني هذه الصلات التي تمخض عنها ما سمي بالجبهة الإسلامية والتي ضمت وجوه هؤلاء العلماء والمشايخ بالرئاسة الشرفية للجبهة للشيخ عبد الفتاح أبي غدة لمكانته العلمية والشخصية بين المشايخ، وقد أسست هذه

الجبهة بناء على تخطيط وتنظير وإشراف الشيخ سعيد حوى الذي أرادها أداة إخوانية رديفة للسيطرة على هذه الجهات الإسلامية غير المنتظمة ولإدخالها دائرة الصراع بإشراف إخواني .

وقد سارت الجبهة كما خطط الشيخ سعيد حوى وجماعته طيلة الوقت حتى نكسة حماة حيث انفصلت سياستها عن سياسة الإخوان، ويعود ذلك لشخصية الشيخ أبي النصر البيانوني الذي سعى لجعل الجبهة كيانا مستقلا هو رئيسه.

ولم تنس الجبهة فيما بعد أن تصدر برنامج عملها في مطبوعة مستقلة، طارحة نفسها كأحد أطراف البديل الإسلامي المنتظر، والجدير بالذكر أن الشيخ طاهر خير الله انسحب من الجبهة بعد دخولها التحالف الوطني لتحرير سوريا مع الإخوان المسلمين والأحزاب المرتدة من البعثيين والقوميين والناصريين والوطنيين والدروز وبعض المستقلين – وسيأتي بيان هذا إن شاء الله.

5 – بدء حملة إعلامية مدروسة واسعة النطاق لتبني عمل المجاهدين وتسميتهم كجهاز تابع مستغلين المدلول اللفظي لاسم الطليعة وهو (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) فقدموا أنفسهم كزعماء للثورة عبر إعلامهم المنظم وبتعاون مطلق مع التنظيم العالمي للإخوان المسلمين الذي اعتبر الحرب في سوريا قضيته الأولى. وأصدر الإخوان نشرة النذير الدورية التي كانت تنشر أخبار العمليات بصورة مبالغ فيها وبتصرف. كما تنشر بعض التحاليل السياسية والأفكار الإخوانية ونبذة عن حياة بعض شهداء المعارك ولتحمل في آخر صفحاتها أرقام الحسابات البنكية الإخوانية في أوربا لجني ثمار هذا الجهد العسكري الطليعي والإعلامي الإخواني حيث تدفقت ملايين الدولارات على هذه القيادة فأثرت ودخلت عالم المجد السياسي.

6 – بدء صلات سياسية واسعة النطاق مع الشخصيات والأحزاب القومية والوطنية المعارضة والمبعدة عن البلد، ولا سيما حزب البعث اليميني السوري اللاجئ للعراق، القوميين العرب بزعامة أكرم الحوراني، الوحدويون الاشتراكيون وهو حزب ناصري...وغيرهم... كذلك مع الشخصيات المستقلة، والهيئات السياسية والأحزاب والتجمعات والأنظمة المجاورة والمعارضة للحكم في سوريا أو غير المتفقة معه، كالأردن والعراق ومصر والسعودية وتركيا ومنظمة التحرير.. ومع الهيئات الدولية المعنية بحقوق الإنسان...واستفاد الإخوان السوريون من الامتداد الواسع للتنظيم الدولي للإخوان كثيرا وكذلك من تجمعات إسلامية هامة أخرى في الوطن العربي والإسلامي، وأصبحت النذير تصدر بلغات عدة، وعملت كل هذه الهيئات الإسلامية جماعات وأفرادا على تقديم الدعم الإعلامي والسياسي والمادي وجمع التبرعات بإخلاص وتفاني وتقديمها لزعماء الجهاد وقادته المزعومين ! دون أن تدري عن الحقيقة شيئا.

أسفر هذا الجهد السياسي عن بلورة عدة شخصيات كانت مغمورة في قيادة الإخوان السوريين كان على رأس هؤلاء (عدنان سعد الدين) الذي أمسك بخيوط اللعبة منذ اليوم الأول وغدا شخص الإخوان القوي، الذي جرت معظم الأمور جليلها وحقيرها فيما بعد بمعرفته ورأيه بالتعاون مع الشخصيات الهامة كسعيد حوى –علي بيانوني– أديب الجاجة– عبد الله طنطاوي– محمد الحسناوي –منير الغضبان.

كما أسفرت الصلات السياسية فيما بعد عن إبرام التحالف الوطني لتحرير سوريا بين الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية والأحزاب العلمانية السورية المعارضة البائدة –وسيأتي بيانه إن شاء الله.

7 – أصدر الإخوان المسلمون كذلك فيما بعد منهاج الثورة الإسلامية يتكلمون فيه عن طروحاتهم ونهجهم المستقبلي في الحكم وكأنهم صائرون إليه في ليلة وضحاها، هذا البرنامج الذي حمل الكثير من تجاوزات السياسية الشرعية، لممالئة الحلفاء ومجاراة الأمر الواقع والطروحات السياسية الرائدة في السوق العربية والدولية.

8 – بقي الأمر الأخير والهام الذي أولاه الإخوان أهمية كبرى، منذ استقرار وضعهم بعض الشيء في الأردن وهو السيطرة على العمل العسكري الذي لا علاقة لهم به في سوريا، ولم يكن هذا سهلا البتة في ظل الظروف التي كانت قائمة والخلاف العتيق بين المجاهدين وقادة الإخوان. وطبيعة المجاهدين الثورية الرافضة لكل أشكال الحلول الوسط, ولكنهم حاولوا وتم لهم السيطرة عليه لبعض الوقت مما أدى لإجهاضه وسيأتي بيان ذلك– إن شاء الله – .

بدأ ذلك بتقديم قيادة الإخوان في الخارج بعض الأموال للداخل بإرسالها مع مراسلين إلى قيادة المجاهدين في الداخل والتي برز فيها عدنان عقلة كناطق رسمي باسم الطليعة المقاتلة بعد سلسلة الاستشهادات في صفوف قيادة الطليعة والتي كان فيها استشهاد هشام جنباز رحمه الله ولم يبق من الأسماء المعروفة واللامعة كمركز قيادي إلا هو (عدنان عقلة).

وصلت الأموال من الأردن إلى الداخل كذلك دون قيد أو شرط، ورحب المجاهدون بتعاون إخوانهم وفرحوا لما يقدمونه من جهد إعلامي عن طريق النذير وغيرها، ولم يدر في خلدهم شيء عما كان يرسم من وراء الحدود. بعد ذلك بفترة أوفدت قيادة الإخوان وراء الحدود مندوبا عنها للداخل (علي بيانوني) ليتفاوض مع عدنان عقلة قائد المجاهدين الميداني، والمتمركز في حلب على قيادة الحركة وضرورة تبعيها سياسيا وعسكريا للقيادة الشرعية للتنظيم باعتبار القيادة الميدانية العسكرية ناشئة ومنبثقة عنها، وباعتبار أن أهم رجالات الحركة والعمل الجهادي العسكري هم من قدماء تلاميذ الإخوان، وباعتبار أن أهم رجالات الحركة والعمل الجهادي العسكري هم من قدماء تلاميذ الإخوان، وباعتبار معطيات الساحة الداخلية والخارجية ولتعقد الخارطة السياسية ..الخ.

وكان مفهوم كل هذا أن القيادة (الفارة) تريد قيادة الثورة رسميا، على أن يتبع لها المجاهدون والداخل مقابل تقديم الدعم السياسي والمادي والإعلامي...وبالطبع كان هذا مرفوضا من قبل عدنان والطليعة. فالقيادة وراء الحدود لا تمثل إلا نفسها ومن خرج من عناصرها وانضوى تحت قيادتها في الخارج، والجهاد العسكري في الداخل يدار من قيادة تنظيم آخر منفصل عن الإخوان المسلمين منذ سنوات قبل اندلا ع الأحداث، ويرتبط أعضاؤه بقيادتهم ببيعة ميدانية لا علاقة لها بالإخوان المسلمين من قريب أو بعيد، وحتى من التحق من شباب الإخوان بالطليعة مؤخرا، اعتبر نفسه في تكتل جديد منفصل عن زعامات فرت وأخلت الميدان،كما تبنى فكرا يعتبر متطرفا بالنسبة للإخوان، فالطليعة جذرية عسكرية انقلابية، والإخوان جماعة إصلاحية تربوية ترقيعية، بعد الصورة التنظيمية والأهداف التي وصلوا إليها...

استمرت إقامة (علي بيانوني) عند عدنان عقلة في الداخل نحو أربعين يوما، وأسفرت عن الخلاف التام، وخرج البيانوني من الداخل لينقل صورة ما حصل، واستقر رأي الإخوان في الخارج على أن عدنان عقلة شاب متطرف منشق عن صف الجماعة، ويجب قطع كل الصلات معه والبدء بتأسيس جيوب عسكرية مستقلة تابعة لهم ومحاولة سحب العناصر التي بقي لها شيء من الولاء لقيادة الخارج بفعل البيعة القديمة، وقطع كل أشكال المساعدات المادية عن الطليعة في الداخل، والتي جمعت أموالها واستمرت كذلك بفعل عمليات الطليعة وبفعل استغلالها وتبنيها.. وبدء حملة إعلامية ضد عدنان عقلة والطليعة في أوساط الإسلاميين.

بعـد ذلـك جـرت عـدة مراسـلات وملاسـنات بـين عـدنان عقلـة وقيـادة مـا وراء الحـدود ورسـخت القطيعـة التامـة بـين الطـرفين، ويجـدر بالـذكر هـذا أن عـدنان عقلـة عـرض علـى قيـادة مـا وراء الحـدود الطاعـة والـولاء إن هـم عـادوا إلى الـداخل وقاموا بقيادة الجهاد ميدانيا داخل البلد وشاركوا عمليا بعبئ مسؤولية الجهاد ولكنهم رفضوا ذلك.

[نص الرسالة التي أرسلها الأخ القائد عدنان عقلة لقيادات ما وراء الحدود –وثيقة رقم (3)].

الحمـد لله رب العالمين...والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا محمـد، إمـام المتقـين، وقائـد المجاهـدين.. وعلـى آلـه وصـحبه الغـر الميامين..

المجاهدون الأبطال في "القيادة العليا للثورة الإسلامية ! ...السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد:

حـديثي إلـيكم ميداني...حـديث الـدم والرصـاص والشـهداء والمعتقلـين والمطلـوبين، حـديث الثكـالى والأرامـل واليتـامى والمعذبين...حـديث البحـث عـن المـال والسـلاح ؟ والعـلاج للمقـاتلين.. حـديث التخطـيط لعمليـات المجاهـدين البطوليـة، وتحمل قرار المواجهة على ساحة التحدي...

وحديثكم إليّ بالأمس –حديث الزوجات والأطفال والمال الكثير والسيارات الفارهة...من وراء الحدود وشتان.. !

وقبل أن أبدأ – أيها السادة– أحب أن أضع أمامكم الحقائق التالية:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب

- نحـن في الطليعـة المقاتلـة للإخـوان المسـلمين، بقيـادة المجاهـد الشـهيد الأخ مـروان حديـد، الممثلـون الحقيقيون للإخوان المسلمين على طريق البنا وقطب.

–الطليعـة المقاتلـة لهـا قيادتهـا المسـتقلة منـذ نشـأتها عـام 1395 هـ الموافـق ل 1975م – الطليعـة المقاتلـة وحـدها فقـط المسـؤولة عـن قـرار المواجهـة التـاريخي مـع الجاهليـة، منـذ سـنوات خمـس خلـت، في فـترة كنـتم تتوحلـون فيهـا بانتخابـات الإدارة المحليـة ومجـالس الشـعب، لتقسـموا بشـرفكم ومعتقـدكم،أو بـالله العظـيم، أنكـم سـتدافعون عـن أهـداف الأمـة العربيـة في الوحدة والحرية والاشتراكية ! !

كل المقاتلين في الطليعة ولاؤهم للطليعة فقط.. ولا نسمح بالولاء المزدوج، ولا نعرف شيئا اسمه الطرف الآخر بيننا.

–الجهـاد في بـلاد الشـام فـرض عـين، كمـا قـررت جماعـة الإخـوان المسـلمين، الـتي تمثلهـا الطليعـة المقاتلـة.. وبالتـالي فـإن الحركـة الجهاديـة بحاجـة إلى توظيـف كـل الجهـود الإسـلامية، ولا عـذر لفـرد مسـلم بالتقـاعس والتخلـف...ومن غـادر الـبلاد دون إذن مسـبق مـن قيـادة الطليعـة، متـول مـن الزحـف يحتـاج إلى توبـة جديدة...ويسـتوي في هـذا كـل النـاس وراء الحدود...واستفتوا أنفسكم !

–نحـن لا نعـرف شيئا اسمـه "الحـرص علـى النصـر"، لأننـا نعلـم أن النصـر مـن عنـد الله يؤتيـه مـن يشـاء ومـتى شـاء وهـو قيـد للـذين يسـتحقونه، وأقطـع أنكـم لسـتم مـنهم ومـع الأسـف.. وتحركنـا العسـكري الجهـادي لم يكـن إلا لإبـراء ذمتنـا أمـام الله رب العـالمين يـوم يقـوم النـاس إليـه، ولـيس في قاموسـنا حسـاب للنتـائج، أو انتظـار لقطـف الثمـار، كمـا هـي حـالكم، فمـن يدري...فربما لقيت وجه ربي قبل أن تصلكم هذه السطور ؟؟

– بتنا مقتنعين، تمام الاقتناع، بحرصكم الشديد بالبقاء على كراسيكم، والاغتراف من الطعام الناضج، وبناء الأمجاد على دماء الشهداء وأشلائهم الطاهرة...وإلا فما هو مبرر إصراركم على الاستمرار في المواقع الهشة تلك، وسعيكم للالتفاف على الثورة من الخلف، بدعاوى زائفة لم يكن لكم فيها ناقة ولا جمل في يوم من الأيام ..؟؟

–المقاتلون الصامتون البعيدون عن الأضواء والضجيج الإعلامي الزائف وراء الحدود، المقاتلون هؤلاء والذين شرفهم المولى بصنع الأحداث داخل البلاد، والذين أصبحوا رمزاً للتضحية والبذل...خرجوا من هذه الأرض، وهم مرتبطون بها، وسيبقون كذلك إلى أن يحكم الله بينهم وبين الطغاة من جند الشيطان بالحق...وإنها لإحدى الحسنيين...ولن يكون دم إبراهيم الشهيد آخر الدماء، من دماء قادة الكتيبة الخرساء.

–نحن، ليس لدينا أي تحفظ، على أية صيغة ترغبونها، تدفع مسيرة العمل الإسلامي إلى الأمام...شريطة أن تكونوا هنا داخل البلاد، تعيشون المحنة بكل أبعادها كما نعيشها.. بل إنني– شخصيا– على استعداد لأن أذهب إلى ما هو أبعد من ذلك: تسليمكم كافة مسؤولياتي إذا وجدتم في أنفسكم الكفاءة والأهلية لحمل أعباء هذه الأمانة العظيمة، وأن أكون جنديا بإمرتكم، أسمع وأطيع، وأعمل في أي موقع تختارونه لي..وأجزم أنكم لن تجرؤوا حتى على الاقتراب من الحدود...ودليلنا على ذلك أنكم لم تتكرموا بإرسال واحد من أبنائكم ليقاتل في صفوف المجاهدين.. وكلهم أكبر عمرا من كثير منهم !

والآن أنتقل للرد على رسالتكم لي:

قرأت رسالتكم الأخيرة إلى أخي عمير (الرسالة بخط الشيخ سعيد)..فتفاءلت وبشرت إخواني خيراً، وعشت بأحلام اليقظة ، إلى أن فاجأتني رسالتكم الأخيرة التي وليتني _ وأقولها صادقا والله يشهد _ لقيت وجه ربي قبل أن أقرأها.. فأكون قد ارتحت من عناء الأخذ والرد معكم، وتكونون قد ارتحتم من منافس عنيد (ذي اندفاع فردي وطموح شخصي)..

يا قوم اتقوا الله..وأقولها لكم، لأن الله قالها لرسوله صلى الله عليه وسلم.. يا قوم ..أنتم, والله، في واد، ونحن في واد..أنتم تنظرون للأحداث من خلال المادة والنتائج، ونحن نرى أنها فرض نؤديه أمام ربنا...أنتم تنتظرون بفارغ الصبر انتهاء المحنة لتعودوا من هجرتكم القسرية إلى أهليكم وأموالكم ومصالحكم، ونحن ننتظر لقاء وجه ربنا في كل لحظة..أنتم محكومون بالمغانم والمتاع الزائل، ونحن نتوق إلى رضوان الله والفوز بجنته.. أنتم انطباعاتكم عن الأحداث عمرها بضعة أشهر (أعقاب عملية مدرسة المدفعية)

ونحن _ أنا شخصيا _ أعد نفسي لهذا الموقف منذ خمسة سنوات...ولولا أنكم أجبرتموني، لما تكلمت والله...وكم كنت أتمنى أن أكون قد استشهدت منذ زمن. على أن أكره واضطر للخروج عن صمتي في مثل هذه المواقف.

اتقوا الله يا سادة...أهكذا يكون حجم الاتهامات ؟ ماذا عساكم تجيبون بعد استشهاد إبراهيم...؟

حرام عليكم، هل يتصور أن إنسانا أكرمه المولى، ولله المنة والفضل، بالطلقة الأولى في حلب، وكان مسؤولا عن كل العمليات التي تمت فيها من بعد، كان له طموح شخصي، ويتصرف باندفاع فردي ؟...

وعبد أكرمه المولى بالمشاركة بعملية مدرسة المدفعية، وهو يعلم أن الدخول إليها، يعني الموت المحتم والخروج منها مستحيل على البشر، عبد هذه صفته أظن _ يا سادة _ لم يكن ينتظر مغنما أو طموحا شخصيا.

اتقـوا الله...وحـرام علـيكم أن تحكمـوا علـى مـن يجـودون بـدمائهم، ويعـانون الأمـرين في حـربهم مـع الجاهليـة، وأنـتم تأمنون على أنفسكم وأهليكم وأموالكم وراء الحدود وأنتم لم تطلقوا طلقة واحدة على الظالمين...

في بدايـة المحنـة ــ يـا سـادة ــ وأنـتم آمنـون وراء الحـدود.. كانـت هجمـة العـدو في غايـة الشراسـة، وكانـت المعطيـات كلها تشير إلى أنه عازم على إحراق الأخضرين، في فرصة كان ينتظرها على أحر من الجمر...

في تلـك الأيـام العصـيبة، أكـرمني المـولى ثانيـة بأمانـة المسـؤولية، والتصـدي لقيـادة العمـل العسـكري في حلـب، في وقـت اسـألوا أنفسـكم أيـن كنـتم فيـه ؟؟؟ ولم يكـن يحكمـني في تلـك الأيـام المريـرة ــ وأقسـم بـالله ــ إلا المـوت العزيـز في سـبيل الله، ومـن ثم إفهـام الخصـم المتغطـرس، أن يحـرك سـاكنا هـو اليـوم غـير الـذي ألفـوه حمـلا وديعـا يسـاق للـذبح دون أن يحـرك سـاكنا هــو اليــوم غــير الــذي عرفــوه بــالأمس...وعرضــت قنــاعتي علــى إخــواني ليكونــوا علــى بينــة مــن أمــرهم في بدايــة الطريق...والعجيب، أن الموت في سبيل الله كان أسمى أمانيهم والله !

والعجيــب أيضــا ــ والــذي هــو أشــبه بالمســتحيل ــ أن أحــلام الأمــس أصــبحت حقــائق نحســها ونعيشــها هــذه الأيام..والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولأقتضب الآن بعضا من المقاطع التي وردت في رسالتكم لأعلّق عليها:

1 – قلـتم: "إن قيـادتكم قيـادة شـرعية.."، فهـل ناقشـناكم في هـذه القضـية ؟ نحـن لا ننكـر علـيكم هـذا كمجموعـة لهـا قيادتهـا. ولكننـا لا نقبـل أبـدا العمـل تحـت قيـادتكم، فالشـمس لا يمكـن أن تسـتمد نورهـا مـن القمـر !واتضـح جليـا أن الطليعة كانت على صواب وكنتم مخطئين.

2 – قلـتم : " لـيس في صـفوف قيادتنـا مـن كانـت لـه علاقـة بـالخلاف السـابق .." هـذا غـير صـحيح، فالأسـتاذ "أمـين يكـن" بطـل المصـالحة بـين الإخـوان والنظـام الكـافر يسـتطيع أن يتجـاوز كـل قيـادي في قيـادتكم، هـذه حقيقـة معروفـة لم تعـد تخفـى علـى أحـد، علمـا بـأن الأسـتاذ "أمـين يكـن" والأسـتاذ"زهير الشـاويش" همـا بطـلا الانشـقاق الـذي أصـاب الصـف الإخواني منذ عشر سنين.

3 – قلـتم: "الأخ الشـهيد مـروان حديـد ــ رحمـه الله ــ كـان مـن أبنـاء الجماعـة ملتزمـا معهـا، لم يتركهـا، ولم ينفصـل منهـا.."، يـالله ! إلى هـذا الحـد تصـل المغالطـات ؟ أبعـد كـل حمـلات التجـريح والتشـهير بمـروان، والـتي ذكـرت صـحف النصـيريين بعضـا منهـا علـى ألسـنة المتهمـين مـن "قافلـة الشـهداء الأولى"، أبعـد هـذا يخـرج مـروان مـن أبنـاء الجماعـة ملتزمـا معها ؟

إن مأسـاة مـروان معكـم ــ يـا سـادة ــ لم تعـد خافيـة علـى أحـد.. واسـألوا الأسـتاذ"فتحي يكـن"، مـاذا تكلـم مـع الشـهيد حسـني عـابو بشـأن مـروان عنـدما تقـابلا في طـرابلس واسـألوا كـل فـرد مـن القاعـدة عنـدكم، مـاذا كنـتم تقولـون بعيـد اعتقال مروان، وبعيد استشهاده، وبعيد كل عملية كان ينفذها جنوده الصامتون ..؟؟ اسألوهم ! !

وإذا كـان مـروان كـذلك، كمـا تقولـون، فلمـاذا شـكّل الطليعـة المقاتلـة إذن ؟؟؟ ولمـاذا قبـل البيعـة مـن إخوانـه ؟ ولمـاذا فصـلتم حسـني وزهـير وعـدنان وعبـد العزيـز وعصـام ومجاهـد وهيـثم...مـن صـفوفكم ؟ خوفـا علـى تنظـيمكم مـن هـؤلاء الفوضـويين كمـا زعمـتم.. وإنـه لا يـزال بـين أظهـركم مـن يفخـر ويعتـز أنـه السـبب في فصـل وتصـفية عـدنان مـن تنظـيمكم،

فهل لا زلتم تعتبرونني من تنظيمكم، وأنتم الذين فصلتموني منذ أربع سنوات ؟ أجيبوا يا سادة.. أنا لا أتصور إلى أي حدّ تزوّرون الحقائق...

4 – قلتم: "صلاتنا مع الأخ الشهيد عبد الستار الزعيم، واتفاقنا معه منذ مطلع عام 1978 لم يعد خافيا على الدولة نفسها.."

أمور الجماعة _ الطليعة _ لا يخفى عني شيء منها، وصلاتكم تلك هي نوع من الحوار الذي كان يقوده مقاتلو الطليعة مع الطرفين، وعلمي، حتى آخر لقاء مع الشهيد عبد الستار، وكان قبل عشرة أيام من استشهاده، أنه لم يجرِ شيء جديد وأذكر أنه قال في حينها: "إنني أدعو الله أن يجمعهم في جهنم إذا أبوا الاجتماع في الدنيا" وكان يعني "طرفي دمشق وحلب" كذا والله ! ..

ومعلوماتي القطعية الثابتة أن مجلس شوراكم لم يكن على علم _ البتة _باتصالاتكم مع الشهيد الزعيم.. فكيف تريدون إقناع الناس بهذه الادعاءات، وأعلى هيئة مسؤولة عندكم تجهل كل شيء ؟؟ أقنعوهم في البداية، ومن ثم أقنعوا الآخرين...

5 – قلتم: "جندية الأخ الشهيد عبد الستار...والتزامه مع الجماعة عن طريق الأخ المراقب العام، كذلك لم يعد سراً.."

نحن هنا _ يا إخوتنا _ لا يزال سرا عندنا والله، ونسألكم ثانية: هل يعلم مجلس الشورى عندكم بهذه الجندية ؟ أجيبونا.. فإذا كان الجواب بالنفي، وهو كذلك طبعا، فكيف يحصل هذا في جماعتكم ذات النظام والمؤسسات والهيئات الشورية (!)،والتي لا زلتم تصرون أنها كذلك، وأن القرارات المتخذة فيها تبت بها كل هذه الأجهزة، وفق النظام الداخلي للجماعة ؟؟؟

6 – قلتم:"اتخذنا قرارنا المعروف بخوض المعركة، وتعبئة جميع القوى والطاقات بعد عملية مدرسة المدفعية.."..وسأناقش معكم هذا الكلام: هل أطلقتم طلقة واحدة في سورية ؟ ألم يقل الشيخ سعيد في رسالته لعمير : "لقد فشلنا.. وكنا نصطدم دائما باستفراد الإخوان في أعمالهم، وبقلة خبرة بعضهم.."..

ألا يفهم من هذا الكلام، اعترافكم الصريح أن صلتكم بالأحداث ابتدأت بعد عملية مدرسة المدفعية ؟ لا تغالطوا أنفسكم ! ! يا إخواتنا..

7 – قلتم: "مذ أن اتخذنا قرارنا بخوض المعركة، كنا ننظر إلى إخوتنا مجموعة الشهيد مروان على أنهم جزء من الجماعة لا يوجد مبرر لانفصالهم عنها"..

هذا كلام جميل.. ونحن نشارككم الرأي فيه.. ولكن ليس تحت ظل قيادتكم المتولية من الزحف..وأسألكم هل ترضون بالعمل تحت قيادة الطليعة ؟؟

ستجيبون بالتأكيد: لا، لأنني سمعت الجواب من الأخ "أبي عبد الله [14] مشافهة إذاً كيف تريدون منها أن تنضوي تحت قيادتكم الفارة وترفضون الانضواء تحت قيادتها الميدانية، التي تتشرف بخوض غمار أنبل معركة تعرفها سورية ؟؟

---

[14] علي بيانوني لما نزل إليه لإقناعه بقيادتهم

عرضنا عليكم ولانزال تشكيل قيادة ميدانية، وليوجد في هذه القيادة من يوجد.. لعلمنا أنه لن يوجد فيها إلا المخلصون ! لأن الأمانة كبيرة والمسؤولية جسيمة.. هذا هو الحل الوحيد إذا رغبتم به، وآثرتم التخلي عن كراسيكم لمصلحة الثورة الإسلامية، ...أذكّركم ثانية أن كلامكم ذاك يدينكم، فهو اعتراف صريح منكم باستقلالية الطليعة، واستقلالية قرارها.

8 – قلتم: "إن نشرة النذير الناطقة باسم المجاهدين في سورية(!)، صدرت بناء على اقتراح الشهيد الزعيم.."، فإن كان الأمر كذلك فلم قلتم عن أكبر عملية نفذها المجاهدون، ما يحرق الأكباد، في "النذير" تلك! ! وبالحرف الواحد في العدد الأول:

"والحق أن المجاهدين وإن لم يكونوا المسؤولين عن عملية مدرسة المدفعية إلا أنهم كانوا مسؤولين عن عمليات سابقة ولاحقة لا تقل أهمية عنها..."

هل طلب إليكم المجاهدون هذا ؟ ولما سألناكم أجبتم: كنا محرجين أمام كثير من الدوائر في الداخل والخارج، فاضطررنا إلى هذا الكلام، وإلى إصدار البيانات التي تنفي مسؤوليتنا عن العملية" .

يا سادة.. أن تصدروا بيانات ونشرات تنفون فيها مسؤوليتكم عن العملية حق لكم، لا ينازعكم فيه أحد.. أما أن تنسبوا هذا النفي للمجاهدين، وخاصة في أكبر عملياتهم، فهذا ما نرفضه كلية، وسنسألكم عنه .. فنحن لم نشاوركم عندما نفذنا عملياتنا، واتخذنا قرارنا بالمواجهة..

وبالتالي لا نسمح لكم أن تتكلموا باسمنا أما عن حكاية إحراجكم "أمام كثير من الدوائر" داخلية كانت أم خارجية فيفهم منه أنكم لا تمتلكون الرؤية الواضحة والتصور الواضح لطبيعة المعركة، كما أنكم تفتقرون إلى المنطلقات الصحيحة، التي يجب أن تحاكم بها الأمور.

9 – قلتم: "إن عزمنا على المضي في خط الجهاد لا تشوبه شائبة بإذن الله.." رائع هذا الكلام، وسيكون أكثر روعة إذا تُرجم إلى واقع ملموس نحسه ونراه، ولكن للأسف لم نر شيئا إلى الآن..ونسألكم:

كم طلقة أطلقتم في سورية ؟ كم قطعة سلاح قدمتم للمجاهدين ؟ كم قاعدة قدمتم لإيواء المجاهدين ؟ كم جريحا عالجتم للمجاهدين ؟؟؟

10 – قلتم: "وإن واقع العمل يؤكد صدق توجهنا .. فوفرة الشهداء والمعتقلين والملاحقين من إخواننا .. حيث كان تواجدنا قويا..".

وأسألكم : هل تعتبرون المجاهدين الذين كان شرفهم أنهم انعتقوا من قيادتكم التحقوا بقيادة المجاهدين..لا زالوا من رعاياكم.. ما لكم كيف تحكمون ؟؟ هل سلحتم واحدا منهم ؟ هل آويتم واحدا من المطلوبين ؟ هل عالجتم جريحا من جرحاهم ؟ أجيبونا، نستحلفكم بالله !!

هل تظنون أنكم بإرسال حفنة دريهمات من أموالهم الطائلة تصلكم لتنفقوها هكذا عبثا.. أنكم قادة المجاهدين ؟؟ العين لا يزال فيها ماء يا ناس وبعد أن نموت فاصنعوا ما حلا لكم صنعه.. ولكن اعلموا أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وهـل تعتـبرون إبـراهيم وحسـني وزهـير ومجاهـد وعصـام..وعبد السـتار وفيصـل وبسـام مـن شـهدائكم؟؟ يـا للعجـب.. بالأمس كانوا مخربين وعلى رأسهم مروان

ــ واليـوم أضـحوا مـن شـهدائكم !!! ولا مـبرر لانفصـالهم ! إن دمـاء هـؤلاء الأبطـال يـا سـادة ومعهـم موفـق وأيمـن وعبـد العزيـز وعبـد الله ورامـز وعصـام...هـي الـتي ألهبـت حمـاس الجمـاهير، وفجّـرت طاقـات المسـلمين ولـيس القيـادات القابعـة وراء الحدود والمتاجرة بدماء الشهداء !

وتقولـون إن الكثـير مـنهم كـان تحـت قيادتنـا، وأجيـب: صـحيح، ولكـنكم عنـدما فـررتم وتركتمـوهم هـائمين علـى وجوههم، التحقوا بإخوانهم المجاهدين وأتمروا بأمر قيادتهم..

ويسعدني أن أذكـر ثانيـة مـن خـلال الـدم والرصـاص -أنـني سـأكون ممتنـا لكـم مـن أعمـاقي (إذا رجعـتم إلى الـبلاد وقـررتم الوقـوف إلى جانبنـا في الميـدان) أن أسـلمكم الحمـل الثقيـل الـذي علـى كـاهلي والـذي تنـوء مـن حملـه الجبـال .. فحـيهلا إلى دار الجهاد ! !

11 – قلـتم: "إن إمـدادنا المعركـة بالمال..إنمـا كـان حصـيلة تبرعـات إخواننـا في العـالم، وهـي أمـوال إخوانيـة، وصـلت مـن تنظيماتنا الإخوانية.."

لماذا تصرون على هذه ال "نا" ؟ فالأموال ليست من جيوبكم، والشهداء والسجناء والمطلوبون ليسوا أبناءكم.

وأسـألكم سـؤالا واحـدا أطلـب الإجابـة عليـه: الإخـوان المسـلمون في سـورية امتحنـوا عـام الدسـتور (1973) ولكـنهم لم يطلقـوا طلقـة واحـدة أنـذاك ــ كعـادتهم ــ فلمـاذا لم تتـبرع لهـم تنظيمـاتكم الإخوانيـة العالميـة بقـرش واحـد ؟؟ يكفينـا مزايدات..

حركـة الجهـاد في سـورية، اسـتنفرت همـم المسـلمين، وهـي وحـدها، ولـيس الإخـوان كمـا تتوهمـون.. والـذين يتبرعـون بـأموالهم بسـخاء يتبرعـون للمجاهـدين وللمجاهـدين فقـط مهمـا تكـن اللافتـة الـتي يحملونهـا.. تمامـا كتـبرعهم للمجاهـدين الأفغان، ولا يمكن بحال أن يقال : إن هؤلاء الأفغان من الإخوان المسلمين.

إنـني أحـب أن أوضـح أن المـال الـذي يتـدفق علـيكم كالسـيل، ولا أدري أيـن تبعثرونـه.. أمانـة في أعنـاقكم، وسنسـألكم عنها..

نحـن الآن بمسـيس الحاجـة إلى الليـرة الواحـدة، بـل ملايـين الليرات...وأنـتم تسـاومونا علـى حـق مـن أبسـط حقـوق المقـاتلين، فتسـليح واحـد مـن المجاهـدين ببندقيـة روسـية، ومسـدس عـادي، وذخيرتهمـا، يكلفنـا عشـرة آلاف لـيرة سـورية وشـراء قاعـدة واحـدة لإيـواء مجموعـة مقاتلـة، يكلفنـا مـا لا يقـل عـن مائـة ألـف لـيرة...ولا تخفـى علـيكم هـذه الحقـائق فـأنتم أبناء البلد.

12 – قلـتم: "إننـا نحـرص علـى إخوانيـة المعركـة.. ضـمانا لسـيرها في الطريـق الصـحيح..وفق أفكـار الإخـوان المسـلمين وفهمهـم الإسـلامي الصـحيح وكـذلك حرصـا علـى مشـاركة جميـع المسـلمين مـن خـلال تنظيمـات إخواننـا في العـالم وإن تعـاطف المسـلمين مـع الثـورة وتلاحمهـم معهـا في كـل مكـان... يعـدو إلى حـد كبـير إلى ثقـة هـؤلاء المسـلمين بجماعـة الإخـوان المسلمين وفكرها وتاريخها وقياداتها..."

وتعليقنا على هذا الكلام هو:

- نحـن نحـرص علـى إسـلامية المعركـة، ولا نعـرف الحزبيـة الضـيقة.. ونعـرف الأفكـار الإسـلامية" وفهـم الشهيدين البنا وقطب، ومن ثم فهم الشهيد مروان، وتطبيقه العملي لهذا الفهم...

- معلومـاتي أنـه لم يـأت حـتى الآن إخـواني واحـد مـن وراء الحـدود ليقاتـل مـع المجاهـدين داخـل البلاد..فهـل عندكم غير هذا أفيدونا يرحمكم الله ؟ وصححوا لنا إن كنا مخطئين...

- معلومـاتي الحاليـة، أنـه لا يـزال في صـفوف جماهيرنـا- حـتى هـذه اللحظـة- مـن يصـرون علـى ارتبـاط الإخـوان بجهـة أجنبيـة، وبالتـالي أيـة ثقـة هـذه الـتي يثقهـا المسـلمون بـالإخوان ؟؟؟ وبفكـرهم ؟ وتـاريخهم ؟ وقيـادتهم؟ ومـا هـي معلومـات جماهيرنـا العريضـة عـن فكـر الإخـوان وتـاريخهم وقيـاداتهم ؟؟ كـل مـا عنـد الجمـاهير هـو أن الإخـوان عمـلاء الأمريكـان، كمـا رسّـخ في أذهـان النـاس فرعـون مصـر .. العبـد الخاسـر، هـذه هـي الحقيقـة! فـلا توهمـوا أنفسـكم بغيرهـا.. أمـا إذا أذهلـتكم المفاجـأة، وحجـم الانتصـارات، وضـخامة الإنجـازات فـلا تظنـوا أنهـا حصـلت مـن أجـل سـواد عيـونكم ! ! لا والله، إنهـا ببركـات دمـاء الشـهداء الـذين شـرفهم المـولى بالالتفـاف حـول مـروان ــ ولا أحـد غـيره ــ وإننـا في حوارنـا مـع أي تجمـع إسـلامي، أولى العقبـات الـتي تعترضـنا.. الـتحفظ علـى القيـادات التقليديـة للإخـوان! ! علـى حـين أن الجميـع متفقـون علـى نقـاء خـط الطليعـة وصـفائه، لأنهـم مجمعـون علـى نقـاء وصـفاء وإخـلاص قائـدها الشـهيد مروان رحمه الله .

وأزيـدكم، عـن النـاس عنـدنا، لا تصـدق أن مـا يجـري هـو مـن صـنع الإخـوان تمامـا كواقـع حـالكم ! ! وذلـك لعلمهـا أن الإخـوان لم يكونـوا بهـذا المسـتوى في يـوم مـن الأيـام، يشـهد علـى ذلـك تـاريخهم الطويـل .. خمسـون عامـا مـرت، مـاذا حققـوا خلالها.. إلا الذل والقهر والسوق إلى السجون والزنازين.. كالنعاج ! !

13 - قلـتم "تشـكيلاتنا الجهاديـة المسـتقلة في جميـع المحافظـات، أحـدثناها بعـد تشـاور مـع الأخ عبـد السـتار، وبنـاء على اقتراحه"..

وقلـتم أيضـا: " إن معظـم شـباب الإخـوان الـذين التحقـوا بالعمـل معكـم في حلـب وفي غيرهـا إنمـا التحقـوا بنـاء علـى طلب الجماعة وتوصيتها المباشرة وغير المباشرة".

أشـهد والله إنهـم في حلـب، التحقـوا بعـد أن لفظـوا كـل القيـادات المنهزمـة والمتخاذلـة والـتي كانـت أعجـز مـن أن تـردّ علـى تسـاؤلاتهم الكثـيرة. ورغبـتهم الجامحـة في الالتحـاق بـإخوانهم.. وكـم سمعـوا: أن المجاهـدين هـم مـن جماعـة مـروان حديـد ولا علاقة للجماعة بهم (!!)..هذا واقع لمسناه وعرفناه ولا مجال لإنكاره..

إن دمـاء شـهداء الطليعـة، النازفـة بغـزارة، ألهبـت مشـاعر كـل المسـلمين، ومـن كـل التجمعـات الإسـلامية الكريمـة الأخرى..

وفي صـفوفنا ــ يـا سـادة ــ السـلفي والصـوفي والإخـواني..إذ كيـف لمسـلم أن يقـف ويتفـرج علـى إخوتـه وهـم يموتـون في سبيل الله ؟؟

ألفـت نظـركم إلى التنـاقض الحاصـل في كلامكـم السـابق. فمـرة تتكلمـون عـن تشـكيلاتكم المسـتقلة، ومـرة تتكلمـون عـن الملتحقـة بنـا، ومـرة تتكلمـون عـن عـدم وجـود مـبرر لبقائنـا خـارج جماعتكـم، بعيـدا عـن قيـادتكم، وربمـا خطـر لكـم أكثـر مـن ذلك !

14 – قلتم: "إنكم، طيلة تعاملنا معكم، لم تستشيرونا في تحديد هدف.. أو بيان حكم شرعي، أو اتخاذ موقف أو قرار سياسي.." .

هذا الكلام صحيح، وهو اعتراف صريح منكم.. أن الطليعة كانت وحدها ومازالت، ولله المنة والفضل، وصاحبة القرار، وصانعة الأحداث.. وأضيف ما يلي:

تعاملنا معكم، لم يكن إلا ماليا، والعلاقة بيننا حتى الآن، لم تكن لتتجاوز هذه الحدود.. ولا يمكن أن تكون أبعد من هذا، طالما أنكم لا تزالون تصرون على البقاء في أبراجكم العاجية...

بصراحة، نريدكم أن تأتوا لتموتوا في سبيل الله كما مات إبراهيم وعبد الستار وحسني وفيصل وبسام ويوسف وأيمن وموفق...وغيرهم وغيرهم ...وقبلهم القائد الكبير مروان...كما ماتوا في سبيل الله.

وعندها لا فرق البتة بيننا وبينكم، عندها ستجدوننا ملزمين بالسعي إليكم للوصول إلى النتائج الإيجابية التي تخدم العمل الإسلامي..

أما أن تصروا على البقاء وراء الحدود، وأن توجدوا ــ من ثم ــ المبرر لكثير من المسلمين بمغادرة البلاد ــ كما فعل كثير من العلماء ــ فهذا لا يمكن لنا السكوت عليه.

15 – اتهمتموني ــ شخصيا ــ بالتشكيك بقيادتكم للمجموعة التي تمثلونها.. واتهامكم بالعجز والتقاعس والبخل والتقصير.. وهذه أعترف بها أمام كل الناس ولا أبالي، ولا أستحي من الحق.. وأسوق ظاهرة واحدة على صدق دعواي. قلت:

عندما زارنا الأخ "أبو عبد الله" وتبين الآن أنكم أرسلتموه ليحل محل المسؤول الذي لا يسمع ولا يطيع، كما صرح لي أحد الإخوة الذي سمع منكم هذا الكلام أبلغنا أنه لن يغادر سورية.. وفوجئنا به يغادرنا حتى دون كلمة وداع، وعلمت من بعد أنه سيعود في غضون أسبوعين.. وحتى الآن لم نر أحدا، وأحسب أننا لن نرى أحدا، كما هو الواقع..

ومن خلال الحوار مع أبي عبد الله، والبحث بقضية المال كان يصر على أن المال كثير، واطلبوا ما شئتم ونحن ندفع، والمال حتى الآن يأتينا بالقطارة ! وكم قطعت عندنا القطارة ! وهي مقطوعة الآن ! ! !

إن احتياجاتنا الشهرية الآن لا تقل ــ أبدا ــ عن مليوني ليرة، وكل ما وصلنا منكم حتى الآن لا يتعدى خمسة ملايين، والمال عندكم كثير كثير كما صرحتم في أكثر من مناسبة.. فأين أنتم من الثورة ؟؟ سامحكم الله..

16 – تأخذون علينا أننا نطلب من كل أخ يرغب بالعمل معنا أن يلتزم التزاما كاملا بقيادة الطليعة، ونحن لا نجد مبررا لمآخذكم تلك، خاصة وأنكم وهذا طبيعي لا تقبلون في تنظيمكم، سابقا وحاليا ولاحقا، من يحمل شخصية مزدوجة، كلنا نرفض الازدواجية، ولا يقوم العمل إلا بالولاء، لقيادة واحدة.. ولا نستطيع أن نقبل في صفوفنا من يتلقى من مصدرين، حتى لا نقع في مآزق وإشكالات هذه هي قناعتنا، فمن أرد أن يعمل تحت قيادتنا فهو ملزم بالسمع لها والطاعة، وإلا فهو وقناعته، وليلتزم مع من شاء، ولا يمكن لنا أن نفرض رأينا على أحد.

17 – أعربتم عن استيائكم من جراء إذاعة الرسالة الموجهة لأخي عمير في حماة...استياؤكم ليس في محله، فالذنب ليس ذنبي، وأخي عمير هو المسؤول إن لم يتلف الرسالة، وكان الأولى بكم أن تعاتبوا، وأن تحاسبوا إذاعة النصيريين التي أذاعتها.

علـى كـل حـال، الرسـالة تركـت انطباعـا جماهيريـا جيـدا، لمـا حوتـه مـن روح إسـلامية عاطفيـة، إضـافة إلى أنها أجـبرت السلطة على تسخير إعلامها لمدة عشر دقائق للدعاية للإخوان المسلمين في كل مرة كانت تذاع.

18 – تأخـذون علينـا سـعينا لإعـداد إخوتنـا عنـدكم..لماذا ؟؟ إلى مـتى سـيبقون هكـذا بـدون إعـداد ؟ لقـد قلـت لـلأخ أبي عبـد الله: بـافتراض أننـا لم ولـن نتفـق ــ لا سمـح الله ــ فهـذا لا يعفـيكم مـن مسـؤولية إعـداد إخواننـا عنـدكم وتـدريبهم وتسـليحهم، فابـدؤوا .. ونحـن علـى اسـتعداد لتسـليحهم ولقـد سـلحنا الـبعض بمعرفـة الأخ أبي عبـد الله نفسـه فاسـألوه ! ونعلمكم أننا سنستمر في تحركنا في أوساط إخوتنا عندكم ، ليأخذوا دورهم في معركة المسلمين.. فلا تنزعجوا..

19 –كنـا نتمـنى ألا تجهـدوا أنفسـكم في تحديـد مـواقفكم، فـنحن نعـرفكم جيـدا والثـورة انطلقـت دون إذنكـم ومشورتكم، والمجاهدون نفذوا عملياتهم وأنتم عند نسائكم !!..

فـإن أردتم أن ترسـلوا أمـوال المجاهـدين، فحيـا وكرامـة، وجـزيتم كـل خـير، وإن أبيـتم.. فبـدل أن تنفقـوا شـهريا علـى أسـركم 150/دينارا فانفقوا 500 فالمال كثير عندكم !!!

أمـا نحـن، فإننـا علـى اسـتعداد أن ننـام في العـراء، وان نبيـت علـى الطـوى وقـد فعلناهـا والله وعشـناها حقيقـة واقعـة ولـن يثنينا عن عزمنا وهدفنا قوة في الأرض..

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

{ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون}.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. والله أكبر ولله الحمد.

حلب 29/من رجب/1400

11/من حزيران/1980

عدنان عقلة

جندي من جنود الطليعة المقاتلة الممثلة الحقيقية للإخوان المسلمين .

ملحق

علـى أثـر إدراككـم وإقتنـاعكم، مـن خـلال التجربـة، بصـحة خـذ المجاهـدين، وأنـه هـو الطريـق الصـواب.. سـعيتم، في محاولـة مـنكم للحفـاظ علـى مـواقعكم الـتي باتـت في خطـر، لقطـع الطريـق علـى الطليعـة المقاتلـة، جاهـدين للحـاق بالقطـار قبـل فـوات الأوان، ولقطـف ثمـار مـا غرسـه المقـاتلون، إذ عـزّ علـيكم أن تـروا مـن ضـاقت صـدوركم عـن احتـواء همـومهم ففصـلتموهم، هـم قبلـة الأنظـار ومهـوى الأفئـدة، وأنـتم تتـوارون في زوايـا النسـيان.. وقـد تبـدى سـعيكم ذاك ومحـاولاتكم تلك في صور شتى، أذكر منها:

1 – أعلنـتم عـن أنفسـكم –للقاصـي والـداني– أنكـم قـادة المجاهـدين، وتحـركتم في أوسـاط الإسـلاميين–داخليـا وخارجيا– علـى هـذا الأسـاس !! علـى حـين، أنكـم تعلمـون، تمـام العلـم أن لا صـلة لكـم بالمجاهـدين، لا مـن قريـب ولا مـن بعيدن وأنكم تفاجأتم بالأحداث تماما، كما تفاجأ بها رجل الشارع العادي !!

2 – ادعيـتم –بعـد فشـل محـاولتكم تلـك– أنكـم تنسـقون مـع المجاهـدين في الطليعـة المقاتلـة، وأنكـم تقيمـون معهـا أوثـق الصلات، إلى حد ادعائكم وجود "غرف عمليات" مشتركة معها !! وأنتم تعلمون بطلان هذه الدعاوى كلها.

3 – فاوضتم–باسم الطليعة المقاتلة–فصائل إسلامية في الداخل،عرضت رغبتها بالعمل، وأنشأتم معها –من بعيد– "جبهة الثوار المسلمين" التي ولدت ميتة، لا حياة فيها..وأنتم تعلمون أن الطليعة لم تكن على علم بكل هذه المواقف.

4 – وزعتم بيانا على العلماء في سورية، باسم المجاهدين في الطليعة المقاتلة وحاورتم البعض على أنكم قادة المجاهدين !! وأنتم تعلمون أن المجاهدين لم يفوضوكم أن تكلفوا انفسكم، عناء إصدار بيان من وراء الحدود، فهم من خلال أعبائهم الجسيمة، ليسوا عاجزين عن إصدار مثل هذا البيان..

5 – سعيتم جاهدين للصلح الذليل، مع طاغية سورية، وتحرككم النشط في هذا الاتجاه، والذي قاده "أمين يكن"، لم يعد يخفى على أحد ولكنكم اصطدمتم برفض الطليعة، الطبيعي، للاستسلام الخانع الذي كلفتم أنفسكم مشقة البحث عنه، ومحاولاتكم اليائسة للضغط علي _ شخصياً _ عن طريق أحد العلماء.. أصبحت معروفة للجميع.

6 – اتصلتم بجهات عربية، عرضت تقديم المساعدة، لإسقاط النظام في سورية وتفاوضتم معها على أنكم قادة المجاهدين !! وأنتم تعلمون أنكم حتى ذلك التاريخ، لم تكونوا قد سمعتم كلمة واحدة من المجاهدين !

7 – شكلتم "قيادة عليا" للثورة الإسلامية (!)، تقود نفسها من وراء الحدود ولا سلطة لها إلا على الحاشية التي حولها من فلول المتولين من الزحف، وعلى كل نهنئكم على هذه الثقة الغالية التي منحتموها لأنفسكم، ونذكركم أن جماهيرنا قد أعطت ثقتها إلى القيادة التي تستحق الثقة في أروع استفتاء ميداني عرفته سورية...

8 – كل هذه المواقف السالفة الذكر، جرت دون أن يكون للطليعة المقاتلة وقادتها علم بأي منها.. مما يؤكد حرصكم الشديد على الظهور بمظهر صانعي الأحداث في سورية، والبقاء _ من ثم _ على كراسيكم السابقة إضافة إلى الأمجاد والمغانم التي تكسبونها، من وراء هذا المظهر الزائف.

9 – نذكركم بتقوى الله _ عز وجل _ والعودة الحميدة الصادقة إلى صفوف المجاهدين، لتأخذوا مواقعكم فيها، وأن تزيلوا من أذهانكم نهائيا كل تعلق بالجاه والمغنم والدنيا.. ففي هذا فلاحكم وسعادتكم في الدارين، إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبراكاته.

عدنان.

29 رجب 1400

11 حزيران 1980

9 – اتخذ الإخوان وقيادتهم وراء الحدود قراراً بوجوب إنشاء جهازهم العسكري الخاص، وبدخول الحرب كجهة مستقلة عن الطليعة، ولم يغير هذا من إعلامهم شيئاً، إذ استمروا يقدمون أنفسهم كمسؤولين عن كل العمل السياسي والعسكري المعارض والهادف لإسقاط النظام السوري وإقامة حكم إسلامي محله بما في ذلك تبني عمليات الطليعة العسكرية ونسبتها إلى قيادتهم.

الطليعة المقاتلة وتراجع العمل العسكري

تابع العمل الجهادي العسكري تقدمه في الفترة التي تلت حادثة المدفعية، ووقعت اشتباكات متعددة وشديدة في كل من مناطق حلب وحماة وحمص وإدلب والساحل وبعض الأعمال العسكرية في المنطقة الشرقية والجنوبية، وكذلك في دمشق. وبلغت وتيرة أعمال

الاغتيالات التي نظمت ضد شخصيات النظام العسكرية والسياسية، ورجال الأمن السياسي والعسكري، وأعوان النظام وأعضاء حزب البعث المرتدين من أبناء المسلمين أو من سُمّوا (المخبرين)، بلغت وتيرة عالية حيث وصلت في مدينة حلب إلى ما يزيد على عشرة اغتيالات يومياً، عدا أعمال الهجوم والكمائن التي هوجمت بها مراكز السلطة والحزب والأمن ودوريات المخابرات. وجاءت فترة سادت بها قوة المجاهدين، وفَقَدَ النظام أعصابه تماماً، وبلغ التأييد الجماهيري حداً غير متوقع كانت ذروته في الأسبوع الأول والثاني والثالث من شهر آذار 1980 حيث اجتاحت المظاهرات الجماهيرية سائر مدن سوريا الهامة، منددة بالسلطة والنصيريين والبعثيين وبأسد وبنظامه مؤيدة المجاهدين، مطالبة إياهم بإعطائها السلاح لمشاركتهم الثورة ولم تمر هذه الأحداث دون مئات الضحايا، وأبدى النظام استعداداً همجياً وقحاً للبطش بالأهالي، وحوّل الصدام من كونه مع فئة محدودة من الشباب المسلم المجاهد إلى صدام مع سائر الشعب المسلم في البلاد.

بعيد هذه المظاهرات الجماهيرية اتسعت كوادر التنظيم الجهادي وتكاثر أنصاره، وحمل هذا مزيداً من الايجابيات والسلبيات، وتطورت وتيرة العمل العسكري وطبيعة عملياته وخبرة أعضائه، وكانت حصيلة الجهاد ما يمكن تسميته نصراً مؤزراً بالنظر لواقع الشعب السالف الذي ألف الطغيان والسكوت عليه، فقد تحطمت هيبة السلطة تماماً، وثبت لكل الناس أن رصاص المجاهدين يمكن له أن يسقط تلك الرؤوس العاتية.

وإشارة واحدة إلى خسائر المجاهدين خلال الفترة الجهادية التي استمرت من ربيع 1979 إلى آذار 1980 تعطينا فكرة عن هذا النصر، إذ لم تتجاوز خسائر المجاهدين وحسب رواية عدنان عقلة الذي كان مسؤولاً عن العمل العسكري في حلب ثلاثاً وستين شهيداً، سقط معظمهم خلال مداهمة القواعد التي كانت تكشف بفعل المخبرين من عملاء النظام، أو بفعل اعتقال بعض المجاهدين ونادراً ما حصل هذا في تلك الفترة، حيث كانت مئات من العناصر والوحدات والسرايا من جيش البعث النصيري تحاصر القاعدة التي تضم ما لا يزيد عن خمسة أو ستة مجاهدين، ليدوم الاشتباك الباسل عدة ساعات تتكبد فيها السلطة عشرات القتلى والجرحى وليستشهد جميع المحاصرين من المجاهدين، ومن المثير للدهشة أنه لم يحصل أن استسلمت قاعدة أو مجاهد رغم نداآت الاستسلام وتمنيات السلطة التي كانت دائماً فاتحة عمليات الحصار.

بلغت ذروة إمكانيات المجاهدين في رمضان 1980 حيث استطاعوا أن يحطموا هيبة الدولة تماماً وأن يفرضوا أجواء إسلامية على بعض المدن لاسيما حلب وحماة، حيث أغلقت البارات ودور السينما والمطاعم خلال النهار ووقفت الدولة مكتوفة الأيدي.

وبالطبع فقد زادت خلال هذه الفترة وتيرة إرهاب الدولة، وأعمال البطش والنكال بالأهالي المدنيين كنوع من الثأر لفشلها المتكرر مع المجاهدين الذين كسبوا الساحة وملكوا زمام المبادرة وأصبحت أخبار الجهاد تتردد في جميع أنحاء العالم، وتشرق لها نفوس ملايين المسلمين داخل سوريا وخارجها ولاسيما بفعل الإعلام النشط الذي مارسه الإخوان في الخارج ليجنوا ثماره فيما بعد.

أما داخل البلد فقد انتشرت حواجز الجيش والأمن على الطرقات بين المدن وفي مفارق الشوارع الرئيسية وعمت الأجواء الإرهابية، وأصبح معهوداً رؤية الدبابات وعربات الجيش المصفحة، وجنود الوحدات بلباسهم المبرقع ووجوههم اللئيمة، توقف أياً كان للتحري والتفتيش والإهانة والسلب، كما صار معهوداً أن يحاصر الجيش حياً من الأحياء لتفتيشه وليداهم البيوت ليلاً أو نهاراً دون مراعاة لحرمة أو احترام لعرف أو دين، وكثيراً ما دخل فَجَرة الجيش المساجد فنكلوا بالمصلين ومزقوا المصاحف وداسوها وخرجوا يعربدون ويطلقون النار في الهواء ناشرين الذعر والإرهاب في أوساط المدنيين العزل.

مع أواخر رمضان 1980 بدأت كفة الإرهاب ترجح، وبدأت مسيرة الجهاد العسكري تتراجع بوتيرة حادة .. فصفيت الكثير من جيوب الجهاد في مناطق الساحل وجسر الشغور وإدلب والمناطق الأخرى، وتكبد المجاهدون خسائر فادحة لاسيما في حلب حيث أصبحت وتيرة انكشاف القواعد مرعبة ومؤسفة، وكثر استشهاد المجاهدين على حواجز الجيش في مفارق الطرق والساحات العامة بعد أن استخدم الجيش طريقة الحواجز الطيارة التي تهبط فجأة في مكان ما وتبدأ تفتيش السيارات والأفراد، وكثيراً ما اضطر المجاهدون المسلمون للاشتباك والاستشهاد أو الاعتقال بفعل هذه الطريقة، وزادت أعداد المخبرين وأذناب السلطة نتيجة هذا التراجع بعد أن خنسوا مذعورين فترة من الزمن.

بدأت مرحلة التراجع وزاد عدد المعتقلين من المنظمين الجدد الذين تدفقوا بالمئات على التنظيم أيام التقدم وكذلك في صفوف المدنيين الذين أبدَوا تعاوناً مع المجاهدين كإيوائهم وتزويدهم بالمؤن أو التبرعات أو تناقل منشوراتهم، وأصبحت أصغر التهم تؤدي بصاحبها إلى أقبية السجون حيث لا تعرف النهاية، ولاسيما في ظل القانون /49/ الذي حكم بالإعدام على كل من ينتمي للإخوان المسلمين، وهو الاسم الذي أطلقته السلطة من باب التعميم على المجاهدين وأعوانهم، وغدت تهمة الانتماء إلى الإخوان المسلمين يمكن أن تبنى على شبهة بسيطة أو عادية، حيث أودت هذه الطريقة بالألوف من الأبرياء الذين زج بهم في السجن ظلماً وعدواناً دون أن يكون لهم صلة بالجهاد في كثير من الأحيان.

كانت ذروة أعمال القمع التي مارسها الجيش النصيري ولاسيما بعد أن فشلت فصائل الحزب المدنية المسلحة التي شكلها للتصدي للمجاهدين، كما فشلت بعدها أجهزة الأمن السياسي والعسكري، كان ذروة ذلك هو الزج بعدد من الفرق والألوية العسكرية في المعركة وبإدارة الضباط النصيريين الكبار أمثال (علي حيدر) قائد الوحدات الخاصة و (رفعت الأسد) قائد سرايا الدفاع و (شفيق فياض) قائد الفرقة الثالثة و (هاشم المعلا) وغيرهم. فحاصر الجيش المدن وأغلقها وقام عدة مرات بعمليات تمشيط شاملة بحثاً عن الملاحقين والمسلحين ولم تأتِ محاولاته هذه بأكثر من إرهاب الأبرياء، حيث تجنب المجاهدون صدام الجيش أثناء علميات التمشيط وعمدوا للاختباء في قواعدهم المموهة التي كانت مبثوثة في الأحياء بين المدنيين بشكل جيد.

ومع تردي وتراجع المجاهدين، بدأت مرحلة صعبة من الملاحقة والنكال تعرض لها كل من كان له علاقة بالجهاد والمجاهدين أو أوساط الحركات الإسلامية، وبدأت مرحلة تدفقت فيها المئات والألوف فارّين من هذا الواقع تاركين البلد. فغادر البلد معظم الشيوخ والعلماء حتى الذين لم يكن لهم صلة بالجهاد خوف بطش السلطة الشامل، وتبعهم بذلك معظم وجوه الطبقة الإسلامية وكثير من المواطنين المتورطين بدعم المجاهدين أو بقرابة عائلية بأحدهم. وأخيراً اضطرت قيادة المجاهدين نفسها وكانت قد اتخذت قراراً بعدم السماح لمجاهد بمغادرة الساحة اضطرت للسماح لمئات المجاهدين الذين أصبحوا عبئاً ثقيلاً يتعذر تسليحه وإعالته وتأمين مخبأ له، فسمحوا له بالمغادة المؤقتة بانتظار انفراج الأحوال.

ولم يكن من مأمن ولا مقر إلا ذلك الذي هيأه الإخوان المسلمون في الأردن حيث تقاطر الشباب على مدينة الزرقاء حيث المركز الإسلامي مركز استقبال الإخوان الأردنيين للمهاجرين والفارّين والمشردين.

فكان جلّ المغادرين ومنهم المجاهدون ينزلون تحت إشراف قيادة الإخوان المسلمين الذين يهيئون لهم المأوى، ويصرفون لهم راتباً محدداً، ويشرفون على توزيعهم وإعدادهم وممارسة التوجيه المدروس عليهم، ولم يكن معظم هؤلاء المشردين يعرفون شيئاً عن خلاف طليعي إخواني أو غير هذا من المشاكل، نظراً لأن معظمهم من أبناء المسلمين الذين التحقوا بالجهاد أثناء الأحداث ولم يكن الوقت

ليسمح بفتح مثل هذه المشكلات. فوفَّر هؤلاء الأغرار لقيادة الإخوان قاعدة كبيرة نسبياً من الشباب تكمل بهم المجد السياسي الذي أنشأه الإخوان خارج الحدود في الأردن والعراق وأمّن لها قاعدة بشرية ترتكز عليها .

صُفيت جيوب الجهاد في معظم المناطق واحدة بعد أخرى ولاسيما مركز ثقله حلب، واستشهد معظم القادة الميدانيين للجهاد أمثال (النقيب إبراهيم اليوسف، أيمن الخطيب، عبد الله زيتوني، حسني عابو، زهير زقلوطة، عبد الغني بكار، عبد المعين السيد، ..) وبلغت خسائر المجاهدين في حلب وحدها على سبيل المثال خلال الستة شهور التي تلت آذار 1980 أكثر من (600 شهيد) قضى معظمهم في القواعد المداهمة أو على حواجز الأمن في الطرقات ولم يبق من جيوب الجهاد القوية سليماً إلا الذي تبقى كامناً في حماة ودمشق التي لم يدخل تنظيمها الذي أشرف عليه أيمن الشربجي المعركة بنفس الثقل الذي حصل في المناطق الأخرى وبعض الشراذم الضعيفة هنا وهناك.

واضطر عدنان عقلة أخيراً أن يغادر البلد في (1981) للعودة لبحث الحوار مع القادة المسلمين !! خارج البلد، وخلّف وراءه بضع قواعد صفيت كذلك خلال فترة قصيرة بعد مقتل الأخ الشهيد مصطفى قصار رحمه الله تعالى، وسكنت الحالة من جديد وعاد الهدوء، وسيطر الطغيان فاتحاً المجال أمام السلطة لتِثأر من السكان المدنيين.

وإذا أردنا أن نلخص أسباب هذه النكسة الفاجعة بعد ذلك الازدهار الرائع، يمكن أن نصنف ذلك في نوعين من العوامل، أولها متعلق بقيادة الإخوان المسلمين في الخارج وثانيها يعود لقيادة المجاهدين في الطليعة.

دور قيادة الإخوان المسلمين الدوليين في نكسة العمل العسكري (1979 –1980)

أولاً – قطع الإمداد المادي عن المجاهدين في الداخل:

بعد أن امتدت الثورة وحركة الجهاد العسكرية وتشعبت، ودخلت ميدان العمل الجدي أصبحت باهظة التكاليف مرتفعة النفقات، ولكي نعطي مثالاً عددياً يمكن أن نقول أن تسليح الأخ المجاهد الواحد بسلاحه الفردي المؤلف من بندقية كلاشنكوف ومسدس وبعض القنابل والذخيرة كان يكلف نحو عشرة آلاف ليرة سورية أي نحو (ألفي دولار) في حينها. ثم غدا أكثر مع ارتفاع أثمان السلاح نتيجة الحرب ونتيجة تعذر ايصاله بفعل الحصار الأمني، كما أن إنشاء مخبأ في بيت عادي بعد شرائه وإعداده كان يكلف بين مئتي ألف إلى مليون ليرة سورية حسب حجمه وأهميته.

هذه القواعد التي وصل عددها في حلب (1980) إلى نحو خمس وخمسين قاعدة لتضم أعضاء التنظيم المكشوف الذي كان في تضخم مستمر أضف إلى ذلك تكاليف المعارك، ونفقات حياة المجاهدين المفرغين والصلات والمعدات ومساعدة المتضررين وأسر الشهداء .. الخ.

كل ذلك رفع تكاليف الحرب التي لم تكن لتغطيها تلك التبرعات البسيطة على أهميتها، والتي كان يجود بها بعض المسلمين معرضين رؤوسهم للقطع، لذلك أصبحت الأموال البسيطة التي أرسلها قادة الإخوان المسلمين من الخارج والتي جمعت باسم الجهاد وعمليات المجاهدين وبواسطة المتاجرة بأخبار حروبهم ودماء شهدائهم، هذه الأموال التي وصل بعضها قبل بعثة (أبي أنس بيانوني)

للمفاوضة: أصبحت ذات أهمية استراتيجية، فلما وصلت محاولة سيطرة القيادة الإخوانية السياسية وراء الحدود على قيادة المجاهدين عسكرياً وإخضاعهم، إلى طريق مسدود، اتخذوا قراراً حازماً بقطع الأموال عن الداخل ونفذ القرار بإشراف القيادة التي كانت تدار من قبل عدنان سعد الدين — سعيد حوى — علي بيانوني — عبد الله طنطاوي — أديب الجاجة — محمد الحسناوي — وغيرهم، وفي الوقت الذي تكدست فيه مئات الملايين في حسابات القيادة الإخوانية — التنظيم الدولي — في الخارج والتي راحوا يتفقونها في تنظيم شؤون قواعدهم الجديدة، وفي بعض نشاطات التدريب الهشة والصلات السياسية والإعلام، ومئات وقل ألوف الأسفار التي قاموا بها هم ورؤساء أجهزتهم في كل أنحاء العالم للتخطيط لهذه الثورة الإسلامية العتيدة والتي ستكتسح النظام من وراء الحدود .. أو مئات الألوف التي أنفقت في المؤتمرات أو أعمال الإعلام التي لا طائل تحتها، وفي حياة رغيدة عاشتها القيادة وعناصرها في بيوت آمنة ومراكب وثيرة، في ذلك الوقت كان مئات المجاهدين يتضورون جوعاً في الداخل ولا يجدون ثمن طلقات بنادقهم التي صنعت ذلك المجد، وساء الحال أكثر فأكثر، ولم يكن بالإمكان تعويض القواعد المكشوفة فبقي كثير من المجاهدين من غير مأوى. واضطرت قيادتهم لتكديس أعداد كبيرة في قواعد صغيرة كانت تؤدي لخسارة عشرة أو خمسة عشر مجاهداً في مداهمة واحدة، ومع ازدياد الوضع سوءاً كان العشرات من المجاهدين لا يجدون مأوى إلا الحدائق والمقابر والبساتين والحمامات العامة .. وهم يحملون سلاحهم وعتادهم .. ومع استخدام الدولة لطريقة الحواجز الطائرة، والتمشيط المفاجئ، وقع العشرات ثم المئات منهم ضحية الفاقة والعوز شهداء على الطرقات وفي الحدائق والبساتين ... دون مقابل ..؟!

مرت فترة لايزال يذكرها العشرات من الإخوة الأحياء الذين كتبت لهم النجاة والذين قد يقرؤون سطورنا هذه فيتذكرون، كان المجاهد والاثنين والثلاثة ليتقاسموا دراهمهم فلا يجدون إلا دراهم معدودات، لاتكفي كفافاً ولاتسد رمقاً .... فساهم قطع أموال المجاهدين والتي تحكمت بها قيادة الإخوان مساهمة كبيرة واستراتيجية في دمار العمل العسكري واستشهاد الكثيرين من الإخوة، ولما سُئلت قيادة الإخوان فيما بعد كيف جوزوا لأنفسهم ذلك؟ أجابوا بأنهم لم يكونوا ليمولوا عناصر متمردة على الجماعة خرجت عن الطاعة ! هكذا قالها سعيد حوى والطنطاوي والجاجة وسعد الدين ..! أصحاب خطوات للأمام على طريق الجهاد المبارك ! وسبحان العادل!

ثانياً – سحب العناصر وإفراغ الداخل من المجاهدين:

كانت الخطوة السلبية الثانية التي قام بها الإخوان المسلمون هو اتجاههم نحو الداخل للاتصال بمن تبقى من شباب الإخوان المسلمين الذين انضموا للطليعة، فخاطبوهم باسم القيادة (الشرعية السابقة) الحالية للجماعة وقد لمت نفسها، ووصفوا لهم العمل العسكري القائم بالداخل بأنه طيش وانشقاق وأن القائمين عليه رفضوا الوفاق معهم .. الخ وقد لاقى هذا الكلام بعض الآذان الصاغية من شباب الإخوان الذين التحقوا بالجهاد لأنه لم يكن في فترة المحنة من طريق إلا هو، وكان الأمر قد اختلط فخرج بعض المجاهدين والتحقوا بشيوخهم وقادتهم ونتيجة للتداخل الذي كان حاصلاً في التنظيمات في الداخل. تابع الإخوان صلتهم، فكانوا يمدون كل هذه الأنواع من الشباب المسلمين الذين التحقوا بالجهاد ثم انقطعت صلتهم أو تعقدت أحوالهم، كانوا يمدونهم بالوثائق اللازمة، من بطاقات وجوازات كانوا قد أنشأوا لها جهازاً خاصاً في الأردن، وبالمال اللازم لإخراج من تبقى ممن يمكن إخراجه من ساحة المعركة لضمهم للحشد المتنامي تحت قيادتهم، وفي الوقت الذي كان لهذا العمل فعل إيجابي بصرف النظر عن نوايا فاعليه، إذ أنقذ الكثيرين من شباب الإخوان المقطوعة صلتهم وألجأهم للأردن بدل الضياع، إلا أنه في الوقت ذاته سحب العديد من الكوادر القتالية المدربة والمنفذة، والتي كانت بإمرة الطليعة بفعل أوامر الشيوخ، وأثر سلباً على العمل إذ أن هؤلاء الإخوة الذين أخلوا

مواقعهم، خلفوا وراءهم فجوات تنظيمية خطيرة أحياناً في جسم الطليعة، كما أن بعضهم قد اعتقل أثناء عملية الهروب غير المنظم فدل على ما يعلم من معلومات وقواعد للمجاهدين، وخلف بلبلة في صفوفهم، وقد حصل مثل هذا في جماعة الشيخ (أبي النصر بيانوني) الذي عمد إلى سحب من بقي من جماعته في الداخل رغم اتفاقه مع عدنان عقلة على الاستمرار ليبدأ بتجميع كيانه هو الآخر، وكان من أبرز مَن أشرَفَ على عمليات سحب الشباب من الداخل ولاسيما مناطق حلب وإدلب والشمال (عبد الله طنطاوي) [أبو سامي].

ثالثاً – ممارسة بعض النشاطات العسكرية غير المدروسة وغير المنسقة مع أهل الداخل

بعد أن اتخذت قيادة الإخوان المسلمين الدوليين في سوريا قراراً بقطع المجاهدين مادياً في الداخل، وإنشاء جهازها العسكري المستقل بما توفر لها من الحجم السياسي والقاعدة البشرية، والإمكانيات المادية المتوفرة بفعل الملايين من التبرعات الإسلامية التي تدفقت بفضل الله ثم أعمال المجاهدين، كان مهماً جداً لهذه القيادة أن تقوم ببعض الأعمال العسكرية الفعلية داخل البلد، لتثبت وجودها أمام مجاهدي الطليعة في الداخل كقوة فاعلة، وأمام قواعدها التي احتشدت في الخارج، وجلهم من المجاهدين الذين خرجوا من الداخل بنية العودة وهم يحملون صورة جد ناصعة عن القيادة، وكذلك أمام الحلفاء والأصدقاء السياسيين لاسيما في الجوار في الأردن والعراق، لذلك قامت قيادة الإخوان بإنزال بعض الشباب الذين كانوا قد خرجوا ثم تلقوا تدريباً وتوجيهاً في عمان وبغداد. كانت مهمة هؤلاء الشباب مركزة على محاولة بناء جيوب عسكرية خاصة بقيادة الخارج والانتقال لتنفيذ بعض العمليات العسكرية، ورغم أن الإمكانيات المادية كانت وفيرة إلا أنه لم يكتب النجاح لأي منها على الإطلاق، واعتقل أو استشهد معظم الذين نزلوا ونجى بعضهم فعاد مرة أخرى للأردن.

أما أبرز تلك المحاولات لإثبات الوجود العسكري، فقد كانت تلك التي نظمتها القيادة الإخوانية ولا سيما بإشراف سعيد حوى وعبد الله طنطاوي، وكانت إحدى الكوارث الفاجعة التي قامت بها قيادة الإخوان وكان ذلك في (1980) وكانت كما يلي: استدعت القيادة الأخ الشهيد (عمر مرقة) وهو مجاهد قديم وخبير في حرب العصابات وصاحب تجربة سابقة، ووُضع بإمرته نحو مئة من خيرة الشباب المجاهد الذين كان جلهم قد شارك بشكل أو بآخر في الأحداث الجهادية قبل خروجه ثم نال قسطاً لابأس به من التدريب في العراق، وأخبرتهم القيادة بأنه وعبر صلاتها الخاصة قد أمّنت لهم عشرات القواعد في الداخل بما يلزم من المعدات والأسلحة، ورصدت لهم كمية مناسبة من الأموال للقيام بضرب أهداف هامة في دمشق، بعد أن وضعت الجميع بمن فيهم القائد العسكري تحت إمرة رجل من الإخوان يدعى (فاروق أبو طوق) وهو زوج ابنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ولم يكن ليميز هذا القائد الأعلى المعين من قبل القيادة سوى ولاءه التام لشخصيات الإخوان الكلاسيكية، هذا الولاء الذي كان مشكوكاً فيه لدى معظم النازلين بمن فيهم عمر مرقة.

نزل الجميع ومع نزولهم إلى دمشق أسقط في أيديهم وبدت لهم المأساة والمهزلة الدموية بكل أبعادها، فالقواعد التي قيل أنها بالعشرات وأن لكل قاعد مقاتلة قاعدتا احتياط في حال كشف الأولى، كان عددها ضحلاً يكاد لايكفي النازلين كمأوى؟؟؟!، أما السلاح فكان غير متوفر وغير مؤمَّن، وحسب رواية كل الناجين من هذه المأساة وهم قليل فقد كان في بعض القواعد خمسة أو ستة مجاهدين ولم يكن لديهم إلا مسدس واحد من عيار (7مم) أما الأهداف المقترحة فلم تكن مرصودة ولامحدودة، ولابرنامج لعملهم !

! أما القائد الأعلى أبو طوق فقد كان رجلاً غريب الأطوار، خطط لعملياته بناء على أحلامه التي كان يراها في الليل ويعتبرها من الإلهام –وليس هذا من باب الدعابة فلقد كانت حقيقة عانى منها المجاهدون– وقتل معظمهم ونجى بضع عشرة مجاهداً منهم فقط.

وهكذا اجتمع عمر مرقة بالمجاهدين والذين كان منهم بعض الإخوة المدمشقيين فقط، وأفهمهم أنهم تحت الصفر بكثير وأنهم سيبدأون عملاً دؤوباً ليصلوا إلى الصفر، لتأمين بعض الصلات مع مهربي الأسلحة، أو عن طريق بعض الإخوة المتعاونين مع الطليعة في الداخل، ولدراسة المدينة التي كان جلّ النازلين أغراباً عنها ... الخ.

وبدأ الشباب عملهم، وخلال فترة استطاعوا أن يوفروا بعض احتياجاتهم، وأن ينفذوا بعض العمليات الهامة، ثم بدأت قواعدهم تُكشَف بسرعة مثيرة للدهشة، وسقط منهم عشرات الشهداء في أقل من ثلاثة أسابيع واستشهد عمر مرقة مع مرافقه عندما كان على موعد مع مهرب السلاح والذي كان عميلاً للمخابرات .. ولم يصل للأردن سالماً منهم إلا بضعة عشر أخاً بمن فيهم القائد الملهم أبو طوق.

ورغم أن هؤلاء الناجين حاولوا مراراً كما حاول غيرهم من المخلصين من بعض قيادات الوسط فتح ملف هذا الأمر للتحقيق فيه، إلا أنه بقي ومايزال مقفلاً بقدرة قادر؟!.

وهكذا أثرت هذه العملية في عدة مناحي:

1– أزّمت الوضع في دمشق، وتركت أثراً سلبياً تماماً على خلايا (أيمن شربجي) الذي كان يسعى لإنشائها في ظروف هادئة، كذلك على خلايا الطليعة التي نزلت من حماة وحلب لمتابعة عمل يخفف الوطأة عن الشمال، ولم يكن بين هذه الجهات الثلاثة المتواجدة على الساحة أي تنسيق.

2– انتشرت الحواجز وأجواء الإرهاب في دمشق وأثر هذا جداً على معنويات المواطنين بسبب نجاح الدولة في تدمير العصابة كما كان يردد الإعلام.

3– قدمت العملية للدولة صيداً ثميناً جداً من خيرة المجاهدين الذين كان معظمهم مطلوباً للدولة.

4– نشرت البلبلة وضعفت الثقة في نفوس المجاهدين المحتشدين وراء الحدود، وكانت مثالاً عملياً على فشل العمل العسكري كما كان يردد القادة السياسيون باستمرار ... الخ.

ومن المحزن أن أكثر قواعد الإخوان المسلمين ومعظم قيادات الوسط وحتى بعض القياديين في الإخوان، لم يكونوا يعلمون بكل هذه المآسي فقد ساعدت التربية الطويلة وأجواء الثقة على التسليم للقيادة، ولم تنكشف خيوط اللعبة حتى ما بعد حماة المأساة الكبرى كما سنرى ...

دور قيادة الطليعة المقاتلة في
نكسة العمل العسكري (1979–1980)

نلفت النظر قبل الدخول في هذا البند إلى أننا نبحثه لاستخلاص العبرة وتسجيل الأحداث تاريخياً بكل حيادية للإفادة منها وتقديمها للمسلمين كما حصلت، ولانريد هنا أن نقف نقّاداً فقط لإخوان سبقونا على طريق الجهاد فشقوه بجهودهم وعبدوه بأشلائهم، وأبلوا بلاءهم وبذلوا وسعهم، وما كان لهم وهم المدنيّون من طلبة وعمال، يسلكون طريقاً جهادياً عسكرياً لأول مرة، أن يقوموا بحكم تجربتهم الضحلة بأحسن مما قاموا به والله أعلم، وكفاهم فخراً أنهم إن كانوا قد فشلوا في تلك الجولة في إيصال العمل

للنجاح، فقد ضربوا أروع المثل في الفداء والتضحية والتفاني وروح الاستشهاد والثبات، رحم الله شهداءنا، وفك أسرانا ورزق الباقين الثبات وحسن الإفادة من أخطاء الطريق لتطويره.

فقد كانت نياتهم خالصة لله وقلوبهم متجهة إليه وجوارحهم عاملة في خدمة دينه ونكاية أعدائه، نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما نحن فيجدر بنا أن نرصد أخطاء الطريق وأسباب الفشل لنسجل ملاحظاتنا عن الدور الذي لعبته إدارتهم للعمل العسكري والجهادي في وصوله في النهاية للفشل في تلك المرحلة التي امتدت من أواسط 1979 إلى أواخر 1981 وهي حسب رؤيتنا ومعايشتنا لها كما يلي:

أولاً – العمل دون مخطط وبرنامج استراتيجي مدروس

ويمكن القول أن كل الأسباب الأخرى التي سنتحدث عنها وما يتفرع عنها من أسباب هي نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لهذه المشكلة الرئيسية، إذ أنه لم يتوفر لقيادة العمل الجهادي، ومنذ أن بدأه مروان رحمه الله، وحتى تراجعه وانتكاسه، وبلوغه نهاية حدية مؤلمة في أواسط 1981 وينطبق هذا على كلا المرحلتين السرية والعلنية – لم يتوفر للحركة الجهادية وعملها العسكري قيادة ذات رؤيا استراتيجية تستطيع إدارة العمل وفق مخطط شامل مدروس، قائم على فهم منطقة العمل ودراستها دراسة جغرافية وسكانية وسياسية بالإضافة لفهم العدو وإمكاناته، وإمكاناتنا ومعطياتها والوسط الإسلامي وما يمكن أن يؤثر به أو يتأثر بفعل العمل الجهادي ... الخ ولذلك لم يكن في الأفق لدى قيادة المجاهدين أي تصور شامل، تقوم على أساسه الخطوط العريضة لخططهم وعملهم التنفيذي آخذين بعين الاعتبار ما قد يأتي به الظرف من مفاجآت، بل سارت الأمور بشكل فطري وعفوي، على الرغم من توفر كوادر أصبحت ذات خبرة من خلال ممارستها للعمل الجهادي، ولئن كان هذا لم يبدو خطيراً وذا بال في المرحلة السرية التي امتدت حتى نهاية 1978 فإنه كان خطيراً جداً في مرحلة الصدام العسكري الشامل التي امتدت حتى أواسط 1981 حيث صفيت معظم الجيوب العسكرية.

فما إن بدأت المعركة مع النظام حتى أصبحت البرامج العسكرية تتخذ بشكل شبه يومي وفي معظم المناطق، ولقد لخص عدنان عقلة مخططهم في تلك المرحلة وهدفه قائلاً: (كان مخططنا هو العمل على إرباك الدولة حتى نستطيع التوازن) ، هذا في الوقت الذي حشدت فيه الدولة كل قواها ومستشاريها الداخليين والخارجيين لإبادة هذه الفئة الخطيرة.

ثانياً – اللامركزية في إدارة العمل العسكري

فبعد انفجار الأحداث في أواسط 1979 آل العمل لشكل لا مركزي بشكل تام، وباستثناء بعض المراسلات التي كانت تتم بين عدنان عقلة وبعض قادة الجهاد في المناطق الأخرى ولاسيما في حماة، وبعض الصلات التي أقامها كل من قادة الجهاد الحمويين والحلبيين أو الدمشقيين وكل بمفرده بالمناطق القريبة منه كان العمل يدار بشكل لا مركزي تماما. ولم يتسن لقيادة موحدة للعمل العسكري والسياسي والإعلامي الجهادي أن تسيطر على العمل وتنسقه بين المناطق، مما أذهب معظم الانتصارات هدرا. وفتح المجال أمام الدولة لتسترد أنفاسها أثناء المعركة وتستلم زمام المبادرة وأن تصفي الجيوب الواحدة تلو الأخرى.

إن هذه اللامركزية تحولت في آخر الأيام بعد سلسلة النكبات العسكرية إلى عمل لامركزي على مستوى الأجنحة داخل المدينة الواحدة، ثم على مستوى المجموعات بل الأفراد فاختلط الأمر وأصابته الفوضى وضاعت فرصة الاستفادة من البطولات الفردية اليومية.

ثالثا: تصعيد الأحداث دون القدرة على ضبطها واستثمارها

مع انهيار هيبة الدولة وشخصية ممثليها في الأمن والجيش ورموز النظامن وذلك بعد سلسلة الانتصارات المتسارعة التي حققها المجاهدون شعر المجاهدون بنشوة النصر، فأخذوا يطورون عملياته ويكيلون الضربات المتلاحقة للنظام وأعوانه مصعدين الأحداث بشكل غير مدروس ضمن مخطط شامل للإفادة من هذه الأعمال والاستعداد لتحمل ردود أفعالها على مستوى الدولة والشعب ويمكن أن يدخل تحت هذا البند الكثير من الأعمال التي كانت رائعة بمفردها كعمليات ولكن التنظيم الجهادي لم يكن على مستواها، ولا على مستوى الإفادة منها، ولا على تحمل رد الفعل الهائل الذي خلفته عند النظام، مثل عملية مدرسة المدفعية، فقد وضعت هذه العملية الرائعة، وضعت التنظيم وهو في طور الإنشاء والتقاط الأنفاس في ظروف صعبة جدا في مواجهة كل أجهزة الدولة التي طار صوابها مما أعاق عملية البناء، ومن هذا إيصال حماس الشعب وتاوبه عبر المنشورات وتحريضه على الإضراب إلى مرحلة انفجر فيها بشكل عفوي فوضوي لم يستطع المجاهدون معه تنظيمه وتوظيف ثورته، بل وحمايته من النكال المتلاحق الذي ذهب بحماس أغلب الجماهير.

رابعا: توسيع التنظيم أفقيا دون القدرة على السيطرة عليه وتوظيفه وصيانته

كرد فعل غير مدروس من قيادة المجاهدين نحو تجاوب الشعب وثورته وتظاهره وإضرابه، عمد المجاهدون إلى الإعلان رسميا عن استعدادهم لضم كل مسلم يريد الجهاد إلى تنظيم المجاهدين، بل وسجل عدنان عقلة (فك الله أسره) ذلك صوتيا ووزع بلاغه على الناس. وكذلك عمدت قيادة المجاهدين في كل المناطق باستثناء دمشق إلى الامتداد الأفقي في صفوف الشعب ولا سيما في حلب وحماة، فدخل مئات الشباب ولا سيما اليافعون منهم خصوصا في مرحلة ما بعد آذار 1980، دخلوا في التنظيم وأصبحت مهمة تنظيمهم وإعدادهم وتسليحهم وحمايتهم من الاختراق المعادي بل وضبط غير الملتزمين منهم دينيا بشكل جيد وإدخالهم دائرة الالتزام مهمة فوق قدرة التنظيم بكثير.

فلم يكن بقدرة قيادة المجاهدين حسب إمكانياتها، إدخال كوادرها الملاحقة والمستترة في المخابئ بأسلحتها في المعركة، بل كان معظمهم لا يشارك في القتال رسميا في حين وقع القتال على كاهل القدماء منهم وكل حسب نشاطه واندفاع قائده الميداني، فكيف بإدخال هذا الجهاز الضخم غير المكشوف وغير المدرب في المعركة وبشكل محسوب ؟

إن هذا لا ينفي بالطبع أن بعضهم قد شارك فقد قام الجهاز الناشئ بأعمال رائعة من الرصد وجمع المعلومات ونقل الأسلحة وكثير من الأعمال التي لا يستطيعها الملاحقون المكشوفون.

مع بدء الفوضى والتراجع وقع جل هؤلاء المجاهدين المتحمسين الشباب فريسة للاعتقال العشوائي والسريع بفعل البناء الهرمي الذي أنشئ التنظيم على أساسه وكان كافيا أن يعتقل واحدا منهم لتوريط العشرات، وقد اعتقل جل هؤلاء الشباب وأعدم غالبهم لثبوت انتمائهم للتنظيم المسلح ودون محاكمات، وكان كافيا أن يعتقل واحدا منهم لتوريط العشرات، وقد اعتقل جل هؤلاء الشباب وأعدم غالبهم لثبوت انتمائهم للتنظيم المسلح ودون محاكمات، وكان فيهم من لم يبلغ الرابعة عشر من العمر !

وامتد أثر هذه الاعتقالات ليطال بعض أعضاء التنظيم القدماء لاتصالهم بالشباب الجدد نتيجة الاعترافات وقد استشهد آخرون في هذه المشكلة.

خامسا:فقدان قيادة المجاهدين لزمام المبادرة وعدم قدرتهم على تطوير الأسلوب

نتيجة لما سبق وللأسباب الخارجية أيضا فقدت قيادة المجاهدين زمام المبادرة مع حلول الشهر التاسع من عام 1980، واستمر ذلك حتى صفّى العمل في أواسط 1981ـ ولم تستطع قيادة المجاهدين التغلب على سلبيات طريقة العمل في حرب المدن والمخابئ والمواعيد (التقليدية) والتي أتت ثمارها واستهلكت وأصبحت معروفة لأجهزة الأمن والجيش، بل استمر العمل على نفس الوتيرة المستهلكة مما أعطى الفرصة للنظام وأجهزته في فهم الطريقة والتصدي لها وإيجاد شروخ في عمل المجاهدين بل ولاختراقات معادية خطيرة في بعض الأحيان.

ولعب هذا دورا مهما في خسائر جسيمة أدت مع باقي الأسباب لتلك النتيجة المؤسفة.

وخلاصة القول:

أنه في الوقت الذي بلغت فيه الأزمة أشدها والحرب أوجها بمقتضى الصدام العلني والمفتوح والموسع، بدت هذه المقاتل الذي بدأ أثرها يشتد على مجرى العمل الجهادي العسكري. ورغم ذلك والحق يقال فقد استطاعت قيادة المجاهدين في كثير من الأحيان أن تسترد أنفاسها، واستطاعت أن تحقق شيئا من شعارها (البناء من خلال المعركة) إلا أنه في اللحظات الحرجة ومع ارتفاع تكاليف الجهاد والثورة توقف الإمداد المالي من جهة الإخوان ولعب تدخلهم في الأحداث دورا سلبيا، فوقعت سلسلة من الاستشهادات الكثيرة طالت المئات لعدم توفر المأوى والذخيرة والسلاح الكافي بفعل الفاقة، فزاد هذا أمراض البناء العسكري الهش للتنظيم ، وجاء عنفوان السلطة وشدة قمعها وانكفاء الشعب ووقوعه في فخ الإرهاب النفسي لتجتمع كل هذه العوامل الداخلية والخارجية ولترسم النتيجة الحتمية ولتدخل حركة الجهاد بداية مرحلة المحنة، التي سنها الله تعالى لدعاته تمييزا للصف وتمحيصا للمؤمنين مصداقا لقوله تعالى: {ألم، أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} العنكبوت 1-2 . ولقوله تعالى: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} البقرة 154-156. وهذه سنة الله في خلقه والمؤمنين من عباده وليحقق مصلحتهم وفلاحهم وصدق الله العظيم.

الوفاق:

قبل خروج عدنان عقلة من الداخل بفعل تدهور العمل العسكري والفاقة القاتلة التي وقع فيها هو وأنصاره، كان عدد من الموفدين من الطليعة قد خرج للأردن في محاولة لإقناع الإخوان بنوع من التنسيق ودعم المعركة. ولم تكن تلك المحاولات على أهمية تذكر إلى أن ألجئ عدنان عقلة للخروج إليهم بغرض التفاهم.

وقبيل خروجه كان بعض من أنصاره قد شكلوا تكتلا خاصا بهم وباسم تنظيمهم (الطليعة المقاتلة)كما كانت غيرها من التجمعات قد تبلورت وعلى رأسها التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، والإخوان المسلمين تنظيم دمشق -أتباع عصام العطار- بعض الجماعات الأخرى وأبرزها جماعة أبو النصر بيانوني الصغيرة وما أنشئ من اتحاد بينها وبين العلماء باسم الجبهة، وجماعة سرور..الخ فلما خرج عدنان عقلة كانت جماعته متكتلة في تنظيم خاص، لهم علاقتهم

الخاصة مع العراق والأردن وسواها كتنظيم مستقل، فترأس ذلك التنظيم فور خروجه وكانت مشكلة وجود تكتلات ونزاعات بينها، وعلى رأسها نزاع الإخوان والطليعة قد غدت أمرا واقعا معروفا حتى من صغار الشباب، وغدت أكبر مشكلة نفسية يعاني منها مختلف المجاهدين الشباب على اختلاف انتماآتهم التنظيمية، وكان معظمهم من الذين كانوا قد عملوا في العمل العسكري الجهادي معا تحت قيادة الطليعة في الداخل وارتبطوا بعد خروجهم بتنظيم الإخوان المسلمين الذين آووهم ودربوهم وأصبحوا لهم قيادة، بل وكان منهم من له سابق قدم في الإخوان قبل عمله الجهادي مع الطليعة وأصبحت عودته لتنظيمه السابق أمرا عاديا مع حنين وتعاطف وحب لإخوانه في السلاح ممن شكلوا تكتل الطليعة وكان في قواعد الإخوان عناصر إخوانية كانت قد خرجت منذ البداية ولم تشارك في العمل العسكري، وكان في صفوف الطليعة وكذلك الإخوان المجاهدين لم تكن لهم أية سابقة تنظيم إخوانية...وهكذا كان الوضع التنظيمي والنفسي للشباب في مختلف الجماعات ولا سيما من شارك منهم في الجهاد معقدا ومتشابكا، وكان حلم الوفاق يراود نفوس الجميع لما له من أصول إسلامية هي أصول ديننا، ولما له من أثر في إراحة النفسوس والضمائر.

ومنذ خروج أبي عمار -عدنان عقلة-للعراق في (1981) أصبح الوفاق حديث الساعة في مختلف القواعد وعلى كافة المستويات، أما تنظيم العطار وكان صغيرا نسبيا وكانت له قيادته الخاصة المرتبطة بعصام في الخارج وكان منهم من قام بعمل جهادي أيضا مع طليعة دمشق ثم خرج والتحق بقيادة تنظيمه الأصلي فيما بعد. وهكذا تقاسمت هذه التنظيمات الثلاث (الإخوان-جماعة دمشق-الطليعة) تقاسمت جموع المهاجرين والوافدين من المهاجرين والمتضررين وكانت حصة الأسد من أعداد الشباب فيها من نصيب الإخوان المسلمين الدوليين، نظرا لطول الفترة التي بقوا فيها يستقبلون الناس، والإمكانيات المادية الهائلة التي صرفت على تنظيمهم وإنشاء المؤسسات اللازمة لخدمتهم وتحويلهم لجماعة منظمة سياسية شبه عسكرية، حيث وُزِّع الأفراد حسب البناء المركزي بناء على الانتماء للمحافظات...وهكذا دخلت قيادات الطليعة والإخوان وجماعة دمشق مسيرة الحوار من أجل الوفاق وابتدأ القادة سلسلة المؤتمرات والجلسات، وهللت القواعد وكبرت منتظرة ميلاد هذا الحدث السعيد، وقبل الدخول في سرد الوفاق الذي لم يعمر طويلا والذي ولد شبه ميت نسجل عدة أمور هامة:

أولا: إن مجاهدي الطليعة المقاتلة وعلى رأسهم عدنان عقلة دخلوا الوفاق عن حاجة مادية لولاها مادخلوه، فضلا عن أن معظم قواعدهم وسائر قياداتهم بمن فيهم أبو عمار وزملاؤه لا يثقون بقيادة الإخوان ولا يكنون لهم الحب، ويعتبرونهم قيادة عاجزة فارّة ذات ماض ملطخ بعرقلة مسيرة الجهاد منذ أيام مروان -كما مرّ-فكان دخولهم الوفاق محاولة منهم لإدخال الإمكانيات المادية الهائلة التي توافرت للإخوان بفعل جهاد الطليعة، ومحاولة لحمل الإخوان على دخول المعركة بمئات الشباب الذين تكدسوا تحت قيادتهم وبالتأييد السياسي والإعلامي لامتداداتهم الدولية آملين أن تكون أجواء المعركة، وعداء أسد النصيري قد دفع الإخوان لحمية للقتال وللقناعة به، ولم يكن للطليعة شرط على الوفاق سوى العودة للساحة وتسلم عدنان عقلة المسؤولية العسكرية.

فلما أحسوا أن الإخوان يعطونهم ذلك دخلوا الوفاق بإخلاص، وبقلوب بيضاء وخرج عدنان عقلة مع قيادات الإخوان في جولات مختلفة مصرحا بحرصه على الوفاق وبفرحه فيه وبتوعده لكل من يريد به سوءا.

ثانيا: إن قيادة الإخوان الدوليين نظرت للوفاق، كعمل ضمن سلسلة أعمالها التنظيمية السياسية الكثيرة التي قامت بها في الخارج لوضع يدها على كل خيوط الثورة الجهادية التي امتدت وأصبحت ذات سمت إقليمي وعالمي هام، فتصرفت تصرفا فوقيا ودبلوماسيا مدروسا كان الغرض منه إذابة من تبقى من التنظيمات الأخرى في تنظيمها وتوزيع كوادرها بين كوادر الإخوان التي تعد عبر برامج الدورات التدريبية وحملات التوجيه، ولما كانت قد تملكت الأسباب المادية وفهمت تماما حاجة التنظيمات الأخرى لها، سارت واثقة في مخططها الاستيعابي مستغلة صفاء أبي عمار واندفاعه نحو الوحدة للإسراع بعودته للداخل مع أكبر كمية من المجاهدين .

لذلك حرصت على الحصول على تصريحات مسجلة لأبي عمار ومختلف الشخصيات المهمة في صفه وصف غيره على أن الوفاق قد تم، وعلى أن من يخرج منه يخرج بشخصه فقط وليس بجماعته.

وقد استغلت قيادة الإخوان هذه الجملة المفيدة أحسن استغلال فيما بعد.

ثالثا: بالنسبة لأتباع عصام العطار أو ما سمي بتنظيم دمشق فقد كانوا أقل الأطراف فعلا وانفعالا في الأحداث، ودخلوا الوفاق مؤيدين لطرف الطليعة عموما نظرا لمشاكلهم التاريخية مع التنظيم الدولي وانشقاقهم الشهير. وعلى الرغم من أن عصام العطار نفسه قد قام بحملة إعلامية واسعة في أوربا تأييداً للمجاهدين منذ قيامهم وأسدى لهم النصح وبعض الدعم المادي بل وذهب لتبني العمل الجهادي تقريبا (وثيقة -4) رجع في إعلامه بعد فترة وجيزة إلى القول بعدم قناعته بالخط العسكري الجهادي المسلح، وبقناعته بالعمل الدعوي وأجواء الديموقراطية البرلمانية.. الخ مما هو معروف عنه، ولم تمض فترة وجيزة حتى انقسم أتباعه بين مؤيد للاستمرار في الوفاق، ومؤيد للخروج عنه، وانسحب عصام العطار نفسه من عملية الوفاق بعد فترة ولاسيما بعد انتشار أخبار التحالف الوطني، وتابع جزء من أتباعه البقاء فيه بمن فيهم أبرز قادته الدكتور حسن الهويدي الذي أصبح المراقب العام الجديد لقيادة الوفاق.

الوثيقة(4): إنموذج عن بعض بيانات عصام العطار حول الثورة الجهادية المسلحة التي لم يكن لجماعته علاقة بها، ويلفت الانتباه تسميته نفسه رئيسا للإخوان المسلمين وبعض الاصطلاحات: أنا أدعو...إننا نناضل في الحاضر...إنني أطلب إيصال كلماتي...الخ. ويجدر بالذكر أن هذه النماذج من البيانات كانت في مرحلة قمة الانتصارات الجهادية حيث سارع العطار وجماعته إلى نفي علاقتهم بالجهاد المسلح فيما بعد، بعد الانتكاسات الجهادية كما هو معروف...

بسم الله الرحمن الرحيم.

يا شعبنا المؤمن الأبي

إن أجيالك المتلاحقة لتعلم حق العلم بأننا على مدار سنوات حياتنا وجهادنا الطويل في سوريا وخارجها لم نطلب لأنفسنا نفعا، ولم نخش في القيام بواجبنا ضررا ولا خطرا ولم نسكت على باطل ولا ظلم، ولم تنم أعيننا قذ عن مآسيك الأليمة المديدة في ظل الحكم الدكتاتوري الطائفي الغاشم الآثم... وإننا نناضل الآن في الحاضر-كما ناضلنا في الماضي -لرفع الظلم والعبودية عن أبنائك جميعا دون تمييز وتوفير العدالة والحرية والكرامة لأبنائك جميعا دون تمييز، وإطلاق إرادتك المقيدة وطاقاتك المهدرة لتحقيق أهدافك وآمالك الكبرى...

يا شعبنا المؤمن الأبيّ

إنني أطلب إليك في هذه الظروف المصيرية الخطيرة أن تقف معنا -كما عودتنا-وقفة حاسمة تنقذ البلاد والعباد من الحكم الدكتاتوري الطائفي العميل، ومن إجرامه المستمر الذي تجاوز كل حد من الحدود ومن مخططاته الآثمة التي تربطنا دون إرادتنا بالشرق أو الغرب، وتسير بنا يوما بعد يوم إلى مزيد من العبودية والانهيار والدمار.

إنني أطلب إليك كخطوة مبدئية أولى في سلسلة خطواتنا المتتابعة إلى النصر والخلاص إن شاء الله:

- عزل الحكم الدكتاتوري الطائفي ومن يواليه من الشيوعيين والانتهازيين داخليا وخارجيا إلى أبعد حد، وعدم التعاون معه بتاتا في المجال السياسي والقمعي مهما كانت الظروف.
- الاستعداد المادي والنفسي لمواجهة شاملة على الصعيد الشعبي بالاضرابات والمظاهرات والعصيان المدني، وغير ذلك مما تدعو إليه الضرورة والمصلحة ..عندما تصدر بذلك التعليمات.
- تكوين لجان وطنية في مختلف المدن والقرى والأحياء لتنظيم نضال الشعب وتوفير أسباب تصاعده واستمراره، وحماية المواطنين وتأمين حاجاتهم الأساسية، ورعاية مصالحهم في مختلف المراحل والظروف.
- إيصال كلماتي هذه وغيرها إلى كل مواطن شريف وإلى كل بيت حرّ في مختلف أنحاء البلاد.

كما أطلب بشكل خاص إلى مواطنينا العلويين أن يبادروا إلى إعلان براءتهم من الحكم الدكتاتوري الطائفي القائم، وشجبهم له ولجرائمه المريعة التي يحمّلهم مسؤليتها أمام الشعب والتاريخ وأمام الله عز وجل، وأن يعلنوا بشجاعة وصراحة ووضوح موقفهم النهائي الكامل مع الشعب في نضاله المشروع ضد الدكتاتورية والطغيان والفساد والخيانة والإجرام.. حتى لا يستمر التباس الأمور، ولا يستقرّ في الأذهان -حسب الظواهر والوقائع- التطابق الكامل بين الطائفة العلوية والحكم الدكتاتوري الطائفي.. مما يمكن أن يكون له في الحاضر والمستقبل أوخم العواقب. ويجب أن يكون واضحا كل الوضوح لكل من يتعاونون مع الحكم الدكتاتوري الطائفي الإجرامي العميل في التنكيل بالشعب وانتهاك حرمة قائده وقيمه، ووأد حرياته وكرامته وقتل خيرة رجاله وأبنائه .. يجب أن يكون واضحا لهؤلاء -مهما كان شأنهم- كل الوضوح- إن لم يثوبوا عاجلا لرشدهم وواجبهم- أنهم سيحاسبون أدق حساب على خيانتهم لله ورسوله والمؤمنين، وعلى جرائمهم النكراء بحق الأمة والبلاد.

يا شعبنا المؤمن الأبيّ

إن ثورتك الإسلامية الأصيلة المنبثقة من عقائدك وقيمك، ومن آلامك وآمالك، ومن لحمك ودمك وفلذات كبدك، ومن رصيدك التاريخي الغنيّ بالبطولات والتضحيات، ومن واجبك الديني والوطني الكبير في هذه الظروف المصيرية الخطيرة من حياة العرب والمسلمين.. إن ثورتك الإسلامية العتيدة ستتابع خطاها الواثقة المصممة-مهما كانت العقبات والتضحيات – إلى النصر بعون الله.

وإننا لنمد أيدينا على طريق جهادنا الخالص في سبيل الله إلى كل مواطن حرّ وإلى كل فئة مخلصة من فئات الشعب تتلاقى معنا على الغاية والطريق.. متوكلين أولا وآخرا على الله عز وجل واثقين كل الثقة بنصره الموعود:{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}

عصام العطار

16 شوال 1400هـ و 26 آب 1980

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة

إلى المسلمين في كل مكان من العالم

أيها المسلمون في كل مكان من العالم

أيها المسلمون في كل مكان من العالم

إنني أدعوكم في هذه الأيام التاريخية المصيرية إلى مساندة الثورة الإسلامية في سورة بكل ما تملكون مساندتها به من المال.

يجب أن نقضي نهائيا على هذا الوهم الذي عشش في رؤوس كثير من ضعاف النفوس واليقين من المسلمين بأن الحركات التغيرية في بلادنا لا يمكن أن تنجح إلا بمساندة الشرق أو الغرب ومساعدة هذا النظام أو ذاك من الأنظمة الرجعية ! أو التقدمية ! فاستبدلوا بذلك عبودية بعبودية وطاغوتاً بطاغوت وأوهموا بذلك بعض الحكام المنحرفين المغرورين أنهم يملكون الموت والحياة لحركة الإسلام وثورة الإسلام.

يجب أن نعتمد –أيها المسلمون– في حركاتنا وثوراتنا على إمكاناتنا الذاتية أولا وأن ننفق من مالنا ومن دمنا بسخاء ليس له حدّ.. حتى ينتصر بنا الإسلام وننتصر بالإسلام، وتقوم الدولة الإسلامية العتيدة الحرة من كل قيد داخلي أو خارجي، ومن كل تبعية ظاهرة أو خفية .. الدولة الإسلامية الحقيقية التي تجسم الإسلام وتشق له طريقه المتميز المستقل وتحقق به لنفسها وللعالم خيري الدنيا والآخرة على السواء.

عصام العطار

ترسل المساعدات إلى الحساب المصرفي التالي

TADMUR
Dresdner Bank BLZ 390800 05 Aachen
Konto Nr: 2138700

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من الإخوان المسلمين في سورية

إن الإخوان المسلمين في سورية، في هذه الرحلة التاريخية المصيرية الدقيقة، وفي ظل الحكم الدكتاتوري الطائفي الإرهابي الدموي..ليؤكدون للشعب في سورية، وللعرب والمسلمين وللعالم كله إصرارهم القاطع على متابعة طريقهم ونضالهم المشروع، لإسقاط الحكم الدكتاتوري القائم بمختلف صوره الفردية والطائفية والحزبية العسكرية، وإقامة الحياة الإسلامية والحكم عبر قناعة الشعب وإرادته واختياره الحر، وأداء دورهم العتيد في نصرة الحق والعدل والحرية في كل مكان من العالم.

وأنا أدعو الشعب كله في سورية كما أدعو العرب والمسلمين وأحرار العالم في كل مكان إلى مؤازرتنا والوقوف معنا في معركة الحق والعدالة والحرية والكرامة التي نخوضها في سبيل الله عز وجل، من أجل أمتنا وبلادنا، ومن أجل الإنسان والمجتمع البشري.

أما تهديد الحكم الدكتاتوري الطائفي الإرهابي في سورية لنا ولكل من ينتمي إلينا بالإعدام، وتشريعاته "الخنفشارية" التي سنّها وأعلنها في هذا السبيل فإننا نتحداها نسخر منها ومن أصحابها، فالموت في سبيل الله أحلى أمانينا، والشهادة عندنا– إن كتب الله الشهادة لنا – هي إحدى الحسنيين: {قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون}

وسنتابع طريقنا رغم كل ما ينزف من جراحنا –ونحن أقوى يقينا وأشد تصميما– إلى النصر الموعود بعون الله.

{الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. إنما ذلك الشيطان يخوف أولياء فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}.

{إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار}.

{ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون}

{كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز}

الأربعاء في 26 شعبان 1400هـ رئيس جماعة الإخوان المسلمين

الموافق ل 1980/7/9 في سوريا عصام العطار

رابعا: لم يكن الوفاق ونظامه وحدة اندماجية، وما كان له أن يكون كذلك لعدة أسباب أهمها:

- الخلاف الحاد (في الفكر والمنطلقات والعقيدة السياسية الشرعية) بين المتوافقين.
- الثقة المعدومة تماما بين القيادات المختلفة، ففي الوقت الذي كان فيه فكر الطليعة المقاتلة قد استقر على اعتبار جهاد النصيريين وخلعه وإقامة الحكم الإسلامي فرض عين، وأن الجهاد المسلح هو الطريق الوحيد الممكن والمشروع لتحقيق هذا الهدف وأن الله تعالى أمرنا بقوله : {وأعدوا لهم ما استطعتم} مجرد الاستطاعة واستيفائها، وتشبع أفرادها الأساسيون بفكر سيد في المفاصلة والتمايز، وإيمانهم بالحاكمية الإلهية.. الخ

كان الإخوان أو أغلبهم على الأقل، يرددون اعتبار دخولهم المعركة ورطة وقد حصلت ويجب التعامل معها، ومالوا منذ الأيام الأولى من خروجهم لمباشرة بنائهم على أساس سياسي لا عسكري ولإعطاء الجهد السياسي والإعلامي جل الإمكانيات، ولم تكن قيادتهم قد شاركت في أي عمل جهادي عسكري، ولم يكن لدى أي منهم القناعة بالمشاركة الميدانية ولا مشاركة أي ولد من أبنائهم أو أفراد عائلتهم..وبدى لديهم ميل واضح لتوسيع راية المعارضة للحكم وإدخال زعامات ورايات علمانية فيها، بل وصرحوا كثيرا أن إقامة دولة الإسلام في سوريا أمر ذو خطر دولي وإقليمي هام، ولن يكون ذلك ممكنا إلا بالدخول في حلف علماني الواجهة، حتى توافق القوى العظمى على وجود الإسلاميين في السلطة ! إلى آخر ذلك من فكر مناقض تماما لما تنادي به الطليعة بل إن قيادتهم كانت تعتبر الطليعة مجرد متطرفين دمويين لا يفقهون من أمر السياسة شيئا، ولا يصلحون لقيادة ثورة، وهم مجرد موتورين يجب استيعابهم وتوظيف بطولاتهم.

أما أتباع العطار فكانوا شبيهين إلى حد بعيد في فكرهم و(أيديولوجيتهم) بالإخوان الدوليين باستثناء موضوع التحالفات الذي سلمت أيديهم من الاتساخ به، واعتبروه كما اعتبرته الطليعة، عملا غير مشروع، أما ميلهم للعمل

السياسي وبعدهم عن الطروحات العسكري، فكان مطابقا للإخوان الدوليين وهو فكر طالما دأب العطار على نشره عبر نشراته وخطاباته في الخارج . ولعل أهم خلافاتهم مع الإخوان تعود لأسباب شخصية أكثر منها فكرية.

وهكذا كان، فمن الناحية الفكرية المبدئية -كان وفاقا- مستحيلا رغم أن كل الفرقاء كانوا يرددون الآيات والأحاديث التي حفل بها القرآن والسنة للحض على الوحدة والاتحاد...ورغم قناعة الجميع بعداء حافظ الأسد للإسلام والمسلمين واستمراره في حرب الجميع.

خامسا: أن الوفاق ورغم عمره القصير كان كما شبهه الأخ عبد العزيز علي (أبو أسامة المصري وهو واحد من بقية تلاميذ البنا ومن الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الجهاد في سوريا الشام) قال: إن هذا الوفاق هو حزم لثلاث حزم مستقلة وليس أمام عيدان فرادي يسهل حزمها في حزمة واحدة مرة أخرى وهكذا كان فرغم محادثات الوفاق التي أفضت إليه احتفظت كل جماعة بكيانها كاملا، ولم تنجح قيادة التنظيم الدولي في دمج القواعد والحصول على بيعة شاملة رغم نجاحها في سحب أكثر الأمور الأخرى من قيادة الطليعة.

كيف تم الوفاق ؟

جرت عدة جلسات مطولة بين قيادات الجهات المختلفة لبحث مشكلة الوفاق في جو من الأمل وتشجيع من قواعد كافّة الأطراف وزعماء وشيوخ المسلمين في سوريا ورغم أن هذه المحادثات وصلت إلى طريق مسدود كاد يؤدي لانهيارها عدة مرات، إلا أنه أمكن تجاوزها بعد أن حصل أتباع العطار على الضوء الأخضر من زعيمهم في ألمانيا، وحصل عدنان عقلة على مراده في تسميته مسؤولا عسكريا عاما في القيادة الجديدة تمهيدا لعودته للداخل بكل الإمكانيات البرية والمادية في الخارج إلا أن الإخوان لم ينسوا أن يكبلوه بلجنة عسكرية مساعدة له فيها شخصيات إخوانية ذات نفوذ، وهكذا أعلن الوفاق، وطارت قلوب الشباب فرحا وأعلنت القيادة الجديدة من اثني عشر رجلا أربعة عن كل طرف على الشكل التالي:

- عن الإخوان المسلمين الدوليين: عدنان سعد الدين (نائبا للمراقب العام) -سعيد حوى- علي بيانوني- محمد الحسناوي.
- عن الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين: عدنان عقلة (المسؤول العسكري) -محمد عادل فارس- رياض حمو ليلى-الدكتور عبد الحميد الصالح.
- عن الإخوان المسلمين تنظيم دمشق (العطار)-حسن هويدي (مراقبا عاما)-محمد هواري-محمد سليم البغا(أبو سليم) أبو نزار (خالد البيطار).

فسمي حسن هويدي مراقباً عاماً بالانتخاب، وعين عدنان سعد الدين نائبا له، وعين عدنان عقلة مسؤولا عسكريا، وتوازع الآخرون مختلف المسؤوليات كأعضاء قيادة.

وبانتظار انتخاب أعضاء مجلس شورى القيادة الجديدة، فوضت هذه القيادة بصلاحيات مجلس الشورى، واعتبرت مجالس شورى الجماعات الفرعية منحلة.

وبدأت القيادة الجديدة حملة إعلامية موسعة لإعلان الوفاق وجمع التأييد له وجملة من الترتيبات لاستلام مهامّها كقيادة للثورة الإسلامية في سوريا، وبدأ الإعداد لأخذ بيعة القواعد ودمجها ولدمج الأجهزة المالية وغيرها...وحصلت

القيادة الجديدة على الصلات من الداخل، وتمكنت من الحصول على بيعة من تبقى من المجاهدين ولا سيما في دمشق (أيمن الشريجي) وفي حماة (أبو بكر -عمر جواد) باسم الفصائل الثلاث، وتم إبلاغ الجهات كلها أن الوفاق قد حصل وأن من ينسحب منه ينسحب بنفسه فقط، وكانت هذه إحدى ركائز الإخوان وقيادتهم في استثمار الوفاق فيما بعد.

فقام أعضاء القيادة الجديدة ورجالات الجماعة كسعيد حوى وعدنان عقلة وعدنان سعد الدين والمراقب العام حسن الهويدي... بجولات مختلفة نحو السعودية وأوربا والخليج للقاء الشباب والشخصيات وإطلاعهم على الوحدة الجديدة أمل المسلمين !

لم يدم شهر العسل طويلا بين هذه الفصائل المتناقضة، ولم تكن اجتماعاتها القيادية كلها اتفاقا، وبرزت الخلافات الشخصية للسطح، ونشأت أزمات أمكن تجاوزها.

ولكن تسرب أنباء مباحثات واتفاق جانبي على تحالف وطني كان يجري بين قيادة التنظيم الدولي في سوريا وقادة الأحزاب العلمانية المرتدة وعلى رأسها البعث العراقي بشكل منفرد أزم الوضع وفجره ودمر الوفاق.

لم يكن موضوع التحالف الوطني جديدا على قيادة الوفاق ولكن الذي جدّ هو شروع الإخوان فيه دون استئذان الجهات الأخرى شريكتها في القيادة، فقد كان مشروع تحالف مع تلك الأحزاب بشكل تعاون على إنهاء تسلط الطائفة المستبدة في الحكم أمرا مطروحا للبحث، ولكونه موضوعا ذا شق شرعي وآخر سياسي مصلحي، فقد اقترح لدراسته شرعا تشكيل لجنة من خمس علماء للبت في شرعيته وهم (عبد الفتاح أبو غدة -سعيد حوى-منير الغضبان-محمد علي مشعل- البيانوني) ولم يُقدر لهذه اللجنة أن تشكل ولا أن تجتمع لهذا الأمر مطلقا. وفجأة يحصل بعض عناصر الطليعة عن طريق أحد البعثيين العراقيين على نص أطروحة تقدم بها كل من عدنان سعد الدين وعلي البيانوني للحلفاء العلمانيين كمسودة عمل لبحث التحالف، ودون استشارة قيادة الوفاق، وحصل عدنان عقلة على الوثيقة وطلب اجتماع القيادة واستنكر إقدام الإخوان على مثل هذا العمل.

الوثيقة (5): نص الوثيقة التي كشفت الطليعة النقاب عنها والتي كانت مسودة ورقة عمل تقدم به الإخوان للأحزاب كتصور عن الحلف...وقد وزعت الطليعة معها بيان استنكار لها ولفكرة التحالف مع الأحزاب المرتدة (الوثيقة رقم 6)

وثيقة رقم (5)

[نص المشروع الذي قدمه كل من :الأستاذ عدنان سعد الدين والأستاذ على صدر الدين بيانوني في إطار إقامة تحالف وطني مع الأحزاب والجماعات السياسية المعارضة للحكم في سورية]

النقاط المطروحة كمشروع لاتفاق الأطراف المعنية في إطار إقامة تحالف وطني:

1 - العمل الجاد الدؤوب لإسقاط الحكم الحالي باعتماد كافة الوسائل السياسية والإعلامية والجماهيرية لتحقيق هذا الهدف، وعلى راس هذه الوسائل الكفاح الشعبي المسلح، ومحاكمة المسؤولين في الحكم عن جرائمهم بحق الشعب والوطن.

2 - الاتفاق على مبدأ تشكيل حكومة مؤقتة، تقوم فور إسقاط النظام الحالي، وتعمل بأسرع وقت ممكن للإشراف على انتخاب مجلس تأسيسي ويفرض وضع دستور دائم للبلاد.

3 – الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية مصدر التشريع والتقنين.

4 – الإيمان المطلق بهدف تحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني والهيمنة الإمبريالية، واعتماد كافة الوسائل التي لا تفرط بالحق العربي فيها والسعي لتعبئة كل الطاقات البشرية والعسكرية والسياسية باتجاه هدف التحرير.

5 – ضمان الحريات العامة لجميع المواطنين في سورية، وفي مقدمة ذلك حرية الاعتقاد والتعبير والاجتماع.

6 – النضال الجاد لإقامة الوحدة العربية، وبذل كل الجهود في هذا السبيل ، إلى أن يتم ذلك السعي لتحقيق التضامن العربي بما يوفر الحد الأقصى الممكن من الجهد العربي المشترك بمواجهة الأخطار التي تتهدد الأمة.

7 – إقامة أوثق العلاقات الأخوية مع العالم الإسلامي، دولا ومنظمات، وبما يعزز من دور الرسالة الإسلامية في العالم أجمع.

8 – عدم التورط في الصراعات الدولية، وعدم الانحياز إلى الكتل الدولية، واعتماد سياسة خارجية مستقلة.

9 – إعادة بناء الجيش العربي السوري، وسائر مؤسسات الدولة بحيث تمثل فيها كافة فئات وشرائح الشعب بشكل متوازن وليس فئة أو طائفة معينة، وبما يعيد ويحفظ الوحدة الوطنية في سورية كضمانة لدورها الرائد في المنطقة.

10 – معالجة الأوضاع الاقتصادية المتدهورة، وإعادة بناء الاقتصاد السوري على أسس متينة، وبما ينهي، بكل حزم حالة الاستغلال والسلب والنهب والرشاوى، ودعوة الخبرات والطاقات المهاجرة لتساهم في إعادة بناء البلاد.

الوثيقة (6)

(نص بيان المقاصلة الذي انسحبت بموجبه الطليعة من الوفاق) بعد اكتشافها لمباحثات التحالف الوطني بين الإخوان والأحزاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إمام المتقين وقائد المجاهدين وعلى آله وصحبه الغر الميامين..

إخوة الإسلام والجهاد.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

فمن تمام نعمة الله علينا، أن منّ على أمتنا بالجهاد في سبيله، والذي كان من بركته وقوف الإخوان المسلمين صفا واحدا متراصا خلف طليعتهم المقاتلة، وذلك بعد أن تمّ دمج فصائلنا الثلاث في تنظيم واحد تحت ظل قيادة واحدة.

ولا يخفى أن هذه الخطوة المباركة كانت انطلاقا من التوجيه القرآني: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص}، وأن هذا الإنجاز العظيم ملك للمسلمين جميعا، ثمنه دماء ألوف الشهداء، وآلام عشرات الألوف من المعذبين من أبناء الإسلام العظيم وبالتالي كان من البديهي الا نسمح بالتفريط فيه، أو النيل منهم مهما غلا الثمن وعزت التضحيات مؤكدين في الوقت نفسه أننا سنقطع من الكتف كل الأيدي التي تحاول أن تمتد إليه بسوء.

لقد تم الدمج الإخواني، وكان بعده عهد ووفاء، وكان ميثاق بين الإخوان كافة.

كان عهد أن يحمل الإخوان المسلمون السلاح حتى آخر قطرة من دمائهم، أو ينصرهم الله نصرا عزيزا، وكان وفاء أن يثأروا لكل الدماء التي سفكها الظالمون، ولكل الآلام التي زرعها المجرمون، وكان ميثاق أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا، وأن يلتزموا أحكام الإسلام الحنيف، وأن يرفعوا راية "لا إله إلا الله" ، وأن يرفضوا كل رايات العبيد.

ومن العجب أن يطلع علينا بعض المنهزمين من المحسوبين على الإسلام –ولا ندري إلى أية راية ينتسبون– بلافتة جاهلية هزيلة، أسموها الجبهة الوطنية ويريدون منا–نحن الذين بذلنا الأرواح والأموال فداء لدعوة الله الغالية –أن ننضوي تحت هذه الراية الكافرة، وأن نلتقي مع الجاهليين في منتصف الطريق !!

إن القبول بمثل هذه الطروح الهزيلة، اعتداء على شرع الله الحكيم: {أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون}، وإن الذين ظنوا واهمين، أن النصر مرهون بموافقة الشرق والغرب وأذنابهما...نقول لهم واثقين، وبملء حناجرنا، ما قاله الله في كتابه الكريم: {وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}.

وإذا جهل هؤلاء أو تجاهلوا، حكم الله في مثل هذه الواجهات الجاهلية، فإننا نعلن لهم أننا نرفض ما يسمى بالجبهة الوطنية، ابتداءً لأن شرع الله يرفضها، ولأنها تعني انحراف حركتنا الجهادية، وإجهاضها وقتلها.. فلا جدال أن الخير للمسلمين، كل الخير، إنما يكون بالتزام شرع الله وحده، والتميز عن شرائع الكفر، ومفاصلة الكافرين: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين}

فالإسلام يرفض المساومة والمداهنة وأنصاف الحلول: {ودّوا لو تدهن فيدهنون} {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين} فكيف نعطي الدنية في ديننا ونقبل بمشاركة الجاهلين في الحكم ؟؟ فأين تذهب دماء الشهداء وآلام المعذبين ؟ بل أين تذهب آيات الكتاب وهدي النبي صلى الله عليه وسلم ؟؟

لقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم– وهو في أشد الحالات ضيقا– أن يقدم وعدا بالمشاركة بالحكم لغير المسلمين، وأن يجعل لمشرك يداً على دعوة الإسلام، فهو صلى الله عليه وسلم يريد إقامة حكم الله، ولن يقيم حكم الله إلا المسلمون !! وما عقد عليه السلام حلفا مع المشركين إلا بعد أن مكّن الله له في الأرض، وصارت له دولة تملك أمر نفسها، ولم يكن واحد من هذه الأحلاف يتجاوز مسألة الدفاع إزاء خطر مصدره قوم آخرون.. أما إقامة دولة الإسلام، فكان التحالف عله في بيعتي العقبة الأولى والثانية، وهما بيعتان بين الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ونفر من أصحابه الكرام، رضي الله عنهم.

وإذا كان الإسلام يرفض مشاركة الكافرين في الحكم، فإننا نرفض كذلك أن نعد الكافرين بمثل هذه المشاركة ثم ننكث بوعدنا، وقد قال ربنا جل شأنه:{يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}

فكيف يسمح هؤلاء الغافلون لأنفسهم أن يعدوا غير المسلمين بالمشاركة في الحكم وفي وضع دستور، ومنح حرية الترشيح والانتخاب ثم الاستفتاء على إسلامية الدولة ؟؟؟ !!!

أوَ يظنون أن إقامة حكم الله ودولة الإسلام، يحتاجان إلى إذن من البشر، فنستفتيهم ونستمزج أهواءهم، لعلنا نكسب شرع الله ودولة الإسلام شرعية "موافقة البشر عليهما ؟؟؟ ساء ما يحكمون" كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا"..

إن الذين يروجون لهذه الطروح الجاهلية، قوم لم يفهموا الإسلام بعد، ولم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان، ولم يدخلوا معركة الإسلام في مواجهة الطاغوت، ولم يبذلوا نفسا ولا مالا ولا ولدا، وأولى بهم أن يعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى صفاء التصور الإسلامي في أعماق مقاتلينا الأبطال، الذين أفرغوا رصاصهم في صدور المجرمين، ولم تنهزم نفوسهم وأرواحهم، أمام انتفاش الجاهلية.. فلعلهم إن فعلوا ذلك، ثابوا إلى رشدهم، وتابوا إلى ربهم.

أما غير المسلمين، فباب الإسلام مفتوح أمامهم، فليدخلوا في دين الله، فيكونوا إخوتنا.

أما الذين شرّفهم المولى بحمل راية الجهاد من جنود الأخ القائد الشهيد مروان حديد- رحمه الله- فهم على العهد باقون، {فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون، وصدق الله العظيم، وكذب المموهون المخادعون.

والله أكبر ولله الحمد

جمادى الأولى/1401 — الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين

المكتب الإعلامي

وزع هذا البيان في آذار من عام 1981 أي قبل عام كامل من إعلان ميثاق التحالف الوطني في 11 آذار من عام 1982.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا عدوان إلا على الظالمين

بيان صادر عن الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين

الوفاق إلى أين ؟

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: {كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون} وصلى الله على سيدنا محمد..إمام المتقين، وقائد المجاهدين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يا أبناء الإسلام العظيم...يا إخوة الإيمان والجهاد.

تمر حركتنا الجهادية المباركة في بلاد الشام، هذه الأيام، بأخطر منعطف في تاريخها، منذ انطلاقتها الظافر قبل سنوات ست من سني عمرها الميمون، بقيادة الأخ القائد الشهيد مروان حديد رضي الله عنه وأرضاه، حيث شرفه المولى الكريم بحمل أمانة المسؤولية في هذه الحركة، ليكون بذلك المجدد العظيم لهذه الفريضة الغائبة التي هي ذروة سنام الإسلام، بعد أن نام المسلمون عنها دهرا طويلا، لتبرز -بهذا الشهود الكبير- من جديد إلى حيز الوجود، كأنبل ظاهرة في تاريخ المسلمين المعاصر.

وإنصافا للحقيقة، فإننا نقرر هنا أن الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين، بقيادتها الميدانية ، بدءا من القائد مروان، ومرورا بالقائد عبد الستار، وانتهاء بالقيادة الحالية، هي وحدها التي قادت –منفردة–جهاد المسلمين على أرض الشام المباركة، بعد ان فجرت حركتهم الجهادية المباركة، وآلت على نفسها أن تكون واجهة الصدام الأمامية لشقيقاتها في الفصائل الإسلامية الكريمة الأخرى، التي التحقت–من بعد– في ركب الحركة، وتحت ظل قيادتها من خلال إيماننا المشترك بإسلامية المعركة، والذي يترتب عليه أن يأخذ كل اخ مسلم موقعه الصحيح فيها: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص}.

وفي ظل قيادة الطليعة المقاتلة شهدت الحركة الإسلامية، على تعدد فصائلها، أروع تلاحم ميداني عرفه تاريخ سورية الحديث، راح يتسابق فيه المسلمون لبذل الدم الزكي والمال الحلال، فداء لدعوة الله ولتمضي المسيرة الجهادية الخيرة كأقوى ما يكون المضي، ولتصبح الخطر الوحيد الذي يتهدد وجود النظام النصيري الجاهلي بأسره.

وفي الوقت الذي كنا نُمتن فيه هذا التلاحم ونرسخه ونتصدى للمواجهة الكشوفة مع النظام، عزّ على عدد من قادة تلك الفصائل الإسلامية، أن يروا واقع الحال، وقد أصبحوا فيه قيادات بلا قواعد، بعد ان تخلت عنهم –غير آسفة– هذه القواعد المخلصة، والتحقت بقيادة المجاهدين، حين عجزت هذه القيادات عن مواكبة تطلعاتها وطموحاتها في بذل الدم والمال في سبيل الله.

وهال هذه القيادات–أيضا–والتي أصبح جلها وراء القضبان أو وراء الحدود أن ترى الساحة وقد أصبح فرسانها قادة شباب، تصدوا بأمانة ورجولة لحمل المسؤولية الثقيلة في أدق الظروف وأحلك الساعات وفي فترة كادت تزيغ فيها قلوب المسلمين...فامتدت مع الزمن أيدي هذه القيادات لتنال من تلاحم الصف المسلم المقاتل فأصاب الصف ما أصابه، وكانت خساره شاهدا حيا عما فعله به هؤلاء.

إن إيماننا المطلق بإسلامية المعركة، وبضرورة امتزاج الدم المسلم على ثرى الشام..كان يصطدم أبدا بإرادة الأخرين المحكومة بالنظرة الحزبية الضيقة. وبذلنا جهدنا لزحزحتهم عن قناعاتهم تلك، ولكن عبثا كنا نحاول فإصرارهم على ما هم عليه لم يكن ليقف عند حد وهماً منهم أنهم هم القيادة الشرعية !!!وأنهم قادرون على توظيف كل الانتصارات والإنجازات لمصلحتهم، إذا ما أبى المجاهدون الانصياع إلى إرادتهم.

وتتجاوزهم كتيبة الرحمن الخرساء، وهي تجد السير إلى بارئها، من خلال خوضها لغمار أكبر ملحمة تشهدها الشام.. وتشاء إرادة الله أن تصطدم إرادتهم بالحقيقة المرّة التي أسقطوها مؤقتا من حساباتهم، ويدركون أن القطار يوشك أن يفوتهم، ويجدون بالنتيجة أنه لا بد لهم من الاعتراف بالأمر الواقع، فمحال أن يستمر تجاهل وجود المجاهدين بحضورهم الكبير على الساحة.. وهكذا – ولأمر بيّت بليل كما اتضح لنا بعد تجربتنا المريرة معهم –طلعوا علينا بما فاجأنا، من استعدادهم الكلي لإعادة اللحمة المتينة لصفنا المسلم المقاتل وتقديم كل ما تتطلبه المعركة من تضحيات بالمال والنفس والأهل والولد. وشهد الله عز وجل أن اغتباطنا وفرحنا وتفاؤلنا لم يكن له حدود، فلقد توجهنا من فورنا نحو إخوتنا بالقلب المفتوح وبكل الحب – بعد كل ما صنعوه بنا – فالمعجزة توشك أن تصبح حقيقة وليس بعدها إلا انتظار تنزل موعود الله لجنده الصادقين المخلصين: {وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين}.

ويتم اللقاء .. ولم يكن لنا فيه من شرط إلا شرط المعركة وعقيدية المعركة.. فلا لإلقاء السلاح ولا للمفاوضة مع الطاغية ولا للجبهة الوطنية والتحالفات الوطنية السياسية.

ويتوج اللقاء بالإعلان عن تمام نعمة الله علينا بوحدة الصف واجتماع الكلمة والتئام الشمل .. كأكبر إنجاز تحققه حركتنا الجهادية لو أريد له أن يسير في الطريق الصحيح.

ويستبشر المجاهدون في سورية ويتفاءلون ومن ورائهم كل المسلمين، ويسري فيهم روح جديد يبعث في ذواتهم كوامن التضحية والبذل والعطاء.. ولكن -ونقولها بكل الألم والأسى - لم يطل هذا الاستبشار ولم يدم هذا التفاؤل، عندما تكشفت النوايا الحقيقية عند هؤلاء.

فلقد تمخضت (مأساة الوفاق) عن نوايا مبيتة، وخطط مسبقة هدفها المرحلي والمستقبلي تطويق العمل العسكري المتمثل بالطليعة المقاتلة وبقيادتها، واحتواؤه وترويضه، وصولا لتحقيق الحل السياسي الإصلاحي الذي يستحوذ على تفكير من زعموا أنهم سيقاتلون وسيضحون وسيبذلون.

لقد تحولت المعركة في ظل الوفاق المشؤوم من معركة دم دفاق ورصاص ثائر إلى معركة إعلامية مادتها المقابلات الصحفية والتلفزيونية، والمقالات الإنشائية العنترية، وحقيقة الأمر: أسمع جعجعة ولا أرى طحنا.

ونحن إذ نميط اللثام عن جزء من الحقيقة فإننا - وايم الله - لا نتجنى على أحد.. إننا لم نقل شيئا بعد والمخفي أعظم وما بين أيدينا كثير وسيأتي الزمن الذي نقول فيه كل شئ.

لقد أفصح هؤلاء بلسان الحال والمقال، أكثر من مرة وفي غير مناسبة عن أسفهم الشديد للورطة الكبيرة التي أوقعهم بها المجاهدون وعن عجزهم عن الحسم العسكري بإمكاناتنا الإسلامية البحتة، وأنه لا بد للحركة من مرونة في العمل وعليها البحث عن سبل جديدة تتفق من خلالها مع قوى غير إسلامية على عملية التغيير المرتقبة في مواجهة النظام النصيري.. ويؤكد هذا أن كل ممارساتهم التالية جاءت انسجاما مع كل ما طرحوه.

فلم تتوفر في يوم من الأيام -في ظل الوفاق- النية المخلصة الصادقة والتوجه الجدي البناء لإعطاء المعركة الأولوية على غيرها من القضايا هامشية التي يولونها كل اهتماماتهم.. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه ازداد حدة واتساعا.. ليتحول إلى مواقف مبدئية معادية لخط الجهاد، متمثلة بالتشكيك بالمعركة كلها وبالترحيل القسري إلى المنفى إلى اليمن والسعودية والإمارات والخليج وأوربا وأمريكا. وبتشجيع الهجرة الطوعية بحثاً عن العمل والدراسة، وبقطع الرواتب وإيقاع أقصى العقوبات بحق الداعين للجهاد والاستشهاد.. وبتفريغ الداخل من المقاتلين ناهيك عن حملات التشهير بقيادة الحركة الجهادية وعمليات غسيل الدماغ لقواعدنا المخلصة الصادقة المحجوبة عن الحقيقة.

وباختصار فقد كان (الوفاق المأساة) مطية حركتنا الجهادية الغالية وتمرير الحل الاستسلامي الانهزامي الذي أملته إرادة الخارجين عن الحركة، والراقصين على دماء شهدائنا البررة وأعراض أخواتنا الطاهرات وآلام معتقلينا المقهورين، ومعاناة أهلنا الصابرين على امتداد أرض الشام.

يا أبناء الإسلام العظيم.

إن الأمر جد.. وهو بالغ الخطورة.. وإننا في ساعة العمل، فقد انتهى زمن الكلام.

إنها معركة الإسلام مع أعداء الإسلام.. فاما أن ينتصر الإسلام ويظهر على الساحة ليكون سيدها وإما أن يتراجع إلى الوراء ليخليها إلى أعدائه، لا قدر الله، والبون شاسع جدا، ولا مجال للمقارنة وتجاربنا الإسلامية المرة في القرن الهجري المنصرم تشهد على صدق ما نقول.

لقد أردنا الوفاق طريقا لصهر كل القدرات الإسلامية في بوتقة واحدة لتصب في مجرى واحد نهايته ميدان المعركة في الشام الطهور، وصولا للحل الإسلامي المتمثل بحسم الموقف بالسلاح مع النظام المرتد الجاثم على صدور أهلنا. وتوجهنا لتحقيق الوفاق بكل ما أوتينا من قوة، تحدونا الرغبة الأكيدة في الوصول إلى ما تصبو إليه آمال المسلمين العريضة.. أما وقد كان واقع الحال خلاف ما أمله كل مسلم فإنه آن الأوان –بعد نفاذ الصبر– وأنهر الدم تتدفق، وأعراض المصونات الحرائر تنتهك، وآلام المقهورين لا تقف عند حد.. آن الأوان أن نضع حدا لكل هذه المهازل بل هذه الجرائم التي ترتكب باسم الوفاق بحق الإسلام والمسلمين، والتي أخذت صفة الشرعية من خلال هذا الوفاق.

لقد حُرفت المسيرة الجهادية عن مسارها الأصيل الذي رسمه لها القائد الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وسار عليه الأخ الشهيد مروان وعلينا تصحيح المسار، وإعادة الأمور إلى نصابها.

إن الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين من خلال التزامها الصارم بمنهج الله وإيمانها الراسخ بأن الحق واحد لا يتعدد بنظر الإسلام، تعلن حرصها الشديد على تمسكها بالوحدة والجماعة، مستلهمة فهمها للجماعة مما قرره علماء المسلمين: [إن الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك] وعلى أساس أن يقوم التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.. كما أنها تعلن بوضوح أن حركتنا الجهادية المباركة وقيادتها الميدانية المجاهدة هما وجه الشرعية، فلا جدال أن وحدة الصف والوفاق كانا نتيجة طبيعية وثمرة طيبة لحركة الجهاد تلك.

إننا ومن موقع المسؤولية الكبيرة في أعناقنا، ومن موقع الحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين نعلن – وبصوت عال– للمسلمين جميعا، وللعالم أجمع مفاصلتنا الكاملة والنهائية لمن هانت عليهم عقيدتهم وهان عليهم الدم المسلم المسفوح والعرض المسلم المستباح.. ونعلن كذلك تميزنا التام عنهم لنستأنف المسيرة الخيرة التي بدأناها مع مروان باذلين الدم والمال ومضحين بكل غال ونفيس على طريق إقامة حكم الله في الأرض وإقرار منهجه فيها واستئناف الحياة الإسلامية من جديد.

يا أبناء الإسلام العظيم.

من موقفنا المستقل المتميز هذا –وبعد أن سار (الوفاق) في طريق مسدود نهايته لا ترضي الله ورسوله– صلى الله عليه وسلم– نتوجه بندائنا القلبي الحار لإخوتنا وأحبتنا المجاهدين الصامتين من قواعدنا المقهورة الصابرة المحجوزة عند تلك القيادات، داعين الجميع أن يكونوا عند مسؤولياتهم الخطيرة [كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته] وأن يلتحقوا بركب المجاهدين الذي تقوده الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين ليأخذوا أماكنهم الطبيعية في المعركة بعد أن صرفت أنظارهم عنها زمنا غير يسير. فحيهلا إخوة الجهاد.. فمحلكم في القلب ولو صغر.. ولقد ركبت خيل الله وهبت ريح الجنة، وإننا والله لنجد ريحها من دون دمشق وحلب وحماة وحمص وإدلب وجسر الشغور واللاذقية ودرعا ودير الزور.. ولقد آن الأوان يا رجال القرآن أن تزينوا القرآن بالفعال.

ونتوجه -أيضا- بندائنا القلبي الحار هذا إلى إخواننا المسلمين في كل مكان .. وندعوهم جميعا إلى تحمل مسؤولياتهم الكبيرة وأن يقدموا كل ألوان الدعم المادي والمعنوي والبشري لحركتنا الجهادية المباركة، لينالوا شرف الجهاد بالمال والنفس، وأن يعلموا جيدا -بعد اليوم- أين يضعون أموالهم وأين يقدمون دمائهم.

وموعدنا قريبا -إن شاء الله- ميادين سوريا وساحات الشام.. وإنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

{ولينصرين الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}

{ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}

وصدق الله العظيم وكذب المموهون المخدعون

والله أكبر ولله الحمد والنصر للإسلام العظيم

الخميس 20/من صفر الخير/1402هـ

17/ من كانون الأول/1981م

الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين

كتيبة القائد الشهيد مروان حديد.

وكان عدنان قد بدأ يشعر بأن تسميته مسؤولا عسكريا لم يكن إلا أمرا شرفيا وأنه داخل في دائرة التسويفات أمام كل عمل جاد وكل مشروع عسكري قام به، وأن الشهور مضت ولا شيء جديد.

وتفجر كل شيء بثبوت تورط الإخوان في مباحثات التحالف الذي كانوا يمهدون له على مستوى القواعد بتقديم بعض البحوث والمحاضرات...وانهار الوفاق وأصدرت الطليعة بيان المفاصلة الشهير (الذي مرّ معنا) وانسحبت جماعة عصام جلها من الوفاق وتكرس بذلك انشقاق الفرق ليعود كل منهم لإكمال ما كان قد بدأه من عمل منفردا.

وهنا جاء دور ديبلوماسية الإخوان الدوليين، فقد كانوا حصلوا على صلة وبيعة من أهل الداخل وهم مجاهدو دمشق بقيادة (أيمن الشربجي) ومجاهدو حماة بقيادة (عمر جواد) وتنظيم ضباط الجيش المسلمين الذين كانوا يعدون لانقلاب عسكري بالتنسيق مع قيادة الداخل الميدانية وقيادة الخارج الإخوانية التي آلت لحسن هويدي والإخوان.

من ناحية أخرى تمكن الإخوان من إقناع عدد محدود جدا من الطليعة وبينهم عضوان من قيادة الوفاق (عادل فارس -رياض حمو ليلى) من البقاء في الوفاق. وكذلك بعض الدمشقيين وأتباع العطار ومنهم المراقب العام حسن هويدي، وبذلك سمى الإخوان الذين بقوا عمليا لوحدهم سموا أنفسهم قيادة الوفاق ! وأن الشرعية متمثلة فيها وأُعلن أن من خرج من الوفاق قد خرج بنفسه وأن كذبة التحالف مع البعثيين وأضرابهم إشاعة مغرضة أشاعها أصحاب الأهواء والأغراض الشخصية وأن لا أساس لها من الصحة ! وأن هؤلاء خرجوا بأنفسهم وانشقوا ومنهم عدنان عقلة وأن وحدة المسلمين باقية وأن مسيرة الجهاد ماضية.

وهكذا انتهى الوفاق الذي دأب عدنان عقلة على تسميته فيما بعد بمأساة الوفاق...

الطليعة ومرحلة العمل في الخارج

بعد تحطم الوفاق كان وجود الطليعة أو ما تبقى منها أشبه بوجود السمك خارج الماء، فاللعبة السياسية والدبلوماسية كانت فنا لا يعرفونه، فقد كانت كل تجربتهم بالتعامل مع الأحداث بالسلاح، وقد نجحوا في ذلك لحد

ما، أما في الخارج، فقد كان الوضع مختلفا فقد وقعوا في كماشة قاسية. فمن ناحية إخوانهم المسلمين لم يلقوا إلا جفاء واحتيالا ومحاولات تصفية بعد فشل الوفاق، ومن ناحية التعامل مع الأنظمة -الأردن- العراق- فقد كانوا ضيفا ثقيلا غير مرغوب فيه. ولكن وجوده أمرا واقعا فهم بأصوليتهم لم يكونوا من الصف اللاجئ المرحّب به والذي يمكن أن يكون ورقة رابحة في اللعب، أما من ناحية علاقتهم بالداخل فقد غدت شبه مقطوعة بعد أن صفيت كل خيوطهم وأحكم الإخوان بفضل نجاح لعبة الوفاق بالإمساك بمن تبقى عن طريق البيعة التي أخذت لقيادة الوفاق من مجاهدي الداخل والتي دعمت بالأموال والأسلحة التي كانوا يرسلونها من الإمكانات الهائلة التي توفرت تحت أيدهم.

وهكذا دخلت الطليعة مرحلة قاسية بقيادة عدنان عقلة في الخارج تميزت بظروف في غاية الصعوبة.

أولا: استطاع الإخوان محاصرتهم إعلاميا في أوساط الإسلاميين خارج نطاق السوريين وأمام قواعد الإخوان من الشباب الصغار واستطاعوا أن يلصقوا بهم تهمة التطرف والانشقاق والتمرد على قيادة الوفاق المخلصة التي وحدت المسلمين وحققت أملهم وأمر الله فيهم، وقد نجح الإخوان في حصارهم وتثبيت هذه السمة عليهم بفعل امتدادهم الإعلامي الهائل وإمكانياتهم الواسعة.

ثانيا: عزلوا عن الداخل عسكريا وتحجمت صلاتهم، التي توسعت وغدت بين الإخوان والداخل.

ثالثا: وقوعهم في فاقة مالية شديدة في الخارج نتيجة تحكم الإخوان بمصادر التبرعات، حتى اضطر عدنان لجمع ذهب نساء الطليعة لإرسال بعض العون لمن تبقى من مجاهدي الطليعة في منطقة حمص ذات مرة، كما أعلن إفلاس صندوق الطليعة عدة مرات ودعى الشباب عنده للعمل اليدوي، فانتشر جلهم في عمان يبحثون عن عمل، حتى عمل بعضهم في أقسى مجالات العمل العضلي طلبا للعيش، وكانت الطليعة تتكفف ببعض التبرعات التي تأتيها من هنا وهناك بفعل بعض الصلات الخاصة في أضيق نطاق.

رابعا: أصبحت الطليعة تحت رحمة الإخوان في مجال الوثائق الشخصية والجوازات التي أنشأ لها الإخوان جهازا خاصا قويا. وكانت معظم أمورهم تتم عن طريق الصلات الأخوية بين عناصرهم وبعض الإخوة في قيادات الدرجة الثانية، أو القواعد الإخوانية، وقد حلوا جزءا من مشكلتهم مع العراق، ولكن حتى هذا جف فيما بعد نتيجة موفقهم حيال محاولات التحالف الوطني بين الإخوان والأحزاب التي ترعاها العراق البعثية.

خامسا: برزت ظواهر شاذة في صفوف الطليعة -كما حصل في بعض صفوف الإخوان- على الصعيد السلوكي بشكل قلة التزام أو سوء أخلاق أو دين بعض المجاهدين الذين لم تكن لهم سابقة تربوية طويلة، وكان التحاقهم بالطليعة نتيجة فورة حماسية عاطفية ارتبط التزامهم بها، فلما زالت أجواء الحماس والشحنة العاطفية العسكرية عادوا لفتورهم وسابق حالهم من بعض التصرفات اللامنضبطة إسلاميا.

وقد واجه أبو عمار صعوبات هائلة واضطر إلى التشديد على بعضهم وفصل آخرين لتعديل الوضع لكن التزامه الأدبي والشرعي بهؤلاء المجاهدين القدامى كان معضلة حقيقية، وقد استغل الإخوان هذه النقطة في تشويه سمعة الطليعة إلى حد كبير، ووصم كافة المجاهدين بالانحراف و(السوقية) ظلما.

سادسا: مال معظم شباب الطليعة إلى التطرف والحقد على الإخوان نتيجة الظلم والحيف الذي ألحقوه بهم. فقد كانوا ينظرون إليهم كمجرمين قطعوا عنهم أموالهم في الداخل فقتلوا إخوانهم وتآمروا عليهم في الخارج وحاصروهم،

ونهبوا أموال تبرعات الجهاد التي جاءت من بطولاتهم، وقد كان هذا حقيقة (حتى أن عدنان سعد الدين طلب مرة من المكتب السوري في بغداد [وهو المسؤول عن رعاية بعض الأسر السورية الملاحقة والمنكوبة ويشرف على هذ المكتب البعثيون السوريون الموالون للعراق] طلب سعد الدين منهم ذات مرة أن يقطعوا المعونة المالية المخصصة لدفع أجرة بعض بيوت أسر يوالي أربابها الطليعة ! بحجة أنهم يسبون الإخوان ويتكلمون عليهم واضطر أرباب الأسر أن يتوسطوا لدى أمين الحافظ (البعثي رئيس سوريا السابق والموالي لبغداد) كي لا تقطع بغداد عنهم المساعدة لطلب سعد الدين !! كان هذا بعض ما حصل فعلاً).

وبحكم أن معظم رجالات الطليعة الأوائل الذين كان لهم سابق تربية طويلة في مدرسة الإخوان ثم مدرسة الجهاد الطليعية كانوا قد استشهدوا أو اعتقلوا أو استهلكتهم المعركة، ولم يبق منهم في الخارج إلا القليل، فقد أصبحت الطليعة كتلة من الشباب الثوري العنيد المتطرف عموما تقودها قيادة ضعيفة الكوادر فلم يكن حول عدنان عقلة إلا لفيف ضعيف من بعض البقايا ككوادر قيادية.

واضطر للاستعانة ببعض شبابه الذين لا كفاءة لهم لإشراكهم في القيادة والشورى، ثم آل الأمر به لقيادة وإدارة فردية شاملة كان مهيأ لها بفعل تركيبه النفسي العنيد والعاطفي وثقته الهائلة بنفسه بحكم تاريخه المجيد عسكريا.

وهكذا تمحورت الطليعة كلها حول شخصية أبي عمار التي أنهكتها حياة الخارج وأحابيل السياسة ودفعتها إلى ارتكاب أخطاء قاتلة.

هذا التكتل الطليعي حول شخصه كان له أكبر الأثر كما سنرى في انهيار الطليعة بعد فقدان أبي عمار فرج الله عنه وعن إخواننا وأخواتنا جميعا.

ورغم كل تلك الظروف الصعبة فقد تمتع أبو عمار -والشهادة لله- بشخصية متفائلة مفرطة بالأمل، وقد وضع الرجل مخططا لإعادة بناء الطليعة وإقامة جسور لها في الخارج لجمع التبرعات وقام -على قلة الإمكانيات -بعدة أسفار نحو أوربا والخليج لهذا الغرض لإقامة بعض العلاقات الشخصية الهامة لخدمة قضيته إعلاميا، كما بدأ ترتيب بيته الطليعي الداخلي قدر الإمكان، واستطاع أن يعيد بعض العلاقة التي جفت مع العراق والأردن وأصبحت صلته منفصلة بهم لا علاقة للإخوان بها، رغم أنها كانت تتأثر دائما بمحاولة الإخوان تخفيف منابعه الإسلامية وغير الإسلامية.

وبعد أن قام عدنان عقلة والطليعة ببعض الإنجازات في الخارج في مختلف النواحي، وبعد أن حقق عناصره بعض النجاح في تواصلهم مع إخوانهم في قواعد الإخوان والذين كانوا شركاءهم في الجهاد العسكري، دخل الإخوان والطليعة مرحلة تجاذب العناصر، مما سهل مهمة الدولة في اختراق كلا الطرفين بعدد لا بأس به من المخبرين، وكان كافيا لمن يريد اختراق أحد الطرفين أن يتحزب ضد الآخر.

ولكن رغم كل هذا فقد استطاعت الطليعة استرداد بعض سمعتها في الخارج، ووصل عدنان لقناعة جازمة بضرورة نزوله للداخل مرة أخرى لإفهام المجاهدين في حماة ودمشق حقيقة ما يجري من مؤامرات إخوانية في الخارج، ومن سير موضوع التحالف سيرا جديا مع العراق، ولإطلاعهم على ضرورة تنسيق عمل الطليعيين في الداخل والخارج بشكل منفصل عما يجري من مصائب في الخارج بفعل قيادة الإخوان، هكذا نزل عدنان إلى حماة عبر الصحراء من العراق للاجتماع بمجاهدي حماة بقيادة (عمر جواد -أبو بكر) في ظروف عصيبة جدا كانت تمر بها المدينة التي ترزح تحت

حصار مميت منذ أكثر من شهرين قبل نزوله الذي كان في شهر كانون الثاني 1982. وكان نزول عدنان بعد أن حصل على وعود العراقيين بدعمه، والذين كانوا بأمس الحاجة لتحريك الضغوط ضد سوريا بسبب تأييدها العلني لإيران وتعرض العراق لضغط هائل على الجبهة الإيرانية، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

ونترك الطليعة لنتحدث عن وضع الإخوان بعد مرحلة الوفاق وما قبل أزمة حماة للانتقال بعدها للحديث عن تلك المرحلة المفصلية في مسيرة الثورة وهي معارك حماة ونفير الإخوان وانفجار المأساة التي كانت نتيجة لما حدث مما نعرضه من حقائق يجهلها أكثر المسلمين وللأسف.

قيادة الإخوان المسلمين ودورها في الأحداث بعد تحطيم الوفاق

بعد نجاح الإخوان الساحق في لعبة الوفاق وعزل الطليعة (وجماعة عصام العطار) -التي لم تدخل اللعبة فعليا- خارج دائرة الصراع، دخل الإخوان مرحلة الجد السياسي في الخارج طبعا، وعاشوا عصرهم الذهبي الذي امتد حتى انفجار الوضع وافتضاحه بعد نكسة حماة المروعة ! فقد تابعوا تنفيذ مخططهم المدروس في عدة نواحي:

أولا: استطاعوا تصوير أنفسهم أمام الرأي العام الداخلي، القواعد- والخارجي، الجماعات- والكتل والهيئات الإسلامية والحلفاء..على أنهم ممثلو الجهاد وقادة الثورة ومحققو الوحدة الإسلامية، ومخلِّصوها من أصحاب الأطماع الشخصية أمثال عدنان وغيره فهم السائرون بها في دربها الصحيح بكل ما يلزم من إعداد وترتيب وقتال وإعلام ...وقد لعب إعلامهم وثقة المسلمين بشخصياتهم وإفادتهم من التنظيم الدولي، أكبر الأثر في ذلك، وبذلك دخلوا مرحلة المجد على كافة الأصعدة-ولكنه كان مجدا هشا- سرعان ما انهار أمام أحداث حماة، وما كان للأمور أن تسير في غير ما سارت عليه في ظل قيادة من هذا الشكل.

ثانيا: اتساع القاعدة والهياكل التنظيمية : كانت الغالبية العظمى من الشباب الذين خرجوا بعد تدهور العمل العسكري والمتضررين من الأفراد والعوائل من المواطنين والذين تركوا البلد قد صاروا إلى قواعد الإخوان بحكم تقديم المعونة لهم وإيوائهم وإدخالهم في حلقات المجاهدين كقاعدة عريضة هم قيادتها، وشيئا فشيئا وبعد نجاحهم في موضوع الوفاق وأخذهم البيعة من جل هؤلاء الناس، تمتعوا بإخلاص هذه القاعدة العريضة وتفانيها ونظموا خلايا الإخوان المسلمين السوريين في الخارج(أوربا، تركيا، السعودية، الخليج، أمريكا)من الطليعة والمغتربين..ممن كان لهم صلة بالإخوان المسلمين، وعينوا لها قيادات وألحقوها بهم، وصرفوا عليها مبالغ طائلة، وهكذا أصبحوا قيادة لعامة هذه القاعدة العريضة الممتدة في دول كثيرة لتدين لهم بالولاء، قاعدة بلغت عدة ألوف من الشباب والكادر التي كان رأس حربتها أولئك المجاهدون المرابطون في معسكرات التدريب في العراق أو بيوت الرباط في عمان، والذين كان عددهم يقرب من الألف من خيرة الشباب المتفرغ للعمل العسكري والمستعد للتضحية كأحسن ما يكون الاستعداد النفسي، أما الآخرون خارج أمكنة الرباط فقد كانوا على صلة حسنة أيضا وعلى طاعة نسبية للقيادة جيدة أيضا وعلى استعداد لتلقي الأوامر وكانوا عبر قياداتهم الموقعية يتلقون أخبار الجهاد وأوامر (الجنرالات الشيوخ) بكل احترام وينفذونها، وقد ساعد الإخوان على

ذلك كادر إخواني واسع وتمويل قوي وإفادة رائعة من أجواء الجهاد وما تبعته في النفوس من حماس واستعداد للطاعة والتضحية.

ثالثا: بناء الأجهزة وإعداد الكوادر: بفعل التوفر العددي في القواعد واندفاع الشباب نحو العطاء والتفاني، وبحكم الأموال المتوفرة بدأ الإخوان مخططا لبناء أجهزة ضرورية لتلك المرحلة، ولازمة لها بما يتناسب مع مخططهم العام الذي وضعوه للوصول للحكم بعد إسقاط السلطة مثل:

الجهاز القيادي:

كان البناء القيادي شبيها جدا بالبناء (التقليدي) الذي عهده الإخوان في مرحلة عملهم السلمية الدعوية في الداخل قبل الأحداث ! مع فوارق بسيطة يقتضيها العمل العلني فقد كان بناؤهم على الشكل التالي:

مجلس الشورى:

ويبلغ عدده بضعا وعشرين رجلا من قدماء الإخوان ممن تجاوز قدمهم عشرة أعوام، منتخب حسب المراكز وعدد الشباب في كل منها من الأعضاء الذين جاوز قدمهم خمس سنوات ..! ! وهو مجلس واسع الصلاحيات (نظريا) بموجب النظام الداخلي الذي لم يغير عن المعمول به في تلك المرحلة الدعوية السرية.

مكتب تنفيذي

يضم أعضاء القيادة وهو مكتب منتخب من مجلس الشورى وهو السلطة الفعلية في الجماعة وبيده معظم الصلاحيات التنفيذية هو المسؤول عن اتخاذ القرارات.

مراقب عام:

منتخب من المكتب التنفيذي (والمفروض) أنه رجل الجماعة الأول والمسؤول مباشرة عن كل واردة وشاردة من قرارات السلم والحرب وحتى أصغر الأمور، يساعده نائب وأمين عام هما عادة عضوان في القيادة (المكتب التنفيذي).

المسؤولون التنفيذيون:

وهم في منطقة العراق والأردن (منطقة الرباط) موزعون حسب المراكز (مركز حلب، دمشق، حمص، دير الزور...) يرأس كل مركز منها مسؤول يعاونه لجنة المركز، وهم المسؤولون عن المركز كاملا في الخارج (أمور الشباب في القواعد...) وفي الداخل (صلات، ومواصلات مع القواعد العسكرية الموجودة والمالية هناك..) وكان هذا مسؤولية لجنة المركز العسكرية هي طبعا في الخارج أيضاً ! ! .

أما في الخارج- في البلدان الأخرى (تركيا، السعودية الخليج، أمريكا، دول أوربا ..) فكان يعين لكل منها (أخ مسؤول) يسمى أميرا تعاونه لجنة يتلقون جميعا الأوامر من القيادة العليا وبعضهم أعضاء في مجلس الشورى كممثلين عن منطقتهم سالفة الذكر..ولهم صلاحيات مطلقة في مواقعهم، ويشرفون على أمور الشباب السوريين هناك، ولهم صلات تعاونية مع التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، ويتلقون ميزانيتهم المالية بسخاء من القيادة ويقومون بأعمال تابعة للمخطط العام كالإعلام وبعض النشاطات الأخرى كشراء معدات وعمليات رصد للمخابرات السورية في تلك المناطق بموجب أوامر القيادة في نطاق محدود جدا. وكان هناك مسؤولو الأجهزة الملحقة بالعمل العسكري وهم موجودون في الأردن والعراق (الجهاز العسكري، الفني، الوثائق..) وهكذا تتدرج المسؤوليات حتى أصغرها، وهي إمارة مجموعة أو

أسرة مكونة من أربعة أو خمسة عناصر بشكل هرمي، وكانت إقامة المرابطين بشكل رئيسي في الأردن (عمان، الزرقاء) أما العراق فقد تُركت للتدريب أو للدراسة في جامعات العراق لمن أراد، وقد أذن لقليل من الشباب في العراق والأردن بالعمل وكان الأصل ألا يعملوا ويتلقوا الرواتب ! لقاء التفرغ.

ولم يكن التوزيع القيادي -رغم كونه هرميا- توزيعا حديا، فكثيرا ما كانت المسؤوليات تتداخل بفعل واقع حال جماعة مهاجرة تعيش ظروفا خاصة لا يمكن ضبطها في مثل هذه الحالات، وسرعان ما برزت بالطبع مراكز قوى في الجماعة تمركزت حول الشخصيات التقليدية، فهذا تابع لأبي عامر (عدنان سعد الدين) وذلك لأبي محمد(سعيد حوى) وثالث لأبي سامي (عبد الله طنطاوي) وآخر لأبي زاهد (أبي غدة) ...وهكذا.. ورغم أن القيادة وكذلك مجلس الشورى أعيد تشكيلهما في الخارج عدة مرات إلا أن كل تلك التغيرات كانت عبارة عن تبادل للحقائب الوزارية فقط ! ولقد انحصرت قيادة الإخوان المسلمين على مستوى المكتب التنفيذي ومجلس الشورى خلال هذه المرحلة وما تلاها، وحتى بعد نكسة حماة المدمرة، انحصرت بشخصيات محددة لم تغادر المسؤوليات ولم تغادرها، رغم تعقد الظروف وتتالي النكسات، وهم الشخصيات التالية أو ما يمكن تسميتهم بالثوابت القيادية أو (أعمدة النكسة):

1 – حسن هويدي: لعب دور المراقب العام طيلة مرحلة ما بعد الوفاق وهو في الأصل من جماعة دمشق (العطار) وبقي مراقبا عاما بعد نكسة حماة، ثم نائبا لعبد الفتاح أبي غدة بعد انشقاق 1986 كانت شخصيته ضعيفة في إدارة الجماعة، ومن المعروف عنه تردده في سلوك النهج العسكري في العمل، وهو من منطقة الميادين كان منفذ السلطة على الإخوان بفضل تولي أخيه محسن الهويدي للمفاوضات مع الدولة خلال مهمة مكوكية لم تنقطع[15]

2 – عدنان سعد الدين: وهو من مدينة حماة، كان مراقبا عاما للإخوان المسلمين منذ تنازل عنها عبد الفتاح أبي غدة عام 1975 وحتى الوفاق، وهو شخص الإخوان القوي والممسك بمعظم محاور القوى في الجماعة، كان أهم الشخصيات التي لعبت دورا في تبني الطرح العسكري بعد صدام السلطة بالطليعة، له صلات سياسية خارجية واسعة ولا سيما مع العراق، وكان لفترة مسؤولا هاما في وزارة التربية لدولة الإمارات العربية، يعتبر الرجل الأول في الإخوان كمسؤول عن التحالف الوطني مع الأحزاب المرتدة، يروى أنه كان ذا اتجاهات ناصرية واشتراكية قبل التحاقه بالعمل الإسلامي، وما لبث أن أمسك بزمام الأمور طيلة الفترة بشكل قوي. تبلور فكره في المرحلة الأخيرة حول منحى مزيج من الإسلامية والقومية والوطنية والديمقراطية وهو شخص مقبول من طرف العلمانيين في سوريا وخارجها، اشتهر بعدائه للطليعة وللقيادات الجهادية الشابة داخل الجماعة. وتميز بالديكتاتورية والقمع لمن حوله داخل جماعته. وكان وراء الانشقاق الذي ألمّ بالإخوان المسلمين سنة 1986 حيث أسف في عدائه للطرف الآخر وأسرف.

أصبح فيما بعد أحد الركائز المتعاونة مع العراق ورئيسه صدام في القضية السورية وخارجها. وأصبح نافذته على الحركات الإسلامية. وكان يزرع البلاد داعياً له شاهداً عليه بالإيمان والعبادة والقيام والصيام والخشية. وهو مكروه عموماً حتى من معاونيه ومن انشق معه عن الجماعة ويصرح الكثير منهم بأنه لا يربطهم معه إلا ما يحققه لهم من فرصة العمل عبر العراق.

---

[15] قتل محسن هويدي هذا في دير الزور في ظروف غامضة سنة 1989 ولم يعرف قاتله، هل هي الدولة بعد استنفاذ مهمته، أم هم الذين تضرروا من أهل الداخل بسبب مساعيه غير الحميدة. والأرجح أنها الثانية والله أعلم.

3 – سعيد حوى: وهو من حماة أيضا، مفكر إسلامي معروف وشخصية إسلامية مرموقة داخل سوريا وخارجها وأحد أركان الإخوان المسلمين الدوليين وله مؤلفات عديدة أهمها سلسلة (في البناء) المشهورة، وكان أحد الشخصيات القيادية الهامة طيلة مرحلة الأحداث، ترأس الجهاز العسكري عدة مرات وكان مصرا على الزعامة لا سيما في الفترة السابقة لنكسة حماة. عرف بفرديته ومشاكله مع القيادة باستمرار نتيجة ذلك، ثم انحاز إلى عدنان سعد الدين ضد عبد الفتاح أبي غدة في انشقاق 1986 ولكنه كان دائم النزوع لتكتيل بعض الشباب حوله لتشكيل مركز قوى لصالحه، ورغم المبادئ الجهادية والإسلامية الأصيلة المتناثرة في كتبه إلا أنه تراجع وانقلب عن كثير منها في كتاباته الأخيرة بدءاً من كتابه (دروس في العمل الإسلامي) ولا سيما في كتابه الأخير الذي كتبه في مرضه الذي توفي فيه–غفر الله له– حيث انتهى سعيد حوى إلى كاتب صوفي العقيدة ديمقراطي التوجه السياسي بالإضافة لترهات سياسية شعرية كثيرة، تناثرت في كتاباته ومواقفه الأخيرة.

أما عن سلوكه العملي من خلال إدارته لجماعته فقد كان من أبرز من صنع التحالف الوطني وأفتاه. بل نقل عنه مديح عجيب لصدام حسين نقل هو بعضه في كتابه الأخير. توفي –غفر الله له– سنة 1989

4 – علي بيانوني (أبو أنس): وهو من مدينة حلب، وكان يشغل منصب نائب المراقب العام قبل الأحداث، عرف بمعارضته للاتجاه العسكري في الجماعة سابقا، رغم أنه ترأس الجهاز العسكري في الخارج أكثر من مرة ! كان أحد أعضاء القيادة في سائر تشكيلاتها، وهو من الشخصيات المهمة في قيام التحالف الوطني، وكان المسؤول عن العلاقة بالضباط الذين يهيؤن للانقلاب الحسم–وسيمر بيانه– عن طريق المراسل خالد الشامي الذي اعتقل فيما بعد في ظروف غامضة وقضي على الضباط والانقلاب.

يعتبر أبو أنس أيضا من أنصار الاتجاه العراقي في الإخوان المسلمين السوريين ورغم أنه يحمل جواز سفر سعودي ممنوح له من المخابرات السعودية لتسهيل حركته بالإضافة لجوازه الأردني والعراقي. (كما هو حال معظم قيادات الإخوان). وله علاقة وطيدة بمخابرات العراق والأردن. انحاز للشيخ عبد الفتاح أبي غدة في انشقاق (1986) وأصبح نائبه الثاني بعد تكرس الانشقاق.

ثم ما لبث أن اختلف معه حول موقف الجماعة من الحرب الصليبية في الخليج مع العراق حيث انحاز للعراق كلية. مما أدى بعد ذلك لاستقالة أبي غدة تفادياً لانشقاق آخر.

5 – عبد الله طنطاوي: وهو من حلب كان يشغل منصب الأمين العام للإخوان المسلمين في سوريا قبل الأحداث وهو شخصية اجتماعية وأدبية وسياسية معروفة، وهو سياسي قليل الالتزام، كان من الشخصيات الفاعلة في نشوء التحالف الوطني، شغل في الخارج عدة مناصب منها عضوية القيادة عدة مرات، وكان جهده في المجال السياسي والإعلامي، وكان مسؤولا عن الجهاز العسكري للإخوان في الداخل، ومارس بعض الصلاحيات العسكرية في الخارج خلال تلك المرحلة لا سيما في المنطقة الشمالية الغربية لسوريا، كان عضوا بارزا في حزب الاتحاد الاشتراكي الناصري لفترة ما في سوريا، وقيل إن ذلك كان بتوجيه من الإخوان، تدور حوله شكوك واسعة في القيادة وقد عرف بدهائه وعلاقاته الواسعة واشتهر بالكذب، ومما يذكر في سيرة هذا الرجل أنه كان المسؤول عن إفراغ الداخل من المجاهدين ولا سيما منطقة حلب سنة (1980) ثم كان مسؤولاً مباشراً عن إنزال الشباب إلى دمشق سنة (1980) حيث قتل

أكثر من ثمانين منهم خلال ثلاثة أسابيع وعاد منهم بضعة عشر شاباً. كما دمرت على يديه الخلايا العسكرية للجماعة في لبنان-تنظيم بيروت- في ظروف غامضة. اشتهر بعدائه الشديد للطليعة. وفي انشقاق 1986 التحق بسعد الدين بشكل مفاجئ وصار من معاونيه وشتم الشيخ أبي غدة ومن معه في محافل جماعية. ثم ما لبث أن عاد وخرج على سعد الدين وعاد إلى جماعة أبي غدة التي استقبلته بحفاوة وتكريم وعاد من شخصياتها البارزة !

6 - أديب الجاجة: أحد قيادات الإخوان في الداخل، وكان رئيسا لمركز إدلب ومناطقها، وبقي كذلك في الخارج، وكان عضوا في القيادة في الخارج أكثر من مرة، وكذلك في مجلس الشورى أحيانا، وهو إخواني تقليدي قديم يعرف بتوجيهاته العسكرية، وقد حافظ على ولائه لاتجاه سعد الدين منذ البداية وانحاز له في انشقاق 1986. بعد أن عين مراقبا عاما أثناء الأزمة لفترة قصيرة.

7 - محمد الحسناوي: وهو حلبي، إخواني قديم وشخصية أدبية معروفة في سوريا، كان أحد قيادات الإخوان في الداخل وهو رجل دمث هادئ محبوب ملتزم، شغل منصب رئاسة الجهاز الإعلامي في الخارج ونماه بشكل جيد وكان عضو قيادة في الخارج أكثر من مرة، وهو من قلائل القيادات المحبوبة من القواعد بشكل عام وقد عرف بتقليديته وتمسكه بالشرعية الإخوانية وأطرها إلى أبعد الحدود، انحاز إلى جماعة أبي غدة في انشقاق 1986. وفاجأ الكثيرين من خلال تصريحاته وتمثيله لجماعته عند توسيع التحالف الوطني إلى جبهة الإنقاذ الوطني التي دخلها الشيوعيون والنصيريون فيما بعد 1989 حيث امتدح هذا الاتجاه الضال في الانضمام إلى هذه الجبهة المرتدة.

8 - منير الغضبان: شخصية إخوانية قديمة ومفكر إسلامي له بعض المؤلفات وهو رجل ملتزم هادئ حسن الأخلاق، برز اسمه في مرحلة العمل في الخارج وأصبح عضوا في القيادة، وارتبط اسمه بالتحالف الوطني إذ أنه أحد الذين أفتوه، وألف في ذلك كتابا بعنوان التحالف السياسي في الإسلام، وكان شخصية وسطا في محاور القوى وأصبح مراقبا عاما مؤقتا في مرحلة الأزمة 1986 كما سيمر معنا وهو رجل محبوب عموما من القواعد وهو دمشقي، ويبدو أنه اعتزل العمل في الجماعة بعد ذلك وأقام في السعودية، وقد كان قبل توجهه الإخواني من جماعة عصام العطار ومن جماعة سرور لفترة. وله نشأة صوفية ثم توجهات سلفية ثم استقر على الاتجاه الإخواني.

كان هؤلاء بشكل عام أهم الشخصيات القيادية للإخوان في تلك المرحلة، وقد شارك في القيادة العليا في مراحل مختلفة رجال آخرون سنحاول إحصاءهم في الجزء الثالث إن شاء الله.

أما مجلس الشورى فقد شغله باستمرار شخصيات رئيسية تقليدية أيضا، ورغم أنه كان أكثر قابلية للتغير والتبديل من مجلس القيادة وقد شغل عضوية مجلس الشورى عبر المراحل المختلفة في الخارج نحو أربعين من الشخصيات البارز، كانوا يتبادلون المواقع خلال التشكيلات المختلفة.

وكان لهؤلاء دور فعال بنسب تتفاوت في الأحداث وفي صناعة القرار إلى حد ما وقد شغل معظمهم مسؤوليات إدارية أو رئاسة أجهزة هامة، وكان بعضهم يشكل شبه معارضة وخط إصلاح مستمر في داخل الجماعة وهم قليل، إذ يتمسك الغالبية بالشرعية والتقليدية في الجماعة. كما كان في الجماعة شخصيات فاعلة وذات نفوذ نسبي رغم أنها أو بعضها لم يشارك بشكل رسمي ومعلن في مجلس القيادة أو مجلس الشورى، وقد كانوا أصحاب رأي ومرجع في بعض الأحيان وهم شخصيات تاريخية للإخوان المسلمين السوريين مثل:

1 – عبد الفتاح أبو غدة

2 – محمد علي هاشمي

3 – عبد القدوس أبو صالح

4 – محمود ميرا.

5 – إبراهيم جلال

6 – فوزي حمد

7 – عبد الله علون

8 – فاروق بطل

9 – محمد علي مشعل

10– فيصل رفاعي

وغيرهم من الشخصيات التي يقيم معظمها في السعودية والخليج.

وكان لبعضهم أثر كبير في قرارات الجماعة مثل عبد الفتاح أبي غدة وغيره، أما الآخرون فتختلف آثارهم حسب وزنهم، وكانوا أصحاب وزن شرفي في أغلب الأحيان، وكان لبعضهم مسؤوليات إدارية في خارج دائرة الرباط لا سيما في السعودية والخليج وهي أماكن تواجدهم بحكم عملهم ومنذ فترات طويلة قبل انفجار الأحداث. ولقد كان معظمهم غير عالم بتفاصيل مجرى الأمور في مواقع الحداث (العراق –عمان) بحكم ارتباطهم بمواقع عملهم في السعودية والخليج.

أما فيما يتعلق ببناء الأجهزة الفعالة فقد كان قائما تقريبا على النشاطات الفردية التي تقوم بها العناصر الشابة في القيادات الوسطى والقواعد، والتي كانت تدفع العمل للأمام دفعا، وهكذا أنشئت عدة أجهزة هامة مثل:

2 – الجهاز المالي:

وكان المسؤول عن صرف المبالغ المختلفة لمختلف الأنشطة بموجب طلبات موقعة من المراقب العام أو المسؤول المختص. أما معظم أموال الجماعة فكانت تأتي من التبرعات الإسلامية والإخوانية التي كانت تأتي من الخليج والسعودية، كما تحملت العراق مصاريف الجماعة على أراضيها في مجال التدريب والسلاح والإقامة، أما الأرصدة فكان معظمها في البنوك الإسلامية والأجنبية بأسماء الشخصيات الرئيسية للجماعة وأتباعها، وكان القسم الأعظم منها في بنك التمويل الكويتي.

3 – الجهاز الفني:

وكانت مهمته إعداد الأجهزة والمعدات الفنية اللازمة وتطوير التكنولوجيا في بعض الأجهزة ودراستها وشرائها. وقد صرف على هذا الجهاز مبالغ طائلة دون أن تحقق شيئا يذكر، وكان المسؤول عنه طيلة تلك الفترة (على بيانوني) وآخر يدعى (عامر زينو)، وقد انكشف تقصير هذا الجهاز أيام الحملات وأزمة حماة حيث لم يكن قد وفر شيئا رغم المبالغ الخيالية التي صرفت في الأسفار لأوروبا وأمريكا لشراء المعدات.

4 – جهاز التربية:

وكان مسؤولا عن الدورات التوجيهية وإعداد برامج التربية وتحديد موجهي الأسر وبرامجهم وتزويد القواعد بما يلزم بغرض التكوين والتربية، وتهيئة القواعد لسياسة الجماعة وتنظيم سلسلة الدروس والخطب التي يلقيها شيوخ الجماعة وقادتها...

5 – جهاز التدريب:

وكان مسؤولا عن الدورات العسكرية والمعسكر في العراق، أو شبه العسكرية والرياضية في الأردن، كالدروس النظرية في التكتيك وحروب العصابات والعلوم العسكرية المختلفة والتدريب الرياضي وبعثات التدريب الخاصة، وإعداد مدربين عسكريين وما يتبع ذلك...

6 – جهاز الإعلام:

وكان يعنى بخطة الجماعة الإعلامية ووسائلها، وطباعة نشرة النذير وإعداد برامج إذاعة صوت المجاهدين من بغداد، حيث خصص للإخوان عشرون دقيقة أصبحت فيما بعد ضمن إعلام التحالف الوطني لتحرير سوريا، وكذلك إعداد بعض التسجيلات الموجهة بواسطة الفيديو أو الكاسيت، وكذلك النشاطات الإعلامية والاتصالات بالدوائر الإعلامية الخارجية ووكالات الأنباء والهيئات الدولية لحقوق الإنسان...الخ.

وكان من أنجح الأجهزة في الجماعة وقد ترأسه أثناء تلك الفترة (محمد الحسناوي)

7 – جهاز العمل الخارجي:

وهو جهاز شبه عسكري يعنى بنشاطات الجماعة شبه العسكرية في الخارج وقد ترأسه علي بيانوني وعاونه عامر زينو لفترة طويلة، وكان جهازا شبه ميت خلال تلك الفترة رغم أنه استهلك أموالا طائلة، وكان من أعماله القيام برصد تحركات أجهزة الأمن السورية في الخارج وأهدافها ولم يقم الجهاز بأي عمل عسكري تنفيذي، كما كان من مهمته الإشراف على العمل في الخارج ولا سيما في أوروبا في مناحيه المختلفة.

8 – الجهاز العسكري:

وهو أحد أهم الأجهزة ويرأسه عادة عضو من المكتب التنفيذي، وقد تناوب على رئاسته ما قبل حماة سعيد حوى وعلي بيانوني وغيرهما يعاونهما بعض الاختصاصيين والضباط والكوادر العسكرية الإخوانية الشابة، ويشرفون بدورهم على أعمال اللجان العسكرية للمراكز ويضعون المخطط العسكري العام بناء على توجيهات القيادة السياسية وما يناسب استراتيجيتها التي سميت تواضعا (مخطط الحسم).

جهاز الوثائق:

وأنشأ بالأصل لتزويد المجاهدين في الداخل بالوثائق الشخصية والجوازات لتسهيل خروجهم ودخولهم للبلد وتنقلهم في الخارج، ولكنه تشعب وامتد وتعقدت مهمته حتى أصبح جهازا قويا للتزوير يمتلك معظم أختام ووثائق الحكومة السورية ليغطي طلبات ألوف الناس الذين تعطلت مصالحهم بفعل ملاحقة الدولة الفجائية لهم، وقد تفلت الجهاز لبعض الوقت ثم أعيدت السيطرة عليه ووضع تحت رقابة مباشرة من القيادة وكما أصبح هذا الجهاز فيما بعد وسيلة للضغط على الشباب وعلى المتضررين الذين أصبحوا بأمس الحاجة إليه ولأموال الجماعة وهم مقطوعون في مهجرهم ! وغدا في بعض الظروف وسيلة ابتزاز رخيصة لأولئك المساكين.

9 – جهاز الأرشيف:

وكانت مهمته الاحتفاظ بكل وثائق الجماعة الهامة الصادرة أو الواردة وبإحصاء الشباب المجاهدين والملاحقين والمعتقلين والشهداء، والاحتفاظ بما يلزم عنهم مما يخدم مختلف الأجهزة في مختلف المجالات.

10 – أجهزة فرعية أخرى:

تهتم بقطاع الخدمات والأمور الثانوية، ويمكن القول إن وظائف هذه الأجهزة لم تكن حدية، وكثير ما كانت تتداخل المسؤوليات بفعل تركزها بأيدي قليلة وبمحاور القوى وأتباعها المتركزة في المكتب التنفيذي وما يلحق به من شخصيات في مجلس الشورى والفعاليات الإخوانية الأخرى لاسيما في السعودية وأوروبا والخليج، وبفعل هذه الأجهزة التي نشط بعضها مثل جهازي الإعلام والتدريب، تكون لدى الإخوان بعض الكوادر المدربة والمندفعة التي انحصرت جهودها في مجال الإعداد والتهيؤ الذي لم يفد منه بفعل انهيار مخطط الحسم وتفجر الوضع في حماة كما سنبين ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعا: الصلات الخارجية وبلورة الشخصيات:

قام الإخوان (القيادة الإخوانية) في نطاق عملهم السياسي بالانفتاح على الأنظمة ذات الأثر الاستراتيجي في القضية السورية (العراق، الأردن، السعودية، تركيا، إيران..)[16]

كل حسب أهميته وما يسمح به ظرفه من العلاقة، وكذلك مع الأحزاب والهيئات الإسلامية لاسيما في السعودية والخليج والسودان واليمن...وكذلك مع منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها (عرفات) هذا بالإضافة لصلاتهم المستمرة مع التنظيم العالمي للإخوان المسلمين.

وكان أهم تلك الانفتاحات بالطبع مع العراق ثم مع الأردن، بفعل تواجد القواعد والقيادات فيها بشكل رئيسي، هذا الانفتاح أعطى قيادة الإخوان وزنا سياسيا كبيرا، ورفع من قيمتهم وسمح ببلورة بعض الشخصيات الهام منهم مثلك (عدنان سعد الدين، أبو أنس بيانوني، وسعيد حوى...وغيرهم) كما ساهم الإخوان في هيكلة الجبهة الإسلامية وأمينها العام "أبو النصر البيانوني" الذي كان حليفا إخوانيا شبه تابع حتى نكسة حماة.

وكان من أهم تحركات الإخوان في المجال السياسي متابعة بحث موضوع التحالف الوطني بشكل سري ومخفي عن القواعد بشكل هيأه للتوقيع أثناء سقوط حماة!

خامسا: السيطرة على مجاهدي الداخل والتخطيط لما سمي بـ(الحسم): بعد أن حصلت قيادة الإخوان على بيعة المجاهدين في الداخل ولا سيما في حماة (عمر جواد) ودمشق (أيمن شربجي) قامت اللجان العسكرية في المراكز الأخرى كحلب وحمص والدير..وغيرهما بمحاولة بناء جيوب عسكرية تابعة للقيادة بتمويل من الإخوان، وتسليح العراق، واستخدام الشباب المكدسين في القواعد، والذين كانوا يتحرقون للمشاركة بعمل جهادي للخروج من أجواء التدريب

---

[16] نحت علاقة الإخوان بإيران منحنى غريبا، ففي البداية أيّد الإخوان العالميون الخميني وأصدروا بيانا يدعون فيه للوقوف معه في وجه العراق تقريبا، ووصفوه بأنه (نظام الإسلام الوحيد) في الأرض، ثم توجه وفد من التنظيم الدولي يستجدي الدعم للمجاهين السوريين فلاقى الإعراض ثم الرفض، وبدأ الإخوان ولا سيما السوريون الانفضاض عن (النظام الإسلامي الوحيد) ! ثم انتقلوا للوقوف ضده وحملوه في إعلامهم مسؤولية سفك الدم الإسلامي ..ثم انتقلوا للتلميح بأنه نظام شبه كافر.. ثم كفروه أخيراً !

والإعداد اللانهائي، وهكذا بدأت القيادة التخطيط لما سمي (بالحسم) وقد صرح أكثر من مسؤول منهم (سعد الدين، وحوى) وحليفهم (أبو النصر بيانوني).. وغيرهم للإعلام الخارجي باقتراب الحسم وبأنهم وضعوا المخططات اللازمة للإطاحة بالسلطة ، بل ذهب بعضهم لتحديد ذلك بالشهور!

وتتالت لقاءات المسؤولين مع الشباب في القواعد في الخارج ترفع من معنوياتها وتبشرها بالفتح قريب، بل ذهب بعضهم للتصريح بأنهم فرغوا من موضوع الحسم وأن ما يشغلهم هو التخطيط لمرحلة ما بعد الحسم وكيف سيمسكون بزمام الأمور، ولم يكن أحد يعلم ماذا وراء كل هذا التبجح ! ولكن أجواء الثقة التي سادت القواعد (رغم بعض التساؤلات والاعتراضات على تصرفات بعض القيادات، مثل إحجامهم عن إقحام أبناءهم في المعركة، أو وضعهم في القواعد، حيث كان معظمهم يدرسون في الجامعات العراقية أو الأجنبية في حين كان يخطط الآباء القادة للزج بآلاف الشباب في معركة الحسم !) .

ورغم كل ذلك فقد بقيت الثقة هي الغالبة والاندفاع والحماس في القواعد والعراق والأردن هما المسيطران.

وحقيقة الأمر التي تكشفت بعد نكسة حماة، أن القيادة كانت تخطط للحسم على الشكل التالي[17]:

- إمداد المجاهدين من بقايا الطليعة في حماة برئاسة عمر جواد وفي دمشق أيمن شربجي بما يلزم من المال والسلاح المأخوذ من العراق والأردن أحيانا وإعطائهم الصلاحية الكاملة في العمل بعد ضمان بيعتهم للمراقب العام (قائد الوفاق)، وكذلك إمداد من تبقى من المجاهدين في جبل الزاوية ومناطق إدلب.
- إقامة ما أمكن من جيوب عسكرية أخرى في المراكز المهمة مثل حلب وحمص والساحل والمنطقة الشرقية والجنوبية.
- ربط الضباط المسلمين المتبقين في الجيش السوري والذين كان أكثرهم كما روي من جماعة دمشق، والإفادة من الصلة بقيادة العميد (تيسير لطفي رحمه الله) وبين المجاهدين في حماة ودمشق.
- إعداد الشباب في الخارج بكميات وافرة للتدخل في لحظة الحسم، حيث يقوم الضباط بانقلاب عسكري ويفجر المجاهدون (تنظيم أبي بكر في حماة والشمال وتنظيم الشربجي في دمشق) حرب شوارع، وتقوم القيادة بإنزال الشباب الذين بقوم بتدريبهم وإعدادهم للدخول في المعركة حسب احتياجات وتخطيط أهل المدن.

وكما يبدو فالمخطط معقول ومنطقي إن أحسن كل دوره في الموضوع، ولكن سير الأمور لحكمة يعلمها الله- بدت بعض أطرافها- كان غير ما خطط له الشيوخ كما سنبين بما سببته إدارتهم للأمر وطريقتهم في قيادة هذه الجموع التي اسلمتهم قيادها بكل إخلاص.

هذه إجمالا كانت مناحي نشاط الإخوان في المرحلة التي امتدت حتى انفجار حماة.

---

[17] وقد اعترف سعيد حوى بجوهر القصة بشجاعة نادرة أمام جموع الشباب في المعسكر إبان حل النفير بعيد سقوط حماة، في حين لم يجد الآخرون وعلى رأسهم المراقب العام "الهويدي" و"سعد الدين" ملجأ إلا الكذب على القواعد تفادياً لمشكلة مواجهتهم بالحقيقية الفاجعة).

انكشاف الانقلاب، وحصار حماة، وانفجار الأوضاع، والنفير الإخواني، والفضيحة.

كانت القيادة الميدانية (حماة، دمشق، الضباط) يخططون أمورهم بناء على مخطط الحسم الشامل الآنف الذكر والذي يعتمد جزء منه على شباب الإخوان في الخارج، والذين كان عددهم ومواصفات تدريبهم حسب التقارير الإخوانية القيادية النازلة للقيادة الميدانية كافيا، حيث كان أهل الداخل يأملون بأن أهل الخارج يعدون آلاف الشباب "للحسم".

وكان يربط أهل الداخل بقيادة الخارج وهم شخصيات القادة الرئيسية وعلى رأسهم المراقب العام مراسل هام يدعى (خالد الشامي)، وكان تاجرا مرموقا بعيدا عن الشبهات يتحرك بسهولة لربط قيادة الخارج بقيادات الميدان لتنسيق مخطط الحسم ذاك.

في أواخر عام 1981 أرسل الضباط يخبرون القيادة في الخارج أن عليهم تنفيذ الانقلاب في فترة أقصاها نهاية 1981 حيث ستصدر قائمة بتسريح من بقي من الضباط المسلمين في الجيش في القطاعات العسكرية الفاعلة، وأن نسبة مهمة من الضباط الانقلابيين سيسرحون، وأن بإمكانهم تنفيذ الانقلاب حتى ذلك الحين، وأن فرصة النجاح متوفرة في حال تأمين (5000) عنصر من شباب الخارج المدربين والتعاون مع مجاهدي الداخل في دمشق بقيادة (أيمن شربجي) وحماة بقيادة (أبي بكر) الذين كانوا في جاهزية حسنة (ولا سيما تنظيم أبي بكر) الذين كانوا قد امتدوا في حماة، وعبر جسور تنظيمية إلى بعض مناطق حلب وإدلب والساحل بفعل نشاط أبي بكر، فكان نجاح مخطط الحسم متوقفا على تقديم أهل الخارج لما زعموه من حشود مدربة تحت إمرتهم عبر سنتين، وعلى إمكانياتهم المادية وصلاتها بدول الجوار وغيرها...إلا أن واقع الأمر كان شيئا آخر، فعدد الشباب الذين كانو قد تلقوا تدريبهم في العراق والأردن لا يصل إلى ألف شاب في أحسن الأحوال من المرابطين في الأردن والعراق المتفرغين للعمل العسكري، ومعظم هؤلاء لا يتمتع باستعداد بدني وتعبوي كاف، لأن جلهم كان قد تلقى الدورات العسكرية (دورة عامة 25 يوما بالإضافة دورة اختصاصية 15-20 يوما) ثم عادوا إلى الأردن ليوضعوا في البيوت فيأكلوا ويشربوا ويقروا عينا، وليمارسوا بعض النشاط الرياضي لساعتين يوميا ولمطالعة بعض المواد العسكرية وتلقي دروس التوجيه. أما كرصيد عسكري مرابط على أتم الاستعداد فلم يكن موجودا، أضف إلى ذلك أن عددا آخر من الشباب لا يصل عددهم لأكثر من بضع مئات أخرى كان قد وفد من الخليج وأوربا وغيرها من المناطق حيث تتواجد جيوب إخوانية، وفدوا ليتلقوا دورة عسكرية مختصرة (20-25) يوما حيث كانوا يعودون لأشغالهم وأعمالهم من دراسة وغيرها في مناطق إقامتهم، وكان هؤلاء من خيرة الذين وصل بهم الحماس لأن يقطعوا سلسلة حياتهم الرغيدة ولينزلوا لإطلاق بعض الطلقات وليمضوا فترة قصيرة في معسكر رياضي شاق نسبيا للعودة بعدها إلى سالف الحياة الرغيدة المدنية التي يحيونها. أما الغالبية العظمى والتي لا تجاوز كذلك في أحسن حالات الحشد (ألفين) آخرين من الشباب وكانوا عبارة عن إخوان قدماء من الذين غادروا البلاد في فترات متفاوتة بغية العمل أو الدراسة أو بفعل الملاحقة واستمروا في الخارج، أو من شباب إسلاميين من مختلف المشارب، ولم يكن واحد من هؤلاء قد مر بتجربة عسكرية عملية أو تدريبية، ومن المنطقي اعتبارهم من قطاع الأنصار والمؤيدين وليس من الأعضاء المقاتلين.

إلا أنه من ناحية أخرى، كان لدى الإخوان وقيادتهم أملا بالإفادة من الشباب غير السوريين من ألوف الإخوان المتناثرين في كل أنحاء العالم، والذين كان لدى عدد كبير منهم ومن قياداتهم الاستعداد للانضمام لمعركة المصير مع السوريين –والله أعلم– وقد تحدثت قيادة الإخوان عن مثل هذا الموضوع، إلا ان واقع الأمر كان كذلك الحال..فهم شباب متدينون يميزهم الإخلاص لا أكثر في أحسن الأحوال، ولكنهم كوادر مدنية لا تصلح لحرب أو معركة، ولهذا لن يفيد إدخالهم في المعركة أكثر من تقديمهم لقمة سائغة للموت والإنعام عليهم من ثم بلقب الشهادة في المجلات الإخوانية كالعادة...

وهكذا كان الرقم الكبير (5000) أخ مدرب، رقما معقولا للضباط والمجاهدين الميدانيين في الداخل، بالنظر للتبجحات التي كان أهل الخارج يزعمونها من تدريب الألوف وتجميع الكوادر والإمكانات ودعم الجوار، كذلك بالنسبة لاحتياجات معركة الحسم...أما بالنسبة للقيادة من (الجنرالات الشيوخ) فقد كان رقما مرعبا، فقد كنت الحصيلة الواقعية لرصيدهم البشري كما ذكرنا:

- (1000) أخ على الأكثر من الذين تلقوا تدريبا منظما، ولا يتحلى منهم بالجاهزية أكثر من (200) عنصر.
- حوالي نصف هذا العدد من الذين بلقوا تدريبا ما خلال دورة موجزة ثم عادوا للحياة المدنية ولا يمكن اعتبارهم جنودا، ولا يعلم ما إذا كانوا سيلبون النداء في حال استدعائهم أم لا.
- حوالي (2000) من الرجال والشباب والكهول والشيوخ من الإخوان والإسلاميين والمتضررين المسلمين الذين يعدون في قطاع الأنصار ولا يمكن التكهن بعدد الجاهزين منهم ومن سيلبون النداء.
- رصيد إخواني دولي واسع، ولكنه مؤلف من شباب مدنيين لم يسبق لهم أن أعد أحد من الإخوان السوريين أو غيرهم دراسة عن إمكانية الاستفادة منهم أو إعدادهم أو التخطيط لمساعدتهم وما هيتها، وكل الذي قدموه مشكوريين (وهو كثير) حسب الواقع، جهود إعلامية ومادية في جمع التبرعات في أحسن الحوال (وسنرى بعد قليل كيف أن قدرة الإخوان الحقيقية التي تجلت في النفير العام لم تجاوز هذا بل قلت عنه).
- كان أهل الداخل بانتظار جواب الإخوان في الخارج والأيام تتوالى سراعا، وموعد تسريحهم، وضياع فرصة الحسم تقترب أما أهل الخارج فقد قرروا عقد اجتماع ! واستدعاء أصحاب الخبرة واستشارتهم حول إمكانية إعداد (5000) عنصر مقاتل للحسم! ولمواجهة الجيوش النصيرية الجرارة.. إعداد هذا الفريق الضخم خلال فترة شهرين لإدخالهم المعركة الظافرة ! .
- كان مجرد السؤال الذي طرح على هؤلاء المختصين حماقة ! وقد أجرى أحد أولئك المخلصين الذين استدعوا لمشاورة وهو الأخ عبد العزيز علي (أبو أسامة المصري) أجرى لهم حسابا بسيطا بالاعتماد على المعطيات المتاحة، فكان السؤال مضحكا مؤسفا والجواب مأساة ! قال الشيخ أبو أسامة للقيادة:
- في المعسكر العراقي في بغداد قدرة لتخريج دورة تتكون من ثلاثين عنصر كل شهر في جاهزية غير كافية قتاليا، ولنقل أن بالاستطاعة رفع الإمكانية التعبوية والعددية إلى ثلاثة أضعاف أي إلى نحو مائة أخ بجاهزية ممتازة في الشهر، كم سيحتاج إعداد (5000) عنصر ؟ خمسين شهرا أي ما يقرب من أربعة أعوام ونصف !

- ثم ماذا عن تسليحهم ؟ ماذا عن تجهيزهم قتاليا إن توفر السلاح ؟ ماذا عن الكادر القيادي ؟ ماذا عن وسائط نقلهم ؟ عن مخطط ذلك ؟ ماذا عن الظرف السياسي الذي سيتولد ؟ وكيف سيرتب ؟ وما مدى استعداد الجوار ؟ ماذا ؟ ! وماذا ...؟ !

- هكذا كان رأي المستشارين، وهكذا بدا للقيادة الإخوانية أنهم كانوا بالمعركة يلعبون وأن الوقت الذي مرّ لأكثر من عامين وهم في الخارج قد مّر مواتا، لا فائدة منه اللهم إلا بناء ذلك الصرح المجيد الهش من الهياكل السياسية والأجهزة المسماة عسكرية أو الملحقة بها وهي أشبه بمؤسسة بنكية أو دائرة حكومية وليس جيش عصابات يخوض واحدة من أشرس معارك المسلمين في العصر الحديث وأخطرها، وأنهم أفادوا في جمع ملايين الدولارات وفي إيهام المفغلين من المسلمين أن ثمة جهاد وثمة قيادة مجاهدة تخطط له ! ولكنهم لم يريدوا الخروج حتى يعدوا له .. هذه هي الحقيقة المرة.. {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة و..} صدق الله العظيم.

- لقد كانت الدلائل تشير إلى أن القيادة الإخوانية لم تكن تنتظر من أهل الداخل أن يطلبوا هذا الطلب، وكان كل تصورهم أن تنمو المعركة بإمكانيات أهل الداخل وأن يحصل الصدام والحسم في الداخل فينزل الشيوخ الذين بنوا صرح المجد السياسي والإعلامي لاستلام الحكم بحكم مواقعهم، وتأمينهم لوازم المعركة المادية، أما الشباب في الخارج فكانوا يربون ويعدون فكريا وحركيا وتدريبا ليكونوا حرسا للثورة ! أجهزة سلامة ! ولم يكونوا يعدون كمقاتلين، وهكذا كانت تكبح كل المحاولات الصادقة من الشباب في قواعد الخارج الرامية للقيام بعمل جدي نحو الداخل لإعمار المدن التي أخليت كحلب وحمص والساحل وغيرها.. وكذلك كل المحاولات النشطة لعسكرة الأجهزة في الخارج والذين عاشوا تلك المرحلة ومعظمهم في الأحياء يشهدون، أن كل التطورات التي حصلت في المجال العلمي كالتدريب والمواد العسكرية وغيرها بما في ذلك الاتجاه نحو بناء الداخل، كانت بفعل حماس الشباب واندفاعهم ودفعهم للقيادة نحو تلك الأعمال، وهكذا سارت الرياح بما لا تشتهي السفن ووقعت المأساة التاريخية.

انكشاف الانقلاب ومخطط الحسم

ذكر بعض الإخوة الثقات من شهود الأحياء أنهم سمعوا من الشيخ سعيد حوى شخصياً قوله:"إن أمريكا أعطتنا الضوء الأخضر للانقلاب وعند سؤاله وما دخل أمريكا قال لا يمكن لأي دولة في المنطقة أن تقوم بشيء إلا بمعرفة أمريكا قلنا له وهل أنتم على استعداد لتقديم التنازلات أكثر من حافظ أسد حتى ترضى عنكم أمريكا قال لماذا نحن لا نثق بأنفسنا ؟ لماذا لا نضحك على أمريكا ؟ وأفاد أنه بين شخصيات الانقلاب نصيريون معارضون للنظام. وكان سعيد حوى على صلة بالمخابرات المصرية ويدرب بعض عناصر الإخوان هناك لتشكل جهاز أمن " ولا أحد يدري على وجه التحديد إلى الآن كيف تم كشف الانقلاب واعتقال المراسل -خالد الشامي- وأي هذين المرين كان سابقا للآخر، فقد كانت الأمور تسير بإدارة المراقب العام حسن الهويدي ومعاونه عدنان سعد الدين، وكان قسم كبير من الاتصالات يتم بإدارة علي البيانوني وسعيد حوى وعبد الله الطنطاوي وباقي القيادة العليا، ولفيف من أتباعهم ولم يكن الجو أمنياً بشكل كاف عموما. ولم تتحدث القيادة رغم حيرة القاعدة وإلحاحها عن هذا الأمر الخطير الذي لا يعرفه إلا الدولة المتسلطة ومن كانوا يديرون الأمر. وثمة روايات عديدة غير رسمية يذهب بعضها إلى اتهام شخصيات

القيادة بتحديد أو بدون تحديد، بتسريب أخبار الحسم وإفشاء سر المراسل إلى أجهزة الأمن السورية التي قامت باعتقاله وكذلك بعض الضباط... وتم للدولة تحديد مركز ثقل المجاهدين وهو حماة والانقلابيين الضباط. فدمر الانقلاب، واعتقل الضباط، وسارت الأمور على النحو المؤسف في حماة.

وبانتظار أن تكشف الأيام حقيقة الأمور الغامضة وهي عديدة، وهذه واحدة منها، ليس لنا إلا تتبع الأحداث وسردها وتحليلها كما مرت بشكل واقعي مقرونا بالدليل والمعايشة.

في (أواخر 1981) أعلن عن إحباط محاولة انقلابية واعتقال لفيف من الضباط، طالت الاعتقالات أكثر الإسلاميين وعلى رأسهم العميد تيسير لطفي رحمه الله، وقد ذكر أن العدد أكثر من أربعمائة ضابط هم كل حصيلة الإسلاميين على مدى أكثر من خمسة عشر عاما من التخفي والصبر، بعد أن صفيت كل الكوادر الإسلامية العسكرية في الجيش عبر حملات الإعدام والتسريح المنظمة في عهد البعث والنصيريين من بعده، وسرعان ما أعدم معظم الضباط في عجلة مريبة، ثم كشف التلفزيون السوري عن اعتقال خالد الشامي، وأجريت معه مقابلة تلفزيونية فاضحة استمرت نحو أربع ساعات تحدث فيها وكان الانهيار باديا عليه، عن كل آلامه ومعاناته مع قيادة الإخوان في الخارج، وباعتراف بعض المسؤولين الإخوانيين أن أكثر من 90% من حديثه في هذا الجانب كان صحيحا، كما تكلم عن المجاهدين في الداخل وقلل من شأنهم وشأن الضباط، وكان مما ذكره في شأن القيادة في الخارج مآسي مخجلة منها أنها بحثت في فترة من الفترات موضوع اغتيال عدنان عقلة والخلاص منه ومن الطليعة، ولكنهم ضربوا عن ذلك صفحا خشية انفجار الأوضاع، ولقد كان لهذا الزعم ما يؤيده من بعض الحوادث التي جرت في الخارج واتهم فيها عدنان عقلة الإخوان بمحاولة تصفيته بصورة غير مباشرة.

باعتقال الضباط وخالد الشامي حددت الدولة حماة كمركز ثقل المجاهدين وقررت تصفيتها، أما معلوماتها عن أيمن شربجي فبقيت محدودة.

ضرب حول حماة طوق شديد من الحصار بعدة قطع من الجيش، وبدأت الدولة بسلسلة من الاعتقالات الجماعية العشوائية بالآلاف في مخطط ناجح ومدروس للإمساك بخيوط التنظيم السري (في مدينة صغيرة كحماة يعشعش فيها تنظيم قوي وكبير) وصلت كل هذه الأخبار للخارج، فكان قرار القيادة الحاسم عقد اجتماع، تمخض عن تشكيل جهاز عسكري من نحو أربعين رجلاً منهم أعضاء قيادات، ورؤساء أجهزة وكوادر عسكرية شابة من الجماعة وترأسه سعيد حوى[18]..

وهكذا نظر الشيوخ للحرب وكانت النتيجة موافقة للمعطيات.

عمت الفوضى جملة القواعد التي كانت قد بدأت تتململ من كثير من الظواهر السلبية، ومنها طول الانتظار دون جدوى، وقد أسفت معظمها لخبر كشف الانقلاب واعترافات خالد الشامي وأنباء حصار حماة، فقام الإخوان بسلسلة من المحاولات لتهدئة القواعد وضبطها وكان أهمها لقاءات المراقب العام حسن الهويدي بشباب المراكز كل على حدة

---

[18] يذكر بعض أعضاء هذا المجلس أنه عندما شكل وبحث موضوع من يكون على رأسه، أصر الشيخ سعيد حوى صراحة أنه يريد رئاسته. وكان التيار العام يرى أن يرأسه أحد الضباط العسكرين، وفي النهاية غضب الشيخ سعيد واعتصم في داره –وحماة تحت الحصار تسير إلى الحرب– حتى ذهبوا إليه وأرضوه وترأس الشيخ المجلس الذي أدار ما تلا ذلك من أحداث.

ليحدثهم عن الوضع العام وكانت جملة الأسئلة والاستفسارات منصبة حول مواضيع بعينها، وكان أهم ما ذكره المراقب العام وأكده مستعينا بالأيمان المغلظة أحيانا:

1 – أن لا علاقة للجماعة بالانقلاب، وأن ما أشيع من أنه إنقلاب إسلامي محض كذب وافتراء ! وأنه بوصفه مسؤولا عاما ومطلعا يؤكد أن الانقلاب هو انقلاب عادي من التي تجري وتحبط في سوريا بين حين وآخر، وأن الذين قاموا به هم لفيف مختلط من الضباط من عموم الاتجاهات!

2 – إن ما يشاع من تورط الجماعة في تحالف وطني مع الأحزاب العلمانية القومية والاشتراكية ومنها بعث العراق السوري، إن هو إلا محض كذب وافتراء وإرجاف من المغرضين.. وأن لا تحالف مع هذه الأحزاب، بل إن رأيه الشخصي لا يجيز ذلك.

3 – أن القيادة تراقب الأحداث وتتابعها عن كثب وأن حماة محاصرة وأن الصلة مع المجاهدين قائمة.

4 – على القواعد أن تزيد من تقواها لله عز وجل، وبثقتها بالقيادة ومهم خيار علماء الأمة ، فهم يتابعون أعمالهم ولا يقدمون على خطوة إلا بمشورة شرعية، وأن لا تسمح القواعد لحملات الإرجاف من أن تؤثر فيها.

5 – هاجم هويدي عدنان عقلة والطليعة كعادته دائما، واتهمها بحملات الإرجاف في صفوف الإخوان.

ساد الهدوء من ثم قواعد الإخوان، ولكن سير الأحداث وتلاحقها ما لبث أن فجر الوضع من جديد .

نزول عدنان عقلة لحماة وعودته برسالة أبي بكر، ونفير الطليعة.

في الأسبوع الأخير من شهر كانون الثاني 1981 قرر عدنان عقلة بعد سلسلة من الأعمال التنظيمية التي قام بها في صفوف الطليعة كما ذكرنا آنفا، قرر النزول إلى حماة والبدء بمرحلة العودة إلى الداخل، وكان أحد أهداف نزوله، إطلاع القيادة الميدانية في الداخل (حماة–دمشق) على أحابيل ومؤامرات الإخوان في الخارج وخاصة ما يتعلق بموضوع التحالف الوطني والصلات مع العراق، قبل نزوله إلى الداخل اجتمع به (طه ياسين رمضان) الموكل بالقضية السورية من قبل الرئيس العراقي، ووعده الأخير بالدعم الكامل لأي طرف يقوم بأي جهود عسكرية ضد حافظ الأسد الذي صعّد دعمه لإيران التي تشدد الهجوم على العراق، وعد رمضان عدنان عقلة بالدعم بأي سلاح يطلبونه فيما دون الدبابات والطائرات حتى لا تتهم العراق بالتدخل المباشر.

نزل عدنان وفي جعبته مخططاته ووعود العراقيين، وتمكن من اختراق السور الذي ضربه الجيش حول حماة التي كانت أخبارها قد انقطعت.

التقى عدنان بأبي بكر في قاعدة الأخير القيادية، في أجواء مشحونة بالتعسف والإرهاب التي يقوم به الجيش، وصدم بالواقع الذي بسطه أبو بكر أمامه، والذي لم يترك مجالا لبحث مخططات عدنان، فقد كانت الأزمة قد وقعت. أطلع أبو بكر عدنان، على أن الدولة بعد أن علمت أن مركز ثقل المجاهدين في حماة، حاصرت البلد بهدف إخراج المجاهدين إلى الصدام العلني مع الجيش في المدينة وأنها بسبب أعمال الاعتقال الجماعي بالآلاف ألقت القبض على

معظم خطوطهم مع أنصارهم، وكشفت عناوين معظم القواعد وتمكنت بعد مما يقرب من شهرين من الحصار من كشف كل شيء، وأنه (أبو بكر) لا يستبعد أن تكون قاعدته القيادية نفسها معروفة لديهم ! وأنه لا مفر من الصدام، فالدولة لا تعمد إلى الاشتباك مع المجاهدين في القواعد بل إلى نسف كل بيت يشك بوجود مسلحين فيه على رؤوس أصحابه وجيرانه.. وأن أعمال التمشيط تتم بوحشية بعد قصف المنازل وإطلاق النار عليها دون رعاية لحرمة ولا عرف ولا دين، وأن الحال لو استمر كذلك فإن معظم القواعد التي تضم المئات ستدمر بلا ثمن ودون مقابل، ولذلك فقد قروا الصدام وحددوا لذلك فجر يوم 1982/1/25 م وأنه يأمل (أبو بكر) أن يؤدي الصدام إلى تحريك ضمائر أبناء المسلمين في الجيش، فإن لم يكن فالموت العزيز مع تكبيد السلطة ثمنا فادحا خير من الموت تحت ركام التدمير مجانا، ثم حمّل أبو بكر (عدنان عقلة) رسالته الأخيرة لقيادات ما وراء الحدود بكل أشكالها وأنواعها، وتوجه إليهم بنداء مؤثر أن يحاولوا المشاركة في المعركة بما أمكنهم، ونبذ خلافاتهم فلا مجال للخلاف والسكين تعمل في رقاب الأهالي والمجاهدين.

وعد عدنان أبا بكر أن يخرج سريعا ثم ينزل بالطليعة للمشاركة في المعركة بما أمكنهم إن لم ينزل الإخوان وقال لأبي بكر "إن كان كتب عليكم دخول الأخدود فسندخله معكم إن شاء الله " وخرج من عنده متوجها إلى العراق بعد أن أقنع أبا بكر بتأجيل الصدام ما أمكن حتى يتمكن من يريد الإنقاذ من المشاركة والنزول للداخل، لم يصل عدنان إلى بغداد إلا في 1982/1/24 م حيث حمل الرسالة ورافق مسؤول الإخوان في العراق الدكتور (رشيد العيسى)، ونزلا إلى عمان لإطلاع قيادة الإخوان على الوضع الراهن وطلب عدنان عقد اجتماع سريع وطارئ، ولم يستطع أن يقنع الإخوان بأقرب من صباح اليوم التالي ! كعادتهم في الظروف العصيبة تداعى الإخوان إلى عقد اجتماع لتدارس الوضع وطبخوا قراراتهم، ومع الصباح التقوا بعدنان وعرض المراقب العام "حسن هويدي" النزول والجهاد معا إن هو بايعهم ! ! ودار حوار ساخن وأبلغ عدنان عقلة حسن الهويدي بأن الهوة واسعة بينهم ولو أنه وجد مبررا لمثل هذه البيعة لكان بايع، ولكن الأمر الآن أهم من البيعات والولآت.. فالأخوة يذبحون، وعرض عليهم القبول بأي شكل من أشكال التنسيق فرفضوا فغادرهم وهو يقول لهم، وأنه كان يعلم مسبقا بموقفهم ولكنه أراد أن يعذر إلى الله فيهم وخرج.

لم يمض 1982/1/25 م إلا وكان عدنان قد نشر نص الرسالة (رسالة أبي بكر) على عموم قواعد الإخوان والطليعة والمشايخ.. وكل مهتم بالأمر، وأعلن نفير الطليعة ومن يريد مشاركتها وبدأ يعد العدة لنقل شبابه إلى العراق، وفعلا انتقل إلى بغداد بجميع شبابه البالغ عددهم نحو مائة شاب.

كانت كل قواعد الإخوان على استعداد نفسي للنفير معه، لولا أن القيادة سارعت إلى تهدئة القواعد وإخبارها بأنها عازمة على المشاركة في المعركة وأن إعلان النفير هو القرار الحاسم وأنه سيصدر بين ليلة وضحاها...

وقامت القيادة الإخوانية بحركة مرتجلة لتشكيل بعض الفرق التي أسموها انتحارية للتدخل السريع إن لزم الأمر حتى يستكملوا استعدادهم، وعاد المراقب العام حسن هويدي لجولته التخديرية على المراكز وذكر بالحرف الواحد أمام الجميع "أن رسالة عدنان عقلة لم تأت بجديد وأنهم على علم بما يجري، وقد رتبوا الأمر.

وطلب من القواعد الهدوء والتقوى والثقة كالعادة بانتظار قرار الجماعة، ثم استقل لفيف من القيادة منهم الهويدي وسعيد حوى وعدنان سعد الدين.. الطائرة متجهين إلى بغداد حيث رتبت مع الحكومة العراقية وقادة الأحزاب السورية المعارضة من المرتدين كل فصول المسرحية !

أعلنت القيادة أن الصدام قد وقع بين الإخوة الذين قرروا المواجهة والحسم وبين الدولة، وأنها تعلن من طرفها النفير العام لإنجاد حماة، وعلى كل القواعد والكوادر التوجه حالا إلى بغداد، كان ذلك حوال 8 أو 1982/2/9م وبدأ مئات الشباب يتقاطرون إلى بغداد من كل أنحاء العراق والأردن وجرت الاتصالات لتأمين نفير الشباب من جميع أنحاء العالم.

النفير والحملات 1982/2/10 وحتى أواخر شهر آذار 1982

استقرت قيادة الإخوان المسلمين ورئيس الجبهة الإسلامية أبو النصر بيانوني في قصر الضياقة التابع للقصر الجمهوري في بغداد ! كما استقر الشباب وقياداتهم وكوادرهم الميدانية العسكرية في المعسكر المسمى معسكر الرشيد على مسافة نحو عشرين كليو متر من بغداد، على طريق الموصل، وقبل أن ندخل في الحديث المفصل عن الإخوان في هذه المرحلة نُعرّج على ذكر أخبار الطليعة (لقصرها وعدم أهميتها في هذه المرحلة).

فبعد أن اتفق العراقيون والإخوان على النفير الإخواني ونجدة حماة أدار العراقيون ظهرهم لعدنان عقلة وطليعته، بعد أن حازوا على حليف إسلامي أكثر عددا وأكبر وزنا وألين عريكة في التعامل السياسي من عدنان عقلة الذي كان يردد على مسمعهم باستمرار أن هذا التعاون تكتيكي لإسقاط عدو مشترك ولكنه إسلامي وأن العراقيين قوميين وأن الطليعة إسلامية وأن لكل دربه وفكره ودينه، في حين كان الحلف من الجانب الإخواني أريح وأجدى بالنسبة للعراق. ونجحت الضغوط الإخوانية التي قادها عدنان سعد الدين في تحجيم الطليعة ومنعها من النزول والتنكر لوعود –طه ياسين رمضان– ولا عهد لكافر..

لم تفلح المحاولات التي قامت بها بعض الشخصيات الطليعية لإقناع عدنان سعد الدين في رفع الضغط والسماح للطليعة في النزول.

ومنذ الأيام الأولى وفي حين كان الإخوان يواجهون مشاكل هائلة في النزول لحلب كان لدى الطليعة إمكانية النزول إلى هناك، ولكنهم منعوا من النزول، ولكي نأخذ مثالا عن ذلك الحصار الذي صارت إليه الطليعة نروي ما رواه الأخ عبد الحميد الصالح (أبو خالد) نائب عدنان عقلة في تلك المرحلة، قال:

(توجهت إلى مكان إقامة عدنان سعد الدين وقلت له إن العراقيين قد وضعونا بعد مجيئكم في شبه إقامة جبرية في العراق، ومنعوا استطلاعنا من الاقتراب من الحدود، واعتذروا عن تسليحنا حتى بالأسلحة الفردية، ونحن نعلم أن هذا بالاتفاق معكم، فما رأيك لو اتفقنا على أن ننزل إلى حلب ولو بأسلحة خفيفة ولو بمعدل بندقية لكل مقاتل فقط، فرفع سعد الدين إصبعه مشيرا وقائلا: ولا طلقة واحدة، لا نريد أن يتسبب نزولكم في عرقلة مخططنا الشامل– فقلت له : لما لا تسمحون لعدنان وجماعته بالنزول عسى الله أن يرزقه الشهادة وتستريحون منه !؟ فضحك وقال: هذا رجل ليس وجهه وجه الشهادة ! ! فانصرفت عنه آسفا).

وهكـذا حُجّـم دور الطليعـة ! ومنعـت مـن النـزول بـإرادة إخوانيـة عراقيـة، في الوقـت الـذي خلـت فيـه حلـب مـن معظـم حاميتهـا مـن جنـود السـلطة الـذين سـحبوا إلى حمـاة علـى عجـل وكـان كافيـا لاحتلالهـا عـدة عشـرات مـن المقـاتلين لتفجـير الأوضـاع وقيـادة الأهـالي الـذين كـانوا يبـاتون الليـالي بعيـون مفتوحـة بانتظـار قـدوم المجاهـدين كمـا كانـت تـزعم إذاعـة المجاهدين من بغداد.. وسبحان الله !

أما بالنسبة للإخوان فقد كان مخططهم للنفير وإنقاذ حماة واستغلال انفجارها كما يلي:

أولا: عملـت اتصـالات واسـعة علـى اسـتقطاب الشـباب مـن العـراق والأردن وهـم جمهـور المـرابطين وأسـاس القـوة العسـكرية للإخـوان، وكـذلك عملـت علـى تقـاطر مئـات الشـباب الآخـرين الـذين قـدموا مـن السـعودية والخلـيج والـيمن وتركيـا ومصـر وأوربـا وبعـض دول أمريكـا، حيـث بلـغ عـدد الحشـد نحـو ألـف وخمسـمائة شـاب بعـد مضـي عـدة أيـام علـى النفـير، وكان جلهم بحاجة إلى إعداد وتدريب حيث بدأت للجدد منهم دورات سريعة.

ثانيـا: شـكلت بـأوامر الشـيوخ قيـادات ميدانيـة للمراكـز، مـن الكـوادر العسـكرية الشـابّة، لتتـولى كـل لجنـة عسـكرية وضـع المخطـط الـلازم لحملـة سـريعة إلى منطقتهـا، فصـدرت الأوامـر لهـذه اللجـان العسـكرية بإعـداد حمـلات مثـل حملـة حلـب – إدلب– الدير والمنطقة الشرقية– حمص– المنطقة الجنوبية...

ولمـا كـان العمـل هـذه المـرة ميـدانيا، فقـد تخلـى الشـيوخ عـن الصـلاحيات العسـكرية ولأول مـرة للشـباب لأن القيـادة كانـت تعـني في ذلـك الظـرف، الكفـاءة والنـزول أمـام المجاهـدين إلى المـوت، واقتصـر دورهـم علـى رسـم الاسـتراتيجية العامـة وهـي بعـث حمـلات، وتـأمين اللـوازم عـن طريـق الصـلة بالقيـادة العراقيـة ومتابعـة الحـوار السياسـي معهـا والاتصـالات مـع جميـع أنحاء العالم الذي اهتم فيه الإسلاميون بهذا التصعيد جدا...

ثالثـا: بـدأت الإذاعـة المخصصـة للمجاهـدين (صـوت المجاهـدين) والـتي كـان لهـا جـزء مـن الوقـت المخصـص للمعارضـة السورية عبر العراق سلسلة من الحملات الإعلامية العشوائية التي تضمنت:

- أخبـار مبـالغ فيهـا، بـل كاذبـة إن أردنـا التعبـير بدقـة، حـول سـير المعـارك في حمـاة وغيرهـا وانفجـار الوضـع في حلـب والانشـقاقات المزعومـة في صـفوف الجـيش وتأييـده للأهـالي والمجاهـدين، وزعـم أن هـذا الانشـقاق وصـل إلى القوات البحرية...
- سلسـلة مـن البيانـات والخطـب الموجهـة للشـعب عـبر الإذاعـة الـتي تبـث مـن بغـداد، تحضـهم علـى الاسـتعداد لاسـتقبال المجاهـدين الـذين يعـدون لنجـدة إخـوانهم كـان ممـن أذاع هـذه البيانـات كـل مـن عـدنان سـعد الـدين وأبـو النصـر البيـانوني وسـعيد حـوى، الـذي ذهـب لمخاطبـة أهـل دمشـق قـائلا: بـأن المجاهـدين نـازلون (فمـن دخـل بيتـه فهـو آمـن)– ولم يقـل مـن دخـل دار أبي سـفيان فهـو آمـن !! والحمـد لله– وهكـذا رفعـت الإذاعـة وتـيرة الحمـاس في صفوف الأهالي الذين قعدوا ينتظرون الألوف المؤلفة التي ستتدفق من العراق والأردن.

الوثيقة رقم (7)

نموذج عن البيانات التي كان يذيعها أعضاء قيادة الإخوان المسلمين عبر إذاعتهم الموجهة من بغداد إبان أحداث حماة. وكانوا يوزعوها مطبوعة وفيها يظهر الكذب والتهويل الإعلامي المخجل.

بيان لقيادة الثورة الإسلامية في سورية

ألقاه عضو القيادة الشيخ سعيد حوى من إذاعة صوت سوريا العربية مساء يوم الثلاثاء 22 ربيع الثاني 1402هـ 1982/2/16م اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب المجاهد الأبي يا إخواننا وأبناءنا في جيشنا وقواتنا المسلحة وقوى الشرطة والأمن يا كل مواطن في أي موقع كنت وعلى أي بقعة أقمت وإلى أي بلد أو قرية أو حرفة أو مذهب أو تنظيم سياسي أو نقابي انتسبت، إلى تضحيات شعبنا العظيمة وصلابته في مواجهة الطغيان قد تكللت بأن أصبح الشعب كله بفئاته وطوائفه جبهة واحدة تؤكد وحدة الماضي والحاضر والمستقبل، وتسقط كل ما رتبه الطاغية أسد من خطط التفرقة وحسابات الاستبداد والخيانة، وقد راهن الطاغية على مصارعة الإسلام فصرعه الله عز وجل، وراهن على الطائفية فتحطم رهانه، وراهن على سلخ الجيش عن الشعب فالتحم الجيش بشعبه، وراهن على اصطناع حصون من مرتزقة الميليشيات فانهارت وأخذت تنتقض عليه حصنا حصنا، وراهن على تغطية صفقاته الخيانية في لبنان والجولان وأرض الأنبياء فانفضحت كلها دفعة واحدة، فاختلف سادته وأساتذته[19] فقرروا الاستغناء عن خدماته التي أثبتت عقمها وبوارها ولم يبق له إلا خزي الدنيا والآخرة.

يا شعبنا المجاهد الأبي يا من قارعتم التتار والفرنجة والصهيونية والاستعمار صفا واحدا موحدا وبنيتم وطنكم لبنة لبنة، وأرسيتم تقاليدكم المجيدة، كابرا عن كابر، وفهمتم دينكم ربانيا يبني الحياة وينهض المجتمع والدولة على أسس قويمة، فكان لكم تراث ضخم ومؤسسات شرعية وقضاء عادل وتطلعات حضارية، فسعى الطاغية يريد نسفها، وتقويض أركانها.

يا أبناء الاستقلال، ودين التحرير، ورواد الوحدة العربية والأخوة الإسلامية، ها قد جاء اليوم الذي تعود فيه الأمور إلى نصابها، وتستردون فيه زمام مصائركم، وتستأنفون مسيرتكم التي عرقلها الطاغية طوال إحدى عشرة سنة بالتخذيل والتوهيم وطوال ثلاث سنوات من ثورتكم المظفرة، فخضبتموها بالأمثولات البطولية والانتصارات الباهرة.

يا شعبنا المجاهد الأبي، باسم رجال الفكر والعلم والرأي، باسم المنظمات السياسية والنقابية، باسم مؤسساتك الشعبية والرسمية، باسم المدنيين والعسكريين وقوى الشرطة والأمن نعلن ما يلي:

1 – أن شعبنا كله قد اتخذ قراره الذي لا رجعة عنه ألا وهو إسقاط نظام السفاح أسد، وإقامة نظام شعبي حر يتساوى فيه المواطنون جميعا في الحقوق والواجبات.

2 – أن المغررين والمتورطين من حول الطاغية مدعوون للمرة الأخيرة إلى الانفضاض عنه والالتحام بالشعب.

3 – أن حكومات العرب والمسلمين مدعوة إلى الوقوف مع شعبنا السوري، وإلى قطع كل علاقتها السياسية ودعمها عن النظام الباغي.

4 – أن مواقف حكومة سوريا بعد الانتصار الوشيك بإذن الله سوف تترتب على أساس المواقف التي اتخذتها أو سوف تتخذها دول العالم من جهاد شعبنا ومن جرائم الطاغية الزائل.

---

[19] في هذا إشارة إلى أنهم تلقوا تطمينات كما مرّ معنا أن أمريكا ستسمح لهم بالانقضاض وأنها تستغني عن حافظ أسد كما كان يقول الشيخ لبعض خواصّه

يا شعبنا يا أهلنا أيها المجاهدون إن الجهاد في مواجهة الطاغية أصبح فرض عين على كل قادر عليه بعد أن أريقت الدماء وانتهكت حرمات الحرائر واعتدي على الأعراض وديست الكرامات وكبتت الحريات لقد أشعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب ضد يهود بني قينقاع عندما انتهكوا حجاب امرأة واحدة، فكيف وقد رأيتم بأعينكم التعرض للحرائر في الشوارع العامة وهتك حجابهن، فمن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد، لقد طابت الشهادة ووجب الجهاد وأعلنت سوق الجنة {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}.

إن التي نادت وامعتصماه عندما سبيت لباها المعتصم بجيش جرار يفتح حصون عمورية على رؤوس المعتدي، فها نحن قد لبينا النداء، وأعلنا الجهاد، وعاهدنا الله عز وجل على ألا يبقى منا عرق ينبض أو عين تطرف ما لم نثأر لديننا المضطهد، وشعبنا المظلوم،وأمتنا المنكوبة، وكرامتنا المهدورة، فإن الطريق إلى تحرير فلسطين سيكون مفتوحاً بعد إزاحة بائع الجولان. وذابح الفلسطينيين في تل الزعتر، وإنه ليستوي عندنا إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} .

وإلى حماة الصابرة وجيرانها الأوفياء في الأقضية والقرى في السلمية ومصياف ومحردة،مزيدا من الصبر والتلاحم والإيثار والجهاد، وإلى الذين يوجههم الطاغية نحو حماة نقول: إن عليكم أن تنضموا إلى حماة وسلاحكم يجب أن يتوجه نحو الخارج لا الداخل وبعد:

فإن لنا مطلبا من شعبنا كله أن يبدأ الإضراب العام حتى يسقط النظام، وهذا حد أدنى نطالب به كل مواطن، فمن استطاع أن يبدأ اليوم فلا يؤخره إلى غده وإننا نطالب دمشق خاصة بإضراب كإضراب الستين يوما زمن الاستعمار.

ونقول مرة أخرى للمغررين والمورطين الذين لا زالوا بيد السلطة أننا نعطيكم فرصة أخيرة فمن ألقى سلاحه منذ اليوم وأغلق عليه بابه فهم آمن على ماله وعرضه ودمه. أما الذين لا زالوا يحملون السلاح بجانب الطاغية فهؤلاء لن يفوتهم القصاص العادل {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

صرح ناطق باسم قيادة الثورة الإسلامية في سورية بما يلي:

تضامنا مع مدينة حماة المحاصرة ومع إضراب المحافظات الشمالية نفذ المجاهدون عملية جريئة في وسط مؤسسات السلطة الباغية في العاصمة ودمشق، وهو إنجاز يضاف إلى سلسلة التفجيرات الضخمة التي حققها المجاهدون ضد أهداف حكومية أو عسكرية أو قمعية.

حوالي الثانية عشرة من ظهر يوم الخميس 1982/2/18م، استطاع المجاهدون إدخال سيارة مشحونة بعبوة ناسفة ضخمة إلى مستودع مبنى وزارة الإعلام، المخصص لتوزيع وشحن جريدة النظام (البعث) حيث انفجرت السيارة محدثة دويا هائلا، دمر تماما مكاتب الجريدة الكائنة في الطوابق السفلى من المبنى المؤلف من أحد عشر طابقا، كما ألحق

أضراراً بالغة في بقية الطوابق وهرعت على الفور سيارات الإسعاف والإطفاء، كما حشدت السلطة عناصرها المسلحة بكثافة وحاصرت المنطقة، وأغلقت الطرق المؤدية إليها.

اعترفت السلطة بخسائر مادية كبيرة، وبتدمير عدد من السيارات الرسمية الموجودة، كما سربت خبر مقتل -76- وجرح 135 وأصدرت بيانا نسبته إلى ما يسمى بالجبهة الوطنية التقدمية التي لم يعد لها وجود حقيقي، بعد انسحاب معظم المنظمات المحسوبة عليها.

إن الحدث أكبر من أن تتستر عليه السلطة الباغية، ونلفت الأنظار إلى أن أجهزة الإعلام السورية كلها مؤممة وإلى أن الانفجار كان توقيته حين يزدحم الموظفون، وقد اختير هذا الهدف في العاصمة وهو الجهاز الذي يطلق الدعاية السوداء ضد شعبنا في الداخل والخارج.

نحن نعلن أن الإصابات أكبر مما تعترف به السلطة، أو تسربه إلى الوكالات، كما نعلن تحذيرنا إلى كل الذين وظفهم النظام، لكي يستدركوا أنفسهم وينسلخوا عن الطاغية ويلتحموا بشعبهم.

قيادة الثورة الإسلامية

في سوريا.

24 ربيع الثاني 1402هـ 1982/2/18م

بسم الله الرحمن الرحيم

صرح ناطق باسم قيادة الثورة الإسلامية في سورية بما يلي:

تم اتصال خاص بمدينة حماة المحررة المحاصرة يوم الأحد 1982/2/14 وتأكدت المعلومات التالية:

1 – المجاهدون والمواطنون والقوى العسكرية المنضمة إليهم يتمتعون بمعنويات عالية، وما زالوا يسيطرون على الأحياء والمواقف الاستراتيجية في المدينة مثل "منطقة الحاضر، الطريق إلى السلمية، منطقة طريق حلب وحتى مسافات بعيدة، حي العليليات، قسم من شارع العلمين:

2 – كانت محاور القتال الرئيسية هي:

أ – شارع (8) آذار حيث وقع تدمير شامل على طرفي الشارع من جهة الشمال.

ب – منطقة المحطة وكانت المقاومة الشعبية جيدة جدا.

ج – هدم مبنى الحكومة (السراي) لأن منطقة العلمين كانت مسرحا لاشتباكات شديدة أدت إلى هدم المساكن والأبنية على الجانبين.

د – تخريب عدد كبير من البيوت في أحياء البياض والمحطة.

4 – الأسلحة المستعملة في المعارك، الدبابات–المدفعية–راجمات الصواريخ.

5 – خسائر السلطة الباغية.

أ – تدمير سبعين دبابة في شارع العلمين.

ب – تدمير جسر العبيسى

ج – تدمير بيت المحافظ.

د – مقتل شقيق المحافظ.

هـ – مقتل أبو عمر طلاس ابن أخت مصطفى طلاس، الذي كان مشرفا على مركز مراقبة الهاتف.

و – مقتل عثمان علي رئيس شبيبة الثورة.

ز – ضرب جميع مراكز سرايا الدفاع والصراع وهي:

1 – مركز طريق حلب كازية (ديج)

2 – مركز المستشفى الوطني القديم في حي الحاضر.

3 – مركز الملعب البلدي.

عند الهجوم اضطر الذين نجوا من سرايا الدفاع والصراع اللجوء إلى كلية الطب البيطري حيث تابع المجاهدون عملية تطهيرهم.

6 – من جرائم السلطة الباغية:

أ – عمدت مفرزة تابعة للسلطة الباغية قرب معمل السكر في حمص، عمدت إلى قتل عدة مواطنين على الهوية لمجرد كونهم من حماة.

ب – جرت على أيدي عناصر السلطة سلب ونهب، فقد عثر على أحد الجنود الذين قتلوا على طريق سلمية وبجيبه (48) ساعة يد، كما جرى نقل محتويات الأبنية المهدمة في المدينة ووضعت في مستودعات شركة المياه قرب قرية (بسيرين).

25 ربيع الثاني 1402هـ 1982/2/19

قيادة الثورة الإسلامية

في سوريا

بيان من قيادة الثورة الإسلامية في سورية

إلى المواطنين من أبناء الطائفة العلوية

ألقاه الأستاذ عدنان سعد الدين عضو قيادة الثورة الإسلامية في سورية من "صوت المجاهدين".

مساء الجمعة 25 ربيع الثاني 1402هـ 1982/2/19م

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنون من أبناء الطائفة العلوية، باسم المجاهدين خاصة واسم الشعب كافة، نحدثكم ونتوجه بهذا الخطاب:

لقد كانت سورية مثلا يحتذى بين دول المنطقة، في تآلف شعبهان وتلاحم أهلها، وتآزر سكانها. في وحدة الشعب، وبناء الوطن والذود عن حدوده وحمايته من الطامعين. وبهذا الحس والوطني المرهف، هب الشعب في سورية يقارع المحتل، وينازل المستعمر، ويجاهد صفا واحدا متراصا، يقف فيه المسيحي إلى جانب المسلم، والعلوي إزاء السني، لا عصبية ولا إقليمية ولا طائفية، وكان يقود الجماهير الثائرة في حرب الاستقلال رجال ينتمون إلى الشعب كله، وكان يقود الجماهير الثائرة في حرب الاستقلال رجال ينتمون إلى الشعب كله، وكان من أبرزهم، إبراهيم هنانو في حلب وتوفيق الشيشكلي في حماة، وهاشم الأتاسي في حمص، وشكري القوتلي في دمشق وصالح العلي في جبال العلويين،

وسلطان باشا الأطرش في جبل العرب، ومصطفى حسين الحجى في جبل الزاوية، ومحمد العايش في الفرات، وإسماعيل التركي الحريري في حوران. فكان من ثمرة هذا التلاحم استقلال ناجز، سبقت به سورية كل دول المنطقة، لتكون حادية الركب في نيل الحرية والاستقلال في مصر والعراق والأردن والسودان والمغرب وغيرها من بلاد العرب والمسلمين.

أيها المواطنون من أبناء الطائفة العلوية: لقد ظل وطننا مثالاً مشرقا في تآلف أبنائه، وتعاون فئاته في إرساء أسس النهضة القائمة على التسامح والحرية والحياة البرلمانية والازدهار الاقتصادي ونشر العلم والثقافة والوعي، حتى ابتليت بهذا الحكم العفن المتسلط، الذي لا يحمل من الأهلية والكفاءة غير الغدر والخيانة والتآمر على الشعب والوطن. لقد اعتمد هذا الحكم سياسة العدو في تمزيق الصف، وبذر بذور الشقاق بين شرائح الشعب وفئاته وغذى روح الطائفية المميتة ليضرب فريقا من الشعب بفريق، فسرت روح التعصب البغيض في ظل هذا الحكم المهترئ، فانتشرت دواعي التشتيت والتمزيق والتطاحن الطائفي فوق أرضنا المباركة، بعد أن كانت المثال الرائع في وحدة شعبها وتلاحم فئاتها. هكذا زج الخائن طائفته في نزاع خطير، وأغرق الشعب والجيش في صراعات مدمرة، وشغل الجماهير بالسعي الحثيث وراء الرغيف والوقود وغذاء الطفل، وأرخى العنان للعدو يصول ويجول على حدودنا ويعربد فوق أرضنا ويتحدى مشاعر شعبنا ويتمتع بالهدوء والاستقرار من سنوات طوال. لم يكتف الطاغية بما اقترفت يده الآثمة بل راح يفتك بالشعب العربي الشقيق في لبنان، فحيناً مع الكتائب وحيناً مع خصومها، وتارة مع المسلمين وأخرى مع المسيحيين، ومازال ذلك دأبه وديدنه حتى أحال لبنان الزاهر إلى خراب وجعله ممزقاً وأشلاء، ثم أطلق لأخيه السفاح ولعصابته المجرمة من أمثال الخولي وطلاس أيدي الاختلاس والنهب والرشوة، ليمتص من الشعب السوري دمه وماله، ويملأ البنوك في أوربا وأمريكا بما سلبوه ونهبوه، ثم أرخى الزمام لذئابه لينهشوا بالأعراض والكرامات، وياهول ما صنعوا !!ومديرات المدارس في العاصمة وباقي المدن يعرفن ويرين ما تشمئز منه الأبدان، ويشيب لهوله الولدان.

أيها المواطنون من أبناء الطائفة العلوية مدوا أيديكم إلى أيدي إخوانكم في سورية، فكلكم شعب واحد عاش القرون في سلام وحاربوا جنباً إلى جنب لنيل الاستقلال، وشاركوا مع أبناء شعبهم في الجيش والبرلمان والحكومة والمدارس، وفي كل الدوائر والمؤسسات، وما كان المواطن ليخطر بباله أن يسأل خالدا وعليا ومحمدا أو حسنا عن مذهبه أو طائفته. وقد عشنا بينكم على سفوح الجبال وعلّمنا أبناءكم كما علم الأساتذة منكم أبناءنا، وسكنّا في قراكم وسكنتم في أحيائنا، وقاومنا معكم وحاربتم معنا الاستعمار والظلم والاستغلال، وهكذا كنتم وكنا، حتى حلت اللعنة أرضنا، وتسلل الطاغية الخائن باسم الاتجاه القومي والعمل الوطني تسلط على الوطن الجريج وكانت الكارثة.

أيها المواطنون من أبناء الطائفة العلوية: هل سمعتم ما حل بالمدن وسكانها الآمنين ؟ لم تعد عامرة بسكانها بل أحالها الطغاة والأبالسة إلى أنقاض تشبه المدن الألمانية في نهاية الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فكل حي فيها حمل السلاح حتى يستشهد أو يفنى العدو الجبان. لم يعد شعب حماة آمنا بل تعرض للقصف والدمار والإبادة، فهل يفعل

هـذا حكـم تربطـه أي صـلة وشـيجة بـالوطن أو العروبـة والإسـلام ؟ هـل فعلـت فرنسـا وانكلـترا في بلادنـا مـا يفعلـه الخـائن في سورية ولبنان ؟ هل جرؤ أعدى أعداء الأمة على إبادة الشعب وهتك المدن كما يفعل مسيلمة وأخوه أبو رغال ؟ [20]

أيهـا العلويـون: هـل تسـتطيعون الحيـاة الآمنـة علـى أشـلاء شـعب ممـزق ؟ وهـل في مقـدوركم أن تسـتقروا في وطـن مهـدم ؟ إننـا علـى يقـين أن جمهـوركم يـألم مـن طغيـان هـذه المافيـا الحاكمـة كمـا يـألم جمهورنـا، وإن مـن شـبابكم مـن صـفي بالسـجون كمـا صـفي الآلاف مـن شـعبنا، فضـعوا أيـديكم بأيـدي الشـعب في سـوريا وتنافسـوا في غسـل هـذا العـار عـن جبـين وطننـا الغـالي ليعـود كمـا كـان أرض الأمجـاد، والبطـولات، أرض السـلام والوئـام، أرض الوفـاء والإخـاء، حـادي الركـب في بـلاد لاعـرب وأرض الإسـلام، وإلى اللقـاء علـى أرض الـوطن الحبيـب شـعبا قويـا موحـدا، وجيشـا وطنيـا شـجاعاً ورسـالة تمـلأ الأرض نورا وعدلا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قيادة الثورة الإسلامية

في سورية

25 ربع الثاني 1402هـ 1982/2/19م

بيان قيادة الثورة الإسلامية في سورية

إلى أبناء مدينة دمشق وإلى الهيئات الدبلوماسية فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيهـا الإخـوة المواطنـون، أيهـا الشـعب المجاهـد، يـا أبنـاء دمشـق الـبررة: هـذا نـداء لكـم مـن قيـادة ثـورتكم، نهيـب بكـم أن تلتحمـوا معهـا في معركـة المصـير ضـد الطاغيـة حـافظ أسـد. إنهـا للحظـات حاسمـة في تاريخنـا تظهـر فيهـا معـادن الرجـال، ومـواقفهم الشـجاعة. إننـا مقـدمون علـى حسـم الموقـف وتصـفية هـذا المجـرم وطغاتـه وزبانيتـه، نهيـب بكـم أن تخلـوا الشـوارع لإخـوانكم المجاهـدين. إن حرصـنا علـى أن لا تـراق قطـرة دم واحـدة لأي مـن أبنـاء شـعبنا يـدفعنا إلى أن نـدعوكم لتغلقـوا متاجركم، وتقفلوا حوانيتكم، وتتركوا أعمالكم، وتأووا إلى بيوتكم. إن معركة المصير لم تعد تحتمل التأخير لحظة واحدة.

يـا إخواننـا أبنـاء دمشـق: إننـا باسـم الثـورة الإسـلامية، نعلـن لحظـة التفجـير العـام في مدينـة دمشـق، وسـوف نواجـه الطاغيـة مـن بـين يديـه ومـن خلفـه، ومـن تحـت الأرض ومـن فوقهـا، ولـن نـدع لـه مكانـا للهـرب، وحرصـاً علـى سـلامة أرواحكـم وسـلامة أبنـائكم وحاضـركم ومسـتقبلكم نـدعوكم هـذه الـدعوة، كمـا نـدعوكم إلى مقاومـة النظـام مقاومـة سـلبية بمقاطعتـه علـى كـل صـعيد. إن قطـع سـبيل الحيـاة عنـه هـو مسـؤوليتكم. لابـد أن يقـف النظـام وحـده في السـاحة منبـوذا عارياً، بعد أن ذبح الآمنين وحارب عقيدة الأمة، وانتهك أعراضها، ومزق حجاب حرائرها المصونات الكريمات.

إنهـا معركـة الثـأر لـدين الله، ولحرمـات الله، ولشـريعة الله، ولـن تقـف أمـام هـذا الثـأر قـوة مهمـا كانـت. إن العاصـفة انطلقت بإذن الله لتقتلع آخر أوكار الطغاة في سورية الواحدة الموحدة شعبا وجيشا، عاصمة ومدنا، وريفا وبادية.

---

[20] يقصـد رفعـت الأسـد ومـن عجائـب سـعد الـدين وأقرانـه في قيـادة الإخـوان المسـلمين في سـوريا أنهـم أقـاموا بعـد حمـاة تحالفـاً وطنيـاً مـع الأحـزاب في 1982 ثم طـوّروه في 1989 إلى جبهـة الإنقـاذ الـوطني حيـث تمّ التحـالف أيضـاً مـع رفعـت أسـد وجماعتـه ضـد أخيـه كمـا يـزعم وكمـا يتصـورون وسـيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

إن حمم البركان الذي ينفجر، بل إن تصميم شعبنا الذي انطلق من عقاله سوف يلاحق زبانية النظام وأزلامه، وسوف يدك معاقله التي تحصن بها طوال حكمه الأسوج المقيت. وما سلسلة الانفجارات الضخمة التي هزت العاصمة وزلزلت أركان السلطة، إلا شاهد صدق على ذلك. فتحية إجلال وإكبار لشباب دمشق المجاهد، الذي خضب ثراها الظاهر بأزكى الدماء لا يطلب أجره إلا من الله.

ومن أجل ذلك كله نهيب بالمواطنين عامة، وبإخواننا أبناء العاصمة دمشق خاصة:

أولا: ندعوكم إلى إعلان العصيان المدني على النظام، فلا تدفعوا له بعد اليوم قرشا واحدا، وهذه فتوى علماء الأمة لأن التعامل معه يطيل في عمره المشؤوم، وهذا حرام في دين الله. قال تعالى:{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دونه من أولياء ثم لا تنصرون}.

ثانيا: إن إغلاق المتاجر والحوانيت والمدارس والجامعات والمعاهد والمعامل والمصانع وكل المؤسسات العامة والعاملة أمر مطلوب وضروري. تذكروا إضراب الستين يوما، الذي عجل بزوال العهد الاستعماري البائد، وإضرابكم هذا سوف يكون أحد العوامل المعجلة بطرد الطاغية مذموما مدحوراً.

ثالثا: نتوجه بندائنا إلى الهيئات الدبلوماسية العربية والإسلامية والأجنبية في دمشق لكي تأخذ حذرها، وتنصح رعاياها بالابتعاد عن مواقع الاشتباكات، وفي الوقت نفسه مدعوة إلى كشف التعتيم الإعلامي، وإحاطة حكوماتها بتفاصيل ما يدور على الساحة السورية من ثورة شعبية عامة ضد حكم استبدادي ممقوت.

يا أبناء دمشق، أيها الشعب الأبي:

إن ثورتكم عادلة ومنتصرة بإذن الله. إن الطاغية لم يترك في قوس صدركم منزعا، ولا يمكن للأمة أن تقبل حكم فرد فيها مهما كان، لأن الربوبية لله لا للعبيد. لقد انتهى عهد الاستبداد وأعلنّاها ثورة عامة شعارها: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين}

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قيادة الثورة الإسلامية في سوريا

26 ربيع الثاني 1402هـ. 1982/2/20م

برقية فضيلة الشيخ محمد أبو النصر البيانوني الأمين العام للجبهة الإسلامية في سورية إلى السيد أحمد بن بيلا رئيس اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان المسلم ورئيس الجمهورية الجزائرية سابقا.

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة الأستاذ الكبير أحمد بن بيلا رئيس اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان الموقر:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن الجبهة الإسلامية في سورية توجه إلى فخامتكم باسمها، وباسم الشعب السوري المجاهد، وباسم أبناء حماة الصابرة بأجزل الشكر وأعمق التقدير على موقفكم الشجاع في الدفاع عن إخوانكم في سوريا الذين يتعرضون للإبادة الجماعية الوحشية على يد القوات الخاصة وسرايا الدفاع لنظام السفاح حافظ أسد، التي تحاصر مدينة حماة المجاهدة للأسبوع الثالث على التوالي، وتقصفها بالطائرات والمدفعية وراجمات الصواريخ. وإننا إذ نشكركم على تعريتكم لنظام

الخيانة والإجرام نناشد سائر منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان أن تتحمل معكم مسؤوليتها في الدفاع عن شعبنا المضطهد ضد خائنيه وجلاديه، ونذكر بأن الشعب في سورية ينتظر منها الموقف المناسب لما تتبناه من مسؤوليات ومهام وأن تشكل لجانا تطالب بالدخول إلى مدينة حماة والتحقيق السريع فيما تمارسه سلطات النظام الغادر على أبنائها وشعبها الآمن الأعزل.

وتقبلوا تحياتنا وشكرنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأمين العام للجبهة الإسلامية في سورية

محمد أبو النصر البيانوني

دمشق 27 ربيع الثاني 1402هـ. 1982/2/21م

من أخبار الثورة الإسلامية في سوريا:

كيف انضم اللواء /47/ إلى المجاهدين[21]

تفاصيل دقيقة عن كيفية انضمام اللواء /47/ إلى المجاهدين ووقوفه في وجه السلطة الباغية:

بعد أن احتل المجاهدون وأهالي مدينة حماة، المدينة بشكل كامل وسيطروا على المؤسسات الحكومية وفرع الحزب والماكن الرئيسية فيها، كلف الطاغية أسد اللواء /47/ بمهمة القضاء على المجاهدين واستعادة المدينة المحررة مهما كلف ذلك من ثمن. وبالفعل توجه اللواء /47/برئاسة قائده (نديم عباس) وفي بداية الاجتماع أعلن الائد بصلابة أنه لا يمكن أن نقصف المدينة وقال: هل نقصف أطفالنا؟ هل نقصف إحوتنا ؟ هل نقصف أبناءنا.. أخواتنا أمهاتنا.. لا يمكن أن يحدث هذا. فما كان من أحد الضباط الطائفيين إلا ان أطلق عليه النار من مسدسه فخر القائد صريعاً، فبادر ضابط آخر فقتل الضابط الطائفي، ثم قام بقية الضباط والعناصر البارزة في اللواء بتصفية جميع العناصر الموالية للسلطة، ثم أرسلوا أصوات المكبرات في المدينة يطلبون من المجاهدين أن لا يطلقوا النار عليهم، وأخبروهم أنهم معهم وسوف يقومون بتصفية جيوب السلطة وعملائها داخل المدينة، وما على المجاهدين إلا المساعدة في ذلك.

وبالفعل دخل اللواء المدينة وانضم إلى المجاهدين وسيطروا على المدينة بشكل نهائي، بعد القضاء على كل أذناب السلطة فيها.

اللواء /21/ مدرع ينقسم على نفسه أيضا.

روى ضابط كبير في اللواء /21/ مدرع القصة التالية عن انقسام اللواء على نفسه وانضمام قسم كبير منه إلى المجاهدين:

بعد أن حررت حماة، وانضم اللواء/47/ إلى المجاهدين والشعب وأصبحوا صفا واحدا، كلف لواءنا باستعادة المدينة. وتحرك اللواء ودخل المدينة من الشارع الرئيسي، وعندما كانت دبابتي تسير في مقدمة رتل طويل من الدبابات، عند زاوية أحد المساجد في المدينة، رأيت شخصا خرج من مخبئه ويطلق علينا قذيفة من سلاح مضاد للدرع، فلم أشعر إلا

[21] ثبت فيما بعد أن هذا الانضمام لم يحصل وكان اللواء (47) من الألوية التي فتكت بالمسلمين في المدينة. أما هذه الأقاصيص فكانت من نسج خيالات قيادة الإخوان لتتابع مسرحيتها المؤلمة السخيفة (أذيع هذا البيان في 1982/2/22) وكان صمود حماة من 82/2/2 وحتى 1982/2/20 حيث صفيت كافة جيوب الجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله. فتأمّل.

برفيقي وقد سقطت أمعاؤه، ورأيت الدم يتفجر مني ومن جميع من كان في الدبابة. ونظرت خلفي فإذا بجميع الرتل الطويل من دباباتنا قد دمر دفعة واحدة، واستيقظت بعدها لأجد نفسي في المستشفى.

أما عن مصير اللواء فقال الضابط: لقد انقسم اللواء بعدها على نفسه، فمن الجنود والضباط من انضم إلى اللواء /47/ ومنهم من هرب ومنهم من أبيد.

ضابط سوري يصرخ: لماذا لا نقاتل في الجولان ؟ نشرت صحيفة (التايمز) اللندنية تقريراً مفصلا من مراسلها في دمشق يتحدث فيه عن حماة، وقد جاء في التقرير الفقرة التالية:

إن جدية القتال في هذه المدينة عبرت عنها كلمات ضابط استقل سيارتنا، فقد قال بعد فترة طويلة من السكوت: نحن نقاتل أبناء شعبنا. هل تعلم أن علينا أن نقاتل أناسا تحت الأرض / لقد اكتشفنا وجود مستشفى تحت الأرض. حتى النساء يقاتلن مع الإخوان المسلمين.

وأضاف الضابط: كانت هناك سيدة مصابة، وعندما اقتربنا منها لإلقاء القبض عليها فجرت قنبلة بنفسها مما أدى إلى مقتل عشرين من زملائه.

ويمضي المراسل إلى القول: وأثناء الحديث ركب معنا ضابط آخر، وظهر وكأن الضابطين يعرفان بعضهما بعضا، فكلاهما من حماة. وقال الضابط الثاني بغضب: لماذا لم يتركونا نقاتل في الجولان بدلا من القتال في حماة ؟؟

واستمر الحال هكذا بالرغم من سقوط حماة (بعد عدة أيام من الصدام) استمر لأكثر من شهرين، حتى أن أبا النصر البيانوني أجرى مقابلة صحافية مع مجلة الأنصار الإخوانية الصادرة في ألمانيا الغربية بعنوان حماة المحررة تدخل شهرها الثاني !!

رابعا: شن الإخوان المسلمون وبالتعاون مع التنظيم الدولي الذي اندفع في تأييد السوريين، وكذلك مع مختلف الأطراف الإسلامية التي تعاطفت (وبجهود الشباب) شنوا حملة لجمع التبرعات بلغت ملايين الدولارات [22]، ولم يبخل المسلمون بغال ولا رخيص حتى تبرع البعض بكل ما يملك! وتبرعت نساء بكل حليها، وظهرت بطولات فردية في التضحية والكرم كأحسن ما يكون مضرب المثل، ولم يقصر الشباب المجاهدون الذين وفدوا للجهاد بأنفسهم بالتبرع بأموالهم..حتى أن بعض المسؤولين الإخوانيين في عمان قال: لم نكن ندري ماذا نفعل بكميات المال الهائلة التي وصلتنا وبكل العملات وأشكال المال بمحافظ السفر...! واستقر كل ذلك المال في أرصدة رجالات التنظيم، الذين لمعت أسماؤهم في هذه (الزحمة) ووصلوا قمة خطهم البياني مجدا.

خامسا:في الوقت الذي تتالت فيه اجتماعات القيادة العليا النازلة في القصر الجمهوري العراقي لمتابعة تدارس الأوضاع في ذلك النعيم الوارف، كان مئات الشباب في المعسكر يواظبون بكل جد ونشاط على محاولة الإعداد بأسرع ما يمكن في ظروف من الفوضى العارمة، ورغم ذلك فقد بذل الجميع وسعهم، وكان الشباب لا ينامون إلا قليلا ليتفرغوا للتدريب الرياضي والعسكري وليقوموا بأعمال تنظيف للأسلحة المتراكمة وبنقل الذخائر من السيارات وتوزيعها

[22] ذكر لي أحد المطلعين أن كميات الأموال الهائلة كانت تصل وبكل الأشكال، وقال أن مجموع التبرعات جاوزت مئة مليون دولار!–على حد رواية المصدر المطلع–

على الحملات المختلفة التي انكب قادتها الشباب على إعداد المخططات والدراسات في ظروف سيئة للغاية، حيث كانت المعطيات لا تكاد تذكر، وكان عليهم الانطلاق من الصفر فمثلاً:

- لم يكن لدى القيادة العليا أو جهازها العسكري أي رصيد عسكري سابق، فالصلة مقطوعة من الداخل قبل انفجار الأحداث، ولا توجد استطلاعات ميدانية لغالب المدن كحلب وحمص التي كانت آخر استطلاعات لها منذ ستة سهور على الأقل، ولم يكن في غرفة العمليات والمعسكر، لا سلاح ولا ذخائر ولا مخططات ولا تقارير، حتى ولا خرائط عادية لكي تستخدمها القيادة الميدانية في دراسة الطريق وتوزيع القوات، حتى استخدمت الخرائط المدرسية من التي تتوفر في مكتبات بغداد !!رغم أن بعض القياديين وعلى رأسهم عبد الله طنطاوي كانوا يصرحون قبل فترة قليلة من الانفجار بوجود صلات مع الداخل وعشرات الإخوة ومناطق شبه محررة ومخازن أسلحة...وكان كله تهويلا..!

- لم تكن تحت إمرة القيادة أية إمكانيات عسكرية فنية وحتى الجهاز الفني الذي قيل أنه صرف خلال عامين أكثر من أربعمائة ألف دينار أردني (أي ما يعادل مليون وربع مليون دولار) لم يكن قد أمن شيئا يذكر إلا حوالي خمسين جهازاً لاسلكياً من النوع العسكري وبعض المعدات الكهربائية التي يستخدمها الهواة.

لم يقدم العراقيون الأسلحة والذخائر بكميات معقولة بناءً على طلب قيادات الحملات العسكرية رغم سابق عروضهم السخية، وقد استعدت بعض الحملات للنزول والمشاركة في المعركة بحلول 1982/2/16م كحملة حلب مثلا، ثم أوقف نزولها بحجة عدم كفاية السلاح والذخيرة التي لم تكن متوفرة فعلا، ولم يصل السلاح بكميات وافرة إلا بحلول آخر شهر شباط، حيث وصلت كميات كبيرة منه ولكنها معلبة ودون تنظيف، وقد استغرق تنظيفها وإعدادها تعبويا للعمل أكثر من شهر آخر، وكأنما كان ذلك عمدا حيث أنه لم يكن يعجز العراق أن يسلح كل النازلين خلال دقائق، ولم تكن حاجة هؤلاء أكثر من حاجة إحدى القطاعات العسكرية الصغيرة من الجيش العراقي على الجبهة العراقية الإيرانية المشتعلة.

كان جل الشباب الذين قدموا بكل حماس ورغبة في الجهاد من الطلبة والمدنيين الذين يحتاجون لتدريب مكثف حتى يتذوقوا شيئا من الحياة العسكرية فضلا عن أن يكونوا مقاتلي عصابات سيصطدمون بالجيش في معارك ضارية وعلنا كما كانت قد مهدت لذلك إذاعة الإخوان وإعلامهم.

لم يكن عدد الأدلاء كافيا، رغم أن طريقة النزول المقترحة كانت عبارة عن عبور عجيب للصحراء في حملات متلاحقة متجهة إلى حلب والدير وإدلب وغيرها .. ولم يكن الطريق مستطلعا، بالمختصر يمكن القول، أنه لم يكن من رصيد تحت يد القيادة المدنية إلا أشياء محدودة ومحددة:

- أوامر من الشيوخ بسير الحملات بالسرعة الممكنة بانتظار أمر الانطلاق.
- ألف وخمسمائة مقاتل موزعون على عدة حملات كانت أكبرها حملة حلب نحو ثلاثمائة وخمسون مقاتلاً، جلهم من الأغرار.
- نحو مئتي سيارة (تويوتا وجمس) تبرع بها الطيبون من المسلمين ولا سيما من السعودية لنقل المجاهدين لساحة المعركة.
- كميات ضحلة من الأسلحة وصلت تباعا بحالة تعبوية سيئة استغرق إعدادها أكثر من شهر.

- معنويات هابطة في صفوف المقاتلين الذين صدموا بالفارق العظيم بين ما كانوا يسمعون من القيادات عن الإعداد والترتيب والجيش الهائل الذي يدربونه في العراق. وبين هذه الإمكانيات المضحكة، وسرعان ما تحولت هذه المعنويات الهابطة إلى همس، فلمز فكلام، فشتائم، فلعنات تنصب من القواعد على رؤوس الشيوخ ولاسيما من أولئك الذين كانوا مرابطين طيلة أكثر من سنتين في عمان وبغداد يسكرون (بحشيش) القيادة الإعلامي عن الحسم وعن التخطيط، والكذب والتهويل الذي كانوا يمارسونه عليهم، كروايات عبد الله طنطاوي بخياله الواسع في التصوير[23] الذي برر كل ذلك بكلمتين (لرفع المعنويات) ولو كذبا!

وهكذا بدأت الحالة تسوء شيئا فشيئا رغم أن المتفانين من الشباب في اللجان العسكرية في قيادة الحملات والضباط القلائل ولا سيما الأخ القائد (الشهيد أبو عمر الطيار)[24] قائد الحملات والمسؤول العسكري العام بذلوا المستحيل لإنقاذ الوضع ومحاولة التدخل لإنقاذ حماة والإفادة من انتفاضتها، كل هذا في حدود المعلومات التي كانت ترد من القيادة، والتي تذاع عبر الإذاعة بأن حماة ما زالت تقاوم وأن بإمكانهم فعل شيء للإفادة من الوضع، ولم يكن بالإمكان أكثر مما جهدوا لتخطيط وترتيب هذا الأمر الشائك، ولقد كان الهيكل العام للحملات ومهامها منظم بشكل عام على النحو التالي:

اتجه العمل لإعداد عدد من الحملات لغزو المدن والمناطق الهامة في البلد والسيطرة عليها، وقد شكلت القيادة العليا لهذا الهدف لجانا عسكرية ميدانية من الكوادر العسكرية المتوفرة من الشباب الذين كانوا مسؤولي القواعد. أما هذه اللجان فقد رتبت حملاتها حسب معطياتها الميدانية القريبة من الصفر على مستوى الإمكانيات والاعتماد على قوى في الداخل لم تكن متوفرة. فشكلت حملة حلب –حملة الدير– حملة إدلب...وهكذا.

وكانت كل حملة مقسمة إلى ثلاث فصائل حسب لامهام الرئيسية: فصيلة الاقتحام –فصيلة التمركز–فصيلة التجنيد والتعبئة الشعبية. حيث يعهد للأولى مهمة تنظيف المناطق من القوى المعادية والسيطرة على مواقعها. ويعهد للثانية بالتمركز في المناطق الاستراتيجية وعلى حدود مناطق السيطرة ...ويعهد للثالثة مهمة تجنيد الأهالي وتعبئتهم وتسليحهم بما حملته كل حملة معها من السلاح. وقد شكلت كل قيادة ميدانية عناصرها حسب إمكاناتهم وحسب العدد المحدود ضمن خلايا قتالية سهلة الحركة، تنتقل كل واحدة منها بسيارة مسلحة ومزودة بما يلزم من الذخائر والمواد التموينية ومن المحروقات ...حيث كان الشكل العام للحركة هو عبور الصحراء أو الشريط الحدودي الشمالي للوصول إلى الأهداف

---

[23] لا يزال العديد من الشباب يذكرون الاجتماعات العجيبة التي كان يقيمها عبد الله طنطاوي ليقص على الحاضرين من أكاذيبه العجيبة ومما نذكره إلى الآن: حديث تم قبل النفير بأسابيع ذكر فيه أن لدينا في جبال الزاوية مناطق محررة ينتظر فيها مئات الإخوة ساعة الصفر، لدينا في حلب نحو ثلاثين قاعدة بما فيها من إخوة صممت مخابئها بشكل ميكانيكي إلكتروني، لدينا نحو 4 مخازن أسلحة هائلة في حلب... ويطول السرد لو أردنا ويكفي المثال من تلك الترهات التي يعجب المرء اليوم كيف كان يصدقها.

[24] وكان ضابطاً طياراً برتبة رائد في الجيش السوري فرّ بطائرته الميغ(21) مع زميل له إلى عمان ثم عمل مع القيادة إلى أن كان المسؤول العسكري العام أثناء الحملات وبعدها. واستشهد فيما بعد أثناء عملية نزول إلى بيداء الشام رحمه الله. فقد كان مثلاً للخلق والمثابرة حافظاً لكتاب الله عانى كثيرا من حصار القيادة التي كانت تخاف نفوذه وحب القواعد الشابة له. حتى بلغ بهم أن أحدهم وهو (دندل جبر) مسؤول دير الزور دخل عليه وصفعه ذات مرة لأنه اكتشف أنه يخطط لاغتيال حافظ أسد أثناء زيارته (للدير) وقال له :" تريد أن تخرب الدير كما خربتم حماة" فما كان من أبي عمر إلا أن قال له سأحتملها في سبيل الله ومنع الشباب الذين غضبوا له من الرد فتأمل.

الشمالية، في حين اقترح أن تعبر حملة الجنوب من الأردن، أي أن كل حملة ستسير عدة مئات من الكيلومترات دون أي حماية جوية حتى بلوغ الهدف في الوقت الذي كانت إذاعة الإخوان تعلن في كل مساء أنهم نازلون !!

أما عن المخطط العام فقد تغير وتبدل عدة مرات حسب الإمكانات وحسب أوامر القيادة الذين كانوا يبتّون في كل مخطط يرفع إليهم من القيادة العسكرية حسب ما يتراءى لهم.

في بداية الأمر كان الطلب والإلحاح من القيادة منصب على حملة حلب للتحرك في أقصى سرعة فابتدأ بإعداد المخطط في 1982/2/11 وكان جاهزا مع قائمة الطلبات واللوازم (التي أعرب العراقيون في البداية عن استعدادهم لتأمينها) في 1982/2/16، وبلغت القيادة الميدانية لحملة حلب القيادة العامة باستعدادها للحركة في حال تأمين اللوازم.

أخذت القيادة قائمة اللوازم وعادت لإخبار القيادة الميدانية بعدم إمكان توفيرها !! على الرغم من أنها كانت أسلحة خفيفة بأعداد معقولة فقد كانت أعظم الطلبات مثلا عشرة آلاف قطعة سلاح لتسليح الأهالي الذين يبيتون ويصبحون بانتظار السلاح، ولعدم توفر السلاح أوقفت حركة حملة حلب بانتظار مزيد من السلاح، وتقرر تحريك عدة حملات رئيسية معاً وتوزيع المتوفر من السلاح عليها، ثم تقرر أن يُركّز على حملة إدلب حيث يجند قسم من شباب مركز حلب معهم، ثم ألغي القرار خلال ساعات ثم عمت الفوضى، حيث استقالت لجنة حلب العسكرية لعدة أسباب منها رفض بعض الشخصيات من القيادة السياسية لمركز حلب مرافقة المجاهدين للداخل؟! ومنهم عبد الله طنطاوي، علي البيانوني، أبو النصر البيانوني.. ثم أعيدت دراسة الأمر وتوفرت كمية أكبر من الأسلحة وتقرر إعداد حملة (حلب والدير) مشتركة حيث تمر الحملة بالدير فتسيطر عليها، ثم تتحرك لحلب في اليوم التالي، وكذلك تتحرك حملات رئيسية أخرى لمناطق إدلب، درعا، حمص...واستمر الإعداد حتى إعلان حل الحملات بناءً على هذا المخطط حيث أصبحت معظم الحملات جاهزة بحلول 1982/3/8، وأبلغت القيادات الميدانية الفرعية قياداتها العسكرية بجاهزيتها وحدد موعد التحرك ولكنه لم ينفذ لأن القيادة العليا (المشايخ) أعلنوا حل النفير في اليوم التالي!!.

سادساً: بقي أن نذكر أن القيادات الفرعية للجماعة في البلدان الأخرى كدول أوربا وتركيا والسعودية واليمن والخليج وأمريكا...الخ كانت تتلقى أوامرها عبر المكالمات الهاتفية !وتبلغ عن سير الأوضاع عندها بنفس الطريقة وقد انتقلت عدوى التفاعل إلى كل المناطق بعيد قرار القيادة بالحشد والنفير العام، فتفرغت تلك القيادات الخارجية لمهمة جمع الشباب المستعدين للنزول وإرسالهم لعمان ثم بغداد.. ولإعداد بعض اللوازم والاحتياجات كالمواد الطبية وجمع التبرعات وممارسة جهود إعلامية في صفوف الإسلاميين والاتصال ببعض الصحف ووكالات الأنباء التي أوفد بعضها مبعوثين لمرافقة الحملة.

ولكن سرعان ما هدأت وتيرة الحماس في الخارج بعد طلب القيادات الميدانية وقف تدفق الشباب من الخارج لعدم إمكان تعبئتهم والإفادة منهم. في حين استمرت وتيرة العمل بحماس في بغداد حتى إعلان حل النفير.

استمرت قيادة الإخوان في حملتها الإعلامية الواسعة في نشر الأخبار الكاذبة عن تصاعد العمل في الداخل، وعن استعدادات الإخوان للنزول لنجدة حماة حتى إعلان حل النفير في 1982/3/10.

كما استمر العمل الدؤوب في تجهيز الأسلحة والتدريب عليها وتوزيعها حسب المهام القتالية على الوحدات والمجموعات حسب مخطط كل حملة حتى ذلك الحين بكل جد ونشاط.

ورغم المعنويات الهابطة والخطة التي بدت جنونية للجميع وبدا لكل أنه ضرب من الجنون والانتحار إنزال أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل في عدة أرتال من السيارات العادية ليعبروا الصحراء، وقد شاع خبرهم وبلغ العدو والصديق نتيجة الضجة الإعلامية الهائلة، بسلاح وذخيرة محدودة دون أي حماية جوية لنجدة مدينة يُزعم أنها ما تزال صامدة منذ أكثر من شهرين.

لقد كان الجميع يتحدثون عن المجزرة الدموية المتوقعة من جراء هذا النزول، ورغم ذلك فقد كان الرأي العام المسيطر هو الخروج من هذا الوضع بأي شكل من أشكال الحركة، ولكن في (1982/3/10) فوجئ الجميع بالقرارات الفاجعة.

عدنان سعد الدين يبلغ القيادات الميدانية العسكرية: حل الحملات –سقوط حماة– إبرام التحالف الوطني مع الأحزاب القومية والاشتراكية.

بعد أن كان الإعداد قد انتهى، والخلايا القتالية قد تشكلت في وضع الجاهزية، والشباب المقاتلون ينامون في سياراتهم، بانتظار إيعاز الانطلاق، وقد اغتسلوا وأوصوا ونووا الجهاد في سبيل الله، وتوجهوا بقلوبهم وأنظارهم نحو الداخل...فَتَرَ كل شئ فجأة، ولم تعد تشاهد القيادة العسكرية العليا، وقبل ان يعلو اللغط والاستفهام، طلب عدد من الشباب في القيادات العسكرية لقاءً مع المراقب لاعام بعد أن تسرب خبر وقف الحملات وإلغاء النفير وسقوط حماة منذ أكثر من شهر ونصف.

لم يعد أحد من قادة الإخوان الشيوخ الذين تعودوا أن يزوروا المعسكر بين فترة وأخرى لإلقاء الخطابات وتحديث الشباب عن الشهادة والجهاد ! لم يعد أحد منهم يجرؤ على المجيئ، ولم يكن لهذه المهمة إلا رجل المرحلة أبو عمار (عدنان سعد الدين).

حضر عدنان سعد الدين إلى المعسكر وطلب الاجتماع بقيادات الحملة من مستوى القائد العام (أبو عمر الطيار) وحتى مستوى قائد فصيل طلبهم لاجتماع عاجل وهام فكان عددهم نحو سبعين من شباب وكوادر الجماعة، وبدأ الحديث عن العمل السياسي والعسكري والعلاقة بين الجندي والقائد، إلى أن وصل إلى بيت القصيد، ودفعة واحدة ألقى قنابله الثلاث:

1 – سقوط حماة منذ فترة، وبالتالي عدم جدوى النزول في هذه الحالة المزرية من الاستعداد.

2 – حل الحملات بانتظار أوامر جديدة لاستراتيجية جديدة جاهزة تناسب الوضع الناجم عن سقوط حماة...

3 – إخبار الشباب بأنهم سيسمعون من التلفزيون العراقي نبأ إبرام التحالف الوطني لتحرير سوريا بين الإخوان المسلمين – الجبهة الإسلامية – الأحزاب القومية والاشتراكية وعلى رأسها حزب البعث اليميني الموالي للعراق.

حالة من الهستريا الجماعية سيطرت على الشباب بعد هذا الخبر، وعلم الجميع الأخبار الحقيقية من أن حماة ساقطة ومنذ زمن، وأن القيادة لم تكن تجرؤ على إخبارهم، وأسقط في أيدي الجميع بعد الجهد الجبار الهائل الذي بذلوه في الإعداد، وطرحت مئات الأسئلة الحيرى، واختفى القادة الكبار ولم يعد يرى منهم في لامعسكر إلا الشيخ الطيب منير

الغضبان ليحدث الناس في هذا الجو القاتل عن دروس في السيرة النبوية ! وكان آخر لقاء لهذه الحشود بالقيادة عندما دُعي الجميع إلى صالة السينما في المعسكر ليلقي عليهم سعيد حوى وعدنان سعد الدين محاضرتهما لتفسير ما حدث.. ورغم أن منحى محاضرة سعيد حوى كانت نوعا من الاعتراف بالذنب وأنهم فوجئوا بما حصل وأنهم كانوا يعولون على الانقلاب الإسلامي – الذي كان المراقب العام حسن هويدي قد أقسم على عدم علاقتنا به –انظر صفحة (192) كانت محاضرة عدنان سعد الدين إرهابا فكريا وإسكاتا للشباب ومزاودة مسرحية عندما قال: زعم بعض الشباب أن 90% من القاعدة لا تثق بنا ولا تحبنا.. فإني مستعد للتخلي عن 90 % بل عن 100 % من الشباب على أن أتخذ قرارا أضحي به بهم ...ولئن كانوا لا يريدون النزول لنزلت بشيبتي هذه ولوحدي..الخ – وأمسك بلحيته– ملوحا بيده الأخرى. وتطوع بعض صغار العقول من الشباب الحمويين وغيرهم من الإمَّعات فنادى الله أكبر الله أكبر.. وساد القاعة جو من المشاعر المتضاربة ..كان ذلك بحدود منتصف شهر آذار ولم يعد يُرى للقيادة وجه في المعسكر..

وبدأت حملة العودة من قبل القادمين من الخارج –أوربا، السعودية، تركيا الخليج، يجرون أذيال الخيبة ويحملون أخبار المأساة الشاملة لذويهم وإخوانهم هناك، وشيئا فشيئا عادت الأمور لسالف عهدها واقتصر المعسكر على أولئك المجاهدين الذين كانوا مرابطين في عمان لأكثر من سنتين ليشملهم المعسكر ثانية، وهم نحو (300-400) شاب بدأوا بدورهم التسلل إلى عمان طلبا للهجرة.

وسيطرت فترة عصيبة من القيل والقال والإشاعات والاتهامات والاتهامات المعاكسة والملاعنات، وتهمة أشخاص وتبرئة آخرين وكان المنحى العام هو تهمة القيادة برمتها بسيل من التهم أعلاها (العمالة) وأدناها (العجز والفشل وسوء الإدراة). وطولب بتشكيل لجان ومحاكم وبإقالة القيادة وسادت الفوضى والجو المرضي المريع، وبدأت تتسرب أخبار حقيقة ما جرى في حماة.

حقيقة ما جرى في حماة

كانت معظم الأخبار التي نقلها الإخوان لإذاعتهم عبر العراق ولقواعدهم في المعسكر مكذوبة وملفقة، أما القليل من الأخبار الصحيحة التي كانت لديهم فقد كانت من مصادر ضعيفة كرواية المسافرين وسائقي سيارات الأجرة بين عمان ودمشق ! أو ما يتسرب عن طريق بعض الهيئات وأجهزة المخابرات الصديقة.

أما حقيقة ما جرى في حماة فلم يعرف على وجه التحديد إلا من روايات الخارجين من حماة بعد الأحداث وهم بعض المهجرين وبعض المجاهدين الذين شاركوا فعلا في المعارك،وقد جاءت هذه الروايات مؤكدة للرواية التي قصها عدنان والطليعة عن أسباب انفجار الأحداث ومكذبة لرواية الإخوان التي تبنوها بعد النكبة (والتي سنبيّنها فيما بعد) ليرموا بالتبعية على عدنان لصرف النظر عن إجرامهم في تلك المأساة والذي يعود إلى فشلهم في الإعداد وما عملوه من أمور.

والمستخلص من روايات الحمويين الخارجين باختصار:

بعد حصار الدولة لحماة، بغرض إخراج المجاهدين من مخابئهم بعد أن علمت بقوتهم هناك، عمدت الدولة للاعتقالات والتعذيب الجماعي للإمساك بالخيوط التي يمكن أن توصلها للتنظيم العسكري، وفعلا توصلت بعد شهرين

-كما روى أبو بكر لعدنان عقلة- لمعرفة معظم القواعد ولاعتقال عدد من المجاهدين غير المكشوفين، فباشرت بمداهمة هذه القواعد ونسفها على رؤوس المدنيين لمجرد احتمال وجود المسلحين، وقامت بأعمال هوجاء من التمشيط دفعت معها المجاهدين وقيادتهم لقرارهم الاضطراري بالصدام، لذلك قرروا المجابهة حتى لا يكون قتلهم مجانا، وحتى يتركوا مجالاً أمام الجيش للانشقاق إن كان سيحصل وهكذا قررت قيادة المجاهدين وعلى رأسها (عمر جواد) الصدام العلني في 1982/1/25 ثم جاء نزول عدنان غير المتوقع، وما كان من تدارس الأمر بينهما قرر فيه عدنان الخروج للنفير بشبابه للمشاركة في الصدام بعدما وعده العراقيون بالدعم، فوعده أبو بكر بتأخير الانفجار ما أمكن لفتح المجال أمام إخوة الخارج للمشاركة بما يمكن. خرج عدنان وكان من أمر الخارج ما بيّنا.

في يوم 1982/2/2 قامت مجموعة من الوحدات الخاصة بالتوجه لمداهمة قاعدة أبي بكر القيادية، وعلم بذلك أبو بكر عبر التصنت على أجهزة الإرسال فنصب الكمائن للمجموعة المداهمة التي أبيدت، وابتدأ المجاهدون خطة سيطرتهم على المدينة، ومع الصباح توجه أبو بكر إلى المسجد وأعلن الانتفاضة الجهادية المسلحة، ووزع كميات كبيرة من الأسلحة على الأهالي الذين أيدوا المجاهدين بحماس، وقام المجاهدون بالسيطرة على المدينة وجرت معارك ضارية مع الوحدات الخاصة وأذيال النظام تم على إثرها تنظيف المدينة منهم، وتمت للمجاهدين السيطرة عليها. في حين أغلق الجيش المنافذ منها وإليها وحاصرها، فشلت عدة محاولات للمفاوضات حاولتها الدولة ورفضها المجاهدون، أباد المجاهدون عدد من الإنزالات الجوية قامت بها الوحدات والسرايا النصيرية فوق المدينة، وبقوا محتفظين بسيطرتهم عليها، وفشلت كل محاولات الجيش في الاقتحام. ثم قرر المجاهدون الانسحاب إلى الأحياء القديمة حيث يسهل الدفاع عنها لصعوبة تحرك الآليات فيها، استمرت سيطرة المجاهدين رغم نفاذ ذخيرتهم وخاصة المقاومة للدروع، واستمر القصف على حماة نحو عشرة أيام استشهد خلالها الأخ القائد (أبو بكر- عمر جواد) بقذيفة هاون في اليوم الثامن للمعارك وتولى القيادة نائبه الأخ (أبو عارف- مسعف البارودي) وبقي حتى نهاية المقاومة حيث استشهد رحمه الله أيضا.

في الأيام الأخيرة اقتصر القتال على الأحياء المتفرقة في المدينة وألقى معظم المدنيين الذين بقوا على قيد الحياة أسلحتهم كي لا تثبت عليهم تهمة المقاومة، وهكذا انتهى كل شكل من أشكال المقاومة بعد حوالي ثمانية عشر يوما من انفجار الأحداث، لم تستطع الدولة خلالها دخول المناطق التي سيطر عليها المجاهدون والأنصار الذين بلغوا عدة آلاف من المسلمين الذين لبّوا داعي الجهاد.

ولم تدخل القوات المسلحة التابعة للمحتل النصيري إلا بعد أن قصفت بالمدفعية، وراجمات الصواريخ أحياء المدينة، وهدمت نصفها مكبدة المدنيين خسائر فادحة بلغت أكثر من خمس وثلاثين ألفا من القتلى وملحقة بالمدينة أضرارا لا تقدر.

وانجلت المعركة عن استشهاد بضع مئات من المجاهدين فضلا عن آلاف المؤمنين من الشهداء المدنيين الأبرياء، فاستبيحت المدينة لعدة أيام للنهب والسلب وهتك الأعراض ثم سلسلة من الاعتقالات التعسفية والنكال مما تشيب الرؤوس لروايته.

إذن انتهى كل شئ بحلول 1982/2/20 تقريبا، في حين بقيت إذاعة الإخوان تزعم المقاومة وعزمها على الإنجاد لمدة شهرين بأسلوب يثير الرثاء !! وهكذا كانت قصة حماة باختصار، ولم يكن لتلك المدينة البطلة ولتلك الجموع

المجاهدة من المؤمنين أن يصمدوا أكثر مما صمدوا عسى تصل نجدات إخوانهم، ولكن لم يكن لهم إلا أن يستشهدوا في نهاية المطاف شاكين إلى الله ما فعل بهم إخوانهم في الخارج، وما تسببوا لهم فيه حتى نقل عن الشيخ أديب الكيلاني رحمه الله قبل استشهاده قوله بأنه سيطالب أولئك الإخوان في الخارج بدمه أمام الله تعالى يوم القيامة.. رحمه الله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أوضاع الإخوان المسلمين في الخارج بعد حماة

كان من الواضح أن قيادة الإخوان المسلمين قد تلقت ضربة قاصمة بعيد حماة وذلك لعدة أسباب:

أولا: أن القواعد التي كانت تدين لها بالولاء وتنعم عليها بالثقة التامة، انقلبت رأسا على عقب فأصبح الجفاء مكان الولاء، والشك والاتهام بدل الثقة، والسباب بدل المديح، وذلك لما انكشف للقاعدة من أن القيادة غررت بها على مدى عامين وأكثر، فصورت لها أنها تعد وتخطط وترتب وتؤمن اللوازم،فلما حان الحين ودقت ساعة الحاجة، التي لم تكن محسوبة من القيادة، انكشف الزيف تماما، فالأجهزة التي كان قد صرف عليها الملايين لم تكن قد أعدت شيئا، أما الداخل والذي كان يزعم أنهم يعمرونه، تبين أنه خالي من أي قوة وأي سلاح، وأما الوعود التي قطعتها القيادة على نفسها في أمور كثيرة مثل قضية التحالف فقد اضطرت لأن تحنث بها...

وفجأة أصبحت القيادة متهمة بتهم متفاوتة أعظمها اتهام البعض بالخياوة والعمالة، واتهام جلها بالعجز والفشل، والتضحية بالجهاد والثورة لأسباب الزعامة الشخصية والصراع عليها، ومن نجى من هذه التهم كبعض الطيبين من رجال القيادة اتهم بالموالاة والضعف والسكوت على الفساد والمشاركة به برضاه...

ثانيا: أما الرأي العام الإسلامي، ومن ثم الرأي العام الداخلي في سوريا ظهرت القيادة بكل بساطة كشخصيات كاذبة ساعية للزعامة وجمع الأموال، مستبيحة لكل أشكال التنافس الرخيص والكذب(المبرر شرعا) تحت عنوان مصلحة المسلمين أو الضرورة الشرعية التي بررت بها الجماعة كل تجاوزاتها ومآسيها بما فيها التحالف الوطني (وسيأتي بيانه) حتى اعتبر سعيد حوى دعاويه الكاذبة في الإذاعة الموجهة للداخل جائزة شرعا وأنها لصالح المسلمين !

فإذا عدنا لسرد الأحداث بتسلسلها التاريخي نجد أن القيادة بعيد انتهائها من صرف المجتمعين وقعت في ذلك الوضع المتأزم، ولذلك انصرف جهدها لعدة نواحي:

1 – تلبيس تهمة دمار حماة لعدنان عقلة وطليعته. فقد بدأت القيادة كسعيد حوى، وسعد الدين، وهويدي، وعلي بيانوني والطنطاوي ..ينشرون في القواعد وفي الخارج رواية مفادها أن مجاهدي حماة فجروا الوضع لأن عدنان نزل إليهم وحمّسهم، وحملهم على ذلك بما حمل معه من وعود كاذبة من أن العراق ستزوده بالسلاح حتى الصواريخ، وأن معه مئات الشباب المستعد للنزول، فأقنع المجاهدين بالتفجير ففجروا الوضع ولم ينجدهم عدنان لنكوث العراقيين معه، وهكذا هدمت حماة وقتل عشرات الألوف !!فهو المسؤول عن هذه الفاجعة، ومن غرائب الأمور أن عددا من الشباب الحمويين المنكوبين صدقوا هذه الرواية، وانتشرت في صفوفهم مشاعر الحقد على عدنان والطليعة بل وعلى عموم الحلبيين، ولم تفلح كل المحاولات التي بذلها الشباب في الطليعة وغيرهم لحملهم عن قناعتهم بفعل أثر النكبة في نفوسهم وبحثهم عن مسؤول عنها كائنا من كان! إلا أن الله برأ ساحة المتهمين زورا وبهتانا، عندما بدأت جموع المنكوبين تخرج من حماة لتروي ما حدث، وكان فيهم مجاهدون شاركوا في المعارك بل وحضروا اجتماع أبي بكر بعدنان. وكان من المهم

الذي رووه هو أن عدنان أقنع أبا بكر فقط بتأخير التفجير ما أمكن حتى يعطيهم فرصة للإنجاد، وهنا قام بعض أذكياء الإخوان باتخاذ هذه ذريعة، فقالوا إن عدنان كان يعلم موعد التفجير الحقيقي في 1982/2/2 وليس في 1982/1/25 ولو أنهم علموا بهذا التأخير لأمكنهم فعل شئ ؟؟ وهذا مردود عليهم بالطبع، إذ ماذا يفعل من قعد سنتين ونيف دون حراك في أسبوع؟؟؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى إن الإخوان كانوا يزعمون وعلى لسان المراقب العام هويدي أكثر من مرة أنهم على علم بالوضع وأن رسالة عدنان لم تأت بجديد، وكان ذلك قبل الانفجار بشهرين منذ أيام الحصار. وهكذا فشلت محاولة الإخوان بتلبيس تهمة حماة للطليعة، وكان جليا للجميع أنها نكسة اضطرارية يتحمل الإخوان تبعتها الأولى لفشلهم في الإعداد وطريقتهم في قيادة الأحداث وتدخلهم فيها على مدى أكثر من سنتين، ورغم ذلك فما زال بعض الطيبين من إخواننا الحمويين يرددون أن خراب حماة ومسؤوليته في عنق عدنان والطليعة !! وإتماما للتلبيس قام الإخوان بنشر قرار فصل عدنان وتحميله المسؤولية عبر بيان وزعوه ونشروه.

الوثيقة (8)

نص البيان الذي وزعته قيادة الإخوان على قواعدها وعلى الجهات الإسلامية بغرض حصار عدنان عقلة وطليعته داخليا وخارجيا بعد انهيار الوفاق ومأساة حماة.

بسم الله الرحمن الرحيم

جاءت إلى القيادة أسئلة واستفسارات من بعض أصدقاء الجماعة وأحبائها من المسلمين عن صلة عدنان عقلة بجماعة الإخوان المسلمين. ولكثرة السؤال فقد رأت القيادة أن تنشر الإجابة ليعرفها كل أخ ويبلغها كل من يسأل.

لقد فاصل عدنان عقلة جماعة الإخوان المسلمين مفاصلة علنية في بيانات مكتوبة، وتصريحات معلنة في اجتماعات مكشوفة، تقدم للعدو فرصا كثيرة، موزعا على قادة الإخوان المسلمين من التهم الباطلة ما أوقعه في الآثام الكثيرة، وقاد -ولا يزال يقود- حملة تشويش للقلوب والعقول لا تقف عند حد، محاولا إيهام الجمهور الإسلامي أن الصف الإسلامي منقسم على نفسه، وقد ولع بقول المتناقضات على حسب هوى المخاطب، وترتب على طريقة إدارته للقتال في حلب أضرار كثيرة، وكان له دور في استجرار المجاهدين في حماة إلى معركة مواجهة في غير أوانها مما ترتب عليه ما ترتب، كل ذلك وغيره يضطر القيادة للتأكيد على أن عدنان عقلة لا علاقة له بالجماعة البتة، وأنه يُمنع أعضاء جماعة الإخوان المسلمين من الاجتماع به والسماع له واستقباله والتعامل معه.

وبهذه المناسبة فإن قيادة الإخوان المسلمين في سورية تذكر من يبلغه بيانها هذا أن يتحرى، وهو يقدم أي مساعدة لمسلمي سوريا الجهة التي تأخذ، ويتأكد أنها فعلا تصرفها في الطريق الشرعي.

ونذكر أحبابنا في العالم أن هذه هي المرة الثانية التي يفصل فيها عدنان عقلة من الجماعة حيث فصل عام 1975 ثم أعطي فرصة أخرى دون جدوى، فقد تكررت إساءته بشكل أشد، مما اقتضى قرار الفصل الأخير.

والله أكبر ولله الحمد.

1402/6هـ

1982/4/25م القيادة

ثم نشر هذا في مجلة المجتمع الكويتية الإخوانية (العدد 571) الصادر في رجب 1402 الموافق 1982/6/18)، وبذلك عمموا مشكلة الخلاف السوري وجعلوه غسيلا منشوراً ودفعوا عدنان عقلة للرد عليهم في جريدة اللواء الأردنية (العدد 484 بتاريخ 1982/6/9) ليعلن عدم شرعية قرارهم لأنه كان قد فاصلهم وليدعوهم إلى محكمة إسلامية من بعض علماء المسلمين من غير السوريين.

الوثيقة (9)

نص البيان الذي وزعته الطليعة ونشرته جريدة اللواء الأردنية، وفيه ترد الطليعة على قرار فصل الإخوان لعدنان عقلة والذي نشرته مجلة المجتمع الإخوانية الكويتية.

شؤون وقضايا إسلامية

بيان من الطليعة المقاتلة في سوريا

أصدرت الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين في سوريا بيانا حول بعض الأحداث الأخيرة مما جاء فيه.

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}..

والقائل: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى).. والقائل :{إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل}.

وصلى الله على سيدنا محمد، إمام المتقين وقائد المجاهدين وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

الأخ الأستاذ عبد الله المطوع رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي.

الأخ الأستاذ إسماعيل الشطي رئيس تحرير مجلة المجتمع.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد.

فقد نشرت مجلتكم الغراء "المجتمع" في عددها رقم (571) الصادر بتاريخ 25/من رجب /1402هـ الموافق 18/ من أيار /1982م وتحت عنوان: خبر هام ما يلي: [فصلت قيادة المجاهدين في سوريا السيد عدنان عقلة، وذلك بناء على مخالفات كثيرة صدرت منه]

ولكون هذا الخبر لا أسا له من الصحة، ولا علم إطلاقا لقيادة المجاهدين –قيادة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين– به وباعتباره يشكل سابقة خطيرة لما يتضمنه من معاني الإساءة للأخلاق الإسلامية وللمجاهدين أنفسهم فقد ارتأت القيادة إخطاركم، والمسلمين، بجملة الحقائق التالية، دحضا للأكاذيب، وإنصافا لحقيقة التي ظلمت ظلما شديدا، ويشهد الله:

- – دأبت الجهة التي تقف وراء نشر الخبر، والمحسوبة على الصف الإسلامي –ومع الأسف– على ترويج شائعات مغرضة، وافتراءات كاذبة تتنافى وأخلاق الرجال، فضلا عن أخلاق المسلمين، تسيء بمجملها إلى المجاهدين وقيادتهم، مستغلة موقف المجاهدين اللائذ بالصمت الذي لا تخفى أسبابه بطبيعة الحال متجاهلة ما يترتب على عملها هذا من ضرر بالمسلمين وقضيتهم، مثابرة عليه، حتى بلغ الأمر بها حد الكذب على لسان قيادة المجاهدين، والتشهير بمن قدمهم العمل الإسلامي لأمانة المسؤولية، وهم بها زاهدون.. وإننا في الطليعة المقاتلة،

نخشى -مخلصين- أن يكون وراء نشر مسلسلات الكذب هذه صفقات ما .. تخدم أعداء الله لاسيما أن رائحة المصالحة مع النظام النصيري الكافر: الجاثم على صدور أهلنا الصابرين في الشام الحبيبة باتت تزكم الأنوف، وهناك أكثر من مؤشر يدل على ذلك، وأكثر من علامة استفهام ترتسم بوضوح حول موقف تلط الجهة، وإننا لنرجو من كل قلوبنا أن نكون مخطئين في ظننا هذا، لتفويت الفرصة على أعداء الإسلام والسلمين، ولتقطع دابر الفتنة.

- إن قيادة الطليعة المقاتلة -قيادة المجاهدين- لا علم لها البتة بما نشر في مجلة المجتمع، وهي تنفي كل ما جاء فيه نفيا قطعيا، وليست مسؤولة عنه مطلقا..مؤكدة في الوقت نفسه أن الأخ عدنان عقلة، خلافا لما جاء في المجلة المذكورة كان ومازال الناطق الرسمي باسم الطليعة المقاتلة -المجاهدين-والقيادة غير مسؤولة عن أي تصريح أو قول يصدر عن سواه كائنا من كان.
- إن قيادة الطليعة المقاتلة التي آلمها تورط مجلة إسلامية معروفة كالمجتمع تحظى باحترام المسلمين وتقديرهم، في مثل هذه المنزلقات، لتتمنى على هذه المجلة، أن تلتزم الدفاع عن قضايا المسلمين دون تمييز بعيدا عن الحزبية الضيقة، وأن تتجنب مستقبلا الوقوع في مثل هذه الأخطاء التي لا ترضاها لها، ونذكرها على سبيل المثال، بالبيان الصادر عن الإخوان المسلمين، حول عملية مدرسة المدفعية والمنشور في العدد /452/ المؤرخ في 9 من شعبان 13 1399هـ الموافق 3 تموز 1979م تحت عنوان: بيان من الإخوان المسلمين الواقع والتاريخ كيف شوه العملية، ونسبها للبعثيين وغيرهم ممن لا علاقة لهم بالصف الإسلامي.
- إن قيادة الطليعة المقاتلة انطلاقا من أمره عز وجل في صريح الآية الكريمة: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} تطالب مجلة المجتمع إبراء لذمتها أمام الله عز وجل -برفع الحيف الذي لحق بها من خلال التشهير بأحد أبنائها وأن ترد الحق إلى أهلها، بعد أن اتضحت لها حققية الموقف بلا لبس أو إبهام آملة نفي هذا الخبر الكاذب على صفحاتها في العدد التالي لوصول هذا التوضيح إليها، مؤكدة في الوقت نفسه ثقتها المطلقة بعدل المنتقم الجبار الذي يمهل ولا يهمل، واطمئنانها التام إلى قضائه {إن الله يدافع عن الذين آمنوا..}
- إن قيادة الطليعة المقاتلة -من خلال مسؤوليتها الكبيرة أمام الله عز وجل -تحيطكم والمسملين علما أن الجهة التي كانت وراء الخبر الكاذب في مجلتكم ليس لها أي علاقة بحركتنا الجهادية المباركة، اللهم إلا تبني عملياتنا الجهادية التي هزت ضمائر المسلمين وحركت كوامن الشوق في نفوسهم التواقة للجهاد والاستشهاد، وإلى جباية الأموال الطائلة باسم المجاهدين بعد أن منحت نفسها لقب قيادة الثورة الإسلامية، وتدليلا على صحة ما نقول فإنا ندعوهم إلى اللقاء وجها لوجه في محكمة إسلامية محايدة، لنقيم الحجة عليهم، ولنبين للمسلمين كل ممارساتهم الخاطئة التي عادت بأسوأ النتائج على حركتنا المباركة. وأخيرا نستميح مجلة المجتمع العذر إن وجدت خلاف ما يرضيها ونحن نضع نصب أعيننا قول الباري عز وجل: {لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم}.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قيادة الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين.

2 – تبرير التحالف الوطني أمام القواعد والرأي العام الإسلامي في الداخل والخارج: إذا أردنا أن نرصد مراحل تطور فكرة ونشوء التحالف الوطني كتاريخ نجدها كالتالي:

أولا: كانت عروض قادة الأحزاب والتجمعات العلمانية المرتدة كالبعث اليميني والقوميين العرب والناصريين وغيرها على بعض شخصيات (المعارضة الإسلامية) كما يسمونها، قديمة قدم التوتر في الأوضاع، وقد قام بعضهم بمراسلة عدنان عقلة في الداخل أيام التوتر الأولى عارضين عليه كل أشكال المساعدة التي يريد بدون قيد أو شرط، وكذلك العراق عبر طه ياسين رمضان، وقد قبل عدنان أيام العمل في الداخل بعض المساعدات العراقية (سلاح) وبشكل محدود دون قيد أو شرط، ولم يبحث أي شكل من أشكال التحالف.

ثانيا: بخروج القيادات الكلاسيكية للإخوان إلى الأردن والعراق بدأت مرحلة غزل شبه رسمي بين شيوخ قيادة الإخوان ورؤساء الأحزاب بواسطة العراق ورعايتها، ويعود هذا لأواخر 1980 أو أواسطها، حيث قام هؤلاء القادة العلمانيون بزيارة عمان عدة مرات للالتقاء بالشخصيات الإخوانية الهامة، وكان على رأس من رعوا محاولات التحالف تلك ورعوا بلك الصلات عدنان سعد الدين الذي كان له صلة سابقة وقوية مع العراق، وكذلك علي بيانوني، وعبد الله الطنطاوي، وسعيد حوى وغيرهم.

ثالثا: تبع ذلك عدة مدارسات ومناقشات بين الطرفين سرا لأن قواعد الإخوان لم تكن مهيأة له ولم تتهيأ فيما بعد.

رابعا: بحث مشروع التحالف في قيادة الوفاق -كما ذكرنا- واقترح لدراسته شرعا قبل البت به لجنة علماءهم عبد الفاح أبو غدة، محمد علي مشعل، سعيد حوى، منير الغضبان، البيانوني، ولم يقدر لهذه اللجنة أن تتشكل وتبحث الأمر.

خامسا: بدأت القيادة الإخوانية بث بالونات الاختبار في قواعدها لتهيئة الأجواء للتحالف على شكل إشاعات وأخبار مسربة، ونشرت بحثا بعنوان (التحالف السياسي في الإسلام) بين القواعد كان كاتبه هو منير الغضبان، وقد أطلعت بعض القواعد على البحث كما تقرأ كثيرا غيره من البحوث الداخلية، ولم يثر هذا كثيرا من الغبار في الأجواء لأن لهجته في طرح شكل من أشكال التحالف كانت نوعا ما معقولة.

سادسا: دأبت القيادة ولا سيما شيوخها سعيد حوى، منير الغضبان، محمد علي مشعل، أبو النضر البيانوني، وغيرهم...على عقد عدة لقاءات مع القواعد لبحث مواضيع قريبة من التحالف مثل أحلاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاهداته، وصلحه كالحديبية...واستعاناته بالمشركين..للفت نظر الشباب إلى أن هذا من الإسلام وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فعل شيئا من هذا القبيل.

سابعا: نتيجة هذه النشاطات وما تسرب من الإخوة المقربين من القيادة شاع أن الجماعة أبرمت تحالفا وطنيا مع العراق والأحزاب...

وبدأت القواعد موجة من التململ والاستفسار والقلق توجت بما نشره عدنان عقلة من نص الوثيقة التي تقدم بها عدنان سعد الدين وعلي البيانوني كمسودة عمل لبحث الحلف مع الأحزاب الوطنية، برعاية العراق، وكان عدنان عقلة

قد كشفها -كما بينا في فقرة الوفاق- بها تحطم الوفاق رسميا وقد أشرنا لها آنفا. ص(146 في الأصل) وثيقة رقم (5).

ثامنا: انفجرت القواعد سخطا على التحالف، نتيجة ما تربّت عليه من التمايز والمفاصلة والحاكمية من أفكار سيد قطب والمودودي وغيرهما، ومن دراسات سعيد حوى نفسه الذي كان قد كفّر مثل هذه الأعمال في كتابه جند الله ثقافة وأخلاقا وغيره من الكتب..فاضطرت القيادة للتراجع وأعلنت أن بادرة سعد الدين وعلي البيانوني مجرد عرض شخصي وليس موقفا نهائيا للجماعة!! وأن الجماعة لم تبت بالأمر شرعا بعد وأنه لا تحالف ولا بحث فيه وأن ما أشاعته الطليعة إرجاف وكذب، وقامت بعض شخصيات الجماعة بعقد اجتماعات مكثفة نفت فيها التحالف وعزمها عليه، وأقسم بعضهم بالله على أن لا تحالف، واستمرت الجماعة على هذه الحال، حتى كان آخر أيمانها المغلظة ما أقسمه المراقب العام حسن الهويدي قبيل النفير بحوالي عشرين يوما، حيث أقسم بالله أمام القاعدة في أحد الاجتماعات الحاشدة لأبناء بعض المراكز الهامة، في عمان، على أن الجماعة لم تدخل تحالفا وإن هذا الأمر مكذوب، كما أن عدنان سعد الدين في آخر أيام النفير في بغداد وقبل إعلان التحالف بأيام قلائل أكد لأحد شباب القيادة العسكرية عندما سأله إن كان ثمة تحالف ؟ وإن الشباب لا يرضون أن يعلن بعد نزولهم إلى الداخل، فأجابه بأن لا تحالف وأن ما يشاع محض افتراء !!

تاسعا: فجأة سمع الشباب من الإذاعة والتلفزيون العراقي (وهنا تكمن المأساة المخزية) من الإعلام العراقي سمعوا نبأ التحالف الوطني لتحرير سوريا بين (الإخوان المسلمين- الجبهة الإسلامية- حزب البعث اليميني الموالي للعراق - الاشتراكيون العرب - الوحدويون الاشتراكيون — المستقلون - ..) وكان ذلك بعد إعلان سقوط حماة وحلّ النفير، وضاع نبأ هذه الكارثة في ظل الكوارث الشاملة !!

عاشرا: تتالت الاجتماعات من القيادات مع القواعد لتدافع عن التحالف شرعا وسياسة، وتفتيه وصدرت الوثيقة المخزية لميثاق التحالف الوطني لتحرير سوريا تبين أهدافه ونظامه وبنوده فكان بعض القيادات يقول أن الجماعة قد أقدمت عليه كضرورة حتى تحصل على الدعم والسلاح من العراق، وهم معظم شخصيات الدرجة الثانية وبعض الكبار وعلى رأسهم عبد الفتاح أبو غدة وكان آخرون وعلى رأسهم عدنان سعد الدين والطنطاوي والبيانوني وهويدي...يقولون أنهم فعلوه لقناعاتهم بشرعيته بعد استشارة خيار علماء الأمة ومنهم عشرون من علماء الجبهة الإسلامية، وأنه استفتوا علماء التنظيم الدولي مثل محمد قطب، محمد الغزالي وغيرهم كثير وحصلوا على فتوى مفتي الديار المقدسة عبد العزيز بن باز...وغيره...

حتى ذهب بعضهم للقول بأن هذا الحلف لإرضاء أمريكا والغرب لطرح الإسلاميين ضمن قالب وطني مقبول كبديل عن نظام الأسد (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

الوثيقة (10)

نص بنود التحالف الوطني الذي أبرمته قيادة الإخوان المسلمين مع الأحزاب المرتدة كما جاء في وثيقة ميثاق التحالف الوطني لتحرير سوريا.

والتزاما بها فقد اتفق أطراف التحالف على المبادئ التالية:

1 – العمل الجاد الدؤوب لإسقاط النظام الحالي. باعتماد كافة الوسائل : السياسية، والإعلامية، والجماهيرية، والعسكرية، لتحقيق هذا الهدف: وعلى رأس هذه الوسائل: الكفاح الشعبي المسلح.

2 – محاكمة كبار المسؤولين في هذا لنظام، عن جرائمهم التي ارتكبوها في حق الشعب والوطن.

3 – تأليف حكومة مؤقتة تقوم فور إسقاط النظام الحالي وتعمل بأسرع وقت ممكن للإشراف على انتخاب مجلس تأسيسي، وبغرض وضع دستور للبلاد.

4 – الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساس للتشريع والتقنين، باعتبارها تراثا حضاريا وفقهيا للعرب والمسلمين كافة، بل وللإنسانية جمعاء لا يمس تطبيقها حقوق غير المسلمين. في عقيدتهم وأداء شعائرهم وتطبيق قوانينهم الخاصة بهم بكل حرية وأمان.

5 – ضمان الحريات العامة لجميع المواطنين في سورية وفي مقدمة ذلك:

حرية الاعتقاد، والتعبير، والاجتماع، وتأليف الأحزاب السياسية.

6 – إعادة بناء الجشي العربي السوري وسائر مؤسسات الدولة على أساس الإخلاص والكفاءة ومبدأ تكافؤ الفرص، بما يعيد ويحفظ الوحدة الوطنية في سورية، ضمانا لدورها الرائد في المنطقة.

7 – معالجة الأوضاع الاقتصادية المتدهورة، وإعادة بناء الاقتصاد السوري، على أسس متينة، وبما ينهي –بكل حزم– حالة الاستغلال والسلب والنهب والرشاوى، ودعوة الخبرات والطاقات المهاجرة، لتساهم في إعادة بناء البلاد.

8– إنقاذ العمال والفلاحين، والفئات الكادحة، من عبث النظام في مكتسباتهم، والعمل على تعزيز هذه المكتسبات، التي حققوها في نضالهم الطويل، منذ فجر الاستقلال.

9 – إعادة النظر في المناهج الدراسية، والمعاهد العلمية، وجميع مؤسسات الدولة، بما ينقذها من حالة التردي الراهنة، ويؤهل البلاد للاضطلاع بمسؤولياتها كاملة.

10 – التعويض الكامل لذوي الشهداء، والمتضررين، والمصابين في مرحلة الصراع ضد النظام الخائن.

11 – الإيمان المطلق بتحرير فلسطين، من الاغتصاب الصهيوني، والهيمنة الامبريالية، واعتماد كافة الوسائل التي لا تفرط بالحق العربي والإسلامي فيها والسعي لتعبئة كل الطاقات: البشرية والعسكرية والسياسية، من أجل التحرير.

12 – التضامن الكفاحي مع الثورة الفلسطينية، وممثلها الشرعي والوحيد: منظمة التحرير الفلسطينية من أجل تحقيق أهداف الشعب العربي الفلسطيني في التحرير واستعادة وطنهم.

13 – النضال الجاد لإقامة الوحدة العربية وبذل كل الجهود لاتخاذ خطوات وحدوية عملية في هذا السبيل.

14 – العمل الجاد من أجل إقامة أوثق العلاقات العربية الأخوية مع الدول العربية الشقيقة وحشد جميع الطاقات لمواجهة الأخطار التي تهدد الوجود العربي.

15 – إقامة أوثق العلاقات مع العالم الإسلامي –شعوبا ودولا ومنظمات– بما يعزز من دور الرسالة الإسلامية في العالم أجمع، باعتبار أن الإسلام: هو عمق استراتيجي ومبدأي للعروبة، وأن المسلمين هم سند قوي للعرب، وروافد أساسية للشعب العربي.

16 – عـدم التـورط في الصـراعات الدوليـة وعـدم الانحيـاز إلى الكتـل الدوليـة، والالتـزام بمبـادئ حركـة عـدم الانحيـاز، واعتماد سياسة خارجية مستقلة.

إن سـورية، الـتي كـان أول بلـد حقـق الاسـتقلال التـام، في العـالم العـربي، لجـديرة بـأن تتجـاوز مأسـاتها، وأن الأطـراف المشـاركة في هـذا التحـالف، لـتطمح أن يكـون هـذا الميثـاق، محـورا للحركـة الحاليـة، وإطـاراً للمسـتقبل الدسـتوري والعملـي للسياسـة السـورية، وأن هـذه الأطـراف كلهـا، لتأمـل أن تكـون الجمهوريـة القادمـة في سـوريا، معقـد الأمـل، ومحـط الرجـاء، على المستويين العربي والإسلامي.

وقـد حرصـت أطـراف هـذا التحـالف، علـى أن يجتمـع في سـيرها: الأصـالة مـع المعاصـرة، والأخـلاق مـع التقـدم، والعدالـة مـع إطـلاق الطاقـات وهـي إذ تسـتلهم الله التوفيـق وتسـأله النصـر، فإنهـا تناشـد شـعوب العـالم وقادتـه دعمهـا في كفاحهـا العادل، لإنقاذ سورية من المأساة التي تعانيها...{أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير}

دمشق 15 جمادى الأولى 1402هـ

الموافق 11/آذار 1982م

أحـد عشـر: تحركـت الطليعـة والجماعـات الإسـلامية الأخـرى (جماعـة دمشـق العطـار–جماعـة سـرور) وغيرهـا مـن الكتـل الإسـلامية المعنيـة وغـير المعنيـة، ونشـرت مئـات الصـفحات الـتي تحـرم مثـل هـذا الحلـف، ولا سـيما قضـية الوعـد بالمشـاركة في الحكـم بعـد سـقوط النصـيري في حكومـة أحـزاب تضـم الإسـلاميين والمرتـدين وكـان هـذا أسـوأ مـا اتفـق عليـه الحلفـاء كمـا نشـرت الطليعـة نـص فتـاوى صـوتية لكـل مـن عبـد العزيـز بـن بـاز–محمـد قطـب– ناصـر الـدين الألبـاني– وعـالمين آخـرين، تحـرم ولا تجيـز هـذا الحلـف لا مصـلحة ولا شـرعا ولا سياسـة، وكـان مـن المؤسـف المفجـع...أن الشـيخ ابـن بـاز روى طريقـة استفتاء الإخـوان لـه حيـث سـألوه عـن جـواز التحـالف مـع مـن تـاب مـن طروحاتـه الكـافرة وعـاد للقبـول بحكـم الإسـلام والتـزام الشـرع، فأجابـه أن أصـبح مسـلما ولا شـئ في حلفـه !؟ (لا إلـه إلا الله) وثـنّى أمـا أن يكـون التحـالف بـين المرتـدين الكفرة والمسلمين فلا..

الوثيقــة (11)

نص بعض الفتاوى الشرعية التي نشرتها الطليعة حول التحالف الوطني في الجمعة 1403/3/30
1983/1/14م

فتوى الشيخ عبد الله بن باز

السؤال: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

سماحـة الشـيخ عبـد العزيـز بـن بـاز: زعـم بعـض النـاس وأشـاعوا أنكـم أفتيتمـوهم بجواز التحـالف مـع الكفـار مـن وطنيـين وعـروبيين وقـوميين واشـتراكيين...فهل يجـوز التعـاون معهـم أو التحـالف لإسـقاط طاغيـة، ومـن ثم إقامـة دولـة دينهـا الإسـلام وتقوم على حرية الاعتقاد، وحرية الأحزاب السياسية ؟

الإجابة: الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحاله ومن اهتدى بهداه .

أمـا بعـد فلـم يصـدر مـني فتـوى في جـواز التحـالف مـع كفـرة سـواء كـانوا مـن العـرب أو كـانوا مـن العجـم بـل الـذي صـدر مـني هـو أنـه لا يجـوز التحـالف مـع أي كافر..وإنمـا سـئلت عمـن أراد أن يرجـع عمـا هـو عليـه مـن النحـل الكـافرة، وأن يتـوب

منها وأن يتعاون مع المسلمين في جهاد فئة من الكفرة، ثبوت له لأن التائب من الذنب كما لا ذنب له، من تاب من كفره وشركه وأحب أن يجاهد مع إخوانه المسلمين جهاداً شرعيا فلا بأس، التوبة تجب ما قبلها ...أما أن يتحالف مع كافر شيويع أو يهودي أو نصراني أو أي كافر فلا يجوز التعاون مع هؤلاء والتحالف معهم، لأنه ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه أتى إليه في غزوة بدر رجل فقال: يا رسول الله أريد أقاتل معك. قال: أسلمت ؟ قال: لا. قال ارجع فلن أستعين بمشرك.

بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يستعين بالمشركين في قتال قريش. فهكذا لا يستعان بالمشركين والكفار في قتال أي طائفة لأنهم لا يؤمنون إنما يستعان بأهل الإيمان والهدى والإسلام ولو كان فيهم معاصي، أما الكفرة فلا يستعان بهم ولا يتحالف معهم في جهاد أي شخص كان أو جهة كانت أو أي طائفة كانت لأن الكافر مهما كان لا يؤمن سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو شيوعيا أو إباحيا أو غير ذلك، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا أنه لا ييستعان بأهل الشرك في قتال الكفرة لأنهم إخوانهم لا يؤمنون قال الله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا، ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم، وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور}.

بين سبحانه أنه لا يجوز لنا أن نتخذ بطانة من الكفرة لأنهم يودون عنتنا ومشقتنا وضرنا، ولا يألون خبالا أي تخريبا وتدميرا وإفسادا، فهذا وجب الحذر منهم ولا يستعان إلا بأهل الإسلام ولا يتحالف إلا مع أهل الإسلام لا مع الكفرة اللئام، وأسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين وأن يوفقهم لما فيه رضاه وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن يصلح قادة المسلمين أينما كانوا وأن يردهم للصواب وأن يعيذهم من طاعة الهوى والشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

فتوى الشيخ ناصر الدين الألباني

السؤال: فضيلة ناصر الدين الألباني: سمعتم منذ مدة عن قيام تحالف وطني بين الإخوان المسلمين والبعثيين والاشتراكيين والناصريين، في إطار ما سمي بالتحالف الوطني لتحرير سورية، ما حكم الإسلام في هذا الأمر ؟ نوجو أن تبينوا لنا ذلك، جزاكم الله خيرا..

الإجابة: الذي أعتقده بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أن هذا التحالف لا شبيه له في الإسلام، ولم يقع مثله لا فيما بعد الرسول عليه الصلاة والسلام فضلا عن زمنه عليه الصلاة والسلام وذلك لسببين اثنين:

أولا: إنه تحالف من جماعة لا يمثلون إلا أنفسهم، لا يمثلون المسلمين، ولا يكون أي تحالف إذا كان التحالف مشروعا إلا من حاكم مسلم نصب على المسلمين باختيارهم وليس بالرغم عنهم.

ثانيا: أن في هذا التحالف أمورا واضحة ليست من صالح الإسلام ذلك لأن المتحالَف معه قوي في عدده وفي سلاحه، أما المتحالِف فهو ضعيف فستكون النتيجة أن يتغلب ولو بعد زمن يسير هذا القوي على الضعيف وتضمحل

شخصية الضعيف ويكون الحكم كما هو القائم الآن بغير ما أنزل الله، فهذا التحالف الذي وقع بينهما أي بين الفريقين هو حبر على ورق كما يقال.

ويظهر مما نشروه في كتابهم التحالف السياسي بأن الغرض هو محاربة جنس معين من غير المسلمين وليس المقصود منه محاربة كل من يعادي المسلمين، ذلك لأنهم ختموا الرسالة بمقاتلة النصيريين وهم طائفة من البعثيين الذين هم تحالفوا معهم، فهم في الحقيقة تحالفوا مع عدوهم، ولكن هذا العدو كان فيما يبدو عذب اللسان وتظاهر بالإيمان واستسلم هؤلاء لمثل هذا الظن، وكان بلغني أنهم نشروا مدحا للبعث العراقي، ومعلوم عند جميع المثقفين المتتبعين للحوادث التي تقع في الأرض الإسلامية اليوم، أن البعث العراقي هو وليد البعث السوري لذلك يصدق في هؤلاء المثل السوري "كنا تحت المطر وصرنا تحت المزراب".

خلاصة القول: أن هذا التحالف لا محل هل من الإعراب في الإسلام والحمد لله رب العالمين.

فتوى الأستاذ محمد قطب.

السؤال: الأستاذ محمد قطب، ما حكم الإسلام في التقاء بعض الجماعات الإسلامية مع أنظمة الكفر وأحزابه..؟

الإجابة: التقاء بعض الجماعات الإسلامية مع أنظمة الكفر وأحزابه رأيي فيه غير جائز شرعاً وغير جائز سياسة، ومهما قيل من مبررات فهي لا تبرر.

كما نشرت جماعة سرور كتابا جامعا لتاريخ التحالفات والمتحالفين وتفنيدا لاستنباطات الإخوان الشرعية لتبرير الحلف بطريقة علمية محققة، في نحو مئتي صفحة (نشروه سراً على نطاق ضيق خشية الصدام مع الإخوان).

كما نشرت جماعة العطار كتابا مشابها أصغر حجما ينحو نفس المنحى...باسم مؤلفه (مجاهد عبد الحق).

الثاني عشر: اتسع الخرق على الراقع، وفقدت القيادة الإخوانية مصداقيتها وشرعية إقدامها على التحالف، وأصبحت عقدة التحالف سببا يضاف إلى تذمر القواعد ويدفعها إلى هجران الجماعة والانسحاب منها، وهكذا فقدت القيادة أبناءها وقواعدها لتستبدلهم بحلفاء خونة كميشيل عفلق، وأكرم الحوراني، وأمين الحافظ وحمود الشوفي وشبلي العيسمي...وغيرهم ممن ولغوا في دماء إخواننا وحاربوا ديننا قبل سنوات فقط وسبحان الله...

لقد فشلت القيادة في تبرير الحلف والمؤامرة مع الوقت، ولما سئل المراقب العام حسن الهويدي عن يمينه الكاذب بعدم وجود تحالف قبل قيامه بفترة قصيرة، قال أنا لم أكذب عليكم وإنما أقسمت لكم أن لا تحالف ولم يكن، وإنما وقع فيما بعد، ولم يكن موقعا وإنما كان بحثه جاريا وهذا أمر آخر لا ننكره ؟ ! (سبحان الله).

وهكذا كما فشلت القيادة في إلباس فشلها ودمار حماة للطليعة فشلت في تبرير الحلف الكارثة الذي بيعت بموجبه الهوية الإسلامية للثورة إلى البعث العراقي وأضرابه من المرتدين بأبخس الأثمان.

3 – تهدئة القاعدة والسيطرة عليها:

مباشرة وبعد إعلان سعد الدين –حل الحملات– التحالف الوطني– سقوط حماة، انتشرت البلبلة في صفوف المجتمعين في المعسكر والذين كان عددهم أكثر من ألف وخمسمائة شخص قدموا من كل أنحاء الأرض، وفجأة انقلبت كل مظاهر الحماس والاندفاع والفدائية والطاعة عنادا وجفاء وسوء خلق وعصبية عجيبة لدى الغالبية، وذاقت القيادات العسكرية الأمرّين في ضبط الشباب وحملهم على قرار إعادة السلاح إلى المخازن وتنظيفه وتخزينه، وبعد قليل

مـن الوقـت عـاد أكثـر مـن ألـف ومئـتي مجاهـد إلى مـواطن إقـامتهم السـابقة في السـعودية، الخلـيج، أوربـا، الأردن.. حـاملين معهـم تلـك الصـورة المزريـة الـتي رأوا ، وذلـك السـخط العـارم، وقـد أسـقط في أيـديهم وأحبطـوا وانهـار مـثلهم الأعلـى في أولئـك الشـيوخ والقـادة الـذين طالمـا كـانوا مقدسـين لـديهم ووقـع معظـم الشـباب فريسـة الإحبـاط النفسـي حـتى شـك بعضـهم في الخط والطرح والجهاد نفسه!

أمـا الثلاثمائـة البـاقون مـن القـدماء، والـذين كـانوا رهـن الربـاط، والـذين وقـع علـيهم مـرة أخـرى مهمـة تحمـل تبعـات النفـير فقـد وقعـوا فريسـة الإعيـاء النفسـي، وكنـت تـرى الشـراذم والـرهط مـنهم هنـا وهنـاك في أرجـاء المعسـكر يتبـادلون الحـديث ويسـمرون علـى الشـاي المعـد علـى حطـب صـناديق الـذخيرة في ليـالي ربيـع بغـداد الرائعـة.. يتبـادلون الحـديث ولا أكثـر مـن الاتهامات والسب والشتم واللعن والتذمر.

ثم انتقلـت إلـيهم أنفسـهم عـدوى مغـادرة المعسـكر والعـراق والأردن والبحـث عـن مسـتقبلهم وهكـذا اتسـعت الهـوة بـين القيـادة وبـين القاعـدة الـتي بـدأت البحـث عـن الفـرار بعيـدا عـن هـذه الأجـواء، وعبثـا حـاول القـادة عـبر اجتماعـاتهم المتعـددة تهدئـة الأوضـاع وفقـدت تلـك الأحاديـث المزدانـة بالآيـات والأحاديـث تأثيرهـا، لطالمـا اسـتعبرت دمـوع الشـباب، لأن راويهـا هذه المرة كذاب في نظر السامعين أو أكثرهم وأصبحت مثل تلك الدروس والخطب مثار هزء وسخرية.

وبـدأت جمـوع الشـباب تتجـه إلى أعمالهـا في بغـداد والموصـل أو عمـان بانتظـار الخـروج، وأصـبح الطلـب العـام لجملـة الشـباب هـو جـواز سـفر ممنـوح مـن القيـادة يمكـنهم مـن السـفر بعيـدا، ووثـائق شخصـية ودراسـية تمكـنهم مـن متابعـة دراسـتهم وأعمـالهم الـتي عطلوهـا طيلـة أكثـر مـن عـامين ونصـف مـن الربـاط، وهكـذا فشـلت القيـادة في المهمـة الثالثـة وهـي تهدئـة القواعـد وضـبطها كمـا فشـلت في إلبـاس تهمـة الـدمار للطليعـة، وفشـلت في تبريـر التحـالف الـوطني وأصـبح فشـلها تامـا، وهكـذا تحولـت الجماعـة إلى تنظـيم هرمـي متآكـل يسـتند إلى قاعـدة هشـة حاقـدة علـى قيادتهـا عمومـا غـير واثقـة بهـا لا يربطهـا بهـا في الغالـب إلا الحاجـة المتنوعـة، وكـان هـذا نتيجـة طبيعيـة للوضـوح الـذي كـان يجـب أن يصـار إليـه، وقـد حصـل، والـذي كـان ثمنـه دمـاء عشـرات الألـوف مـن المسـلمين وهتـك وسـلب ونهـب لا يعلـم بـه إلا الله. وصـدق تعـالى: {مـا كـان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}.

حل القيادة وإعادة توزيع الحقائب

كـان الطلـب الجمـاعي للكـل بعـد الأزمـة مباشـرة، اسـتقالة القيـادة، وتشـكيل محكمـة ولجنـة محاسـبة وإصـلاحات جذريـة في الجماعـة لتجـاوز الأزمـة ومتابعـة الجهـاد، وكانـت هـذه نـداءات معظـم المخلصـين في الجماعـة. ولمـا كانـت معظـم شخصـيات الجماعـة التقليديـة مـن الشـيوخ والأعيـان قـد حضـرت النفـير في أواخـره وعلـى رأسـهم شـيوخ السـعودية والخلـيج وثوابـت الجماعـة مـن أمثـال الشـيخ عبـد الفتـاح أبي غـدة وزمـلاؤه مـن الشـيوخ، وبفعـل وجـود معظـم طاقـة الشخصـيات العـام وأعضـاء مجلـس الشـورى وبفعـل طلبـات الجميـع بحـل القيـادة . تقـرر أن تحـل القيـادة وتعـاد انتخابـات مجلـس الشـورى والقيـادة والمراقب العام الجديد.

وخـلال أكثـر مـن شـهر مـر علـى حـل النفـير كـان معظـم الشـباب المـرابطين مـن مجاهـدي عمـان وبغـداد لا يزالـون في المعسـكر والقيـادة الميدانيـة العسـكرية بقيـادة أبي عمـر الطيـار رحمـه الله، تحـاول التشـبث بهـم للإقـدام علـى عمـل مـا ينقـذ الوضـع، ورغبـة في إكمـال الشـوط إلى نهايتـه انتظـرت الغالبيـة نتـائج الانتخابـات الجديـدة، وحصـل مخـاض عسـير احتـد فيـه

الصراع بين مراكز القوى والتحزبات المختلفة داخل الجماعة بانتخاب أعضاء مجلس الشورى، وكان أغرب ما في أجواء الانتخابات، أن القيادة اشترطت الحصول على حق التصويت والانتخاب (قدم خمس سنوات)، فقد كان معظم أولئك المرابطين من مجاهدي الأحداث الذين يعود معظمهم من ناحية الالتحاق بالخط إلى أواخر 1979 أو ما بعد آذار 1980، حين التحق كثير من الشباب المسلم بالجهاد. وهكذا أصبح أولئك المجاهدون أو قسم مهم منهم على الأقل خارج دائرة حق اختيار قيادة تمثلهم لأنهم لا قِدم تنظيمي لهم! وتحت الاستنكار الشديد حدد العمر التنظيمي اللازم (بثلاث سنوات) ومع ذلك بقي جزء من الشباب الرافض لتلك الأوضاع والذين تخشى مشاركتهم حق اختيار القيادة! رغم أنهم بذلوا كل وسعهم وربطوا كل مصيرهم بالجهاد وقيادته طيلة أكثر من عامين، ولكنها الاعتبارات الحزبية!.

وتمت انتخابات مجلس الشورى وسط الآمال العريضة السرابية التي بقيت عند البعض المتفائل بتجاوز المحنة بأي شكل من الأشكال وكان كثيرون يحلمون باستبعاد بعض أعمدة النكسة من أولئك الفاشلين، وانتهت الانتخابات وأسفرت عن فاجعة أخرى.. فقد كان معظمه أعضاء مجلس الشورى من القدماء أنفسهم ولكن النكسة الأكبر كانت في القيادة التي انتخبت فقد ضمت من جديد:

حسن هويدي مراقباً عاماً! عدنان سعد الدين نائباً للمراقب العام رئيساً للدائرة السياسية، أبو أنس بيانوني مسؤولاً عسكرياً .. وهكذا دواليك وعادت شخصيات القيادة النافذة إلى القيادة مع تبديل في بعض الحقائب الوزارية وأسقط في أيدي الجميع.. وعقد غالبية الشباب المرابط العزم على هجر المعسكر والبحث عن أساليب العيش كما فعل العقلاء!. وأصدرت قيادة الإخوان بياناً للصف لشرح وجهة نظرها حول الأحداث محاولة دون جدوى تهدئة الأوضاع.

الوثيقة (12)

نص البيان الذي وزعه الإخوان على القواعد بعيد أحداث حماة وحل النفير ضمن محاولتهم إعطاء بعض التفسير لما حدث. وتهدئة الإجواء.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان من قيادة الإخوان المسلمين حول تقويم الأحداث الأخيرة

أيها الإخوة الكرام:

كانت الفترة الأخيرة، والواقعة بين بداية كانون الثاني وأواسط آذار، مليئة بالأحداث الجسام والمآسي الدامية، وكان من أبرزها ما ظهر من أحداث خلالها تطويق حماة وقصفها، ثم ميثاق التحالف الوطني، وأخيراً ما أعلنه الإخوان المسلمون عن موقفهم من الأوضاع في إيران، وسنتعرض لهذه النقاط بما يكشف الحقيقة ويتلمس آفاق المستقبل.

-1-

ابتدأت أحداث حماة بمزيد من ضغط النظام الخائن على المدينة المجاهدة. وقد ظهر ذلك بكثرة الحواجز، واستمرار التفتيش، ومداهمة البيوت في ليل أو نهار، وقصف المباني على سكانها. هذا مع أن مجاهدينا اتخذوا قراراً وأبلغونا إياه بألا يقوموا بأية عملية في حماة. رحمة بأهلها من عسف السلطة وجورها، ولكن السلطة الغاشمة كانت تعتبر حماة محل ثأرها لأي عملية تجري في أي مكان من سوريا.

وكانت القيادة قد شكلت قيادة ميدانية للعمل المسلح في الداخل، نعرض عن التفصيل فيها لأسباب أمنية. وقد سبق قصف مدينة حماة اعتقال عدد كبير من الضباط في الجيش السوري من بينهم بعض ضباطنا، مما زاد العبء وضاعف الجهد. لكن العمل هو العمل.

(ومن ظن ممن يلاقي الحروب أيصاب فقد ظن عجزا)

وكانت القيادة قبل ذلك وأثناءه عاكفة على الدراسة المستمرة لأبعاد معركتنا، لتحدد مستلزماتها السياسية والعسكرية، المادية والمعنوية، الفنية والتعبوية. وكانت متفاهمة مع القيادة الميدانية في الداخل على الإطار الكبير للحركة، وعلى الأشياء الرئيسية التي ينغي تأمينها. وكان هناك حوار حول جميع المستلزمات لإسقاط النظام الباغي على ضوء الأوضاع الداخلية والخارجية. وكان العمل يجري على قدم وساق، وبصمت لا يحس به إلا من يعاني منه أو يعايشه، وكانت هناك جهود مكثفة ومساع متعددة لتأمين هذه المستلزمات في زمن ما، على ضوء دراسة القيادة وتوقعاتها.

وفي هذه الأجواء أراد بعضهم أن يستجر القيادة إلى معارك جانبية، كالَ فيها الاتهامات وقال فيها الكلام المزور، ووزع البيانات، وأطلق التصريحات، ظاناً أن الصف الإخواني من الهشاشة بحيث يتجاوب مع كل صوت. ولكنه وجد أن الجدار التنظيمي للإخوان المسلمين لا يمكن اختراقه، بإذن الله. ورفضت القيادة أن تستجر إلى هذه المعركة، معتقدة أن دفاع الله عن عباده أقوى وأشد: "إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور".

ولما أعيت هؤلاء الحيلة في التأثير على الصف، نزل رأسهم مع أحد المراسلين إلى حماة وقابل هناك الأخ المسؤول، وحمل رسالة منه إلى قيادة الإخوان، ورجع متظاهراً بأنه داعية سلام ووئام وإنقاذ، وسلّم الرسالة للمراقب العام، وعرض بعض العروض. وبينما الرسالة تتدارس معه إذا بها توزع على الناس مع قائمة من الشتائم والاتهامات، فقد صوّروها قبل تسليمها إلى المراقب العام، وظهر الهدف الحقيقي من العملية كلها.

كانت الرسالة تتدارس مع حاملها في /24/ كانون الثاني، وكان مطلوباً من القيادة في هذه الرسالة أن تفجر الأوضاع في سورية في /25/ كانون الثاني، أي في اليوم التالي. ولم يكن هذا معقولاً، وعرفت القيادة فيما بعد أن هناك موعداً احتياطياً وشيفرة، كان قد اتفق عليهما مع حامل الرسالة ولم يفض الرجل بشيء من تلك الأسرار للقيادة. وفوجئ الناس في حماة منتصف ليلة 1982/2/2 بنداء من أحد المساجد عبر مكبرات الصوت بانفجار الثورة الشعبية في كل سورية، وذلك دون علمنا ولا بإيعاز منّا، والتحم الناس في معركة مع قوات النظام وكانت نتيجتها أن احتل إخواننا المراكز الهامة في حماة وسيطروا على المدينة مطمئنين للنداء المذكور، متجاوبين مع الرسائل المرمّزة، غير عارفين بأن من وعدهم –عبر الشفرة– لا يملك إمكانية التنفيذ، ولا إمكان الإغاثة والدعم. وبدأ الرجل عملية تشويش على القيادة والصف مدعياً أنه سيحسم الأمر خلال أيام. داعياً الصف للالتحاق به. محاوراً بعض الحكومات ولم يخرج من ذلك بشيء، وكان حصيلته الإخفاق التام.

هذا والقيادة ماضية أثناء ذلك في تدبيراتها المستمرة، متألمة لما حدث من التحام ومواجهة تتوقع خطرها. وبعد أيام من سيطرة المجاهدين على حماة. حسب الموعد المتفق عليه مع من وعدهم النصرة. جاءت الأخبار بما حدث، ولكن بعد أن بدأت السلطة تسترد سيطرتها على بعض أحياء المدينة، وههنا وجدت القيادة نفسها كما قال القائل:

لم أكن من جناتها علم الله   ولكني لحرّها اليوم صالي

كان تفكير القيادة في الأصل أن استكمال لوازم المعركة وأحكامها هو المقدم على الاستعجال. فالحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث. ولم يكن عندها استعداد للخروج عن هذا المبدأ مهما كانت الظروف والأسباب. ولكن أمام ما حدث في حماة قررت بإجماعها أن تفعل شيئا ولو على حساب الاستكمال والأحكام وحاولت المستحيل، ولكن المقاومة في حماة توقفت قبل تأمين الحد الأدنى من لوازم أي حركة عسكرية. والتفصيلات في هذا الشأن غير واردة عبر البيانات، كما لا يخفى. ولعل لقاءات مباشرة بين القيادة والصف توضح الكثير مما لا تصلح له البيانات.

وبعد توقف المقاومة في حماة وانتشار ذلك واشتهاره ثابرت القيادة على سياستها في استكمال لوازم المعركة وإحكام الأمور العسكرية. وكان قرارها بالتريث صعبا حيال رغبات المجاهدين الأبطال واشتياق أرواحهم إلى الجنة. غير أن للقيادة حساباتها الدقيقة، وموازينها الشرعية والفنية. والنصر آت بإذن الله. {إلا إن نصر الله قريب}. {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}.

-2-

وأعلن في هذه المرحلة ميثاق التحالف الوطني لتحرير سورية كجزء من حركتنا السياسية ولقد استهدفت القيادة من هذا التحالف عددا من الأمور:

1 - أن نطمئن بعض الجهات في سورية والتي تخشانا توهماً منها خشية تجعلها في صف حافظ أسد مع أنها ضده.

2 - الإثبات للرأي العام العالمي أن الشعب كله. وليس الإخوان المسلمون فحسب -ضد نظام حافظ ورفعت.

3 - تجميع كل الطاقات لإسقاط هذا النظام الخائن الظالم.

4 - الاتفاق منذ الآن مع كل الأطراف الدينية والسياسية على إسلامية سورية، لتجنب سورية أي صراع مقبل.

وللعلم فإن القيادة الميدانية في سورية قد فوضت القيادة بهذه الحركة في رسالة صريحة محفوظة لدى القيادة.

والقيادة مطمئنة تماماً لقرارها في هذا الشأن. بل إنها لتعتبر ميثاق التحالف من أكبر الانتصارات السياسية للحركة الإسلامية، كما أنها تعتبره مقدمة لروح جديدة ستترك آثارها الكبيرة على مستقبل العمل السياسي في العالمين العربي والإسلامي إن شاء الله.

- 3 -

واضطرت القيادة في هذه المرحلة القاسية أن تصدر بيانها الذي ترد به على وزير خارجية إيران الذي صدر عنه أسوأ تصريح يمكن أن يقال في حقنا.

فوجدنا أنفسنا أمام افتراءات لا مثيل لها. وبدلا من أن تقول ثورة المستضعفين -كما زعموا- كلمة حانية واحدة لآلاف الضحايا في حماوة اختارت لنفسها أن تبارك يد الجزار، وأن تقف معه في خندق واحد، فتعسا لها ولما اختارت. {وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}.

لقد استبشرت حركة الإخوان المسلمين عندما قامت الثورة الإيرانية. وتصورت أنها أمام حركة متفتحة عادلة، تريد أن تتجاوز عصبية المذاهب وسلبيات الماضي. وإذا بها تفاجأ بحركة تتبنى ضلالات المتعصبين والغلاة من الشيعة وتريد فرضها على شعبها، ونشرها في الخارج، كما فوجئت بأخطاء سياسية يندى لها الجبين، تجلت بسوء التعامل الدولي. وبالتحالف مع اليسار المعادي للإسلام، ومن ذلك وقوفها المكشوف مع حافظ أسد وهو يذبح الإسلام والمسلمين

ويتبنى الكفر الصراح. ولو أنهم سكتوا لكفانا الصمت. أما وقد تكلموا فقد أذن الله لنا بالدفاع عن أنفسنا: {ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه ليصرنه الله}.

أيها الإخوة الكرام:

هذا بيان صريح لما اشتملت عليه المرحلة الأخيرة بقسوتها وشراستها، رأينا لزاما علينا أن نحيطكم علما به. وإننا نرغب إليكم بإرسال ما ترون من مقترحات وتوصيات وإن القيادة جادة ومستمرة بإذن الله في طريق الجهاد الذي شرعه الله لها، آخذة بالأسباب، مصرة على الإحكام الشرعي والفني، ومستعينة بجميع الكفاءات والطاقات، متوكلة على الله من قبل ومن بعد، توصي نفسها وإياكم بتقوى الله واللجوء إليه إنه نعم المولى ونعم النصير[25].

6 من جمادى الآخرى 1402 هـ.

31 من آذار 1982م القيادة.

وبقيت ندرة من الشباب المخلصين من قدماء الإخوان في الجماعة مُحاوِلةً الجري وراء حلم الإصلاح عبر الأنظمة الداخلية للجماعة، في حين تكونت قناعة لدى بعض القيادات العسكرية أن الإصلاح لن يتم إلا عبر إحياء العمل العسكري في الداخل، وهكذا نشأت مدرستان أو خطان للإصلاح من داخل الجماعة إحداها سياسية والأخرى عسكرية، في حين تشرذم من لا يؤمن بهذا الطرح الإصلاحي مغادرا الساحة باحثا عن حياته.

محاولات الإصلاح داخل جماعة الإخوان المسلمين

كانت أولى محاولات الإصلاح بعيد الأزمة مباشرة وهي التي قام بها شباب القيادة الميدانية العسكرية للحملات، وكانت في اليوم التالي مباشرة لإعلان سعد الذين المصائب الثلاثة (سقوط حماة –التحالف الوطني–حل النفير) فقد تجمع بعض شباب القيادات الميدانية، وتدارسوا الوضع الراهن، والمشكلة الهائلة التي ستنجم عن حل النفير وإطلاق الشباب واستمرار الشيوخ في ممارسة صلاحيات عسكرية لا يفهمون فيها، وضرورة التدخل لإنقاذ الوضع دون أن يتطور التدخل إلى شق الجماعة .

وهكذا قامت هذه القيادات الشابة باستدعاء زملائهم من الشباب الفاعلين في سائر المراكز وتم الاتصال بالقائد أبي عمر الطيار رحمه الله لإقناعه بتزعم هؤلاء الشباب العسكريين للمطالبة بإصلاحات جذرية وفورية عاجلة. وبالضغط والحوار والإقناع.

قبل أبو عمر زعامة الشباب العسكريين في محاولتهم الإصلاحية وجرت بينهم عدة اجتماعات لصياغة الطلبات التي سترفع إلى الشيوخ ومن الجدير بالذكر أن أبا عمر لم يقبل بتزعم الشباب إلا بعد أن أعطوه موثقا بأمور ثلاث:

1 – ألا يتم إخبار القواعد بهذا الأمر حتى لا تعم البلبلة ويساء فهم المحاولة.

2 – أن تكون طلبات الإصلاح على هيئة طلبات وضغوط فقط، وليس محاولة انشقاق انقلابية.

3 – أن تكون الأمور شورى بين الشباب المجتمعين وأن تقرر بالأكثرية

---

[25] لن نحاول التعليق على ما في هذا البيان من التزوير والانحراف والتلبيس ونكتفي بما تقدم مما يكشفه للقارئ

وهكذا صيغت الطلبات وكانت تدور حول نقطتين.

- قصل القيادة والشؤون السياسية عن العسكرية، وإعطاء الصلاحيات العسكرية الكاملة للعسكريين في مجال عملهم لمتابعة الجهاد بما في ذلك حق تشكيل القيادات العسكرية الميدانية للمراكز.
- تشكيل لجان محاسبة لإبعاد المقصرين والفاشلين من أعمالهم.

تمت اجتماعات الشباب العسكريين بسرية تامة، وخلال يومين صيغت الطلبات ولم تحط القواعد علما بالمحاولة ولابد من الذكر هنا أن أولئك المصلحين العسكريين والذين كان عددهم نحو أربعة عشر شابا وهم وجوه الشباب في المراكز كانوا ثلاثة أصناف:

1 – قسم يميل للتشدد وتهديد القيادة بالاستقالة الفورية وإعلام القواعد بما تم إن رفض الطلب.

2 –قسم يرى رفع الطلب للإعدار أمام الله فقط كمحاولة في الإصلاح وبعدم تجاوز رأي القيادة أخيرا.

3 – قسم يرى رفع الطلب بتوسط في الشدة ويرى الضغط والحوار مع تجنب الأزمة.

ورفع الطلب لعدنان سعد الدين بواسطة (أبي عمر الطيار وزميله أبي ماهر الطيار) وعادا ليبلغا الشباب أن عدنان سعد الدين فقد صوابه وتعصب، وهدّد وتوعّد وأسمى المحاولة بانقلاب عسكري يقوده من تجاوزوا أقدارهم من الشباب المغامرين، وأنه أخذ الطلبات ووعد بالعودة في اليوم التالي.

في اليوم التالي حضر عدنان سعد الدين هادئا راضيا واجتمع بممثلي الشباب وهو يمدحهم، ويأسف على أنه لم يلتق بهم سابقان مما أتاح المجال أمام الفاشلين بتسلم العمل وقال بأنه جاء بصلاحيات من القيادة بإجابة رغباتهم وأنه يفوضهم بالشؤون العسكرية وبتشكيل قيادة لها وأن له طلبا بسيطا واحدا، أن يكون هو على رأس القيادة العسكرية، لأن قرار الجماعة يقضي بأن يكون رأس الجهاز عضواً في الجهاز التنفيذي، أحرج الشباب وبالكاد رفضوا طلبه، وعدلوه وبحيث يكون (جنابه) صلة الوصل بين القيادة العسكرية والسياسية كمنسق، فاضطر لقبول وطلب اجتماعا بأبي عمر وباقي الضباط لتشكيل القيادة العليا، زادت دبلوماسية سعد الدين الناجحة من تباعد وجهات نظر المصلحين، ففي حين اعتبرها المتشددون لعبة يجب تفاديها، اعتبرها المتوسطون والمسالمون مقبولة.

وشكلت القيادة العسكرية من الضباط وعلى رأسهم ضابط سابق متقاعد مهاجر (من كندا) يدعى أبو أسامة. كان قد قدم للنفير ولا يدري عن الأوضاع شيئا وهو رجل ضعيف، وعلى راي أبي عمر فقد كانت قيادة ميتة، رفض الشباب العسكريون بالأكثرية هه القيادة، وأبلغ سعد الدين بذلك وأدى ذلك ‘لى حلها وإعطاء أبي عمر صلاحيات تشكيل قيادة عسكرية بمعرفته وإشرافه وبذلك حقق الشباب رغبتهم الأولى.

شكل أبو عمر قيادة ميدانية رئيسية من الضباط، وقيادات ميدانية للمراكز من الكوادر الشابة.

وبمعنويات عالية أبلغت القواعد أن قيادات عسكرية جادة شكلت وأنها بصدد عمل جاد.

بقي البعض في القاعدة على الأمل وارتاب الآخرون.. ثم جرت الأحداث لتشكف أن تجاوب سعد الدين كان دبلوماسية، حتى تم صرف أكبر عدد ممكن من المعسكر وإجراء انتخابات جديدة أفرزت قيادة جديدة (اسماً) قديمة (تركيباً) تسلمت صلاحياتها بعد تشكلها، وأُبلغ أبو عمر بأن القيادة العسكرية باعتبارها تابعة للقيادة السابقة تعتبر

محلولة وأن القيادة الجديدة قد عينت عضوا من المكتب التنفيذي مسؤولاً عسكرياً ! وكلفته بتشكيل قيادة من الضباط والكوادر وهكذا فشلت المحاولة! وصار المسؤول العسكري الجديد (علي بيانوني) وهو من أعمدة النكسة.

أما ثاني محاولات الإصلاح العسكرية، فكانت على النفس الطويل وقد اقتنع بها أبو عمر وبعض شباب الجماعة العسكريين وتنص على أن إصلاح الجماعة لن يتم في الخارج طالما أن المحاولات كلام بدون عمل، وأنه ينبغي على من أراد الإصلاح الاتجاه نحو إعمار الداخل بالإمكانيات المتوافرة المتاحة من القيادة السياسية، ومن هناك يفرض الإصلاح من منطلق القوة، ورغم ما يبدو في هذا الطرح من منطقية إلا أنه حمل تناقضاً خطيراً في داخله. ففي الوقت الذي كان يرى بعضهم ومنهم أبو عمر رحمه الله أن على العسكريين في الداخل أن يفرضوا رأيهم في النهاية. كان رأي الآخرين من الشباب الذي تربى في الإخوان على الطاعة للتنظيم مثل المسؤول العسكري لمدينة حلب الأخ عدنان مكانسي-أبو طلال- يرون أن الأمر في النهاية للقيادة...

لم تكتمل هذه المحاولة الإصلاحية، واستهلك العمل أصحابها وقد استشهد الأخ القائد أبو عمر الطيار وهو على رأس عمله في بادية الشام داخل سوريا كما اعتقل أبو طلال في حلب في ظروف غامضة مشبوهة. وهكذا تشرذم الآخرون وفشلت المحاولة.

ثانيا - محاولات الإصلاح السياسية من داخل الجماعة: تزعم هذه المحاولات في صفوف الإخوان، قيادات الدرجة الثانية وشباب الإخوان القدماء الذين يرتبطون بالتنظيم بالطاعة والولاء للشرعية ولا يرون مجالا للخروج عليها، ويرون ضرورة الإصلاح وضرورة استبعاد بعض الشخصيات ومحاربة مراكز القوى ويشتركون مع كل المخلصين في تفهم الماضي...

لكنهم يرون سبيل الإصلاح عبر نشر الوعي داخل الصف، واستغلال الانتخابات الشرعية للوصول إلى غالبية صالحة في مجلس الشورى ينبثق عنها مكتب تنفيذي صالح.. وقد اصطدمت هذه المحاولات بالحلقة المفرغة، إذ أن شخصيات الجماعة القوية كانت قد سيطرت على الوضع بشكل أخطبوطي، وأوجدت لنفسها أنصارا من الإخوة والإمّعات الذين ارتبطت مصالحهم بها، ولاسيما في السعودية والخليج ومناطق العمل وكذلك في أوروبا حيث تسيطر قيادات سياسية ضحلة الوعي الديني الشرعي مرتبطة بالشخصيات التقليدية ولاسيما بـ سعد الدين الذي كان مسؤولاً عنهم. وهكذا لم تفلح هذه التيارات الإصلاحية بتحقيق أحلامها..وكان قصارى إنتاجها هو ما توصلت إليه بعد نحو أربع سنوات من النكسة.. إذ استطاعت الأغلبية الصالحة بنظرهم تكتيل مركز قوة في مجلس الشورى أدى إلى توازن حاد أدى من ثم لانشقاق الجمعة إلى جناحين كما سنرى وذلك في عام 1986.

وهكذا يمكن إيجاز الوضع الذي تمخض عنه الحال في جماعة الإخوان المسلمين بعد هذه الزوابع بما يلي:

- تكرست سيطرة القيادة التقليدية على الجماعة رغم الانتخابات الجديدة مما ولّد إحباطا عاما في صفوف الشباب.

- نشأت في صفوف القيادة ومجلس الشورى وشخصيات الجماعة الفاعلة مراكز قوى تمحورت حول طروحات ورجالات شتى، وانتقلت بعض هذه المراكز إلى السعودية والخليج وتركز القسم الآخر في الأردن والعراق، وكانت هذه التحزبات التي تعود لجذور أقدم من الأحداث نفسها مقدمة انشقاق حصل فيما بعد سنة 1986.

- أدى إحباط القواعد إلى تفكير الغالبية بالمغادرة ولاسيما بعد وصول محاولات الإصلاح من الداخل إلى العقم، وهكذا بدأت مرحلة الهجرة المعاكسة. ولم تفلح كل محاولات القيادة بعرقلة هذه الظاهرة عبر التحكم والضغوط البشعة على صعيد المال والوثائق بأولئك المتذمرين.. ثم ما لبثت القيادة أن بدأت تسمح بل تشجع المتذمرين على المغادرة للتخلص من عبء مشاكلهم. ولم يحل عام 1983 إلا وقد غادر الساحة معظم الكوادر الشابة العسكرية والفنية والتنظيمية...باحثين لهم عن حياة جديدة في العمل في السعودية والخليج أو في الدراسة في أوربا وتركيا...أو غيرها.

- تركز جهد الإخوان ونضالهم ضد النظام السوري على الجهود السياسية التي تركزت حول التحالف الوطني، وبدأوا مرحلة من الصلات والعلاقات الخارجية الموسعة، وبقي نشاطهم العسكري محدودا جدا لتأمين بعض الوزن لدعم الجهد السياسي.

- تم تعويض الفراغ الناشئ عن هجرة الشباب بمزيج من الشباب الذين لوحقوا جديدا عبر تطور الأحداث لاسيما من مناطق حماة وإدلب وغيرها...وجلهم من الشباب الأغرار الذين لم يعرفوا شيئا عن المشاكل الماضية ليغرر بهم من جديد وكانوا بضعة عشرات من الشباب..بالإضافة لبقايا من القدماء اضطرهم الظرف المادي للبقاء تحت ظل الجماعة. كأسر المتضررين وبعض المحتاجين لغطاء الجماعة..بالإضافة لبعض الشباب القدماء الطيبين الآملين في الإصلاح ومن تبقى من العازمين على الجهاد لا يرون طريقا له إلا ما يتيحه الإخوان المسلمون والعراق.

وهكذا شكل هذا المزيج ما سمي جيشا نظاميا أو شبه نظامي تحت اسم (جيش تحرير سوريا)، وقد كان العمل به بموجب عقود ارتباط شبه إلزامي...وبدأت بعض الأعمال العسكرية تصدر باسمه في النذير، هذا المزيج غير المتجانس، وغير المعد للجهاد، أفرز في صفوف القواعد بعض الظواهر الشاذة على مستوى الالتزام أحيانا تصل إلى حدود مروعة.

بقي أن نذكر أن الإعلام الإخواني قد انحرف انحرافا ظاهرا وخطيرا، وكذلك عروضهم الفكرية عبر النذير وغيرها مما نشره الإخوان، كذلك دمج العمل في الإذاعة الموجهة من بغداد في نشاط موحد للتحالف الوطني وظهرت شعارات الوحدة العربية والوطنية.. وتميعت الهوية الإسلامية المفاصلة واستلم لواء هذه الانحرافات سعد الدين وعبد الله طنطاوي، فأجريت مقابلات مع صحف وجهات مختلفة رسخت هذا الاتجاه كان من ذلك مقابلة عدنان سعد الدين مع مجلة الوطن العربي العدد (270) حيث ذهب فيها إلى أننا والبعث سواء وأن خلافاتنا موهومة! وذهبت النذير لطرح مثل هذه المواضيع .. ورافق ذلك إعداد القواعد لهذا الاتجاه، وارتمى العمل في أحضان البعث العراقي بالكامل وهكذا استمرت حالة التفسخ التي توجت بالانشقاق في 1986.

الوثيقة (13)

مقتطفات من مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربي ذات الاتجاه البعثي العراقي والتي تصدر في باريس، مع عدنان سعد الدين بعيد أحداث حماة.

وقد أثارت هذه المقابلة ضجة كبيرة في الأوساط الإسلامية لما فيها من المداهنة والنفاق لبعث العراق. حيث ذهب سعد الدين إلى القول أن الخلافات بيننا -الإخوان- وبينهم-البعثيين-موهومة! وأن قيادات بعث العراق متدينة!!.......الخ.

عدنان سعد الدين"ل"الوطن العربي"

حماة مأساة العصر وكل آت قريب.....

حكم الأخوين (وهما متفاهمان)

ألغى دور سورية العربي

المرحلة المقبلة مرحلة كفاح مسلح متصاعد

كتب وليد أبو ظهر:

لهذا اللقاء والأجواء التي تم فيها قصة مثيرة استسمح القارئ في التجاوز عن كثير من تفاصيلها الدراماتيكية، وفي إلقاء ظلال التكتم الكثيف على وقائعها.

يكفي أن أقول هذه المقابلة قد تمت في معقل منيع من معاقل الإخوان المسلمين، يستخدمه عدنان سعد الدين كقيادة متنقلة سرية من القيادات التي يدير منها حركة الإخوان المسلمين ونضالها المسلح ضد النظام القائم في سورية.

لقد توحدت الحركة الآن في قيادة واحدة يمسك عدنان سعد الدين بخيوطها. وبالتنسيق مع فصائل المعارضة المسلحة الأخرى التي دخلت الساحة في سورية.

والواقع أن التحضير لهذا اللقاء بدأ في باريس وبعد أحداث "حماة" المأساوية. وبعد الإعلان عن قيام "التحالف الوطني لإنقاذ سورية". وعندما جاءنا بعض الرسل لتسليمنا بيانات باسم "الإخوان المسلمين" وباسم" التحالف الوطني" ووجدوا من "الوطن العربي" التجاوب الذي كان على خطورته حتميا ومحتوما، طلبنا أن نقوم بجولة نتبين فيها، ويتبين معنا القارئ، العقلية القيادية التي أفرزتها ملحمة النضال الدموي في حماة.

كان اسم عدنان سعد الدين قد بدأ يلمع في الأوساط ذات الصلة النضالية بالإخوان المسلمينن فاقترحنا اللقاء معه...وكان لنا ما طلبنا. ولقد سلكنا من أجله مراحل ملتوية متعددة، حتى وصلنا في ظلمة ليل قارس البرودة إلى "القاعدة".

لم تكن القاعدة أكثر من بيت بسيط باهت الملامح، لا يمكن أن يثير أي انتباه، وولجنا مع "الإخوان"الذين وافقونا يحملون الأسلحة الأوتوماتيكية إلى ذلك المنزل البسيط الأثاث. وبينما كنا نرشف شاي الضيافة التقليدي محاولين أن نستعيد بدفئه ما تقاضاه من أجسامنا برد الليل. دخل علينا رجل مهيب في العقد الخامس من عمره، يشير كل ما فيه إلى الحيوية والديناميكية وتأسرك منه عينان فيهما هبة المهابة والسحر[26]

---

[26] هذا الكلام كله كذب من تأليف وليد أبو ظهر ليوهم القارئ أن اللقاء تم داخل سوريا في معقل لعدنان سعد الدين، والحقيقة أن اللقاء تم في أحد بيوت الإخوان في صويلح (بالقرب من مدينة عمان) -حتى أن صورة قمصان أحد الإخوة تبدو خلفه وكان الإخوة يتندرون بهذا- ولكنها عقدة النقص من قيادة هربت وتريد أن تتصور نفسها في الداخل ولو كذباً !!

بهدوء وثقة قدم لنا نفسه بدون تمهيدات: أنا عدنان سعد الدين.

وتجاوزنا معا التحيات والمجاملات المألوفة لنعقد هذا الحوار الذي امتد على مدى ساعتين.

ولما انتهى كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد منتصف الليل الذي بدأ يستعد للانحسار أمام أضواء الفجر. وكان ذلك إيذانا بعودة شاقة إلى منطلقنا، لكي يصل هذا الحديث في موعده إلى"الوطن العربي" وإلى قرائها، في الوقت الذي يتشوقون إلى كل ما يلقي الأضواء على النضال المسلح المتصاعد في سورية.

ولنعد إلى حماة. لقد وجدت حماة نفسها، وشعبها وجد نفسه أمام مخطط منظم للإفناء...وكنا نرجو أن يتغلب العقل وتنجو المدينة من الكارثة، لكن ما خطط كان قد خطط.

عندما شعر سكان حماة أنهم وصلوا إلى طريق مسدود هبّ الناس في الليل، بما لديهم من سلاح، وما انتزعوه من سلاح هؤلاء المعربدين بعد الهجوم المفاجئ عليهم...ووقعت الواقعة الكبرى بين شعب المدينة بكل فئاته وطوائفه وشبابه.. وشيبه وأطفاله ونسائه ودفاعا عن الأرض والدم والكرامة. كان المسيحيون مع المسلمين سواء بسواء[27]، وأقول بهذه المناسبة أن المسيحيين في سورية سجلوا نقطة مضيئة سيكون لها أعظم الأثر في مستقبل سورية والمنطقة في التلاحم الحقيقي وفي الظروف وفي أشد الأوضاع وطأة. وأسجل هنا أن أسد على الرغم من أنه وجد منافقين من المسلمين ومن جميع الطوائف الأخرى، إلا أنه لم يستطع أن يقنع مسؤولا روحيا مسيحيا واحدا بإصدار تصريح شكلي ضد ثورة الشعب، والحق يقال أن المسيحيين حول حماة كانوا كذلك كرماء. وكانوا أصحاب نخوة في نجدة المنكوبين حينما بدأت راجمات الصواريخ والمدفعية الثقيلة تحصدهم في أحياء حماة وتجبرهم على البحث عن الملاذ في الضواحي. لقد حصل حافظ أسد من هذه الأسلحة الرهيبة أسلحة القتل الجماعي. أداة قمع للشعب في سورية، بعدما حول مهمة الجيش من الدفاع عن حدود سورية إلى قمع الشعب السوري واضطهاده.

الجيش من الشعب وهو يعاني أزمته.

الإخوان المسلمين والمعارضة:

- هل تضم الجبهة الوطنية السورية المسيحية ؟

نعم وبكثرة، وأول من أذاع البيان في باريس هو رجل مسيحي ينتمي إلى الجبهة وهو متلاحم معها.

كيف ترون العلاقة بين الإسلام والعروبة[28] ؟

كان ثمة جفوة بين العروبة والإسلام مصطنعة ومتكلفة. وقد استفاد العدو منها أكبر الفوائد، ووقع في فخ المتناقضات العابرة. كثيرون منا ومن غيرنا، ولكن هذه الجفوة آذنت بالزوال، وأصبح التلاحم تاما وكاملا بين العروبة والإسلام.

وهذه: الجفوة عمل لها مبشرون ومستشرقون غربيون ولها تاريخ طويل، البحث عنه ذو شجون منذ القرن الماضي، في أروقة الجامعة الأمريكية واليسوعية، وعقدت له مؤتمرات سرية.

---

[27] هذا الافتراء من مرتكزات سعد الدين السياسية–الوحدة الوطنية الإيهام بالدمج الديني والمذهبي والطائفي.

[28] العروبة والإسلام واللعب على هذا الشعار من مرتكزات سعد الدين الفكرية والسياسية.

وتساءل : هل بالضرورة إن كنت عربيا أن أكون ملحدا وعدوا للإسلام ؟ وهل إذا كنت مسلما صادق الإيمان أن أكره العرب الذين أنتسب إليهم ؟

...ما هذه الجفوة المصطنعة ؟

لقد وجدنا بوتقة الالتقاء عبر أن العروبة تؤاخي الإسلام وأن الإسلام يؤاخي العروبة، وأن الجفوة بينهما لا مجال لها.

وكما قال الكثيرون من الطرفين أن العروبة هي الجسد وأن الإسلام روحها، ولا يستغني روح عن جسد، ولا جسد عن روح. وبهذا وضعت الصيغة التي ستكون لها أفضل النتائج في هذه المنطقة بإذن الله.

أنتم ضد ما يسمى بـ"حزب البعث" في سورية. فما هو رأيكم بحزب البعث العربي الاشتراكي الذي يقود السلطة في العراق ؟

حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق هو الأصل، وهو يعارض نظام حافظ أسد، وهو م الفصائل الرئيسية التي تحاورنا معها، ولم نجد بيننا وبينهم أي تناقض من منطوق المقالات التي ذكرتها سابقا...بل وجدنا أن قاعدته تقوم على الشعب المؤمن المتدين، وأنه ليس حزبا اختار الطوائف الحاقدة ليجعل منها سندا لحكم. ولذلك وجدنا كثيرا من الخلافات بيننا وبينه موهومة، ولا أساس لها من الصحة. وكان طبيعيا أن يدخل هذا الحزب في منظومة المعارضة السورية فهو متواجد داخل الأراضي السورية لأننا تحالفنا مع حزب البعث العربي الاشتراكي والذي يتفق في آرائه مع حزب البعث الذي يقود العراق. وعلى هذا الأساس تحالف معنا الناصريون والاشتراكيون العرب وفصائل سياسية كثيرة أخرى.

إن البعث في العراق يختلف في تركيبه وفي توجهاته اختلافا جذريا وكليا عن الحزب الذي يحمل هذا الاسم في سورية، ولو كان في توجهاته كحزب حافظ أسد لما التقينا معه في حال من الأحوال، لقد وجدناه يختلف جذريا عن حزب حافظ أسد. فهو حزب للأمة، وفيه القاعدة التي تمثل الأمة، وذاك حزب طائفي ...بل إننا وجدنا في قياداته بعدما عرفناهم عن كثب، قادة متدينين بالفعل. ولا أخوض في هذه التفاصيل لأننا سنتناول قضايا شخصية لا شأن لنا بها الآن.

في سورية يستحيل على من يخشى الله ويعرفه أن يصل إلى ذروة، بل إن الوصول إلى المسؤولية في سورية لا يكون إلا عن طريق الفجور أو الكفر أو الردة أو التطاول على قيم الأمة وتراثها. وهنالك بعض الحزبيين في الذروة يفهمون هذه الحقيقة في سورية وبيننا وبينهم حوار وتعاون. إن بعضهم يعلن إفطاره في رمضان حتى يبقى في السلطة ليثبت بأنه جدير بتسلم المسؤولية في نظام حافظ أسد...فالبون شاسع والفرق واسع.

- هناك علويون متواطئون مع السلطة وآخرون ضدها ...فكيف تتعامل الحركة مع العلويين ؟
- في توجهنا الشوري لا نريد أن نستبدل نظام حزب واحد بنظام حزب واحد. وفي توجهنا الجهادي لا نريد أن نحل طائفة محل طائفة أخرى...هنا نقول بوضوح: العلويون مواطنون، وكثيرون منهم مظلومون...ويود حافظ أسد أن يزج بهم في أتون حرب طائفية . بعضهم يبكي فعلا، واللعنات التي يكيلونها لحافظ أسد كاللعنات التي تكيلها له بقية الطوائف. نحن نريد أن ننقذهم من هذا : المستنقع الطائفي، كما ننقذ كل فئات شعبنا.

حافظ أسد أراد أن يزج بالطائفة، ثم أراد بعد ذلك أن يسلط الطائفة على الأمة، وأن يسلط العشيرة على الطائفة، والعائلة على العشيرة ولكن حسابنا هو فقط مع الذين تواطؤوا وغمسوا أيديهم بالدم. أما السواد الأعظم من الطائفة

الذي وقع تحت وطأة هذا الحكم الباغي، فإننا نعمل على إنقاذه كما نعمل على إنقاذ الفئات الأخرى، وهذا شيء لا نقوله سياسة...إنما نقوله مبدأ ودعوة، وهذا ما تعلمناه من الرسول الكريم عندما فتح مكة، وقال لأهاليها: ما تظنون أنني فاعل بكم ؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

إن برنامج سورية المستقبل يتناول الجميع. وهذا: واضح في برنامج التحالف الوطني.

- كيف تنظرون إلى تحالف المعارضة في بوتقتها الجديدة. وكيف يمكن لهذا التحالف أن يخرج شعب سورية من محنته الكبرى ؟

- لقد ذكرنا في منهاج ثورتنا قبل عامين أن قوتنا، بعد اعتمادنا على الله تعالى، تكمن في مجموع شعبنا في هذه الثورة...... كان توجهنا منذ البداية وفهمنا لتاريخ سورية ولتركيبها السكاني والاجتماعي، إنه لا بد من معاون شامل لأبناء الشعب كافة، والذي لا يدرك هذه الحقيقة يكون قد غابت عنه قضية رئيسية في هذا الصراع:

إذن هذا الأمر كان بالنسبة إلينا قضية بديهية وواضحة. فحتى العلويون الذين يريد حافظ أسد أن يزج بهم في هذا الصراع توجهنا إليهم بنداء ليكونوا مع شعبهم ضد هذا الطاعون الذي يريد العيش على أنقاض الخلافات بين الفئة والفئة من أبناء الشعب الواحد.

الأمر الذي كان يشغل بالنا هو أننا نريد لهذا التحالف أن يقيم اعتبارا لعقيدة الأمة، لتقاليدها، لقيمها، ولتراثها. وهذا لم نجد فيه أي صعوبة...... في إقناع الآخرين، بل وجدنا تفاهما كاملا.

تكلمنا عن الحريات في ثورتنا، وأكدنا بأننا نؤمن بتعدد الأحزاب وبحرية الشعب في تشكيل أحزابه، وذلك بشرط أن لا تتبنى هذه الأحزاب عقائد أو مبادئ تصطدم وعقيدة الأمة [29] وأن لا ترتبط بدولة أجنبية على أن يكون مرد الفصل في هذا الأمر للسلطة القضائية، وليس للسلطة التنفيذية، حتى لا يكون هذا القيد سيفا مسلطا تستخدمه السلطة التنفيذية لاغتيال الحريات العامة. ولذلك لم تستغرق طويلا جولاتنا مع فصائل المعارضة، بل وجدنا أنفسنا في اتفاق كامل على حل ما ينقذ سورية...ويخلصها من محنتها لتستأنف دورها في العالم كله.

وستكون مرحلتنا القادمة مرحلة كفاح مسلح متصاعد...وكم تمنينا أن لا نحمل السلاح، لكن النظام في سورية أجبر كل المثقفين والعلماء وأبناء الشعب كافة على حمل السلاح في وجهه.

فقد ابتلينا بحكم يقتل السجناء ويغتال الشخصيات.

الوثيقة (14)

نموذج عن الإعلام المنحرف الذي كان يصدر تباعا عن التحالف الوطني:

عن كتاب "مجزرة حماة"

من منشورات التحالف الوطني

---

[29] هذا كذب وتناقض. إذ كيف يتحالف مع البعثي والناصري والقومي والدرزي والنصراني وكل الأبالسة وهو يعلم من هم ثم يقول شريطة ألا يتصادم مع عقيدة الأمة فقد نص التحالف على الاعتراف بهم بل هم مؤسسون وشركاء في الحكومة الطاغوتية التي يزعمون أنهم سيقيمونها على أنقاض نظام أسد.

[وقد تبرأ الإخوان من الكتاب فيما بعد رغم أنهم أمروا عناصرهم بتوزيعه داخليا وخارجيا في أوربا وأمريكا ومناطق عديدة].

مجزرة حماة ليست ردة فعل حاكم ظالم طائفي مستبد دموي ضد معارضيه ولا شكلا من أشكال التطور عند سلطة همجية انكشارية.

مجزرة حماة هي كل المؤامرات المجتمعة التي تحدثنا عنها من قبل.. في سبيل تفجير وتمزيق المنطقة.. تمهيدا لمرحلة الاستسلام الكامل ومدخلا للعصر الصهيوني البغي.

لقد أريد من مجزرة حماة أن تكون نقطة التحول في دخول المشرق العربي النفق المرعب..

وحتى لا يتمكن أحد أن يرفع ولو إصبعه اعتراضا على ما يحدث وبالتالي تنفيذ المخطط الرهيب الأسود وهو القضاء على الوجود المادي والسياسي للكيان السوري والأمة العربية على امتداد الوطن العربي الكبير.

خاتمة:

ما العمل ؟ !

والآن ...ما العمل ؟ وكيف الخلاص ؟

أولا..لنتذكر نحن أبناء سوريا ولنذكر الرأي العام العربي والعالمي بالحقيقة الجوهرية التي صار يعرفها أي طفل في سوريا الآن وهي أن الصراع ليس بين النظام وبين مجموعة سياسية معينة كما يحلو للنظام أن يصور ذلك [30] وإنما هو صراع بين شعب بمعظمه يريد الحرية والكرامة ونظام عسكري فئوي رجعي عميل.

إن هنالك مسافة فلكية تفصل بين المجتمع السوري وبين السلطة القائمة.

وإن جوهر الصراع هو بين الشعب الذي يريد التغيير وبين نظام عسكري "توتاليتاري"هو مزيج غريب من المكارثية والستالينية والفاشية، يمتلك كأكثر نظم الاستبداد الشرقي "سيف المعز وذهبه" ولكنه يمتلك فوقهما قدرا لا يدانى من التسلط ذو الطبيعة الوحشية الذي لا يعرف معنى الاقتناع أو المحاورة أو أعمال الفكر أو مقارعة الحجة بالحجة أو استخدام العقل والبرهان.

إن سوريا تمثل قمة المأساة في عالم عربي مجروح حتى العظم ومذبوح حتى الشريان فعل الهزائم القومية المتلاحقة.

ولذلك فإن طريق الخلاص يتمثل في رأينا بـ:

1 – تواصل فئات الشعب السوري مع بعضها البعض والنضال لترسيخ الوحدة الوطنية التي تكون أداتها قيام جبهة وطنية عريضة تقود كفاح الشعب في سبيل إنهاء حكم الفرد وقيام حكم وطني ديموقراطي حقيقي تكون الديموقراطية والتعددية السياسية مرتكزه الأساس.

2 – المحافظة على استقلال سوريا وتحديدا استرداد هذا الاستقلال الذي فرّط به أسد وعدم الارتهان لأية قوة خارجية وإنهاء التبعية للسوق الرأسمالية وتحرير الأرض الوطنية المحتلة. إن وجود سوريا معرض للإبادة الجغرافية والسياسية والتاريخية في حال استمرار هذا النظام.

---

[30] يقصد ليست بين النظام والإسلاميين فقط.

3 – استعادة نقطة الصفر في النهضة الشاملة وتحقيق التغيير الحضاري المطلوب المتمثل في بناء الدولة القومية الديموقراطية والعدالة والوحدة العربية.

و...تبقى الديموقراضية الهدف الأساسي ويبقى بناء " الجمهورية الديموقراطية" سواء في سوريا أو على صعيد الوطن الكبير كله المهمة الأساسية لقوى الأمة الحية حيث يكون الناس مواطنين لا رعايا يعيشون في أوطانهم بحرية وأمان وحيث تحل قوة القانون محل قانون القوة وحتى ينتهي وإلى الأبد حكم شريعة الغاب ويحل محله حكم الإنسان.

الديموقراطية- بلى- ويجب ألا نمل من التكرار حتى تتحقق لأنها الأولوية التي تحدد الأولويات، ألف باء السياسة العقلانية الحضارية ...وأكبر إنجاء للبشرية في العصور الحديثة.

"إنها قد لا تكون دواء لكل داء ولكن بدونها قد يبقى أي دواء بلا مفعول على الداء ".

وفي الختام...كلمة أخيرة...

لقد مرت الأيام والشهور على مأساة حماة ولكن يجب أن تبقى هذه المأساة حية في قلوب السوريين والعرب المؤمنين كمثال رهيب على ما بلغته همجية وخيانة الحكم الطائفي العميل.

وعلى "سوريا الغد" التي كبرت بالمأساة وتطهرت بالتضحية بأبنائها ربما الأفضل ألا تنسى تلك الضحايا البريئة والمتواضعة التي دفعت في العذاب واللهب ثمن جريمتها الوحيدة: الوطنية

لنتذكر! أجل لنتذكر!

أوضاع الطليعة بعد مأساة حماة

بدأت الطليعة في الخارج بقيادة عدنان عقلة بعد حماة حملة من الإصلاحات والاستعدادات الهامة في ظروف مريحة نسبيا، بعد ما حملت مأساة حماة لهم عزلة الإخوان وانكماش دائرة تأثيرهم، وبراءة الطليعة من تهم الإخوان التي ألصقوها بها عبر المراحل الماضية عند الكثيرين، فوضع أبو عمار وقيادته جملة من الإصلاحات موضع التنفيذ على طريق العودة إلى الداخل، فعلى الصعيد الداخلي قاموا برصد أخطائهم السابقة التي عبر عدنان عن أشهرها بأنها:

- مأساة الخروج من الداخل
- مأساة الوفاق
- مأساة التعامل مع الأنظمة

وأعلن رفضه للمهادنة والتحالفات وإلقاء السلاح والمفاوضات مع النظام، وشكلت الطليعة عددا من اللجان المهمة مثل لجنة العقيدة لبلورة وصياغة مجموعة أفكارها ومنهجها ومواقفها من قضايا رئيسية، ولجنة التنظيم لإعادة هيكليته وأجهزته اللازمة ولجنة الداخل للعناية بالصلات بالداخل ومستلزماته، واللجنة المالية...الخ وكان من أهم ما قامت به حملة شديدة لإعادة الالتزام والانضباط إلى صفوف شبابهم، وفصل بعض العناصر السيئة التي كان إيواؤها ألزاميا والتي لم تثبت تقدما مع الزمن.

وعلى صعيد العلاقات الخارجية، قام عدنان بجملة من الأسفار أقام فيها عددا من الجسور مع الخليج ومع أوربا لتأمين بعض التبرعات والبعد الإعلامي كما قامت بين الطليعة ومنظمة التحرير علاقة جيدة..هكذا دبت الحياة من

جديد في الطليعة وبدأوا يعدون العدة للعودة إلى الداخل كما قامت بينهم وبين بعض شباب قواعد الإخوان علاقات وطيدة كان عدنان يرجو منها أن يدعموه في حال عودته للداخل..

ويجدر بالذكر أنه إلى جانب هذه الظواهر الإيجابية في تحركات الطليعة برزت ظاهرة سلبية وهي جنوحهم ولاسيما عدنان عقلة وبعض تلاميذه إلى التشدد وخصوصا بعدما نحى الإخوان ذلك المنحى الشاذ في التحالف والإعلام السياسي الجديد..بعدما أثبته الإخوان من إصرارهم على محاصرة الطليعة ومناصبتها العداء..

فأعلن عدنان عقلة أنه يكفر من قيادة الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية من أقر التحالف الوطني وما جاء به من انحرافات، وقد دفعهم لهذا بعض ما صدر من منشورات منحرفة حقا عن التحالف الوطني كانت قد أصدرتها جهات مرتدة من تلك الأحزاب تحت اسم منشورات التحالف الذي يضم الإخوان بالطبع! (مثل كتاب عن حماة بعنوان- مجزرة حماة). ورغم وقوف العديد من المعتدلين في وجه هذا المنحى المسرف في تكفير الآخرين استمر عدنان على قناعاته به وكان له في ذلك أدلته القوية التي كان يرددها باستمرار وقد تبعه في رأيه عدد من الطليعة.

حالة البلد بعد مأساة حماة

كانت وتيرة الحماس والتأييد في صفوف المواطنين من أبناء المسلمين في سوريا قد وصلت لذروتها أثناء انفجار حماة، وما لبث هذا أن تحول إلى إحباط وأسقط في أيدي الجميع بعد أن جرت الأمور كما رأينا. فبعد دمار حماة عملت الدولة على انتشار أخبار الإرهاب لإرعاب الناس، ولقتل كل إمكانية واستعداد لدى الناس للدخول مرة أخرى في عمل شبيه. وزاد في المأساة استمرار الإعلام الإخواني في نهج ما رأينا من منهج حيث استمرت إذاعتهم من بغداد تزعم السيطرة على حماة ومناطق أخرى لمدة شهرين بعد سقو المدينة وانتهاء المقاومة. وبعد أن فرغت الدولة من حماة زادت من أعمال التشفي والتنكيل والإذلال والحصار الاقتصادي للشعب، وانتشر الفساد والرشاوى وعم البلاء بشكل لم يسبق له مثيل، وارتفعت الأسعار وفشى الغلاء وندرة المواد الضرورية والأدوية مما حمل كثيرا من المواطنين على التبرم وألقاء التبعات على الإسلاميين فيما حصل! وهكذا عادت للدولة السيطرة والنفوذ وخضع الشعب للقهر والإذلال بانتظار فرج الله.

أحوال اشباب المجاهد المهاجر بعد مأساة حماة

بعدما قدموا من جهاد وفداء في الداخل وما تحملوا من عناء في الدعوة إلى الله طيلة سنوات ...وبعدما رابط الكثيرون في الأردن والعراق بانتظار ساعة العودة لنصرة دين الله، وبعدما قدم المئات تاركين أعمالهم ودراستهم للمشاركة في شرف الجهاد، انصرف الكل بين عائد لسابق حياته سعيا على نفسه وعياله، وبين باحث عن مستقبله بعد تلك الفترة التي أصبح يعتبرها أنها كانت ضياعا للوقت...كان الإحباط هو العامل المشترك. واليأس القاتل شبه مسيطر على الجميع، وفرط عقد الشباب، وساح معظمهم في أقطار الأرض الأربعة يلتمسون حياةً واستقرارا جديدا في عمل أو دراسة.

كانت الآمال بفرج الله ونصره مائلة في رؤوس الكثيرين ولكن ما من أحد كان على مستوى التفكير في مخرج فالخطب جلل.. قليلون أولئك الذين فكروا في حل بديل وضاعت أفكار من فكر في زحمة الأحداث، وانصرف كل لشأنه.

ولم يبق في الرباط إلا بضعة عشرات مع عدنان عقلة يصارعون ظروفهم الصعبة في محاولة لمتابعة الطريق وبضعة عشرات في صفوف الإخوان يأملون بالإصلاح..وآخرون معهم مضطرون للبقاء.. وهكذا كان الدمار في القاعدة كاملا تقريبا.

عودة عدنان عقلة إلى الداخل ودمار الطليعة:

بعد أعمال البناء التي قامت بها الطليعة، بدأوا مرحلة من إقامة الصلات بالداخل فأقاموا صلات بحلب وحماة، وأوفد أخ آخر للصلة بأيمن شربجي في دمشق وكذلك قامت لهم صلات مع المنطقة الشرقية، وتقرر أن ينزل عدنان عقلة بعد أن نزل نائبه (أبو الخير "أحمد زيات" وهو مجاهد قديم ذو ماض مشرف) ليستقر في منطقة إدلب، حيث كان من المفروض أن الوضع قد تهيأ بعد اتصالات هامة جرت مع المجاهدين هناك بواسطة أحد أفراد الطليعة من أبناء المنطقة هناك، وهكذا نزل أبو الخير وأرسل رسالته من الداخل ليستدعي أبا عمار الذي كان نزوله بناءً على اتفاق مع قيادة الخارج تقضي بأنه سيخرج مرة أخرى بعد تنفيذ بعض الأعمال في الداخل.

في (شهر/1983/5) نزل أبو عمار (عدنان عقلة) إلى سوريا من تركيا متسللا عبر الحدود من حيث كان نائبه وبعض المقاتلين قد نزلوا، وبعد نزوله بفترة أرسل من الداخل رسالة مقتضبة تنص على أنه بخير، وأن الوضع ممتاز، وأنه قرر البقاء ولن يعود، وأنه مشغول بتدبير بعض المهمات، وأن عليهم أن يسمعوا ويطيعوا لنائبه أبو الخير الذي سيتولى معظم المراسلات معهم، وهكذا تبادل أبو الخير ومسؤول الطليعة في تركيا رسائل كان الأخير يحولها بدوره إلى القيادة في عمان التي كانت قد آلت لبعض قيادات لطليعة وعلى رأسهم أبو العلا (هاشم شعبان) أبو النور (غسان أبا زيد) وأبو صالح (عبد الستار عبود) و(أبو عمر زرعيد) و(أسعد بساطه) و(أبو نبيل عقلة) أخو عدنان عقلة وغيرهم، وبعد رسائل أبي الخير نزلت عدة مجموعات من الطليعة إلى الداخل.

بعد فترة قصيرة من نزول أبي عمار أشاع الإخوان المسلمون عدة أخبار مفادها أن عدنان عقلة لم ينزل إلى الداخل وأن أفرادا من الإخوان شاهدوه تارة في (أثينا) في اليونان وتارة في (مكة) وتارة في (تركيا)...وروى هذه الأخبار قياديون منهم المراقب العام (حسن هويدي) و(سعد الدين) وغيرهم.. بعد فترة أخرى اتصلت قيادة الإخوان بقيادة الطليعة في الأردن يبلغونها أن معلومات لديهم تفيد بأن عدنان عقلة معتقل في سوريا هو وكلّ الذين نزلوا! فاعتبر الطليعة هذا الكلام إرجافا من الإخوان كالإشاعات السابقة ولم يعيروها أي اهتمام، وتواترت عدة أخبار تؤكد كلها اعتقاله رغم أن لقاءات مسؤول تركيا بمراسله الذي كان يفد من الداخل لا تزال مستمرة، ولما كان تعديل أبي عمار لمخططه المتفق عليه قد زاد الطليعة شكاً. أوفدت الطليعة من عندها مبعوثا للالتقاء بأبي الخير أو أبي عمار في الداخل وليخرج بالخبر اليقين، وهكذا نزل المبعوث (الأخ أبو أسامة) والتقى بأبي الخير في قاعدته الجبلية، فطمأنه أبو الخير عن الحال، وأرسل معه وصايا في شريط كاسيت يحض فيها الإخوة على عدم الالتفات إلى إرجافات الإخوان والاهتمام بأمر الجهاد، ثم نزل أخ آخر هو الأخ (أبو ثابت الخطيب) ليتأكد مرة ثانية. وعاد أيضاً ليؤكد أن نزولهم حتى بلغ مجموع النازلين منذ بدء النزول نحو سبعين أخا.

عادت الشكوك للظهور والإشاعات للقوة واضطرت قيادة الخارج لإرسال رسالة مستعجلة إلى الداخل تطالب فيها أبو عمار بالخروج لمعالجة الوضع، وأجاب أبو الخير أنهم يبحثون الوضع.

وفي زحمة تلك الأحداث قرر (أبو عمر زرعيد) وكان مسؤولا عن الحركة في أوروبا وتأمين بعض اللوازم قرر النزول للقاء (أبي عمار) رغم تحذيرات قيادة الخارج بأن الوضع مشكوك، إلا أنه نزل ومرافق آخر له ليأتي بالخبر اليقين ولكنه وبعد عبوره الحدود سمع الذين رافقوه حتى الحدود التركية أصوات تبادل إطلاق نار شديد، ثم أرسل أبو الخير رسالة يخبرهم، أن المجموعة التي خرجت لاستقبال أبي عمر كشفت ونصب لها كمين في العودة وأن أبا عمر وإخوة آخرون قد استشهدوا في الكمين.

عندها تفاقم الشك واتخذت قيادة الخارج قرارا بعدم إرسال أي أخ للداخل، حتى يخرج عدنان وتجمد الوضع خلال شهرين ثم قطع هذا الجمود بأن أرسلت المخابرات السورية أخا لرجل من الطليعة هو (الحاج حسن خضرو) تخبره بأن ابنه (وكان أحد السبعين الذين نزلوا) معتقل لديها مع الباقين كما تدعون للنزول مقابل العفو عنه وعن ابنه، وأخبر عم المجاهد المعتقل أخاه أن النازلين قد اعتقلوا جميعاً! نتيجة مؤامرة دبرها دليلهم الرئيسي في عملية النزول وكان مع المبعوث شريط صوتي لابن الرجل المعتقلُ يستعطف والده ويذكر له أن المخابرات عاملتهم معاملة حسنة...وهنا وقعت الصاعقة وتأكدت الإشاعات وأصبحت يقينا.

بعد عدة أيام من إرسال المبعوث، أخبرت المخابرات الأردنية قيادة الطليعة أن لديها ستة معتقلين منذ فترة وهم عناصر من الطليعة من الذين كانو اقد نزلوا واعتقلوا ثم فروا من السجن في حادث فرار جرى (خلال عيد الفطر عام 1986/) وأنها تسمح لهم بإجراء مقابلة معهم ومن ثم ترحيلهم من السجن خارج الأردن، فتمت مقابلة الفارين الستة، وبالإضافة لما وفره المبعوث والشريط المسجل تبينت الحقيقة الفاجعة التي كانت كالتالي:

كانت خطة نزول أبي عمار ونائبه والكتل الرئيسية للشباب السبعين مبنية على خطة أقيمت بناءً على مراسلات حصلت بين أبي عمار وقيادة مجاهدي الجبل في منطقة إدلب، حيث أكد مجاهدوا الجبل إمكانياتهم باستيعاب عدد من المجاهدين في الجبل وانهم يبايعون الطليعة على العمل المشترك، جرت هذه الاتصالات عن طريق أحد عناصر الطليعة من أبناء تلك المنطقة واسمه (جا؟هد دندش) ويدعى أبو عبد الله الجسري، وكان هذا الرجل قد التحق بالطليعة بعد خروجه من سوريا مدعيا أنه واحد منها في الداخل ، وبقي في بيوت الطليعة طيلة تلك الفترة كواحد من الإخوة، وكانت حقيقة أمره أنه رجل مخابرات أرسل لاختراق الطليعة ضمن شبكة من المندسين كشف قسم كبير منهم كانوا قد استغلوا أجواء الفوضى والمهاترات واندسوا بالصفوف المختلفة.

وهكذا استمر الجسري (رغم الشكوك التي دارت حوله ثم بُرّء) نحو سنتين مع الطليعة، حتى جاءت لحظته الحاسمة، عندما استغل رغبة أبي عمار الجامحة في العودة إلى الداخل وتعلقه بأي أمل يوصله إلى ذلك، فعرض عليه نزوله للاتصال بالمجاهدين في منطقة الجبل وتأمين الصلة معهم، فقبل أبو عمار ونزل الجسري ليعود برسائل طار لب أبي عمار لها فرحا كفرصة سانحة وتم ترتيب النزول، حيث كانت المخابرات ترسل بعض عناصرها على أنهم مجاهدين لاستقبال الإخوة النازلين، حيث يعطونهم بنادق لا إبر للإطلاق فيها ثم تفاجئهم بكمين صاعق تتمكن فيه من اعتقالهم وإطلاق النار الغزير وإضاءة المنطقة بشدة فجأة ...الخ.

وهكذا اعتقل أبو الخير مساعد أبي عمار، وتمت السيطرة عليه تماما تحت التعذيب حتى أنه قبل تنفيذ مخططهم بنجاح في لقائه مع المبعوث الذي جاءه ليتأكد، فقام بخداعه وكان كل من حول أبي الخير من حرس المخابرات، كما

قام بإرسال كل الرسائل التي أمروه بكتابتها.. وهذا يفسر رسالة أبي عمار التي أجبر على كتابتها فيما يبدو -إن كان هو كاتبها حقا- حيث نصت على طلبه السمع والطاعة لأبي الخير الذي تمكنت المخابرات من السيطرة عليه وإجباره على لعب الدور.. وهكذا كانت معظم المراسلات محمولة عبر مراسل هو من المخابرات أيضا، وهكذا نزلت المجموعات الأولى واعتقلت بإشراف وتنفيذ رجال المخابرات الرئيسية في سوريا وبسرية تامة وأدى اعتقال النازلين وفيهم كل كوادر الطليعة إلى أن تُكوّن الدولة فكرة عن كل شئ في الداخل والخارج، فكشفت الخلايا التي كانت قد بعثت إلى حلب والمنطقة الشرقية وصفيت أو سيطر عليها وهكذا كشفت بعض الخلايا لأيمن شربجي واعتقل الأخ المرسل إليه فيما يبدو...كان نجاحهم كاملاً، وبعد أن علمت المخابرات أن الشكوك في الخارج حملت القيادة هناك على عدم إرسال شيء أدركت أن مرحلة الاستنزاف قد انتهت وأن عليها الانتقال للمرحلة الثانية وهي تحطيم الطليعة سياسيا بالمفاوضات بعد هذه الضربة العسكرية القاصمة وهكذا كان.

بقي أن نذكر أن عملية الهروب التي حصلت من السجن الذي كان فيه الأفراد النازلون مع عدنان في الدفعات الأخيرة حصلت -حسب رواية الستة الهاربين- من مهجع يضم ثلاثاً وعشرين أخا خرجوا كلهم من السجن وهدفهم على الأقل أن يصل أحدهم إلى الأردن لإيقاف اندفاع الإخوة إلى الموت في هذا الفخ، حيث كان المئات من شباب الخارج قد دبّ فيهم الحماس ونووا النزول إلا أن معظم الهاربين قبض عليهم ولم ينج إلا سبعة فقط، وصل ستة منهم إلى الأردن وسلموا أنفسهم إلى المخابرات الأردنية وعثر على السابع في لبنان بعد أن ضل فترة ثم ما لبث أن انقطعت أخباره، حيث علم فيما بعد أنه بقي لفترة مع ميليشيا التوحيد ثم قتل في اشتباك مع المخابرات السورية في طرابلس وكان اسمه أبو البراء الشامي.

وثمة رأيين في هذا الهروب:

- الأول يفترض أنه هروب طبيعي -(من التي تجري)- على الرغم من شبه استحالة مثل هذا الأمر من قبل سجناء بهذه الأهمية، وأنه لما تأكدت المخابرات من وصول ستة منهم إلى الأردن افترضت أن الطليعة قد علمت بالأمر فكشفت هي من جهتها مخططها لتنتقل إلى المرحلة الثانية...
- الثاني يفترض أن الدولة لما تأكدت من أن مرحلة الاستنزاف قد تمت، أرادت أن تقوم بعملية هروب مرسومة تسرب فيها بعض من تمكنت من شرائهم والسيطرة عليهم من المعتقلين ليقوموا بإتمام ما بدأه (الجسري) في مرحلة لاحقة لصيد من تبقى، وعلى الرغم من أن الستة الفارّين هم من الموثوقين بشكل عام، وأن سلوكهم لم يأت بما يريب، كان هذا أحد الاحتمالات...

ولم يعد الأمر مهما لأن الطليعة قد دمرت فيما بعد في الخارج بفعل جولة المفاوضات واستدراج بعض أفرادها للصلح وتشرذم الباقين في انشقاقات فردية.

السؤال المحير هو: لِمَ لم تخبر المخابرات الأردنية الطليعة بعملية الهروب فور تسليم الفارين من السجن أنفسهم للأردنيين؟ بل أبقت عليهم فترة رغم أهمية خبرهم بالنسبة للطليعة، كما أن الأردن كانت قد دعمت الطليعة في نزولها الأخير وقامت بتدريب ثلاثين من أفرادها تدريبا خاصا ممتازا ؟ هل كان هذا احتياطا منها ؟ أم مشاركة في اللعبة،

ضمن حملة التقارب السرية التي كانت تجري بينها وبين سوريا والعراق التي فشلت مع الأخيرة ؟ لا أحد منا يدري ولكنه افتراض قابل للبحث!!.

بقي أن نفسر موضوع (أبو عمر ومرافقه أبو ثابت) فقد اضطرت المخابرات لافتعال عملية الاشتباك لقطع الطريق على عودته للخارج بزعم أنه قتل، وقد كشف اعتقالُه كل نشاط الطليعة في الخارج وصلاتها الناجحة وحصولها على المعونة من منظمة التحرير مما أدى لزيادة التوتر بين الأخيرة وسوريا وأدى فيما يروي البعض إلى مقتل (فهد القواسمة) عضو المجلس الوطني الفلسطيني على يد المخابرات السورية في عمان، ومحاولة قتل آخر لضلوعهم في مساعدة الطليعة.

أمر مهم آخر جدير بالذكر، أن المخابرات العراقية كانت قد سلمت الأخ (أبو دجانة حماد) مع أهله وأولاده إلى المخابرات السورية أثناء عمليات الفخ التي أنجزتها المخابرات السورية واعتقل فيها 70 أخ كما روينا، وكان أبو دجانة مسؤول الطليعة في العراق مع الطليعة، وثمة رأيين أيضا حول مؤامرة تسليمه بهذا الأسلوب البشع، حيث ألقت به المخابرات العراقية وسط الصحراء السورية، فالرأي الأول يقول أن تسليمه بناء على تنسيق مع المخابرات السورية لإكمال حلقة المعلومات التي حصلت عليها لأنه كان يمتلك معلومات خاصة وهامة، وكان ذلك ضمن التنسيق الأمني الذي ذكرنا حصوله لفترة.

والرأي الثاني: يقول: أن تسليمه جاء بناءً على تنسيق بين قيادة الإخوان المسلمين في العراق ومسؤولي التحالف والمخابرات العراقية، لخوفهم من أن تسحب الطليعة عناصر الإخوان من العراق وهو ما كان أبو دجانة يقوم به فعلا من إنزال الراغبين بالالتحاق بالجهاد مع الطليعة.

ويبقى كشف هذه المبهمات من الأمور مهمة الأيام القادمة إن شاء الله لتصفى كل الحسابات بالعدل وبقدرة الله.

وعلى كل حال جاء فيما بعد خبر من الداخل يفيد بأن الأخ أبو دجانة وأخ آخر سيطروا على حراسهم في سجن حلب ثم اشتبكوا مع الجيش الذي حاصرهم واستشهدوا رحمهما الله تعالى.

كان هذا ملخص ما كان من عملية الاستدراج التي قصمت ظهر الطليعة باعتقال قائدها وسبعين من خيرة شبابه وفتحت الباب أما المرحلة الثانية وهي الاستدراج للصلح.

عملية الصلح بين قسم من الطليعة والدولة وتمام الانهيار

في أجواء مريعة من الانهيار النفسي والعصبي على مستوى القواعد والقيادة في صفوف الطليعة، او من تبقى في الخارج، وفي أجواء الشماتة والتشفي التي مارسها بعض الإخوة في الأطراف الأخرى ولا سيما الإخوان المسلمون، وفي أجواء النقد اللاذع الذي أحاطهم به كل الناس، تقدمت المخابرات بعرضها على قيادة الطليعة للمفاوضات ولوضع حالة الحرب بينهما مقابل طلبات الطليعة.

كانت قيادة الطليعة قد آلت إلى أبي العلا (هاشم شعبان) ثم جرى عرض المفاوضات على أبي العلا سرا بواسطة مسؤول الطليعة العسكري في المنطقة الشرقية والذي تمكنت المخابرات بعد إطلاعه على اعتقال أبي عمار وانكشاف أمره من إقناعه بالتعامل معها والتوسط في أمر الصلح مقابل إطلاق سراحه وبعض عناصره في المنطقة فجاء هذا المدعو (أبو مروان) إلى عمان سرا واجتمع بأبي العلا وأبي النور وأقنعهم بجدوى المفاوضات والصلح مقابل الإفراج عن المعتقلين وتنازلات أخرى تقدمها الدولة، وأن هذا أجدى من المقاومة المستحيلة في ظل حصار الإخوان والعراق

والتحالف...ودون استشارة لا مجلس الشورى ولا القيادة توجه أبو العلا وأبو النور وحسن خضرو (والد المعتقل الذي جاء أخوه من قبل المخابرات سابقا) توجهوا لمقابلة وفد من المخابرات السورية في ألمانيا الغربية وتقدموا بطلباتهم:

1 – الإفراج عن المعتقلين.

2 – إعطاء حرية الدعوة الإسلامية.

3 – إزالة الطائفية من الجيش والوظائف.

4 – العفو عن الملاحقين في الخارج وتخيرهم بين النزول أو البقاء في الخارج مع تسوية أمورهم ...الخ.

وبينما كانت المفاوضات سائرة بين هذا القسم من قيادة الطليعة والدولة أرسلت المخابرات مبعوثين عنها لتعرض على من تبقى من الطليعة وغير الطليعة العفو الشامل على من ينزل ويسلم نفسه، وتمكنت عن طريق استدراج آخر لبعض العناصر من هناك من سحب البساط من تحت أرجل المتفاوضين ...وبعد جولات من المفاوضات السرية المزرية التي تمت مع أبي العلا وأبي النور في ألمانيا ثم في قبرص ثم في دمشق، تحول الصلح إلى حالة شبيهة بالاستسلام نتيجة ضعف موقف المفاوضين بافتراض سلامة نيتهم، وهو ما ذهب إليه من تبقى من قيادة الطليعة حيث اعتبروا إقدام أبي العلا ومن ذهب مذهبه على الصلح والاستسلام نتيجة للانهيار والإحباط ولم يتهموهم بالعمالة المباشرة للحكومة، وأصبح نزول المصالحين مقابل العفو عنهم فقط، وأجبر جلهم فيما بعد على التعامل مع المخابرات قسرا وكان عددهم بضعا وعشرين شابا من المحبطين الذين دمرهم نفسيا عمليات الحصار وسقوط القائد ودمار القوة العسكرية للطليعة...فنزلوا واستسلموا وصدرت جرائد البعث النصيري ترحب بصلح قيادة الطليعة وتعتبره توبة وطنية من بعض الشباب الذين غررت بهم قيادة مغامرة ذات أغراض.

أما من تبقى من قيادة وعناصر الطليعة فكانوا بضعة عشر رجلا، وانقسموا آراء ومذاهب شتى. ورغم أن قيادة الطليعة آلت عبر الشورى إلى عبد الستار عبود (أبو صالح) وأصدرت بيانا أدانت فيه الصلح واعتبرته عملية فردية من بعض الخارجين على الطليعة وأكدت استمرار خطها في الجهاد. إلا أنها تشرذمت ودمرت ولم يبق منها إلا شراذم تحتاج إلى معجزة إلهية حتى تنهض على أرجلها من جديد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوثيقة (15)

نص البيان الذي وزعته قيادة من تبقى من الطليعة بعد اعتقال عدنان وانزلاق بعض عناصر وقيادي الطليعة لعملية صلح فاشلة مع العدو.

بسم الله الرحمن الرحيم

{إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم}.

{يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين وقائد المجاهين وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

أيها المسلمون...يا جماهيرنا المؤمنة.

إن الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين في سورية لتعلن براءتها واستنكارها للخطوة الخيانية التي أقدم عليها بعض الأفراد بالارتماء في أحضان النظام النصيري الكافر، الجاثم على صدور أهلنا وأبناء شعبنا مؤكدة أن هؤلاء الأفراد قد طردوا من الجماعة في بيان رسمي صدر بحقهم، وذلك لما تكشفت نياتهم المتحهة لولوغ في مستنقع العمالة...وإن الطليعة المقاتلة إذ تعلن تمسكها بعقيدتها وتميزها ومفاصلتها لتؤكد أن هذه الخطوة إن هي إلا دخول في حكم الطاغوت ورضاء بحكمه. {يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به}.

يا جماهيرنا المؤمنة..

إن الذين استزلهم الشيطان .. لم يغيروا قناعاتهم كما تزعم أبواق النظام الكافر وإنما غيروا أقنعتهم ليؤدوا دورا جديدا يتمثل في السعي لإيقاع المسلمين في سورية في حبائل الردة والكفر والاحتكام إلى الطاغوت .. ومع من يلتقون ؟؟

أليس هو بطل المجازر والهمجية في حماة وسرمدا وحلب وتدمر وكافرة مدننا وقرانا المنكوبة ومن يعاهدون ؟؟

أليست هي الباطنية النصيرية المشركة التي يترجم هذا النظام عقيدتها الدنيئة الحاقدة واقعا يوميا مع الناس جميعا. {كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم}.

ثم أية مؤامرة تلك التي يتحدث النظام على ألسنة الخونة على أنها تحاك ضده ؟ ومن الذين يحوكونها أهم أسياده في الكريملين أم أولياء نعمته في البيت الأبيض، أم لعلهم حلفاؤهم في تل أبيب الذين سلمهم الجولان واقتسم معهم تنفيذ الأدوار في هذه المنطقة ؟؟

يا جماهيرنا المؤمنة..

إن معركتنا مع هذا النظام، معركة الإسلام ضد قوى الكفر والشرك والارتداد..معركة الشريعة المطاردة والعقيدة المطلوب وأدها، وليست شيئا آخر على الإطلاق..

وإن الطليعة المقاتلة التي شرفها المولى جل شأنه بحمل راية الجهاد في سورية لتعلن لكم أنها ستظل بإذن الله الأمينة الوفية لهذه الطريق المباركة التي خضبتها بالدماء الزكية الطهور ..وصولا لإقامة دولة الإسلام وتحكيم شرع الله عز وجل في الأرض ..فشهداؤنا في جنان الله، ومعتقلونا لهم الله، وما النصر إلا من عند الله. {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}.

وإن لجند الطليعة المقاتلة "لقاء" فعلا مع هذا النظام الكافر، ولكن من خلال السلاح في ساحات الجهاد والاستشهاد، وتنفيذ حكم الله بحق علوجه وجلاوزته بإذن الله.

{ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم}.

{يريدون أن يطفئوا نر الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}.

{هو الذي أرسل رسله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون}.

7/من جمادى الأولى 1405 هـ

28/من كانون الثاني 1985م

الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين

في سورية.

انشقاق الإخوان المسلمين (1986):

كمـا أسـلفنا فقـد آل حـال الإخـوان المسـلمين إلى وضـع مـرّ مـن الخلافـات والملاومـات ومراكـز القـوى وفقـدان معظـم القواعـد، وجنـوحهم إلى العمـل السياسـي، وإلقـاء معظـم وزنهـم بـل كلـه في السـلة العراقيـة عـبر التحـالف، وانحـرافهم إعلاميـا على صعيد الطرح والأهداف إلى المنحى الوطني والقومي العربي...

ثم شـهدت قيـادة الإخـوان المسـلمين ومجلـس شـوراها بعـد التشـكيلة التقليديـة الـتي عـادت لقيـادة الجماعـة بعيـد مآسـاة حمـاة والنفـير، شـهدت تغـيرات وتبـدلات وتعرضـت لنقـد وأزمـات أفـرزت محـاور قـوى شـديدة التمـايز والتبـاين في وجهـات النظر ولم تكن هذه المحاور جديدة فهي قديمة قدم الأحداث في سوريا، ولها جذور تاريخية موغلة قي القدم.

لا سـيما مـا كـان يسـمى بجنـاح المشـايخ والشخصـيات التقليديـة في الإخـوان بزعامـة أبي غـدة وأنصـاره مـن المسـتقرين في السـعودية، وبـين قيـادات أخـرى مـن معظـم الـذين كـانوا في عمـان وبغـداد بزعامـة عـدنان سـعد الـدين، الـذي سـيطر في فـترة ما قبل حماة وما بعدها على كل الأمر وأمسك بكل خيوط القوى بيده.

وكـان وجـود الطليعـة باسـتمرار عـاملا مهمـا لثبـات هـذه المحـاور في كتلـة واحـدة هـي الجماعـة كتنظـيم لـه قداسـة شـرعية. وبسـقوط عـدنان وطليعتـه وتفـاقم الأزمـات الإخوانيـة أصـبحت المشـكلة الجديديـة هـي محـوري الإخـوان ونـزاعهم الـداخلي في وسط ذلك التفسخ.

تقـرر حـل مجلـس الشـورى وإعـادة انتخابـه لانتخـاب قيـادة حديـدة للإخـوان المسـلمين، وكـان أصـحاب الـرأي الإصـلاحي مـن خـلال الجماعـة قـد كثفـوا نشـاطهم طيلـة تلـك الفـترة ضـد عـدنان سـعد الـدين ومحـوره معتبريـنهم أسـباب النكسـة كلهـا! وهكـذا توّجـت جهـودهم بـأن أوصـلت عـدد المعارضـين لسياسـته في مجلـس الشـورى الجديـد إلى أربعـة عشـر عضـوا مقابـل عـدد مشـابه مـن أنصـار سـعد الـدين، وتجنبـا للانشـقاق اتفـق علـى تعيـين (أديـب الجاجـة) مراقبـا عامـا مؤقتـا ثم علـى (منـير الغضـبان) الـذي عـين بغـرض تقريـب وجهـات النظـر لتفـادي شـطر الجماعـة، وكـان ذلـك بنـاءً علـى توجيهـات مكتب الإرشاد العالمي للإخوان المسلمين.

فشـل الغضـبان في مهمتـه الصـعبة واسـتقال وكـان كـل مـن المحـورين يجمـع الأنصـار حولـه ويصـعد مـن حملتـه علـى الطـرف الآخـر. ولحـل الإشـكال وبنـاءً علـى توجيهـات مكتـب الإرشـاد تقـرر تجـاوز النظـام الـداخلي للإخـوان وانتخـاب مراقـب جديـد مباشـرة مـن القاعـدة بـدلا مـن انتخـاب مجلـس الشـورى لـه، وهكـذا بـدأت الاسـتعدادات للانتخابـات في أجـواء مـن التحـزب والحمـلات الانتخابيـة الرخيصـة الشـبيهة بمـا يحصـل بـين الأحـزاب الشـيوعية والعلمانيـة..وبلا ضـوابط ممـا يفرضـه ديننـا الحنيـف ارتفعـت حمـى الحمـلات الانتخابيـة، وقـام الجهـاز العسـكري المؤيـد لعـدنان سـعد الـدين بتنفيـذ عـدد مـن العمليـات الفاشـلة في سـوريا والـتي راح ضـحيتها عشـرات المـدنيين المسـلمين، كـان منهـا عمليـات وضـع عبـوات علـى طريـق القطـار وبعـض حـافلات النقـل الـتي يسـتخدمها النصـيريون بالإضـافة لكثـير مـن المسـلمين علـى طـرق اللاذقيـة! واعتقـل وقتـل غالـب منفـذيها، نفـذت تلـك العمليـات لـدعم موقـف سـعد الـذين وأصـحابه وإظهـارهم بمظهـر خـط الجهـاد والصـمود في الجماعـة، وأشـاعوا أن الطـرف الآخـر هـم أنصـار الاستسـلام والمفاوضـات مـع النظـام، وكانـت بالفعـل قـد جـرت مثـل هـذه

المفاوضات بين الإخوان والنظام في ألمانيا بفعل ضغوط شخصيات من ذلك الجناح وصلت إلى طريق مسدود رغم الطلبات السخيفة التي تقدم بها الإخوان وأصدروا بعد ذلك بيانا فيها.

الوثيقة (16)

نص المطالب التي عرضها الإخوان على النظام السوري مقابل الصلح ووقف الصراع معه. في مفاوضات جرت في ألمانيا في كانون الأول 1984.

وتلفت النظر هذالة المطالب وبعدها كل البعد عن آمال المجاهدين الذين فجروا الثورة ...

نشر الإخوان هذه الكلمات في بيان مطول لهم صدر بعنوان:

بيان من قيادة الإخوان المسلمين في سورية حول الأحداث الأخيرة في 3 شباط 1985.

(نقتطف منه الفقة المتعلقة بمطالبهم من النظام مقابل الصلح)

بهذه الروح تقدم وفدنا بالمطالب التالية للجماعة والشعب في أول لقاء بيننا جرى في الأسبوع الثاني من كانون الأول عام .1984

1 – إلغاء قانون الطوارئ والأحكام العرفية التي يرزح الشعب في سوريا تحت كابوسها منذ أكثر من عشرين عاما.

2 – تعليق الدستور الذي فصل خصيصا ليعطي حافظ أسد صلاحيات ما عرفها حاكم مستبد من قبل ريثما يوضع لسوريا دستور جديد.

3 – إعلان الحريات العامة وضمان حرية التفكير والتعبير والحقوق السياسية لجميع المواطنين بدون تمييز أو تفرقة أو استثناء، فإن مصادرة الحريات وحرمان شعبنا منها تحت أي ذريعة إنما هي جريمة كبرى تستهدف استئصال الأمة من الجذور وتسليمها للأعداء لقمة سائغة.

4 – الدعوة إلى انتخابات حرة نزيهة يشارك فيها أبناء الشعب باختيار ممثليهم الحقيقيين.

5 – قيام هيئة تأسيسية تضع دستورا جديدا يلبي طموحات الجماهير في سوريا في الحفاظ على عقيدتها وصون حرياتها وضمان حقوقها في الكرامة والسيادة.

6 – اعتبار الجيش مؤسسة وطنية تمثل الشعب كله وليس فئة أو طائفة أو حزبا لمهمته.

كان لهذه البنود وقع الصاعقة على نفوس وفد النظام السوري، فكل الذي حملوه وجاؤوا به هو (عودة الناس مذعنين للعيش في ظل النظام الغشوم والانضواء تحت جناحه) وهكذا استبان من الوهلة الأولى لهذا الحوار أن البون شاسع والفرق واسع، وأن هذا النظام قد بلغ درجة الاستهتار والغرور، وحدا بعيدا من البغي والضلال بحيث يتعذر إصلاحه أو ارعواؤه وليس له من علاج إلا الإطاحة به، وتطهير أرض الشام ودول المنطقة كلها من جرائمه.

وصعّد الطرف الآخر من حملته المعاكسة في السعودية والخليج وأوربا، وجرت أعمال رخيصة لاستدراج الأنصار وتجميع الأصوات، بالتأثير على بعض الناس بمختلف الطرق، وكانت أنجح الطرق لتجميع الناس ضد عدنان سعد الدين هي المتاجرة بسمعة الشيخ الحسنة والمكانة العلمية التي يسلم بها الجميع للشيخ عبد الفتاح أبو غدة وهكذا استقر الصراع بين محورين ممثلين بشخصيتين: عدنان سعد الدين وعبد الفتاح أبو غدة، وقد أنقذ موقف الشيخ أن كثيرا من

الـذين لا يثقـون بقدرتـه علـى تجـاوز الأزمـة ولا بـدوره الريـادي فيمـا مضـى ولا بتبرئتـه مـن المسـؤولية عمـا حصـل في الماضـي، صوتوا لصالحه فرارا من عدنان سعد الدين الذي غدا مشجبا لكل السلبيات المرحلية الماضية ورمزا لها!.

وهكـذا تمخضـت الانتخابـات عـن كثـير مـن الأوراق البيضـاء الحياديـة مـن الـذين أجـبروا خوفـا أو حيـاءً علـى حضـور الانتخابـات وهـم لا يثقـون بـالطرفين. وبأغلبيـة طفيفـة في الأصـوات لصـالح عبـد الفتـاح أبي غـدة الـذي فـاز علـى منافسـه بالنقاط وليس بالضربة القاضية.

وهكـذا اعـترف التنظـيم الـدولي ومكتـب الإرشـاد ومعظـم رجـالات الجماعـة بشـرعية تعيـين أبي غـدة مراقبـا عامـا، وتكليفـه بتشـكيل قيـادة وضـبط أمـور الجماعـة في حـين رفـض سـعد الـدين وأنصـاره النتيجـة واعتـبروا إعـادة الانتخابـات ضـرورية متـذرعين بـالأوراق البيضـاء الحياديـة وكثرتهـا، وفشـلت محـاولتهم بإعـادة الانتخابـات ولوَّحـوا بالانشـقاق ورفضـهم لزعامـة أبي غـدة الـذي أسمـوه جنـاح السـلم والمفاوضـات وأسمـوا أنفسـهم جنـاح الجهـاد..وتجـاوزوا ذلـك بمسـارعتهم لبيعـة عـدنان سـعد الـدين مراقبـا عامـا في منطقـة العـراق والأردن مـن قبـل المؤيـدين لـه، واتجـه الطرفـان لجمـع التأييـد والبيعـات كـل لصـاحبه عـبر أسـفار في أوروبـا وتركيـا والخلـيج ..وأصـدر مكتـب الإرشـاد بيانـا عـبر فيـه عـن شـرعية أبي غـدة كمراقـب عـام عـن التنظـيم في سـوريا، واعتـبر مـن خالفـه ورفـض بيعتـه خـارج الإخـوان وأصـدر الإخـوان بيانـاً –القيـادة الشـرعية الجديـدة– لكـن الآخـرين شرعوا بإصدار بيانهم أيضا وتم الانشقاق.

وانقسم الناس بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك، أو محايد لا يبايع طرفا ولا ينحاز لجهة.

فاستولى عـدنان سعد الـدين علـى الجهـاز العسـكري، وجهـاز الوثـائق، وجهـاز الأرشـيف، وجهـاز الإعـلام، ومجلـة النـذير، وقسـم مـن أمـوال الإخـوان في المصـارف وعلـى المركـز المهـم لـدى العـراق والحلفـاء وعلـى جـل شـباب المعسـكر المتبقـين هنـاك وعلى ولاء قيادة الجهاز العسكري.

واسـتولى جنـاح أبي غـدة علـى نسـبة عاليـة مـن ولاء القواعـد وبيعـتهم، وعلـى تأييـد الشخصـيات الهامـة في الجماعـة، وعلـى تأييـد واعـتراف التنظـيم الـدولي، وقسـم مـن الأمـوال الـتي كانـت في بنـك التمويـل الكـويتي الـذي يلتـزم صـاحبه بالشرعية، وبقي كتنظيم في حال أضعف.

وبـدأ كـل ترتيـب أوراقـه وأجهزتـه كتنظـيم مسـتقل في حـين اتخـذت جماعـة سـعد الـدين اسمـا جديـدا هـو التنظـيم السـوري للإخوان المسلمين، وحافظ الشيخ وجماعته على الاسم السابق التنظيم الدولي للإخوان المسلمين.

فإذا أردنا أن ننظر تحليليا في أنصار وقواعد ومؤيدي كل من الطرفين فإننا نجد:

–جماعـة عـدنان سـعد الـدين: وتضـم في قيادتهـا كـل مـن سـعيد حـوى، فـاروق طيفـور، عبـد الله طنطـاوي، أديـب الجاجة، رياط شقفه (أبو عمرو الديري)، (أبو محمود شكور) وآخرون...

أما قواعدها فهي مزيج من عدة فئات وتتألف بشكل عام:

- بعـض الشـباب الحمـويين والأدالبـة وغـيرهم مـن المـرتبطين مـع هـذه الجماعـة بتأييـد شخصـي لسـعد الـدين أو سعيد حوى أو أديب الجاجة. تأييدا لا يخلو من التعصب.
- شـباب أجـبر بشـكل غـير مباشـر علـى بيعـة سـعد الـدين لوجـودهم في العـراق يدرسـون أو يعملـون وتـرتبط مصالحهم به.

- شباب يريدون متابعة القتال ولا يجدون سبيلا إلا ما يوفره سعد الدين والتحالف والعراق ولا يعيرون الموازين الشرعية وطبيعة المعركة ورايتها كبير اهتمام، وهم جل الفاعلين في الجهاز العسكري وقواعد قليلة، رغم وجود تحفظ لديهم على سعد الدين وسياسته.

شباب في المناطق الأمرى كأوروبا وتركيا وغيرها...ارتبطوا بطرف سعد الدين لمصالح مختلفة، منها شخصية ومنها غير ذلك كانخداعهم بزعمه الجهاد، وقناعتهم بما أشيع عن طرف الشيخ من أنهم مهادنون يسعون للصلح..ومنهم غالب كوادر أوروبا على قلتها.

ويجب أن نذكر أن سعد الدين وجماعته يمارسون سلطة فعلية وقوية على كل هؤلاء ويتحركون كتنظيم قوي إلى حد ما.

جماعة عبد الفتاح أبي غدة: وتضم في قيادتها كلاً من علي بيانوني نائبا ثانيا وحسن هويدي نائبا أول وزهير سيلم، أبو بدر الإدلبي ومحمد الحسناوي، (أبو بكر الرقاوي)..

وتضم في قواعدها مزيجا متضاربا أيضا من :

جملة من الشباب الإخوانيين القدماء الذين يدينون للشرعية التنظيمية بصرف النظر عن شكلها وعملها، وهم مع الشيخ حيث دار بطريقة لا تخلو من إمعية، ولا مانع لديهم أن يصالح الشيخ أو يحارب.

جملة من الشباب المجبرين على البيعة ولاسيما في السعودية والخليج بحكم حاجتهم إلى الدعم والتمثيل ولا بد لهم من بيعة إحدى الجهات وهم يفضلون الشيخ فراراً من سعد الدين.

جملة من حملة راية الإصلاح التنظيمي من داخل الجماعة ،والمؤمنون بضرورة متابعة الجهاد ومعظم هؤلاء من شهود المرحلة الماضية في الأردن والعراق، ويريدون إصلاح الجماعة ضمن هيكلها الشرعي على المدى الطويل، ويجدر بالذكر هنا أن جماعة الشيخ كانت أقرب في بنائها بعد الانشقاق إلى صورة العشيرة من صورة التنظيم ولم يكن للشيخ سيطرة فعلية على هذه التشكيلة المتناقضة.

أحوال الفرق والجماعات الفرعية:

لكي يكون سردنا أقرب إلى الإحاطة، لابد لنا أن نذكر شيئا بعد أن تحدثنا عن الجناحين المعنيين بالصدام مع البعثيين النصيريين وهما الطليعة –والإخوان. ولابد من ذكر شيء عن أحوال الكتل الفرعية الأخرى وهم جماعة دمشق العطار–الجبهة الإسلامية–الجماعات الفرعية الأخرى–الشباب الضائع والحائرون بعد هذه الانقسامات...

جماعة دمشق (الإخوان جناح العطار)

فبعد خروجهم رسميا من الوفاق تحجم دورهم وخرجوا من اللعبة تماما، وقد بلور ذلك في بيانات ومقالات متتالية صادرة عن عصام العطار، أكدت عدم قناعاتهم بالحل العسكري والعنف، وإيمانهم بالدعوة والعمل عبر الطرق الدستورية والبرلمانات وحملت إنكارا عجيبا لأي تدخل سابق لهم في الأحداث.

وهكذا بقي من كان من قواعده في الخارج على ارتباط تنظيمي بقيادته، منصرفين لشؤون حياتهم ولم يعد لهم دور يذكر. ومن الجدير بالذكر أنه قامت عدة صلات فيما بعد بين عصام العطار والسلطات السورية النصيرية عبر

مفاوضات تتوجت بين عامي (1989-1990) حيث تم لقاء بين عصام العطار والسفير السوري (وهو نصيري) في ألمانيا. (ذكر أن ذلك كان بوساطات من السفير السعودي هناك)...!

انتشر الخبر في وسائل الإعلام وكان ممن تناقله جريدة الشرق الأوسط السعودية الدولية التي تصدر في لندن. بعد ذلك قام العطار بإصدار بيان رداً على جريدة الشرق الأوسط وألمح فيه إلى نقاط رئيسية أهمها:

1 - أنه يقول :ليس بيني وبين النظام السوري ولا بيني وبين غيره من الأنظمة أي مشكلة شخصية وأن موقفي منه متوقف على موقفه من أمتي وشعبي.

2 - إذا كان النظام السوري جاداً في إعادة الأمر إلى نصابه فلا بد من جملة من الإجراءات الأولية مثل:

-إطلاق سرح المعتقلين- إعادة الحريات السياسية-رفع الأحكام العرفية..(ومطالب من هذا القبيل).

-بعد ذلك بفترة قام أحد المقربين من العطار والمحسوبين على اتجاهه وهو المدعو زهير الشاويش (كاتب معروف وصاحب دار نشر في بيروت). قام بالنزول إلى سوريا حيث استضافته قيادة المخابرات السورية في جناح خاص في فتندق الجلاء في دمشق. وأجرت معه سلسلة من المباحثات عاد على أثرها إلى الأردن ليعقد سلسلة من اللقاءات في بيته في عمان أثنى خلالها على حسن معاملة السلطات له ودافع عن بعض مواقفها وطالب بتسوية الأوضاع بين الملاحقين والدولة وإنهاء هذه الحالة الشاذة . ولكن محاولته تلك قوبلت بالاستنكار من الإخوان المسلمين ومن جملة الإخوة في عمان.

الجبهة الإسلامية بزعامة (أبي النصر البيانوني):

بعد مأساة حماة وقع شئ من الطلاق بين أبي النصر والإخوان، واعتبر البيانوني أنهم كذبوا عليه ووَرطوه وتابعت الجبهة عضويتها في التحالف الوطني، ونشاطها كجماعة سياسية من المشايخ والزعماء لا أثر لها ولا فعل على صعيد الساحة العملية، وانصرفت قواعد الشيوخ عموما للبحث في شؤون حياتهم مع الحفاظ على رابطة المريد بالشيخ، ثم انسحبت من التحالف في أواخر 1985. توفي الشيخ أبو النصر البيانوني (غفر الله له) في عمان إثر مرض ألم به سنة (1988) وضمرت الجبهة الإسلامية بعده ولم يعد لها أي نشاط فعلي يذكر.

الجماعات الفرعية الأخرى:

كسابق عهدها، لم يكن لها ذلك الأثر الفاعل في الأحداث، ولم يكن لها حجم مهم فاعل كجماعة (سرور)، كذلك سعى أفرادها كل واحد في شأنه مع الحفاظ على روابط التنظيم بقيادتهم. ولم يعد لهم أي دور يذكر على الصعيد السوري.

الشباب الضائع والمحايدون بعد الانشقاق الإخواني:

وهم قسمان فمنهم شخصيات وشباب لم يكن لهم دور في الأحداث ولا مشاركة في الجهاد ولا رباط، وإنما تأثروا عاطفيا بالحدث، وكان لهم موقف وارتباط مع جهة من الجهات في مرحلة من المراحل ولاسيما أثناء النفير، وقد سارع جل هؤلاء للاعتزال كل وشأنه الخاص منهم شخصيات إخوانية قديمة مرموقة (قَرِفَتْ) من هذه اللعبة المتشابكة غير

النظيفة، وما تخللها من تحزب وانحراف فاعتزلت آخذة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالعض على الشجرة كما يزعمون.

والقسم الثاني: من هذا الصنف وهم الذين كان لهم سابقة جهاد والمشاركة فيه ثم رباط في عمان وبغداد، ثم تشرذم معظمهم في أقطار الدنيا بعد مأساة حماة والنفير ودمار الطليعة وقد حمل هؤلاء جراحهم ومآسيهم وراحوا يبحثون عن حياتهم ومستقبله شأنهم شأن الآخرين. يحمل كل منهم فيها ما لا يطيقون من تبعات تلك الحرب ومن خسائر فادحة وذكريات مريرة تقطع الفؤاد..شباب ما فتئ يفكر كلما خلا الفكر في هذه المعضلة باحثا عن بديل يخرج الناس من هذه الورطة ..وتتيه التصورات ويحار الفكر...ولا يجدون إلا الله وفرجه ملاذا .

وهكذا يمكن القول: إن هذه الحقبة الجهادية من عمر الدعوة إلى الله والجهاد في سوريا قد انتهت.

بدأت بمروان الشهيد وصحبه المجاهدين الأوائل، وصرختهم المدوية في وجه الطاغوت، وانتهت بدمار حماة ثم سقوط عدنان وطليعته ثم تشرذم المجاهدين الذين رابطوا عبر مختلف الجماعات وانصرف كل إلى شأنه ...أما الخسائر ففادحة..وأما الانتصارات فقليلة نوعية..أما التجربة فثرّة وغنية ...قتال...نصر...هزيمة...هجرة...مؤامرات ...وفاق...تحالف...صلح...استدراج...حصار ...يأس...أمل ...تجارب حياة ...الخ

تجربة جديرة بالدراسة والعبرة تذكر بقوله تعالى:

{حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ..أتاهم نصرنا}.

قولا فاصلا، يحمل في طياته الجواب على كل الأسئلة إن نحن أمعنا التفكير، قولا يلقي على أكتاف الباقين من المجاهدين الشباب كامل المسؤولية، في الثباب ومتابعة المسير والله المستعان.. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

انتهى الفصل الأول بحمد الله.

الفصل الثاني: دروس مستفادة من التجربة الجهادية المسلحة في سوريا

1 – أساسيات:

يجب لفت النظر ونحن في مستهل تحليلنا للتاريخ والتجربة الجهادية التي مرت في الحقبة المنصرمة إلى نقاط رئيسية هامة تشكل قاعدة لوجهة نظرنا في التحليل وطريقته وهدفه:

أولا: فيما يخص الإخوان المسلمين وتجربتهم ومشاركتهم في هذه المرحلة، فيجب القول أنه باستثناء بعض الزعامات التي ساهمت سلبا في مجرى الأحداث، وتراوحت سلبيتها بين الخيانة والإجرام في حق الجهاد والمجاهدين، وبين الفشل والقدوة السيئة والتصارع على الزعامة...وباستثناء بعض الأذيال في قيادات الوسط وربما القواعد التي كان لها أثر وموقف سلبي كالتحزب والبحث عن مصلحة شخصية، فبالإمكان القول إن معظم القاعدة تقريبا وجل قيادات الوسط وحتى بعض قيادات الدرجة الأولى، لا تُعتبر شريكة بشكل مباشر في هذا الدور السلبي الذي لعبه الإخوان المسلمون كتنظيم في تلك المرحلة الجهادية، وإنما تتعلق تلك المسؤولية المباشرة وتتحدد برقبة أشخاص معدودين بينهم، فحتى تلك الأخطاء غير المباشرة التي تورطت بها كل القاعدة وجل قيادات الوسط والكوادر الشابة كانت بنية سليمة والله أعلم، وانطلاقا من الثقة بالقيادة وبحكم التربية التي نشأت عليها تلك الجموع، وحتى تلك الإمعية وتبرير الأخطاء المتتالية كانت بنية حسنة دائما كالحفاظ على الجماعة، ووحدة الصف والإصلاح عبر القنوات التنظيمية.. ولقد كانت معظم القواعد وكثير من قيادات الوسط لا تدري ما يدور في القيادة وما يخطط، وكانت جاهلة بكثير من الأمور وعدت في آخر من يعلم حتى جاءت مأساة حماة، فكشفت التعفنات كلها دفعة واحدة وحصل الانفجار... ولهذا لا بد من الإشارة إلى براءة إخواننا أولئك في قواعد الإخوان إجمالا وبعض قياداتهم الوسط وربما بعض رجال الطبقة الأولى من الطيبين، لاسيما في مواقع الرباط (العراق–الأردن)، بل ولابد من الإشارة إلى أن قواعد الإخوان وقيادات الوسط والكوادر الشابة أفرزت قيادات ميدانية وكوادر مدربة شاركت في العمل الجهادي بكل أبعاده مشاركة فعالة، وتركت لنا تراثاً من التجارب في الإعداد والبرامج والعمل العسكري لا يقل في أهميته كتجربة عن ما قدم إخوانهم في الطليعة...ولقد كان أولئك المخلصون مدفوعين إلى الجهاد بعزيمة صادقة، دافعين قيادتهم إلى العمل دفعا...ولسوء الحظ ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقد ذهبت تلك الجهود هدرا رغم وفرة الإمكانيات.. ولقد كانت تلك النوعية المجاهدة مثالا للتجرد وعدم التحزب وللجندية الحقة وعدم منازعة الأمر أهله، بل انصرفت للعمل بصمت وثبات جنان.

ولابد من القول أنه لئن كان السكوت والتجاهل مبررا بعدم المعرفة في وقت من الأوقات، فقد وضح الصبح لذي عينين الآن، وكا امرئ حسيب نفسه وما عاد الجهل بالأمور عذرا والله أعلم.

ثانيا: بالنسبة لإخواننا في الطليعة المقاتلة قيادة وقواعد فوجهة نظرنا، وعبر المعايشة أيضا، أن القوم قدموا وسعهم ولم يكن لهم أن يساهموا بأكثر مما قدموا وهم تركيب مدني من طلبة وعمال.. وكوادر غير عسكرية وجدت نفسها وسط المعمعة بحكم تسارع الأحداث فبذلت جهدها وعملت على تطوير عملها من خلال المعركة.. ولقد أصابت وأخطأت على سبيل الإدارة والتخطيط والممارسة للعمل العسكري والسياسي والإعلامي في قيادتها للعمل الجهادي، ولقد سلمها

الله من التردي في حمأة الانحراف الفكري والتورط في ما يجرح شرفها ونزاهتها، وانحصر دورها السلبي في سوء الإدارة والممارسة، وانطلاقا من حداثة التجربة وصعوبة الظرف وتكتل العدو والصديق ضدها في الأوقات العصيبة.

ولقد قدمت الطليعة -شكر الله سعيها- تجربة غنية ومثالا رائعا في الثبات والقدرة على إعطاء المثل في الفدائية والاستشهاد والاستمرار رغم العوز والفاقة، واستطاعت قياداتها أن تعطي المثل الحي الرائع على القيادة الميدانية التي تتقدم قاعدتها في طريق الاستشهاد، ولولا أخطاء أسلافنا أولئك ما كان لنا ان نقف موقف المحلل المستفيد، فشكر الله سعيهم وغفر لنا ولهم وأعاننا على تصحيح المسار ومتابعة الدرب بثبات الثابتين.

ثالثا: إننا لا ننطلق من تحليلنا للتجربة السابقة لنبرئ زيدا أو نتهم عمرا فقد سجل الرقيب تعالى على كلٍ موقفه، وهو أولى بحساب عباده، وإنما للإفادة من تجربة سلفنا من خلال تحليلها تحليلا موضوعيا لوضع النقاط على الحروف، للوقوف على أخطاء حصلت لتفادي الوقوع فيها، والإفادة من أساليب وأفكار أثبتت نجاحها للإفادة منها، ولأغراض لا تخفى على المتبصر .. فرحم الله شهداءنا وفك أسر معتقلينا وغفر الله لإخواننا وجازى كلا بما هو أهله.

مختصر تاريخ المرحلة السابقة:

ربما أنه من المفيد إعادة التذكير بتسلسل سير الأحداث كعناوين عريضة مما يعين على التحليل ويذكر بتلك التجارب، فقد كان تسلسلها كالتالي:

- استلم النصيريون الحكم في سوريا عمليا، وبدأوا تركيز سيطرتهم كطائفة أقلية في عام 1970 برئاة النصيري حافظ أسد.

- بدأ مروان حديد وهو صاحب تجربة جهادية سابقة (1965) محاولته في الجهاد بمحاولة رأب الصدع بين شقي الإخوان المسلمين الذين كانوا قد انشقوا إلى ما سمي (جناح حلب حماة) أو التنظيم الدولي و(جناح دمشق) بقيادة عصام عطار.

- فشل مروان حديد في محاولة رأب الصدع، وفشل في إقناع القيادة الشرعية للتنظيم الدولي بتبني مخطط للإعداد والجهاد، فقرر تشكيل الطليعة كتنظيم عسكري مجاهد مستقل في مطلع السبعينات وبدأ بتشكيل نوياته في دمشق، حلب، حماة.

- اعتقل مروان عام 1975 واستشهد رحمه الله اغتيالا في سجنه بعد أن عذب عام 1976.

- بدأت الطليعة بعد مروان مرحلة العمل السري والاغتيالات لرؤوس النصيريين دون إعلان واستمرت كذلك من 1976-1979.

- كُشِفت الطليعة للدولة عام 1978، وكان الكثير من عناصرها ذوي ازدواجية في تنظيم الإخوان المسلمين.

- لاحقت الدولة الطليعة والإخوان الذي كشف جهازهم العسكري الصغير أيضا بفعل تداخل العمل والولآت في أواخر 1978 بالتعاون مع الأمن الأردني .

- فجرت الطليعة العمل الصدامي في ربيع 1979، وانتقلوا لمرحلة العمل العسكري المعلن، وصعدوا وتيرته بعد عملية مدرسة المدفعية في حزيران 1979.

– سارت وتيرة العمل العسكري للطليعة دون تخطيط استراتيجي على أساس البناء من خلال المعركة بوتيرة حسنة من أواسط 1979 وحتى أواخر 1980 حيث تراجعت وصفيت في كثير من المواقع بفعل عاملين رئيسيين:

أولا: قطع الإخوان الأموال عن الداخل لأنهم لم يستطيعوا استيعاب قيادة المجاهدين، وسحبوا من استطاعوا سحبه من القواعد المجاهدة للخارج، وتدخلوا سلبا في أحداث بعض العمل العسكري الفاشل غير المنسق مع أهل الداخل.

ثانيا: لم يستطع المجاهدون تطوير عملهم الاستراتيجي، ووقعوا في أخطاء تنظيمية قاتلة كتوسيع دائرة الصدام، وتوسيع التنظيم أفقيا دون السيطرة عليه، وارتكاب أعمال غير محسوبة النتائج والوقوع في اللامركزية والاعتماد على إمداد الخارج...الخ.

– كانت معظم قيادات الإخوان قد فرت منذ بداية الصدام، وشكلت في الأردن قيادة تحولت بفعل استثمار التبرعات الهائلة والإفادة من أعمال المجاهدين في مخطط إعلامي إلى تنظيم قوي في الخارج استوعب جموع الهاربين والمهاجرين الذين ضاق بهم الداخل، وأفادوا منهم، ودخلوا مرحلة المجد السياسي في الخارج.

– في عام 1981 وبعد تراجع العمل العسكري ودماره في منطقة حلب والشمال الغربي والمنطقة الشرقية...خرج عدنان عقلة للتفاوض مع الإخوان وكانت قيادة الطليعة قد آلت إليه.

– حصل الوفاق بين عدنان عقلة (الطليعة) وجماعة عصام العطار (جناح دمشق) وقيادة تنظيم الخارج (التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في سوريا) في (1981) وكان هشا ما لبث أن تحطم بفعل تراكم الإشكالات وكان صاعق تحطمه دخول الإخوان المسلمين الدوليين بشكل منفرد في مباحثات للتحالف الوطني مع الأحزاب العلمانية القومية برعاية العراق.

– انصرف الإخوان لإعداد خطة للحسم بالتعاون مع مجاهدي الداخل (القيادة الميدانية حماة دمشق) وبعض الضباط المسلمين في الجيش الذين خططوا لانقلاب على أساس أن يقدم أهل الخارج الدعم والشباب المدرب.

– كشف الانقلاب واعتقل مراسل القيادة في الخارج (خالد الشامي) في أواخر 1981، وحوصرت حماة بعد علم الدولة بمركز ثقل العمل فيها، وأجبر المجاهدون على الصدام في 1982/2/2 ووقعت المأساة.

– كان عدنان عقلة قد نزل والتقى قيادة الجهاد في حماة في أواخر 1981/1، واتفق معهم (بعد أن فوجئ بالوضع) على أن ينجدهم إن استطاع وأن يحاول إقناع الإخوان بنجدتهم أيضا، ثم خرج وفشل بالاتفاق مع الإخوان على التنسيق لأنهم اشترطوا عليه البيعة سلفا.

– أعلن الإخوان النفير العام لنجدة حماة في 1982/2/8، واتفقوا مع العراق على منع عدنان من النزول مع طليعته للداخل.

– قام الإخوان بعملية إعلامية موسعة وملفقة طيلة شهرين، جمعوا خلالها تبرعات هائلة، ثم أعلنوا حل النفير، وسقوط حماة، وإبرامهم للتحالف الوطني مع الأحزاب العلمانية، دفعة واحدة في خاتمة النفير وانفجرت الفضائح.

– بدأت مرحلة هجرة القواعد من صفوف الإخوان، ودخلوا مرحلة من التآكل والتفسخ انتهت بانشقاقهم إلى جماعتين عام (1986) ترأس إحداها عدنان سعد الدين وترأس الأخرى عبد الفتاح أبي غدة.

– كانت الطليعة بعيد حماة قد حاولت بناء تنظيمها وأقامت صلات مع الداخل ثم انتقلت لمرحلة العودة، ولكن عدنان وسبعين من عناصره راحوا ضحية عملية خرق ناجحة للمخابرات في صفوفهم واعتقل عدنان ورفاقه على الحدود في سلسلة من الكمائن المنظمة، واستدرج بعض أنصاره ممن تبقى بشكل من الصلح الاستسلامي ودمرت الطليعة كتنظيم، ولم يبق منها إلا بعض الشراذم التائهة في الخارج.

– تشرذم عموم الشباب الذي شارك في الجهاد والرباط والإعداد خلال المراحل السابقة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا بعد هذه الصدمات ولم يبق لهم أمل إلا بالله تعالى.

وهكذا انتهت الجولة السالفة من الجهاد العسكري في سوريا والتي ابتدأت بمروان وانتهت بدمار حماة وسقوط الطليعة وتصفية جيوب الجهاد في تنظيم الإخوان.

الباب الأول : ملاحظات حول التجربة الجهادية في سوريا

المبحث الأول : ملاحظات حول التجربة ككل:

أولا – غياب الاستراتيجية والتخطيط الشامل المسبق :

لم يكن لدى المجاهدين الأوائل عندما أقدموا على إرساء خط الجهاد العسكري أي تصور استراتيجي مبني على حساب دقيق لمعطيات الواقع وتوقعات المستقبل ، و لم تؤخذ بعين الاعتبار كدراسة جدية حالة البلاد، وجغرافيتها، الطبيعية والسكانية، وتركيبتها الدينية والقومية والسياسية، وطبيعة النظام وتركيبته ، ونسبة قوتنا الذاتية إلى قوته، وطبيعة القوى الصديقة والمعادية، ومعطياتها وإمكانية الإفادة منها . . إلى ا خر تلك الأمور الهامة التي كان يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وتبنى عليها طبيعة العمل العسكري المناسب وطبيعة بنية التنظيم المطلوب . . . الخ، بل على العكس سار العمل بشكل شبه فطري قدرت فيه الضرورات دائما حسب معطيات الأمر الواقع، وما لبث الأمر أن خرج من يد مخططيه بمجرد انفجار الأحداث ، وأصبحت الأحداث تجر مخططيها عبر سلسلة من الضرورات واختيار أهون الشرور .. فلما خرج الأمر من يد الطليعة وأصبح بيد قيادة الخارج لم يكن نصيبها من العمل غير المخطط بأقل من نصيب المرحلة السابقة، فرغم توافر الوقت والإمكانيات والظروف وتأييد الجوار لم تستطع القيادة أن تنتقل بالعمل إلى المستوى الاستراتيجي بل على العكس اعتمدت على معطيات الداخل وبنت عليه أحلامها بالحسم وغابت الاستراتيجية حتى عن برامج الإعداد والتدريب وكل شاردة وواردة ولم يكن العمل في الخارج إلا سلسلة من الاعتباطات وربما أن أهل الداخل ونعني القيادة الميدانية في (حماه ودمشق والضباط) كانوا أول من فكر بإعطاء العمل منحى استراتيجيا، ولكن خطأهم القاتل بالاعتماد على معطيات الخارج ودعمه ، أخرج الأمر من أيديهم وآل بهم إلى الدمار، لغياب هذا العامل الاستراتيجي المهم في التخطيط لحرب عصابات ثورية . وهكذا ظلت الأحداث تتحكم بفاعلية وآلت كل المحاولات العسكرية رغم كل البطولات الفردية الرائعة إلى فشل ذريع لم يستطع المجاهدون خلاله إلا أن يعطوا الدليل على قدرتهم على الاستشهاد.

ثانيا – تشرذم المخلصين المجاهدين في تنظيمات شتى وولاءات شتى:

لقد جاء فهم هذا الأمر متأخرا جدا ولا زلنا إلى حد ما بعيدين عن تصحيحه ودفع الأمر في مجراه الطبيعي، ولعل هذا أول واجب لإرساء خط جهادي متميز، لقد حفلت الساحة بفعل عامل المبادئ والتنظيمات والولاءات بين من جاهد عبر تصور مسبق ومن دفع إليه خوفا، ومن فاء إليه طمعا، ومن سيق إليه اضطرارا. . الخ، إلى تواجد تشكيل بشري معقد في قواعد التنظيمات التي أصبحت معنية بهذا الأمر . . ومن سوء الطالع فقد تشرذم المجاهدون الصادقون أنفسهم أيضا في هذا السياق، وهكذا وجد مجاهدون مؤمنون بالعمل الثوري الجهادي المسلح، وفي نفس الوقت في صفوف تنظيمات شتى وتحت قيادات شتى مما أفقد جدوى هذه الجذوة المؤمنة في صدور أصحابها فرصة الالتقاء وتركيز الجهد في منحى واحد، ولقد ذهب الأمر إلى أبعد من هذا، فبفعل الحزازات وأجواء الحزبية، نشأ في بعض الأحيان جو من الشحناء والحزبية والكراهية حتى بين شباب مجاهد يحمل الفكر ذاته والروح ذاتها والهدف ذاته. وما ذلك إلا لتواجده تحت قيادات مختلفة المشارب متضاربة الأهداف. عدا ما لهذا التفرق والشرذمة من منعكسات سلبية على الصعيد الديني والأخلاقي فقد كان تشرذم هذه القوى في مناحي شتى عاملا استراتيجيا كافيا لعدم الإفادة منها في آخر المطاف.

ثالثا – العجز عن إيضاح نظرية جهادية ثورية وجملة أهداف واضحة على الصعيد الإيديولوجي :

(إقامة الحكم الإسلامي وحرب النصيريين)، لقد كان هذا شعار كل من وجد في تكتل من التكتلات الإسلامية التي غدت معنية بذلك الصراع ، وإن من أولى البديهيات التي يجب أن يعنى بها تنظيم ثوري طليعي يتصدى لقيادة الجماهير أن يرسي جملة من الأهداف والشعارات ليطرحها للجماهير وليكون عليها وحولها مدار استقطابه لها وطرح نفسه كطليعة ثورية قيادية موجهة. وللأسف فقد فشل المجاهدون الحقيقيون في طرح مثل هذا الفكر والهدف والشعار بشكل واضح مبلور وموجه عبر خطة إعلامية مبيتة، على الأقل ليهلك من هلك على بينة ويحيى من حي عن بينة . . لقد كان قصارى ما فهمته الجماهير، أو من اهتم منها بالأحداث فقط لا غير، أن ثمة مجموعة من الشباب الإسلاميين يحاربون هذا النظام. ولعل غالبهم فهم أنهم يريدون إقامة الحكم الإسلامي، دون أن يتطرق لفهمهم ما هو شكل هذا الحكم ؟ ولماذا هذه الحرب ؟ وما مدى فرضيتها ولم يدعون للمشاركة والموت في سبيلها؟ . . لم يستطع المجاهدون أن يفهموا الناس على وجه الدقة والتحديد من هم ؟ وماذا يريدون ؟ وما الذي يحركهم ؟ (على العكس فإن من تطفلوا على هذه الحركة والثورة كان أول ما فعلوه هو أنهم تصدوا لإفهام الناس ماذا يريدون وما هي أهدافهم . . الخ كأطراف التحالف الوطني مثلا) على الرغم من أن هذا الإيضاح كان ولايزال أساس استقطاب الجماهير وتعبئة القواعد بالدفع الفكري والعقائدي لهذا العمل الخطير .

رابعا – ضحالة الوعي السياسي والثوري وانخفاض مستوى العلم الشرعي إجمالا:

باستثناء بعض الأفراد في القيادات المجاهدة وبعض القواعد فقد تميزت جل تلك الجموع التي تصدت لهذه الحرب الثورية الضروس بانخفاض مستوى الوعي السياسي لإبعاد هذه اللعبة الثورية الطابع، ولئن كان هذا نقيصة يمكن تجاوزها في القواعد فإن خطرها أكبر وأعظم عندما تكون إحدى صفات القيادة المتصدية لإدارة العمل . فإن الجهل بطبيعة هذا

العمل الثوري ذي الجوهر السياسي البحت حيث أن الحرب بكل تفاصيلها ليست إلا أداة لهذه التوجهات السياسية الثورية التي يتبناها العمل، إن الجهل بهذا الأمر يترك القيادة عاجزة عن وضع أي مخطط ذي طابع استراتيجي متكامل على كل الأصعدة . . وحتى القواعد وقيادات الوسط يجب أن تنال حظها من الفهم، لأنها هي التي ستفرز قيادات المستقبل في درب يستهلك كوادره أول بأول. ولأن فهمها لهذا الأمر يوضح أمامها مبررات توجهات القيادة في وضع تصوراتها ويجعلها واعية لدربها بشكل أكبر، إن هذا الوعي بهذا المفهوم كان ضحلا وقلّما تحلى به الأفراد ممن سلكوا هذا الدرب على مختلف الأصعدة، كما أن مستوى العلم الشرعي إجمالا، ولاسيما في القواعد المجاهدة. وبعد أن طالت كوارث الإستشهادات المتلاحقة الشريحة الممتازة من نخبة المجاهدين في الصدمة الأولى، واعتمدت الفئات الإسلامية على الحشد الكمي للأفراد. وأصبح هذا المستوى منخفضا.. مما كان له الدور الأول في تلك المؤامرات التي مرت بكل سهولة، وأمكن التحكم بهده القواعد التي أصبح لسان حالها يقر بالتسليم والثقة لبعض الرجال العاملين في الأمر حيث يفهمون فيما لا نفهم! ولذلك وقعت كثير من التجاوزات ومررت كثير من المؤامرات في ظل هذا الجهل شبه الشامل . . وباختصار لقد تميز جل أولئك المجاهدين بالإخلاص والاندفاع والاستماتة.. هذا صحيح ولكن مستوى الوعي على الصعيد العلمي الشرعي والسياسي كان ضحلا، وأقل بكثير مما يجب توفره في صفوف تجمعات جهادية ثورية.

خامسا – الاعتماد على الكم بعد أن ذهبت الضربة الأولى بالنوعيات :

بالنسبة للطليعة ومجاهدي الداخل، فقد ذهبت الصدمة الأولى وهي الفترة الممتدة من أواسط 1979 وحتى أواخر 1980 بصفوفهم في سلسلة مأساوية من الاستشهادات، ولذلك تورطت تلك القيادات بفتح باب التنظيم غير المنظم وغير المدروس أمام الجماهير لتوسيع قاعدتها فغلب الكم على النوع وظهرت ظواهر سلبية وشاذة مميتة فيما بعد، فقد كان العديد من الملتحقين بالدرب من غير المتعمقين في طريق الثبات والالتزام الإسلامي، و لم يكن يميزهم إلا الحماس والاندفاع الذي فتر بعيد تراجع الأحداث ولاسيما بعد الخروج خارج الحدود . .

وعلى صعيد الإخوان فقد ذهبت ضربة الاعتقالات مع بداية تفجر الأحداث بالألوف من كوادرهم المعدة في حلقات التربية والتكوين، وفتحوا الباب بعد خروجهم خارج الحدود أمام استقطاب واستيعاب ما هب ودب مما أظهر بوادر غير واضحة في صفوف بعض القواعد، بوادر مؤسفة ومخجلة في بعض حوادث متفرقة. ولقد زاد في سلبية هذا الحشد الكمي أن الظرف في الداخل لم يكن مواتيا لإعداد هذه الجموع وتربيتها ورفع سويتها العلمية والشرعية والسياسية، وإعدادها إعدادا مناسبا بل ضروريا، أما في الخارج فقد كان فشل الإخوان على صعيد التربية والإعداد لا يقل عن فشلهم على الصعيد العمل العسكري، وعلى الرغم من بقاء المئات من العناصر في القواعد، لم تفلح القيادة في إنجاح برنامج تربوي ناجع على مستوى القضية باستثناء دروس التربية الإسلامية الكلاسيكية المملّة التي كانت تجري بين الحين والحين.. وبعض برامج التدريب العسكري النظري والعملي غير الكافي. هذا ناهيك عما وفره جو الحشد الكمي للمخابرات السورية من إمكانية دس العملاء في جو الصراع من أجل رفع العدد وتجاذب العناصر الذي حصل بين التنظيمات.

سادسا – ضعف الإعلام الداخلي والخارجي للمجاهدين :

سبق وأن تكلمنا عن فشل المجاهدين في بلورة فكرة يفهمونها للناس. جملة من الأهداف والشعارات التي كانوا متفهمين لها عاملين في سبيلها، ولقد كان هذا طرفا من فشلهم الاعلامي، فباستثناء بعض البيانات التي كانت تصدر لأغراض بعينها لم يكن هناك مخطط إعلامي مبرمج لتعبئة الجماهير وتوسيع القاعدة الثورية للأنصار والمؤيدين .

ولما آل الأمر لقيادة الإخوان في الخارج، أُهمل الإعلام على صعيد الداخل نهائيا، واقتصر الإعلام على نطاق الخارج. ولكنه تورط في التهويل وتوج ذلك فيما رافق حماه وأحداثها وما دأبت عليه النذير من التهاويل، ولقد كان إعلاما إخباريا، أكثر منه إعلاما فكريا موجها لغزو قلوب الأنصار والمؤيدين في الداخل والخارج. ولا تخفى نتيجة مثل هذا القصور على متبصر، قصور جعل أنهار الدماء تلك وجهود الألوف من المخلصين تذهب سدى ولا يحصد فيها إلا نعوت الاستشهاد . . لقد كان درس فشل الإعلام الجهادي درسا لا ينسى.

سابعا – انتظار المجاهدين الدعم من جهات خارجية باستمرار وعدم الاعتماد على النفس :

كان خطأ قاتلا دمر الطليعة في الداخل، ثم دمر حشود المجاهدين في الخارج. ثم دمر القيادة الميدانية والإدارة العسكرية للضباط في حماه ودمشق (ما سمي بمخطط الحسم). لقد تورط كل المعنيين بإدارة العمل الجهادي بالاعتماد على إمداد الخارج المهزوز وغير المستقر، بل تعدى ذلك بالاعتماد على الأنظمة المعادية في الجوار (كالعراق). وتمددت الثورة واتسعت وارتفعت تكاليفها بشكل سرطاني غير مدروس متغذية. مما تدفق من الجوار من مال وسلاح ولوازم. وفي لحظات بعينها قطعت تلك الإمدادات أو خيبت الآمال كما حصل للطليعة ثم لقيادة حماه والضباط، فحصلت المأساة، لقد كان درسا من أعظم الدروس: (لا يمكن لحركة جهادية ثورية تمارس حرب عصابات شاملة أن تعتمد في تمويلها وتسليح أفرادها وإعالتهم إلا على نفسها وما تستخلصه من عدوها، وعليها أن تضع المخطط لهذا الأمر بكل وضوح وتفصيل، وإلا فإنها ستتحول لورقة لعب سياسية بأيدي الآخرين فإن أبت فالقضاء عليها رهن قرار هؤلاء الآخرين). لقد كان درسا قاسيا جاء فهمه متأخرا وليعتبر معتبر!.

ثامنا – التورط في شكل من أشكال حرب العصابات طويلة الأمد لا يناسب البلد:

لعل هذا أحد أخطاء التخطيط غير الاستراتيجي، أو عدم التخطيط بالأحرى، ووضع تصورات بناء على بنات الأفكار المحضة، ودون استمدادها من الواقع ومعطياته، إن نظرة متبصرة في طبيعة البلد وجغرافيته، وجغرافيته السكانية وتركيبة السكان الدينية والعرقية والنفسية.. ومعرفة ودراسة وضع وبنية النظام الطائفية الهرمية كافية لأن يتخذ الدارس لمخطط صِدام عسكري مع هذا النظام المعادي أسلوبا آخر غير الذي اتخذ وسلك ومايزال يسلك من قبل من لا يعتبر ولا يتعظ بتجربة غيره .

لقد كان كافيا وممكنا في وقت من الأوقات، ومع بداية الأحداث الإطاحة بالنظام عبر ضربات نوعية مركزة تستهدف ركائزه الأساسية وشخصياته الفاعلة، ولقد أثبتت بعض العمليات الناجحة إمكانية ذلك رغم تعقد الظرف فيما بعد "محاولة اغتيال الأسد مرتين –عملية تفجير مجلس الوزراء– الآمرية الجوية–المدفعية" وعلى العكس بدأ المجاهدون بتوريط أنفسهم بحرب طويلة المدى غير متكافئة، حرب استنزاف بين فقير ضعيف وقوي غني في بلد هذا

حالـه، فاسـتهدفوا صـغار العمـلاء وأذيـال النظـام ودخلـوا تلـك المتاهـة.. لقـد كـان ذلـك أحـد نتـائج العمـل الغـير مـدروس وغير استراتيجي.. ودرس آخر في هذه السلسلة المحزنة المفيدة من الدروس.

تاسعا – الانتقال للخارج فترة طويلة وخسارة الجماهير وإمدادها وتدني المستوى الديني والثوري لدى الأفراد:

لقـد تعـددت أسـباب الخـروج وطبيعتهـا مـن البلـد وهـي تـتراوح بـين الفـرار مـن الزحـف وبـين الضـرورة ! وكـل حسـب حالـه ولـيس هـذا مجـال بحثنـا هنـا.. ولكـن انتقـال الكـوادر الجهاديـة للخـارج، وترتيبهـا لحياتهـا في دار المهجـر والربـاط ولاسـيما في العـراق والأردن أو هجرهـا السـاحة بكاملهـا للخلـيج والسـعودية وأوروبـا.. أفقـد الثـورة احتكاكهـا بالجمـاهير وبالتـالي قطـع عنهـا المـدد الطبيعـي للإمكانـات الماديـة والبشـرية والمعنويـة فتحولـت لجسـد معـزول صـغير بـدأ مرحلـة التآكـل، لقـد كـان تـآكلا علـى كـل المسـتويات، فخسـارة العناصـر الـتي لا تعـوض عـبر العمليـات العسـكرية الـتي تمـت مـن الخـارج للـداخل هـي شـكل مـن أشـكال التآكـل، وسـأم بعـض المجاهـدين وهجـرتهم لسـاحة الربـاط والإعـداد للبحـث عـن حيـاتهم، تآكـل... الخ. وشـيئا فشـيئا أصـبح دار الهجـرة يرتـب وكأنـه دار مقـام لا مرحلـة ضـرورية اسـتثنائية. لقـد سـاهمت قيـادة الإخـوان المسـلمين إلى حـد كـبير في إرسـاء هـذا الوضـع المؤلم، ووجهـت الكثـير مـن عناصـرها للدراسـة أو العمـل والـزواج في وقـت مـن الأوقـات ولم يكـن في المنظـور وضـع مخطـط لإعـادة المجاهـدين للـداخل عـبر برنـامج مـدروس، ولقـد تورطـت الطليعـة نفسـها في هـذا إلى حـد كـبير، وإن كـانوا يعـذرون بالفاقـة والحصـار الـذي ضـرب علـيهم، إلا أن الاتجـاه العـام للجميـع كـان هـو اسـتقرار كـل مـن خرج من المجاهدين والمتضررين في الخارج وترتيب أمره على أنه مقام سيطول.

عاشرا – عدم الإفادة من التجارب الإسلامية والعالمية لحروب العصابات :

التـاريخ ملـيء بالتجـارب. والعلـوم والتجـارب الإنسـانية كلهـا تتطـور بنـاء علـى الرصـيد الإنسـاني مـن مجمـوع نشـاطات هـذا الكـائن الحـي في مختلـف المجـالات، ولا تشـذ الحـروب، ولا الثوريـة منهـا عـن هـذه القاعـدة، ولهـذا وغـيره دأب القـرآن والسـنة النبويـة علـى دفعنـا في هـذه الاتجـاه المنطقـي مـن البحـث والعـبرة مـن التـاريخ، طلـب العلـم واسـتقراء العـبرة... لقـد أتاحـت لنـا الفـترة الـتي تلـت المأسـاة، مجـالا للمطالعـة والإطـلاع علـى تجـارب إسـلامية وعالميـة ثريـة وجـديرة بالبحـث، ولقـد مـرت شـعوب إسـلامية وغـير إسـلامية بـأحوال شـبيهة بـالتي مررنـا بهـا وكتبـت عنهـا كتـب ودراسـات هامـة لـو كـان قـد اطلـع عليها بعض القائمين بالأمر لأمكنهم العبرة والإفادة من خطأ الآخرين ليوفر عليهم التورط في مطبات شبيهة...

لقـد كـان هـذا شـكلا مـن أشـكال الجهـل الـذي ميـز شـعبا جلـه لا يقـرأ ولا يطلـع، لقـد أديـرت كثـير مـن الأمـور علـى طريقـة أعـراب البـوادي، بشـكل عشـوائي وفطـري في حـين كانـت تجـارب غنيـة شـتى لأمـم مسـلمة وغـير مسـلمة مدروسـة ومدونـة وفي متنـاول اليـد لمـن أراد الاطـلاع والعـبرة.. إلا أن أحـدا لم يطلـع وكـان علينـا أن نمـر في هـذه المتاهـة لنكتشـف بأنفسـنا حـتى أبسـط المطبـات... وليتنا نتعظ من التجربة.

أحد عشر – التعامل مع الأنظمة كسد دائم :

لقـد كـان هـذا شـكلا مـن أشـكال الاعتمـاد علـى الإمكانـات غـير الذاتيـة الـذي تحـدثنا عنـه، ولقـد قـدمت أنظمـة الجـوار كلهـا الـدليل تلـو الـدليل علـى أنهـا لا ترقـى حـتى لأن تكـون حليفـا مصـلحيا مؤقتـا، فكلهـا أنظمـة تخـاف الإسـلام، وتسـجن أصـحابه مـن إخواننـا وأشـباهنا في قمـاقم السـجون خشـية انطلاقـتهم المـاردة! ومـن هـذا المنطلـق والواقـع تعاملـت معنـا، ولقـد

تلقينا الضربة تلو الضربة، وحري بنا أن نكون قد فهمنا الدرس، لا يمكن لعدو الأمس واليوم أن يكون حليف المستقبل وصديق الدرب ورفيق المعركة والناصر المعين، لقد كان درسا قاسيا لا تزال سلبياته تلاحقنا حتى الآن.

الثاني عشر – العمل العلني في الخارج :

لقد كان خطأ فادحا مزدوج النتيجة الخاسرة، لقد كنا في الداخل ندير معركتنا كتنظيم أو كتنظيمات سرية بحكم واقع المعركة، وما أن خرجنا للجوار حتى تبدل الحال وبشكل مريع ودونما سبب! لقد تحولت كل التنظيمات تقريبا إلى العمل العلني في ظل الأنظمة المضيفة، صحيح أن تلك الأنظمة (المعادية في واقع الحال) لم تكن لتقبل بضيافتنا كتجمعات سرية مخفية دون أن تفهم حدا أدنى مما نعمل وما نريد، ولكن كثيرا من السلوك العلني كنا في غنى عنه، كالكشف عن أعدادنا وأسماء عناصرنا ونوايانا وقدراتنا بل ومخططاتنا، ولقد ذهبت قيادة الإخوان المسلمين في هذا ولاسيما في العراق ثم الأردن إلى حدود بعيدة. وكذلك في مناطق أخرى، لم تمارس تلك الحشود الهاربة أي نوع من أنواع السرية، كانت أخطر الأسرار وأفدح الفضائح والمشاكل الداخلية تذكر على الهواتف التي يعلم أصحابها علم اليقين أنها مراقبة بل ويكلمون المراقب أحيانا! لقد كان الجنون بعينه! ولكن في تلك الظروف لم يكن أحد ليستمع لرأي رشيد! وهكذا أعطينا الأنظمة المجاورة العدوة معلومات كاملة وتفصيلية عنا في كل شيء ولا داعي للتعداد! فعرفتنا على حقيقتنا، واستخفت بنا وعرفت كيف تحاصرنا وتشارك في خنقنا، وما التنسيق الأمني الذي جرى في بعض المراحل بين الأردن وسوريا والعراق وغير ذلك بخاف على أحد..

ومن ناحية أخرى وجهنا طعنة نجلاء إلى التنظيمات الإسلامية الأخرى في الدول المجاورة، حيث أخذت أجهزة مخابراتها المهتمة بحرب الإسلاميين، الأصوليين الإرهابيين المتطرفين الدينيين كما يسمونهم، أخذت درسا رائعا وتعلمت كيف تحاربهم وتوجه لهم الضربات من خلال دراستها لحركة أشباههم بل أقرانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

الثالث عشر – قصور العمل العسكري الخارجي وفقدان القدرة على ردع العدو وأصدقائه :

لم يكن لدى الطليعة أثناء وجودها في الداخل أي وقت أو إمكانية للتفكير في أي عمل عسكري خارجي، وبعد أن توجهت للخارج فكرت في هذا بشكل جزئي، ثم صرف النظر عنه. أما الإخوان فقد شكلوا لهذا -بزعمهم- جهازا مستقلا عن جهاز العمل الخارجي ولكنه كان ميتا كباقي الأجهزة بحكم فقدان النية على هذا العمل. وتحكم الشيوخ العجزة بكهرباء كل الأجهزة وقطعها في مرحلة النضوج، إن قصور المعنيين بهذا الأمر عن إعطائه حقه، أطمع النظام فينا ودفعه إلى حد محاصرتنا والإندساس في صفوفنا، وتوجيه فرق الاغتيال والرصد بين الحين والحين، فترصد قادتنا والفاعلين فينا، بل وذهبت لحد قتل بعض عناصرنا وفعاليتنا في الخارج! أمام سمع وبصر كل العالم! ولم يكمن ثمة قدوة ولا مخطط ولا نية على ردع العدو في الخارج.

صحيح أن ساحة المعركة هي سوريا ولكن مثل هذه القدرة على الردع كان ضروريا حتى نصرف العدو عن ملاحقتنا في مناطق أمننا وتحركنا وعقر دارنا الجديد . ولم يحصل! من ناحية أخرى، تألب الكثير من الأنظمة العربية والإسلامية وغيرها علينا عبر دعم عدونا ماديا ومعنويا ومعلوماتيا! ويكفي أنه في الوقت الذي كنا نعاني فيه من القتل والدمار وأهوال الحرب. كانت أموال النفط العربي الغادر تتدفق على أسدنا النصيري لتتحول إلى طلقات تخترق صدور أبناء

امتنا المسلمين وإلى لبنات تبني سجون القهر والظلم حيث تنتهك أعراضنا! لقد تدفقت من الخليج العربي الإسلامي مليارات الدولارات على نظام النصيري المحتل الذي أجمعت على كفره كل عمائم الخليج (وعقالاته)...لكنها المصالح! وكان هذا بحاجة لحل وردع ولو بالتهديد! ولم يحصل، لقد كان هناك موازين قوى ومصالح لا تمت إلى الجهاد بصلة يجب أن تراعى! وهكذا كان التناقض وكان الدرس، إذ لم يكن لدى المجاهدين أي قدرة على ا لردع ! . . .

الرابع عشر – غياب أي تصور عن مرحلة ما بعد سقوط النظام لو حصل بفعلنا أو فعل غيرنا :

لقد كان هذا أحد نتائج التخطيط غير المدروس أو اللاتخطيط بالأحرى . . لقد كنا نصارع عدوا تتحكم بوجوده عوامل متشابكة بعضها دولي وبعضها إقليمي وبعضها داخلي.. وكان من الممكن أن يسقط بفعلنا أو فعل غيرنا.. وكان مثل هذا سيولد ظرفا جديدا لم يكن بالحسبان ولم تُعدّ له أي خطة أو أي تصور، ولكن كيف بمن لا يعرف كيف يخطط لحربه، أن يخطط لما بعد هذه الحرب! ولكنه درس آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.. كيف سيكون موقفنا من انقلاب مفاجئ...من سقوط مفاجئ...تعاملنا مع الجوار...مع الكتل..مع الجماعات... كيف سيكون توزع قوانا؟؟ .. الخ. لم يكن شيء من هذا في الحسبان ...

الخامس عشر – عدم الالتفاف حول العلماء المخلصين الثقاة والإفادة منهم :

لقد كان هذه خطأ من الطرفين، من المجاهدين والعلماء، لقد انفض العلماء الثقاة عن هذا الدرب وغطوا في معتزلهم الاختياري ولاسيما في السعودية مقبرة العلماء النفطية وكأن شيئاً لا يعنيهم. تاركين المجال لأنصاف وأرباع وأعشار العلماء بل ومن لا يمتون للعلم الشرعي بصلة، أن يتصدوا لقيادة الحركة الإسلامية والجهاد ويشرفوا على الدرب وما يحتاجه من إفتاء ودراية..كما لم يعط المجاهدون من طرفهم هذا الأمر عناية كافية فيتوجهوا للعلماء مستنيرين برأيهم عاملين بمشورتهم معطينهم حقهم، فكان جفاء من طرفين وطلاقا نكدا بين العالم والعامل.. ولقد خلت الساحة من علماء عاملين، وكان لابد من توحيد جهد العالم والعامل، العالم الثقة، والعامل المخلص ولكن شيئا من هذا لم يحصل، وانحرف الدرب ووقعت التجاوزات وصحا العاقلون على هذا الخطأ المميت وعسى يكون في الوقت متسع للإصلاح.

السادس عشر – عدم الإفادة من كافة القطاعات الإسلامية في البلد على صعيد التعبئة في الثورة ولاسيما عشائر البادية والأكراد :

لقد كانت الثورة إسلامية الطابع، شمولية الأهداف، تعني كل مسلم في هذا البلد؛ ولما كان امتداد الدعوة في الأصل امتدادا تركيزيا لا أفقيا؛ بمعنى أنه تركز في المدن وفي قطاعات محدودة من الشرائح الاجتماعية و لم ينتشر في كل الساحة، انعكس هذا سلبا على الحركة الجهادية نفسها فأهملت قطاعات مهمة كان يمكن إدخالها في المعركة وبشكل حاسم، وكلها قطاعات مسلمة ملتزمة إلى حد ما ومتعاطفة مع الإسلام إلى حد كبير ولاسيما الأرياف المحيطة بالمدن، والعشائر في البادية، والأكراد في الشمال، وهكذا فشل المجاهدون في تعبئة هذه القطاعات واستطاعت الدولة أن تجند أغلبهم عبر الإغراء والتهديد ودنيا المصالح، كما وقع آخرون ولاسيما إخواننا المسلمون الأكراد فريسة الأفكار المنحرفة

الوافدة لتحقيق هويتهم التي يتنكر لها كل الوسط الظالم الجائر.. وخسرنا رافدا جماهيريا قويا، وكان أحد الدروس الناجحة عن عدم دراسة الساحة و الإفادة من معطياتها والتخطيط لها تخطيطا شموليا..

السابع عشر – عدم إمكانية تحويل التنظيمات الإسلامية الدعوية المدنية إلى تنظيمات عسكرية قادرة على المقاومة والدفاع عن النفس :

ولعله أثمن الدروس التي تعني إخواننا في التنظيمات الدعوية في الأقطار الإسلامية والعربية.. لقد انفجرت المعركة بشكل مفاجئ إلى حد ما، ولكن قطاعا واسعا من الإسلاميين كان يعرف ولاسيما قيادتها أن هذه المعركة واقعة لا محالة، ولم يتخذ أولئك القادة العظام أي استعداد ولا أي تخطيط وهكذا راحت كل تلك الكوادر ضحية الاعتقال، ولقد فشلت الكوادر التي سلمت في تعبئة أنفسها ككوادر عسكرية قتالية، بل لقد حملت معها كل أساليب الدعوة السلمية المسجدية المدنية لتطبقها في العمل العسكري، وكان فشل الشيخ ذريعا عندما لبس بدلة الجنرال! إنه لعجيب أن نرى ونسمع بتنظيمات ترفع شعار الجهاد، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها تترك قواعدها وعلى مدى عشرات السنين من التربية والتكوين عاجزة عن حمل السلاح؟ فاشلة في إعداد ولو وثيقة سفر لكارثة مفاجئة، ولو درهم مدخر ليوم عصيب. لقد كانت تجمعات خروفية ضعيفة ما لبثت أن أتت عليها سكين الجزار.. وحتى السنين القليلة التالية أثبتت فشل إمكان تعبئة شريحة كهذه تعبئة عسكرية بشكل مفاجئ وسريع.. وهذا درس.. درس لكل التنظيمات الإسلامية التي تزعم الجهاد وترقب يوم الواقعة، لتعيد النظر في بنيتها وتركيبها ومدى استعدادها لذلك اليوم، وإلا فلتعلن الركون والمهادنة، ولا تزايد على نفسها وعلى المسلمين ثم تقدم تلك الألوف من الضحايا الواثقة بالشيخ ضحية للمشنقة او المعتقل تحت الشعار"ذي السيفين"!

الثامن عشر – إلى جانب تلك الدروس القاسية كان لنا بعض العبرة المفيدة :

لقد أثبتت الأحداث إمكانية تعبئة الجماهير المسلمة لصالح ثورة إسلامية جهادية، بشرط إعطاء المثل والقدوة الحسنة في التضحية والإقدام وإثبات القدرة على مقارعة الطغيان، ولقد حملت سنة ونصف من الجهاد العسكري على علاته، حملت مئات الألوف من المسلمين على الانطلاق في الشوارع منادية بحياة الجهاد والإسلام وسقوط النظام والطغيان ومطالبة بالسلاح للمشاركة في شرف الجهاد، ولقد أثبتت تجربة حماة أن الألوف المسلمة لبت نداء الجهاد وقاتلت جنبا إلى جنب مع إخواننا المجاهدين.. كما أثبتت الأحداث أن شعبنا شعب معطاء.. سرعان ما أفرز قيادته المجاهدة التي انبثقت من داخل الشعب وأبرزت كوادر عسكرية رائعة على صعيد القيادة والجندية في صفوف هذا الشعب الذي تعمدت السلطات العميلة نائبة الاستعمار إبعاده عن السلاح والرجولة وأخلاق الفروسية الإسلامية.. ولكنه أعطى.

ومراجعة في سجلات أبطالنا وشهداءنا الميامين رحمهم الله تؤكد هذا.. وهذا ذخر ما بعده ذخر في شعب مسلم معطاء وأمل كبير بالله ثم بمستقبل عطاء مماثل.

المبحث الثاني : ملاحظات حول تجربة الطليعة المقاتلة

بالإمكان أن نستخلص إلى جانب ما مرّ ذكره من التجربة ككل وقد مرّ معنا عبر لمحة سريعة، بالإمكان استخلاص عِبَر خاصة من تجربة الطليعة كتجربة تنظيم مستقل مارس نوعاً ما من أنواع العمل الجهادي الثوري العسكري المسلح:

1- العمل دون الاعتماد على تخطيط استراتيجي مسبق على تفجير الأوضاع، والعجز عن إمكانية التقاط الأنفاس وإعداد مثل هذا المخطط الاستراتيجي الشامل من خلال العمل، والوقوع فريسة جر الأحداث لصانعها.

2- عدم وجود توجه سياسي إعلامي خاص إلى جانب الجهاز العسكري في القيادة الطليعية فتح الباب أمام ضياع الجهود العسكرية كلها وعدم الإفادة منها كما يجب، بل وسمح للآخرين الإفادة منها و(تحويلها) لحسابهم الخاص.

3- عدم التمكن من بلورة الفكر الجهادي الخاص وتقديمه للقواعد المجاهدة والجماهير المؤيدة في الداخل والخارج كفكر واضح مستقل، تلخصه مجموعة من الأهداف والشعارات. فلم يستطع الناس أن يفهموا من هي الطليعة؟ وماذا تريد؟ وماذا يحركها؟ كما يجب.

4- بسبب غياب الاستراتيجية تولدت إحدى أهم المقاتل العسكرية وهي اللامركزية في إدارة العمل، وقد استتب هذا كأمر واقع وشبه مقبول، فأدار مجاهدو حلب قتالهم في حلب، ومجاهدو حماة في حماة وأهل دمشق في دمشق وهكذا، مما أفقدها الإفادة من التنسيق وإرهاق القوة المعادية، لقد تحولت هذه اللامركزية فيما بعد من أيام الأزمة إلى اللامركزية على مستوى الأجنحة بل والمجموعات في المدينة الواحدة.

5- عدم القدرة على تطوير الأسلوب القتالي والعسكري عموما: هذا الأسلوب الذي بدأ ناجحا وأعطى ثمارا طيبة ونعني أسلوب قتال الشوارع وحرب المدن ونظام المخابئ والمواعيد داخل المدينة وطريقة التنقلات والتسليح، ولكنه غدا بعد بعض الاعتقالات وتمرس أجهزة قمح السلطة فيه أسلوبا قديما بحاجة إلى تطوير، وأدى الإصرار عليه إلى نكسات عسكرية مؤسفة.

6- الاعتماد على مساعدات الخارج من الأنظمة ولاسيما العراق ومن الإسلاميين لاسيما الإخوان أدى لقطعهم في أواخر 1980 . والتسبب في دمارهم ثم التلاعب بهم في مرحلة العمل في الخارج كما مرّ معنا.

7- عدم القدرة على تعويض الكوادر المتربية والمدربة التي ذهبت في الجولة الأولى من الصدام بسبب عدم وجود برنامج مختص بهذا الأمر، وبفعل تسارع الأحداث بوتيرة مرعبة أفقدتهم القدرة على أي تطوير، ولم يفد فتح باب التنظيم على مصراعيه في تعويض هذا الكادر بل على العكس حمل من الأزمات والنكسات أكثر مما حمل من الفوائد وقد مرّ معنا.

8- تحريك دمشق بعناصر غير دمشقية: من حلب وحماة -وقد أثبت هذا فشله ويساعد النظام كثيرا في اكتشاف الغرباء من الشباب - وقد أزعج هذا التدخل - وكذلك تدخل الإخوان المشابه قيادة دمشق الجهادية وأوقعها في المشاكل والأزمات فضلا عن فشل التدخل عسكريا.

9- جنوح الطليعة في آخر أيامها بفعل الحصار الإخواني والعراقي وتآمر كل الجهات عليها وما لاقته من الظلم والعسف في الخارج إلى التطرف، هذا التطرف أصبح سمتا ملازما لكل من ينتمي إلى الطليعة ولقد لعب الإعلام الإخواني دورا رئيسيا في تضخيمه وتكبيره لاستخدامه ضدها، إلا أن الطليعة عاشت شيئا من هذا في الخارج، ولعل

أبعد ما أوغلت فيه هو القناعة التي توصل إليها عدنان عقلة وبعض إخوانه من كفر الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية ممن أفتى بالتحالف ورضي به طرحا وبرنامجا، وبكفر كل من قامت الحجة عليه وبقي على ولائه للقيادة وحلفها !

وعلى الرغم من أن كثيرا من منشورات التحالف وتصريحات الإخوان (بعضهم) ولاسيما عدنان سعد الدين الذي ذهب في إحدى مقابلاته للتصريح بأنه يعتبر أعضاء حزب البعث العراقي -اليميني العفلقي- مسلمين وأن قيادتهم قيادة متدينة، بل وقد صرح أكثر من مرة بقناعته بإسلام صدام حسين ونظامه! بل وعاتب الشباب الذين ينعتونهم بالكفر وطلب منهم الاستغفار والتوبة! على الرغم من أن كل هذا يعطي بعض الأدلة لقناعة عدنان عقلة ولكن التعميم الذي ذهب إليه كان إسرافا ولاشك!.

10- من التجارب والدروس الرائعة لتجربة الطليعة الجهادية نجاح القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي قدمته قيادتها في القدرة على التضحية والاستشهاد والإقدام أمام عناصرها، مما جعلها محبوبة من قواعدها مفدية بالروح، مطاعة في كل ما تأمر به لأنها شريكة في تحمل التبعات بل وأول من يتحملها..

إلا أن هذه النتيجة الرائعة لم تخل مما يعكر صفوها فقد أورثت بعض قياديها فردية في اتخاذ القرار كما حصل مع عدنان عقلة في الخارج، حيث تمحورت كل الطليعة على شخصه الذي غدا أسطوريا مما أدى للانهيار الشامل عند انهيار الزعيم ووقوعه في شباك الأسر فرج الله عنه ولا حول وقوة إلا بالله.

المبحث الثالث: ملاحظات حول التجربة الجهادية للإخوان المسلمين.

1- العمل دون مخطط استراتيجي مسبق في الداخل والخارج.

فقد دفع الإخوان المسلمين ثمن عدم دقة حساباتهم في الداخل لمعطيات الوضع وقرب نذير الانفجار بسبب تنظيم الجهاد الطليعي الذي قام، وارتفاع وتيرة الحماس في صفوفهم.

دفعوا الثمن غاليا من شباب المسلمين المربى والمعد عبر عشرات السنين، وكان هذا أحد نتائج التصور الساذج غير الاستراتيجي للأبعاد السياسية للواقع الذي نشأ في أواخر السبعينات.. وفوجئت قيادة هذا التنظيم الدعوي السلمي بالحرب غير المخطط لها من قبلهم ولا المحسوبة نتائجها عليهم وكان الثمن فادحا..

وفي الخارج عندما آلت إليهم جموع الشباب في غالبيتها وأسلمتهم قيادها، وتراكمت مئات الملايين من الأموال تحت أيديهم وتوفر لهم الإعلام الإسلامي العالمي في خدمتهم وظرف سياسي إقليمي أمدهم بالدعم السياسي والعسكري...الخ من المعطيات الرائعة... لم يتمكنوا من وضع أي مخطط استراتيجي لا على صعيد الحرب ولا على صعيد الإعداد ولا على أي صعيد آخر واستمر العمل عشوائيا (على البركة كما يقال) ولا زال كذلك وللأسف، ولم تفد الدروس المتلاحقة في تطوير العقلية المسيطرة على الأمور ودفعها في طريق التخطيط الشمولي، ولم تسمح تلك القيادات للكوادر الشابة بالعطاء واستلام زمام الأمور، وكانت الحصيلة سلسلة من الأفعال وردود الفعل باءت كلها بالفشل التام .

2- اعتماد الهيكلية السابقة للعمل الدعوي السلمي لإدارة العمل الحربي والانتقال إلى إدارة تلك الحرب عبر هياكل ضخمة ذات بنية مدنية:

كما مرّ معنا في النبذة التاريخية ، فقد انتقلت كل هياكل الإخوان وشخصياتهم الكلاسيكية من المرتبة الأولى لـلأردن مع بداية الصدام فارّة بأهلها ونفسها تاركة التنظيم جسدا بلا رأس ضحية للقتل والاعتقال، وشكلت في الأردن بعد أن توفرت لها كل الإمكانات، المادية والمعنوية والسياسية والبشرية والعسكرية جهازا تنظيميا ضخما يستند في إدارته إلى لجان وشعب وأجهزة تنبثق عن الاجتماعات اللانهائية التي كانت تعقد دون طائل! وهكذا أديرت الحرب من قبلهم بنفس الهيكلية التي أدير بها العمل المسجدي سابقا وبنفس الاعتبارات، **حتى إن النظام الداخلي للجماعة والذي كان معتمدا في الداخل في ظروف عمل دعوي سري اعتمد نفسه ليطبق على لفيف شبه عسكري غير متجانس وكان الفشل ذريعاً**.

ولم تستطع تلك الأجهزة التي كانت تنبثق عنها اللجان المعقدة بين الحين والحين إلا أن تشكل جهازا مدنيا شبيها بمؤسسة بنكية مصرفية أكثر منها بقيادة حرب عصابات، ولما فشل القادة في إعطاء المثل والقدوة في الإقدام لا في أنفسهم ولا في أبنائهم وذويهم لم يستطيعوا أن يشرفوا على سيل المخططات التي كانت توضع بين حين وحين وكان العمل مضحكا بقدر ما كان مأساويا مبكيا.. ونظرة واحدة في المجلس الحربي الذي شُكل لبحث أمر حصار حماة قبل انفجار الوضع بشهرين أو ثلاثة كافية لإعطائنا المثل، لقد تشكل المجلس من أربعين عضوا !! من تركيبة عجيبة من القادة والشيوخ والكوادر الشابة التي كانت لا تتفق على أساس موحد، وكانت أعجز من أن تتخذ قرار واحداً في ظل الاعتبارات المعطاة حسب وزن محاور القوى الثابتة في تلك المرحلة المسجدية من العمل الدعوي! في ظل عدد كهذا تحقق ما قاله أحد خبراء الحرب (أن أكثر هيئات الأركان فشلا أكثرها عددا) هذا فضلا عن المزيج غير المتجانس.

3- **أثبت العمل العسكري للعصابات من الخارج للداخل فشله عسكريا** في التجربة السورية كما أثبت فشله في كثير من ثورات وتجارب الحروب، فقد اعتمد الإخوان على تكديس الشباب في بغداد (المعسكر) أو عمان (القواعد) وإخضاعهم لدورات تدريبية متدنية المستوى في فترات متباعدة، وعمدت القيادات العسكرية المتتالية والتي عهد برئاستها باستمرار لواحدة من تلك الشخصيات التقليدية المدنية –حتى من كانت معارضة للعمل العسكري في سابق تاريخها- وحصلت عدة محاولات عبر تلك السنين الماضية لمحاولة إنشاء جيوب عسكرية تعتمد على تخطيط ودعم الخارج على مستوى المال والسلاح وتلقي الأوامر .. ولم تسفر بلك المحاولات اليائسة إلا عن الفشل والخسائر لتثبت حقيقة عسكرية ثورية راسخة، **أنه لا يمكن إدارة حرب عصابات إلا من قيادة ميدانية مشرفة على عناصرها عالمة بأسباب قرارها السياسي والعسكري في كل لحظة في واقع متسارع من المتغيرات على أرض الثورة ومنشأها داخل البلد المعني بالثورة واحتكاكها بجماهيرها**.

4- من الدروس الهامة التي يمكن الإفادة منها من تجربة الإخوان هو مآل ثورة ترجح عملها السياسي والإعلامي على عملها العسكري وتتخذه ميدانا لصب جهودها الرئيسية..لاشك أن مآل ثورة تزعم الجهاد وتتبنى خط الصدام مع عدو شرس كالذي يجثم فوق سوريا، ثم لا تعد لهذه المعركة إلا برامج سياسية مطبوعة بورق جيد لماع، وبيانات موجهة بين الفينة والفينة. لمؤتمرات القمة العربية والهيئات الإسلامية والدولية، لاشك أن مصيرها أنها ستتحول عبر الزمان بعد فقدان وزنها العسكري المؤثر الذي يفرض هيبتها إلى كتلة من اللاجئين السياسيين الذين يعبثون ببعض الجهد الإعلامي الذي لا وزن له ولا أثر، والذي لا يصل فيه حرف إلى الجماهير المعنية بهذه الثورة في الداخل، تلك الجماهير التي ألفت

العديد من أشكال الأحزاب والمعارضات التي لم يكن عندها إلا الكلام بديلا وهذا ما كان.. فقد خسرت الجماعة وقيادتها عبر الوقت أوراقها العسكرية ولاسيما بعد حماة وتحولت إلى معارضة سياسية لاجئة لا حول لها ولا قوة ولا وزن.

5- المفاجأة بالأحداث واندلاعها ولم يكن التنظيم الدعوي السلمي الجهادي الشعار والمنهج قد أعد شيئا وقد راح كل ذلك الجهد الذي كدس خلال عشرات السنين بفعل تفجير غيرهم للأحداث هباء منثورا...ودمرت كل الجهود، ولا عذر في جهل الأمر، فقد كانت قيادة التنظيم عارفة بتوتر الأجواء وتسلسل الحداث بل وتنفيذ الطليعة لأعمال الاغتيال، وقد سبق وتكلمنا في الدروس العامة الفقرة (17) عن هذه النقطة ولقد تأثر الإخوان بها على اختلاف فصائلهم أكثر من أي تجمع إسلامي آخر وكانت الخسائر فادحة.

6- فشل التربية والإعداد لتلك الحشود طيلة سنتين وهذا طبعا لأنه لم يكن بنية المخططين الزج بهذه الجموع في معركة تتخذ حرب العصابات أسلوبا لها ولا يمكن القبول بأن قيادة تنوي هذه النية تنحو بقواعدها ذلك النحو من التدريب...ولذلك ضاعت الجهود الصادقة التي اندفع بها المخلصون يطورون برامج الإعداد والتدريب كلها سدى، لأنها لم تكن مبرمجة من قيادة عالمة بما تريد، بل كانت كثيرا ما تتعرض للإعاقة من قبل القيادة.

7- درس مهم من دروس تجربة الإخوان هو دراسة المزيج العجيب وغير المتجانس الذي تراكم في قواعدهم فقد كان عجيبا حقا، شباب بعضه ثوري يؤمن بالعنف والجهاد المسلح، وبعضه جر للمعركة جراً ولا يدري أين هو من تلك الزحمة وآخرون تحمسوا للحرب وزُجوا بها ثم وجدوا أنفسهم وراء الحدود ولا يربطهم بحماسهم وسبب اشتراكهم شيئا فعادوا لسالف حياتهم وسلوكهم، ومتضررون لوحقوا لسبب أو لآخر، وقيادات وسط بعضها يريد متابعة السياسة وبعضها مدفوع للعمل بحكم قرار الجماعة وولائه لها، وآخرون بعيدون عن أرض الجهاد والرباط (يحششون) بأخبار الجهاد التي تنقلها إليهم النذير أو يسمعونها من خلال اجتماعاتهم بأحد أولياء الله القادمين من قرب خط النار من دار الرباط إلى دول (النفط) أو إلى أوروبا...إلى آخره من مزيج عجيب غريب لم يتوفر له قيادة واعية تحسن صهره بفضل ما توافر من إمكانات وتوظيفه في المعركة بل على العكس كان جوا مرضيا مناسباً للإشاعات والقيل والقال والخلاف والتحزب والالتفاف حول محاور القوى، ومرتعا لدس المخبرين والعملاء.

8- تركيز المسؤوليات بأيدي قليلة ونشوء محاور القوى حول الأشخاص لا حول فكر معين، سرعان ما تركزت المسؤوليات القيادية السياسية فيها والعسكرية بأيدي القلة القليلة من تلك الشخصيات التقليدية للجماعة وقد لعب الولاء أولا والقرب من محور من محاور القوى ثانيا دورا رئيسيا في صناعة الكوادر الفاعلة من قيادات الوسط وهكذا أمكن أن نجد وأن نعيش واقعا عجيبا، كأن تتركز عدة مسؤوليات تحتاج الواحدة منها لجهاز متفرغ مؤلف من عدة أشخاص، وجدناها تتركز في يد شخص واحد، فقط لأنه خالص الولاء ولأن ماضيه الدعوي مشرف في نظر القيادة، في الوقت الذي كان من الممكن صناعة المئات من الكوادر من هؤلاء الشباب المكدسين في القواعد أو المعسكر، هذا التركز للمسؤوليات أفرز مع الوقت مرضا خطيرا كان جرثومه كامنا منذ أيام الدعوة في الداخل هو التحزب للشخصيات، وهكذا نشأت محاور القوى التي أفرزت المحسوبيات والظواهر العجيبة التي لا تستأهل تسجيلها هنا، مما

يمكن قبوله في أجهزة سلطوية لا جماعة إسلامية ثورية تزعم الجهاد. ومحاور القوى هذه وفرت جوا ملائما جدا لانشقاق الجماعة الذي حصل في 1986 كما مرّ معنا.

9- انقسام القواعد الإخوانية بصورة عامة إلى فئتين مختلفتي الحياة متباعدتي التصورات، **فئة مرابطة مجاهدة رهنت نفسها قيد الإعداد والرباط في معسكر العراق أو قواعد الأردن المدنية**، رهن إشارة القيادة في التدريب والعمل بما في ذلك النزول للداخل أحيانا، وتركت التفكير في مستقبلها ومصيرها جانبا لتلبي داعي الله، وجلّ أولئك من الذين كانوا قد شاركوا بشكل أو بآخر في الجهاد في الداخل عبر الطليعة، **وفئة قاعدة خرجت مباشرة من الداخل لتستقر في السعودية والخليج وأوربا وغيرها من المواقع**، باحثة عن مستقبلها في الدراسة والعمل والاستقرار العائلي،مع إبقاء هذا الانتماء لحركة جهادية عسكرية لا يكلف صاحبه شيئا وكان جلّ أولئك من قدماء الإخوان وبعض الجدد ممن لحق بالطريق ثم ابتعد.. ولقد بدا هذا الانشطار جليا إبان مأساة حماة وما بعدها وسرعان ما غدا هذا الصنف القاعد هو القاعدة التي تعوّل عليها القيادة في الانتخابات المتتالية في حين هجر معظم القسم الأول الساحة يائسا حانقا.

10- أثبتت تجربة الإخوان فشل محاولات الإصلاح المتتالية على الصعيد العسكري والسياسي من الداخل بعد أن آل الحال إلى ما آل إليه في ظل تركيبة تنظيمية وقيادية من الشكل الموجود في هذه الجماعة وقد مرّ معنا بعض بيان ذلك، وأصبح أي توجه صادق للإصلاح لا يجد أمامه إلا الابتعاد عن هذا الجو وإرساء خط جديد أكثر جدوى من الدخول في تلك المتاهات، ذلك أن طبيعة الإخوان المسلمين السوريين وتكتلهم حول شخصيات تاريخية فيهم لبعضها مركزا دينيا مشيخيا، ولبعضها الآخر وزن مراكز القوى التنظيمية أو الإقليمية، وتوزع القاعدة ولاسيما الخارجية القيمة في الخليج أو أوربا وأمريكا لا تدرك شيئا من تشابكات الساحة أو تربطها بتلك الشخصيات مصالح مادية أو شخصية، ولا يؤثر عليها تصويتها في الانتخابات لزيد أو عمرو لأنها لا تدفع ضريبة القرار.. جعل محاولات الإصلاح الداخلي والتي فرض عليها -ولا أدري بأي سند شرعي- أن تكون ديموقراطية النهج يحق فيها للقاعد ما يحق للعامل المجاهد بل أكثر لأن بعض العاملين لا يحوزون القدم الكافي للتصويت. كل هذه التركيبة ومنهج التمييز الانتخابي جعل التخلص من أعمدة النكسة في الجماعة أمرا مستحيلا وغير ممكن وهذا ما أثبتته السنوات لاسيما بعد مأساة حماة فالكل يعرف أن زيدا أو عمرا يعبثون في الجماعة فسادا وقد فقدوا أوراقهم، ثم تأتي الانتخابات بصورة شرعية أو غير شرعية لتفرضهم على الواقع مستخدمين كل ما يمكن من أساليب الضغط والترهيب والترغيب لوصولهم... كل هذا أقنع حتى أصحاب المدرسة الإصلاحية بعقم إصلاح الجماعة داخليا ولا سيما في مثل هذا الظرف الشاذ.

11- أعطت قيادة الإخوان مثالا سيئا في القدوة على صعيد التضحية والإقدام بنفسها وأولادها، كما أعطت مثالا لا يقل سوءا في تهافتها على الزعامة والتصارع على التوافه والدخول في متاهات جانبية لا تمت للمعركة الدائرة بصلة، وبدا جليا أن كل محاولات القيادة التوفيق بين أقطابها وأركانها كان يؤخذ بعين الاعتبار مصلحة التنظيم كهيئة قبل مصلحة المعركة الطاحنة الدائرة كضرورة تفرضها مصلحة الإسلام والمسلمين.

12-درس التحالف: لقد تورطت قيادة الإخوان وورطت الحركة الإسلامية الممثلة بها في التحالف السياسي بينها وبين الأحزاب العلمانية المرتدة الأخرى ولاسيما بعث العراق وبقايا الناصرية، والقوميين العرب من الهياكل البائدة التي لا

وزن لها ولا نفوذ في الساحة الحقيقية ولقد كان هذا الحلف بالنسبة للإخوان مصيبة على صعيد المصلحة الشرعية والسياسية، فمن الناحية الشرعية كان فرضه على القواعد والعلماء على حد سواء كأمر واقع أقدم عليه أشخاص معينون[31]، **ولم تقدم القيادة إلى الآن وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسة أعوام عليه دليلها الشرعي الصحيح في إقدامها على مثل هذا الحلف مع المرتدين لاسيما في وعدهم بالمشاركة بالحكم بعد إسقاط أسد في حين تراكمت البحوث الشرعية العديدة والفتاوى الشهيرة تنفي حِلَّة هذا المشروع.**

إلا أن الفاجعة كانت في أن التحالف لم يكن في مصلحة الجماعة سياسيا حتى! فقد كان باختصار استبدالا لأبناء الجماعة وقاعدتها بصديق حلف مزعوم! فبسبب هذا الحلف هجر العمل كثير من الشباب لعدم استعدادهم للعمل تحت رايته بعد أن فشل الإخوان في إقناعهم، وهم الذين تربوا على أفكار سيد والمودودي ونشأوا عليها في المفاصلة والحاكمية وتكفير مثل هؤلاء المارقين العلمانيين..

ودرس التحالف هذا يحتاج إلى بحث مطول بمفرده ليس مكانه ههنا وهو مليء بالعبر وتكفينا الإشارة إليه وقد أصبحت نتائج هذا الحلف ودروسه غير خافية على مهتم بالأمر.

ولقد اقتنع جل شخصيات الإخوان بهذه النتيجة بأن التحالف لم يكن ليجوز شرعا ولا مصلحة بالشكل الذي تم عليه ولكنها (ورطة وحصلت) وليس الخروج كالدخول وقد أصبح كل بيض الإسلاميين في سلة بعث العراق وصدام!.

13- عدم التمكن من الإفادة من الكوادر الإخوانية العالمية التي كان الكثير منها مستعدا لدخول المعركة بإخلاص وتضحية إلى جانب الإخوة السوريين.

14- ومما يجب قوله من تجربة الإخوان أنه -وبصرف النظر عن النوايا (ولكل ما نوى)- فقد لعب الإخوان المسلمون دورا إيجابيا في عيالة كثير من العوائل والمتضررين والأفراد وتقديم الدعم المادي والوثائقي والسياسي لهم وصيانتهم من الضياع كما تلقت بعض الأسر المنكوبة في الداخل مساعدة مادية من المال الذي تراكم تحت يد القيادة ...وكان هذا من القليل الإيجابي الذي قدمته قيادة الإخوان المسلمين في هذه التجربة السالفة المريرة..

المبحث الرابع: ملاحظات حول التجربة الجهادية للقيادة الميدانية للمجاهدين والضباط في الداخل:

يجدر القول أنه ليس لدينا معلومات كافية متوفرة عن تجربة إخوتنا أولئك رحمهم الله، قليل منهم من بقي حيا، والأقل من كتب له الخروج ليروي ويدون ويشرح تجربتهم المهمة ولكن بإمكاننا وحسب ما وصل من صحيح أخبارهم أن نحمل عددا من العبر والدروس:

1-فشل وجود قيادتين لعمل جهادي إحداهما سياسية إعلامية في الخارج تملك حق الفرار والتخطيط والأخرى ميدانية عسكرية تعيش واقعها المرّ وترتبط مع الخارج بالطاعة والحاجة.

2- فشل عملية الصدام المكشوف مع جيش السلطة المتفوق عددا وعدة بشكل غير منطقي -ولقد كان صدام الإخوة اضطرار لا اختيارا- ولقد دفعوا ثمن الدرس وعلينا الإفادة منه.

---

[31]كان طليعتهم: عدنان سعد الدين، أبو أنس على بيانوني، عبد الله طنطاوي، سعيد حوى فهم المسؤولون المباشرون عن قيامه

3- فشل المراهنة على انشقاق الجيش، على الرغم من أن الغالبية الساحقة من جنوده هم من أبناء المسلمين، ولكن تركيبة القيادة من ضباط وصف ضباط كانت من الغالبية النصيرية، كما أن تفشي الجهل وعدم الوعي في صفوف الجنود بطبيعة المعركة، جعل أبناء المسلمين يقتلون أهليهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وبأوامر الكفار النصيريين، وهذا واقع مؤسف ودرس عميق.

4- فشل الاعتماد على دعم الخارج، الذي دفع المجاهدون ثمنه فادحا، حيث لم يستطع الخارج أن يمدهم بأي عون في اللحظة الحرجة وراحوا ضحية هذا الخطأ الكبير بالاعتماد على سند لا يعرفونه تماما وليس بملك أيديهم.

5- فشل الاعتماد على دعم نظام مجاور (العراق) خذلهم وتنكر لوعوده مع عدنان عقلة حيث لم يمده بما وعده وترك إخوة الداخل لمصيرهم في اللحظة الحرجة.

6- أثبتت أحداث حماة إمكانية تعبئة الأهالي وتسليحهم وحسن تجاوبهم مع نداء الجهاد، وقد دفع الأهالي المسلمون الثمن فادحا- خمسة وثلاثون ألف قتيل- وخراب نصف المدينة وآلاف المعتقلين وعشرات الألوف من الأرامل واليتامى ولعمله أصبحوا أكثر توجفا من مثل هذا التعاطف وهذا درس يستأهل البحث.

7- ضعف الدولة في حال الصدام الموسع، فقد أضاعت الدولة صوابها خلال الأيام الأولى، وأفرغت مدنا هامة مثل حلب وحمص من القوات الحكومية التي نقلت حتى تجابه حماة المنتفضة، وكان بالإمكان السيطرة على تلك المواقع الهامة لو توفر وجود بعض المجاهدين بقدر معقول هناك، وهذه فائدة استراتيجية هامة .

8- بعد فشل الانقلاب الإسلامي -المشارك بالحسم- أصبح من الصعوبة بمكان الاعتماد على انقلاب عسكري إسلامي انطلاقا من الجيش، فقد صفيت كل الكوادر العاملة الفعالة من الضباط المسلمين تقريبا على مدى أكثر من عشرين عاما من حكم البعث والنصيرين في سوريا، وهذه مأساة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار وكانت خاتمة المطاف في خسائرنا العسكرية في ذلك الانقلاب.

9- ثبت أن الإعلام العالمي والعربي معادٍ لقضيتنا، وأكبر دليل على ذلك السكوت العجيب عن أحداث بحجم أحداث حماة، وهذا درس آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

هذه إجمالا أهم الملاحظات والدروس المستفادة من التجربة تلك بشكل عام والتي ينبغي أن تكون محل دراسة مفصلة وعناية منا ومن كل عازم على السير في هذا الدرب لأخذ العظة والعبرة من تجربة إخوتنا فيما مرّ. ولعل فيها قيمة هائلة لإخوان لنا في أوطان أخرى يتصدون لقيادة درب الدعوة ويرفعون راية الجهاد.

فالساحة الإسلامية متشابهة والعدو واحد، والمعركة واحدة وستتشابه ظروف الحرب عموما وفي تجربتنا فائدة كبرى والله أعلم وعليهم دراستها والإفادة منها والله الموفق وهو يهدي السبيل.

الباب الثاني: دروس مستفادة حول مشاكل العمل الجهادي المسلح

إن نظرة واقعية إلى حالنا وما آلت إليه، إلى دعوتنا ومسارها في الماضي والحاضر وتطلعاتها للمستقبل وإلى حال الطغاة وأسيادهم، وما يرصدوه لحربنا كل يوم من عناد وعتاد وأموال ورجال، وإلى أساليبهم الوحشية اللامنضبطة في

حربنا والقضاء علينا، تفرض على من يتصدى للدعوة إلى الله ولاسيما في هذه الآونة أن يعيد الحسابات وأن يتقي الله في هذه الأمانة وهذا الميراث العظيم الذي آل إليه.

إن نظرة واقعية من هذا الشكل تعطينا النتيجة الحتمية أن المعركة بين الدعاة والطغاة قائمة، وأن الوقعة بين الطغاة والدعاة واقعة يوما لا محالة، إن لم يكن اليوم فغدا، هذا طالما أن الدعاة يعزمون السير فعلا لإقامة الحكم الإسلامي الذي يدّعون العمل له.. ولقد فرض على بعض الدعاة أن تكون معركتهم قريبة في حين يمكن لغيرهم في مناطق أخرى أن لا يستعجلونها، ولكن على الكل أن يفهموا هذه الحقيقة، أنها معركة واقعة لا محالة وأن عليهم إن كانوا لا يريدون أن يكونوا هم ودينهم والمسلمين ممن تصدوا لقيادتهم الضحية والمسكينة. أن يدرسوها وأن يخططوا لها ويعدوا لها حتى يدخلوها وهم على بصيرة من أمرهم، وعلى استعداد تام ضمن المستطاع الذي أمرهم الله به.

وليس عبثا إن سمي الجهاد في سبيل الله جهادا فهو يعني العناء والنصب وبذل الجهد، ولا بد لهذه الحرب – وأعدائهم ممن الضعاة وأسيادهم على ما هم عليه من القوة والعدد– من أن تكون حربا طويلة الأمد غالبا، ولعل أفضل أساليب ممارستها في تلك البلدان والمناطق هي الحرب الجهادية الثورية في سبيل الله كوسيلة أثبتت نجاحها في مقاومة مستضعفٍ فقير لمستكبِرٍ مدجج بالسلاح والعتاد، ولابد من الإعداد لها بكل روية وتفكير وبذل وتصميم، ويجدر بنا قبل كل إعداد أن نمعن الفكر في هذا الأسلوب، ونتعرف على طرف من مشاكله.

ولقد كان لنا في سوريا الشام تجربة طويلة نسبيا خلال الخمس عشرة سنة الماضية في حرب جهادية ثورية مسلحة، كانت خاتمة الجولة الماضية فيها خسارة مؤلمة ..ولكنها كما أسلفنا قدمت ذخيرة رائعة من التجربة والدروس وغير ذلك، ولا بد لنا إن أزمعنا الثبات والمسير على الطريق من أن ندرس هذه التجربة ولاسيما ما اعترضتنا فيه من مشاكل ليكون لنا خبرة وعبرة، ولإخواننا المسلمين الدعاة المجاهدين في كل مكان درسا مفيدا إن شاء الله.

وتسهيلا للدراسة يمكن تصنيف بعض هذه المشاكل التي تعترض المجاهد في هذه الحرب الجهادية الثورية في ثلاث مجموعات رئيسية:

- مشاكل وقضايا العمل العسكري الجهادي الثوري.
- مشاكل العمل السياسي والإعلامي الجهادي الثوري.
- مشاكل الصف الداخلي للتنظيم الجهادي الثوري.

ولا ندعي أننا سنأتي على كل شاردة وواردة من مشاكل هذا الدرب الذي تبدأ مشاكله بمجرد العزم عليه ولا تنتهي مادامت المعركة قائمة، ولكننا سنحاول ذكر أهم ما اعترضنا من مشاكل في تلك التجربة الثرة المتنوعة الغنية، وبشكل موجز لعله يفي بالغرض إن شاء الله.

فالحرب الثورية شكل من أشكال الحرب، بل شكل صعب من أشكاله، لها ظروفها الخاصة ومعطياتها وأساليبها وقواعدها واحتياجاتها، كنوع متميز من الحرب التي أثبتت نجاحها في كل مكان قامت فيه تقريبا، ولكونها حرب تعتمد في الدرجة الأولى أكثر من أي أشكال الحروب على العنصر البشري وطاقته العقلية والنفسية والروحية والبدنية، فإنه يجب القول أن من تخيلها دربا سهلة عشوائية أو تصور أن بإمكانه خوض غمارها، بل التخطيط لها وإدارتها، دون أن يتحلى بقدر عال من الفدائية والعزم والثبات والإصرار وسعة الأفق والصبر وقوة الاحتمال..فأولى له أن يبحث عن

طريق آخر غير هذا الطريق ربما يكون أكثر إقناعا له، كفنون الخطابة مثلا أو العمل الفني والأدبي تاركا الطريق لأهله. لأنه بتصديه له وعدم كفاءته وعدم عزمه يرتكب جرما ذا حدين.. هما الفشل وإعاقة تقدم الكفء ليشغل المكان..

فهذه الحرب هي صراع سياسي أيدلوجي في الأساس، وهذا جوهر الأمر، طابعه عسكري في الأسلوب يتطلب نوعا خاصا من العمل المنظم. نسأل الله أن يجعل فيما مرّ من تجربة ذخر لنا ولكل مجاهد حمل سلاحه عازما على المسير والله الموفق.

المبحث الأول: من مشاكل العمل العسكري المسلح

1- مشكلة اللامركزية في إدارة العمل العسكري:

تحتاج إدارة هذا النوع من المعارك حتى تحقق أعلى مردودات النجاح إلى ممارسة القيادة العليا للحرب إدارة مركزية على مستوى الاستراتيجية والتخطيط في تسخين منطقة وتبريد أخرى، وضبط التناغم بين القوات والصنوف والأسلحة في أكثر من مكان . وتأمين احتياجاتها لتحقيق أعلى مردود عسكري ممكن لهذه القوات. ولابد لها في هذا المستوى وما شابهه من أن تكون مركزية القرار، في حين تتطلب وأكثر من أي نوع آخر من أنواع الحروب الأخرى إعطاء قدر كبير جدا من اللامركزية في الإدارة لقواد المناطق والقطاعات والأجنحة والمجموعات أحيانا، للتخطيط لعملهم الميداني الجزئي بحرية كاملة. ولقد أثبت هذا الأسلوب نجاحه وضرورته في كثير من حروب العصابات القديمة والمعاصرة في العالم.

ولكن وبفعل سوء التخطيط أحيانا، أو بفعل انفجار الأحداث بشكل غير مخطط له، يُستدرج المقاتلون أو يضطرون إلى تخطيط عملهم بشكل غير مركزي شبه تام حيث تقتصر الاتصالات بين القيادة وأفرادها على كل المستويات على تأمين بعض الدعم أو الاطمئنان وحسب. وسرعان ما ينتشر الجيش المعادي وعيون النظام على الطرقات الرئيسية ومفارقها وحول المدن. زائدا في العزلة الحاصلة، لتبرز لكل موقع قيادته التي ما تلبث اضطرارا أن تدير معركتها حسب معطياتها الموقعية الجزئية. وتتسارع وتيرة الحرب التي يتحكم النظام بالمبادرة فيها وتعزل التجمعات الثورية عن بعضها وتنعدم إمكانية التنسيق التي قد تفتقد في الحالات السيئة حتى بين الأجنحة والمجموعات. وهذا ما حصل مع المجاهدين السوريين في آخر أيام تراجعهم العسكري كنتيجة للامركزية التي ميزت العمل بكل مراحله.

ورغم أن العمل قد يدفع إلى اللامركزية هذه دفعا بفعل الظروف، إلا أن كل ضريبة قد تقدم لاستعادة زمام القيادة المركزية على المستوى الاستراتيجي تبقى أقل من الضرائب الفادحة التي يولدها انعدام مثل هذه القيادة.

ويبقى على قادة القطاعات أن يكسروا الطرق وأن يحاولوا باستمرار الحفاظ على مثل هذه الاستراتيجية الهامة ونعني الإدارة المركزية على مستوى القيادة العامة في مستوى التخطيط والإدارة الشاملة.

2- مشكلة التنظيم والتعبئة واختيار العناصر وشحنهم بالفكرة:

دائما تبدأ الانتفاضة الثورية بكوكبة صغيرة من الشباب العازم المؤمن والمصمم على قضيته والمستعد للتضحية في سبيلها، وسرعان ما تلتف الجماهير حول هذه الطليعة الثورية **إن هي أحسنت بلورة فكرة جسدت مطالبها ومطامحها وأحسنت تقديم نفسها كقدوة مستأهلة للقيادة على مستوى التضحية والإدارة** .. ويتمدد التنظيم ويتوسع حاملا معه كل سلبيات وإيجابيات هذا التوسع.

ومهما كان التنظيم الطليعي قادرا وكبيرا وكثير العدد، فأن حربه تبقى بالنيابة عن الجماهير التي يجب أن تكون بالنسبة له كما قال أحد كبار منظري حروب العصابات (البحر الذي يجب أن يسبح فيه التنظيم الطليعي كسمكة) فهو مصدر معلوماته وتموينه وأفراده والجو العام الذي يستخفي فيه.. ولقد نجحت كل حرب ثورية أحسنت تعبئة الجماهير لصالحها كالجزائر والصين وفيتنام.

وفشلت كل حرب ثورية أخفقت في ذلك وعُزلت عن جماهيرها لسبب من الأسباب كحرب العصابات التي قامت في ماليزيا والفلبين واليونان[32]...ونتكلم في هذه الفقرة عن موضوع التنظيم والتعبئة واختيار الأفراد من الجماهير لضمها للتنظيم، وغالبا ما تكون الجموع ولا سيما شريحة الشباب (15-30 سنة) مندفعة نحو العمل تريد المشاركة، ويبرز هنا دور القيادة الطليعية للعمل في تنظيم هذا الأمر والسيطرة عليه للإفادة منه والتقليل من أخطاره التي منها دخول عناصر غير كفؤة على كل المستويات أو اختراق النظام المعادي للتنظيم بعناصر مندسة، أو تمدد التنظيم تمددا لا يسمح بالسيطرة عليه فتعم الفوضى وتكثر الخسائر التي يكون التنظيم في غنى عنها.. الخ.

وقد حصل أن أعلن عدنان عقلة في بيان صوتي مسجل في منطقة حلب وما حولها استعداد الطليعة لتسليح وتعبئة كل مؤمن من أبناء الشعب، بعيد الانتصارات الرائعة التي أحرزتها الطليعة والتأييد الجماهيري الكاسح. وقد نحى كثير من القواد الميدانين للطليعة (وهي التنظيم الوحيد الذي عبأ الجماهير خلال الأحداث) هذا النهج أيضا .. فأدخل في التنظيم مئات الشباب خلال أشهر قليلة، وكانت النتيجة خسارة فادحة. إذ أن التنظيم استح اتساعا لا يمكن لميزانية الطليعة أن تسيطر عليه على مستوى التسليح والمعدات ولا يمكن لها أن تفيد منه في التخطيط التعبوي على مستوى التدريب والمشاركة، ولقد كان معظم الداخلين شبابا مخلصا مندفعا من الأغرار شكلوا صيدا سهلا لأجهزة الأمن والمخابرات.

ونظرا لطبيعة التنظيم الهرمية البناء، فقد أتت حملات الاعتقال وتسلسل الاعترافات على معظم تلك الكوادر الشابة التي ذهبت هدرا طعمة للاعتقال والإعدام ولم يشارك منها في الأحداث إلا القليل.. كما سمح هذا الوضع بتسلل عدد قليل من عملاء للنظام -رغم أنه كان صغيرا- وقد اكتشف جلهم في الداخل وأعدموا نظرا للبنية الإسلامية التي يوفرها التنظيم المجاهد، واستطاع بعضهم أن يرتحل ليخترق صفوف المجاهدين المرابطين وراء الحدود حيث تسهل عملية الاختراق.

لقد كانت تجربة انفتاح التنظيم تجربة فاشلة، ولم يكن لها من فائدة سوى أن بعض أولئك الملتحقين استطاع التدرب من خلال المشاركة في المعركة مباشرة، وبرزت منهم كوادر رائعة على قلتها كما أمن هذا العدد الكبير جهاز استخبارات جيد للمجاهدين قبل وقوع المحنة. ويمكن الإفادة مما مضى من تجربتنا في هذا المستوى في عدة نقاط:

- أنه يجب عدم تنظيم أي عنصر غير مؤهل على صعيد الفكر والانضباط والسلوك الإسلامي، وعلى صعيد الكفاءة الذهنية والنفسية والبدنية، ويستحسن اختيار العناصر من أوساط الحركات الإسلامية.

[32] راجع الكتاب القيم "حرب المستضعفين"-مترجم.

• يجب أن يقتصر التنظيم عدديا على القدر الذي يحتاجه التنظيم في مرحلة معينة، إلا أن يكون المستهدف في التنظيم صيدا ثمينا كأن يكون (كادرا) مفيدا في مجال ما : ضابط أمن، أو جيش، أو عنصر فاعل في النظام، أو صاحب قيمة في مجال ما يفيد أكثر من كونه عنصرا عاديا –صحافة إعلام، تدريب(كادر) علمي...

• يجب أن يكون برنامج تدريبهم ولو في الحد الأدنى ممكنا ومعدا على مستوى التربية والشحن بالفكرة وبالتدريب التعبوي.

• يجب ممارسة أعلى درجات الحيطة والتقصي للعنصر المرشح للتنظيم، وإخضاعه لفترة رقابة وتجريب.

• في حال الضرورة وعدم توافر الشروط يمكن إبقاؤه في دائرة الأنصار والإفادة منه.

• يجب الالتزام دائما بالقاعدة القائلة "النوع قبل الكم" ويمكن لبضعة عشرة مجاهد معبئا ومنظما ومدربا أن يغطوا قطاع مدينة كبيرة عملا، ويشغلوا النظام وكأنهم ألوف المقاتلين وينشروا في وسطه الرعب ويرفعوا معنويات الجماهير إلى عنان السماء، في حين لا تفيد مئات (الكوادر) المنظمة والمعرضة للخطر والتي تتطلب التكاليف المختلفة. وإن مهمة التنظيم من أدق وأخطر أعمال القيادة الطليعية للثورة الجهادية.

3–مشكلة التمويل

لقد كانت هذه المشكلة خلال التجربة السورية –ومازالت– مشكلة المشاكل ولقد أسفرت في فترة من الفترات كما بينا ذلك في اللمحة التاريخية عن خنق الطليعة والمساهمة في تصفيتها في مرحلة من المراحل، كما أسفرت عن ارتباط القيادة الميدانية باستمرار وارتباط قرارها بالممولين وراء الحدود من المتحكمين المسلمين والأنظمة المجاورة. وتعلمنا التجارب أن حركة جهادية ثورية تنهج حرب العصابات ستكون مكلفة وقد تصل في بعض المراحل إلى الملايين يوميا...وهي تكاليف متفرعة متنوعة، من التسليح والمعدات والذخائر ونفقات المعارك وإعالة المجاهدين وتأمين المأوى لهم ومساندة الأسر المنكوبة من عوائل المعتقلين وتأمين الوثائق...الخ.

ومن هنا كان أن فهمنا عمليا لم ركز القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الربط بين الجهاد بالنفس والمال باستمرار بآيات وأحاديث كثيرة.

إن للمال دورا فعالا في هذه الحرب ولا يمكن الشروع بها ولا التخطيط لها دون وضع حل ناجح لهذه المعضلة. ولقد علمتنا تجربتنا وتجارب الأمم في كل مكان حيث قامت حروب عصابات ناجحة، أنه حتى تملك قيادة المجاهدين مصيرها وقرارها وقدرتها على الاستمرار فإنه يجب أن تمول نفسها بنفسها من خلال أنصارها الحقيقيين الذين يتبرعون بدون شرط وبدافع التأييد، لاسيما الجماهير المؤمنة الملتفة حول المجاهدين، ولكن سند الحركة التمويلي الأول يجب أن يكون من ميزانية العدو وماله وسلاحه وعبر العمل الجهادي المسلح، وبدون ذلك سيبقى قرار قيادة الحركة مرتبطا ومهددا كل لحظة بمصادر دعمها التي غالبا ما تكون غير مخلصة وذات غرض.

4–مشكلة تأمين السلاح والذخيرة:

لقد أدرك أعداء الإسلام من المستعمرين ونوابهم فيما بعد من حكومات الطغيان في مختلف بقاع الوطن الإسلامي ما للسلاح وانتشاره بين أيدي المواطنين من خطر على كياناتهم وقيام حكوماتهم، فقاموا بنزع سلاح هذه الجماهير ،

ولقد أصبح سائغا بل وطبيعيا أن تكون الجماهير العريضة كلها منزوعة السلاح، الذي يقتصر وجوده وامتلاكه على النظام الطاغوتي وأعوانه وأذياله وتحولت الجماهير إلى خراف مسالمة.

إن هذا الواقع يفرض مشكلة ذات بعد جوهري على هذه الجماهير وتطلعاتها لمكافح الطغيان ومخاطبته بلهجة يفهمها.

كيف نحصل على السلاح ...؟

لقد علمتنا تجربتنا ومطالعاتنا في تجارب الأمم أنه في بدايات الحروب الثورية دائما تكون الاحتياجات محدودة في الكم والنوعية، ويمكن تغطيتها باستمرار عن طريق شراء الأسلحة الخفيفة والمتوسطة -وهي سلاح العصابات عموما- من تجار الأسلحة والمنتشرين بصورة شبه مؤكدة في كل مكان..

ولكنه يجب الانتباه إلى أن هذه الحرب التي ستتطور ستصل في يوم من الأيام إلى حجم يستحيل فيه تسليحها عبر هذه الخطوط الضعيفة إلا إذا توفرت أموال طائلة أو سند من نظام مجاور معاد للنظام المستهدف، والذي كثيرا ما يعرض تقديم المال والسلاح دون قيد أو شرط ليتسلل إلى القضية كي يوجهها في صالحه كما حصل بيننا وبين العراق. ولا يجب الركون لمثل هذه المصادر لا في مال ولا في سلاح.

إن المصدر الهام والاستراتيجي للسلاح وللمال هو مخزون العدو الذي يضطر للزج بعناصره وسلاحه لمواجهتنا باستمرار، وما تلبث هذه الأعتدة والأسلحة الكثيرة التي يتكرم بنقلها إلى ساحة المعركة أن توفر مصدر السلاح الأساسي للمجاهدين إن هم أحسنوا التخطيط والعمل بإذن الله.

لقد تعلمنا من تجربتنا أن المرحلة الذهبية من الجهاد في سوريا والتي امتدت قرابة ثلاثة أعوام سرا بنطاق ضيق ونحو عامين علنا وعلى نطاق موسع، تعلمنا أن السلاح الذي استخدم كان يُشترى بأموال تبرعات المسلمين وكان مورده في كثير من الأحيان من تجار السلاح الذي غدا فيما بعد ثمنه باهظا، وأنه أمكن فيما بعد نزع السلاح من العدو واستخدامه في نحره.. ولقد حقق السلاح غرضه في حين لم تسفر آلاف الأسلحة والمدافع وأطنان الذخائر التي قدمها العراق من بعد إلا عن التحكم بالمجاهدين وقطعهم وتركهم لمصيرهم في حماة. ولم تسفر مخازن المرابطين وراء الحدود والمليئة بالأسلحة إلا عن دفع القضية في المتاهة التي رأينا.

وخلاصة الأمر أن السلاح أداة المحارب وعلى القيادة المتصدية للتخطيط الشامل أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار وتضع له حلا وتصورا يناسب الظرف والبلد، تصوراً سابقاً لمباشرة العمل.

5- مشكلة الاتصالات (داخل-داخل) (داخل-خارج) (خارج -خارج):

تعتبر مخططات الاتصالات الآن عصب الجيوش الحديثة في كل مكان في العالم، ولا تخرج حروب العصابات الثورية عن هذه القاعدة، إذ تشكل الاتصالات عاملا حيويا وإن كان أقل بكثير من الجيوش النظامية نظرا لطبيعة حرب العصابات. كما تشكل هذه الاتصالات مقتلا خطيرا ونقطة ضعف للعصابات المقاتلة، كثيرا ما تستهدف من قبل العدو.. وفي تجربتنا السابقة في الداخل (سوريا) كانت الاتصالات تتم بين القيادات اللامركزية في المناطق المختلفة عن طريق مراسل يسلم الرسائل ويستلم ردودها باليد، كذلك كانت معظم الاتصالات بين القيادة الميدانية لكل موقع وقادة أجنحته وبين هؤلاء ورؤساء مجموعاتهم عن طريق مراسل أيضا أو عن طريق المواعيد الشخصية حيث يتم اللقاء

شخصيا لبحث المهم من الأمر . ولم تستخدم الأجهزة اللاسلكية تقريبا إلا في مرحلة متأخرة وكان هذا عاملا من عوامل تخلف تلك العصابات المجاهدة.

وفي المرحلة التي تم فيها شيء من التنسيق بين الداخل والخارج اعتمد على المراسل الشخصي والرسالة المحمولة ، وفي مرحلة متأخرة استخدم الإخوان البث من إذاعتهم عبر بعداد لبعض الأوامر المشفرة.

أما في الخارج بين قيادة الإخوان وقياداتها الموقعية في البلدان المتعددة، فغالبا ما كانت الاتصالات تتم عبر المهاتفة ! حيث تشرح الأمور بكل صراحة ووضوح! وقليلا ما استخدم المراسل الشخصي لأغراض كهذه.

والمستفاد من هذه التجربة السالفة عدة نقاط:

- إن استخدام المراسل الشخصي الذي غالبا ما يحمل رسائل صريحة غير مشفرة سواء في اتصالات (داخل-داخل) أو (داخل-خارج) شكل دائما عامل خطورة، إذ كان دائما هدفا لكمائن النظام التي كانت تحصل في تلك الرسائل على صيد ثمين حيث تفيد منها قبل أن يتمكن المعنيون من تلافي الأمر.
- إن نظام المواعيد الشخصية داخل المدن أعطى النظام الأمني المعادي المفتاح الأول لعمليات الكمائن والاعتقالات، وكان أحد الأساليب التي استهلكت في حرب المدن التي مارستها الطليعة وأصبح شكلا خطرا ينبغي استبداله أو تضييق استعماله.
- إن عدم استخدام الأجهزة اللاسلكية كما ينبغي ولاسيما في المرحلة الحرجة عرقل العمل وطبعه بالتخلف لاسيما العمليات العسكرية التي كانت تتم دون أن يكون ثمة تحكم وصلة قوية بين القيادة وقيادة العملية وبين هذه والمقاتلين، وقد كانت معظم العمليات عمليات صغيرة (اغتيالات-كمائن صغيرة) ولم تحصل عمليات عصابات موسعة تفرض استخدام اللاسلكي الذي لم يكن متوفرا لا كجهاز ولا كفنيين يتقنون استخدامه.

وقد استطاعت فيما بعد قيادة حماة الميدانية إدخال هذا السلاح للمعركة والإفادة منه لاسيما أثناء معارك حماة، وأفاد التصنت على بث السلطة كثيرا من إحكام التصدي لمخططاتها.

إن الاتصالات عبر الهواتف خطيرة جدا، وغير مفضلة في الداخل إلا ضمن الأفراد غير المكشوفين وبشكل قصير ورمزي، أما في الخارج فكانت المهاتفات مصدر المعلومات الهام الذي زود الأنظمة المضيفة وأجهزة المخابرات حيث يقيم الإخوة بكل ما احتاجته من معلومات عن حركة الإخوان، وكان هذا إهمالا يبعث على التعجب! وضربا من الانتحار الأمني..

وخلاصة القول أن قضية الاتصالات على كل المستويات بين القيادة المركزية والقادة الميدانيين وبين هؤلاء ومن يتبعهم من الفعاليات الميدانية، أمر حيوي يتطلب البحث والدراسة وإيجاد الحلول، ويجب القول أن تطور أجهزة الإرسال وتوفرها وإمكانية شرائها يعتبر أمرا بالغ الأهمية للعصابات ويجب الإفادة منه على صعيد توفير الأجهزة والفنيين الذين يتقنون استخدامها، وهي سلاح ذو حدين تستطيع به القيادة إدارة أعمالها بتحكم مباشر كما تستطيع التصنت على العدو الذي تشكل اتصالاته عصب حركته، حيث يوفر هذا واحدا من أهم مصادر المعلومات عن العدو.

6- مشكلة تأمين القواعد والمخازن وتسليحها وإعدادها:

تعتبر سوريا بلدا سيئا جغرافيا لإدارة حرب عصابات طويلة المدى، نظرا لطبيعتها الصحراوية المنبسطة أو السهلية الخالية من التعقيد في التضاريس، وفقرها بخطوط المواصلات الكثيفة والأنهار والغابات، وصغر مساحتها نسبيا، وباستثناء جزء صغير في الشمال الغربي من سوريا والمنطقة المحيطة بدمشق، أما المناطق التي يمكن الإفادة منها في حرب العصابات فهي جبال النصيريين الممتدة على طول الساحل الغربي لسوريا وهي للأسف أراض معادية لا يمكن الركون إليها كملجأ.

كل هذا دفع المجاهدين إلى تبني حرب عصابات المدن وكانت القواعد مبثوثة بين البيوت في الأحياء حيث طور المجاهدون فيما بعد أسلوب إنشاء مخابئهم ومخازن أسلحتهم، تحت غطاء العائلة التي تقيم في البيت بشكل طبيعي، واختفى بذلك مئات المجاهدين في الأحياء بأسلحتهم، أما العناصر غير المكشوفة فكانت تمارس العمل الجهادي من خلال متابعة حياتها اليومية العادية، ولقد أثبت هذا الأسلوب نجاحه لفترة عام ونصف تقريبا (1979-1981) ولكنه ما لبث أن استهلك بسبب الاعتقالات وفهمت أجهزة الأمن بموجبها طبيعة هذا التكتيك المستخدم واستطاعت معالجته.

ولا شك أن أولى القضايا والمعطيات المطروحة على البحث أمام قيادة تتصدى لحرب العصابات هو بحث مكان إقامتها وتحركاتها ومخازن أسلحتها وغطاء ذلك، وما يمكن أن توفره طبيعة البلد الجغرافية أو السكانية. وفي حين تقدم الطبيعة ولاسيما حيث الجبال والغابات والأحراش والأنهار والبحيرات وحيث الامتداد الجغرافي الكبير والمدن الصناعية المترامية الأطراف وطبيعة عمرانها.. عوامل مساعدة للعصابات على الانتشار والحركة والتخفي، لا تقدم مناطق أخرى هذا السند، وتجد العصابات نفسها محاطة بظروف صعبة كما في سوريا مثلا، ويجب القول أن هذه العصابات لن تعدم إن هي أمعنت التفكير أسلوبا يلائمها ويناسبها مهما بلغ الظرف من الصعوبة، ولكنه أمر جدير بالبحث وبناء الاستراتيجية حسب معطياته، وتفيد دراسة تجارب الأمم والشعوب وقراءة تواريخ الحروب الثورية وأعمال العصابات إلى حد كبير في توسيع الأفق وإعطاء الدروس المجربة سابقا.

أمر آخر يتعلق بموضوع القواعد والمخازن وهي تجهيزها تعبويا لتصبح صالحة لأن تكون قاعدة أو مخزن.

ففي حين يفترض في القاعدة أن تكون أمينة حسنة التموين حصينة يسهل الدفاع عنها ويسهل الانسحاب منها، مريحة مناسبة لإقامة مجموعة أو أكثر من المقاتلين، تتطلب المخازن إعدادا تعبويا حسب ما يخزن فيها من سلاح، ذخائر، متفجرات، وثائق، معدات ...وهذا الأمر علم عسكري مستقل لا غنى للمعنيين بالأمر عن معرفته وإتقانه. ومهما كانت الدراسة مفيدة يبقى فهم الظرف ومعايشته، والخطأ والإفادة منه المعلم الأول للعصابات في هذا وغيره، ولكن يجب أن يبحث الأمر ويدرس من قبل من تصدوا للتخطيط للتقليل من أخطاء الجهل إلى أبعد حد ممكن.

7- مشكلة التدريب (في الداخل- في الخارج):

تعتمد حرب العصابات كما أسلفنا أكثر من أي حرب أخرى على العنصر البشري وكفاءته، وليس هناك أحوج من مقاتل العصابات (ولاسيما قيادتهم) للياقة البدنية الكاملة، والاستعداد لحياة الشظف وتحمل ألوان التعب والإعياء والسهر والجوع والظروف الصحية السيئة...وللخلفية الثقافية العامة الواسعة في كل مجال، وأوسع العناصر ثقافة أقدرهم

على الإفادة من الظرف الذي يفرض عليه حضور بديهة غريزية وسريعة وإيجاد حلول آنية للورطات التي قد تكون قاتلة، وتشكل كارثة قد تكون فادحة...كما يحتاج لإتقان استخدام السلاح الفردي والجماعي حسب الحاجة حيث يفترض لكل مقاتل أن يتقن استخدام كل صنوف الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وأن يكون مختصا بإحداها .. هذا فضلا عن الشجاعة وحب المغامرة...ولقد أثبتت التجربة أن ثمة أشخاص مفطورين مسبقا ودون أي تدريب سابق على استعداد طبيعي لأن يكونوا مقاتلي عصابات ممتازين، وأن آخرين يعانون من معطيات بدنية أو نفسية تعيق أو تجعل التحاقهم بجيش عصابات مستحيلا...ويمكن القول أن كلا من هؤلاء المستعدين فطريا لذلك أو الذين يعجزون فطريا عنه هم قلة بين الناس. وأن الشريحة العامة من البشر يمكن عبر التدريب العملي والمكثف أن يصنع منها مقاتل عصابات جيد، بل ممتاز، بل وإن التدريب يفتح المجال أمام الإنسان لاكتشاف إمكاناته وتسمح الممارسة الحقيقية لاكتشاف الإنسان لنفسه ولقدراته التي كان يجهلها إلى حد بعيد، أو لاكتشاف عجزه. ولابد من ذكر هذه الحقيقة التاريخية بكل احترام هنا: أن المسؤولية تصنع المسؤول الكفء، والمسؤول المبدع يصنع الأحداث التي تتطور لتلقي بالمسؤولية على آخرين وهكذا بجدلية حقيقة رائعة...

ولقد أفرزت تجربتنا في سوريا كوادر شابة ممتازة من خلال العمل. فالحرب علم تجريبي تجري معرفته من خلال الممارسة حيث تصنع الحرب الرجال الجديرين بصنع التاريخ نفسه.

ومن المعروف أن حروب العصابات غالبا ما تنطلق شرارتها على أيدي بعض المؤمنين (أصحاب المبادئ) الثوريين وغالبهم شريحة مدنية من طلاب، وعمال...وقليلا ما ضمت صفوف العصابات الأولى بعض العسكريين وهكذا يتعلم هؤلاء الأغرار من تجربتهم ولا يمكن اتخاذ ضعف الخبرة هنا وعدم إمكان التدريب عذرا عن المشاركة –ولطالما استخدمه البعض – فسرعان ما توجد هذه الكوكبة بنفسها وحسب ظرفها طرق التدريب والتي غالبا ما تكون مشاركة جانبية في القتال، ما يلبث أصحابها أن يصبحوا خبراء حقيقيين.

ونجد في تجربة الطليعة في الداخل دروسا جيدة في التدريب العملي، كما نجد في تجربة الإخوان لمحة عن التدريب المنظم، فقد اندلعت الأحداث على يد بعض الشباب الذي كان في أحسن أحواله قد أطلق النار من مسدس فردي أو بندقية آلية. وكانت قلة منهم ومعظمهم من شباب مروان الأوائل قد تلقوا قسطا من التدريب عبر منظمة فتح أيام معسكراتها في الأردن (1969). ولكن الطليعة أوجدت فيما بعد لنفسها نظاما ذاتيا للتدريب...فكانت التدريبات الرياضية تتم كل حسب جهده بتشجيع من القيادة، أما التدريب على السلاح فكان يتم عبر فك الأسلحة وتركيبها في البيوت، ثم يخرج هذا العنصر الجديد ليراقب عملية –تنفيذ اغتيال– ليكسر الحاجز النفسي، ثم يعاد إخراجه (كحماية) وهو مسلح لمرافقة مجموعة منفذة، ثم يوكل إليه بإشراف من هو أقدم منه الإقدام على عملية الاغتيال بنفسه، وكثيرا ما كانت الطلقات الأولى لكثير من المجاهدين تستقر في رأس من رؤوس الكفر...وسرعان ما يتعلم المرء من التجربة، وقد نفذت عدة كمائن عسكرية ناجحة بهؤلاء الأغرار وكان أنجحها تلك التي قادها الشهيد النقيب إبراهيم اليوسف (رحمه الله)،الذي أشرف بنفسه على بعض أعمال التدريب العسكري في بعض الجبال الصغيرة قرب حلب حتى في أيام الأحداث والتوتر، وكانت أعمال التدريب المنظمة الأولى حين أوفدت الطليعة بعض مجاهديها ليتلقوا التدريب

العسكري في العراق وليعودوا للمشاركة، وقد عادوا وشاركوا في القتال بنجاح ولم تقدم الطبيعة الجغرافية للبلد إمكانية لإقامة معسكرات للتدريب العسكري في الجبال والغابات مثلا لعدم توفرها.

أما شباب الإخوان في الخارج فقد تلقوا قسطا من التدريب على السلاح لا بأس به، كرمايات وفك وتركيب أسلحة خفيفة وثقيلة وإطلاق بعض صواريخ (أر.ب.ج) المضادة للدروع والأشخاص...وفي التكتيك استمعوا لبعض المحاضرات العسكرية ومارسوا بعض البيانات العملية، وقد تدرب البعض على قتال الدبابات وقيادتها في دورات اختصاصية ومنهم من نزل، وأحيل الباقون إلى البيوت ليتابعوا حياتهم المدنية وليفقدوا كل ما تعلموه مع الوقت.

وخلاصة القول: إنه في الظروف التي لا يمكن للعصابات أن تقيم لنفسها معسكرا للتدريب في الجبال أو الغابات، تكون أفضل الأساليب أن يخضع كل عنصر لتدريب رياضي عالي مستمر وبإشراف قيادته عبر حياته الخاصة، ثم أن يخضع لسلسلة من الدراسات النظرية المعدة من قبل القيادة في العلوم العسكرية، مما يلزم مقاتل عصابات (تكتيك العصابات، دراسات حول الأسلحة، المتفجرات، الإسعاف العام،...قراءات مفيدة) ليكوّن خلفية جيدة نظرية حول الموضوع، ولا بأس أن يخضع لامتحان نهائي نظري، وهكذا يمكن عبر مخطط مدروس إيصال العنصر إلى سوية من التدريب لا ينقصه فيها إلا إطلاق النار واستخدام المتفجرات، حيث لابد من ممارسته لذلك حسب الممكن ولكن تبقى الأزمة محدودة إذا ما نفذ المخطط السابق.

وتبقى المشاركة في الحرب خير معلم مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة استخدام كل ما يمكن أن تقدمه التكنولوجيا من أجهزة الاتصال والتفجير عن بعد والرصد والأسلحة الخاصة حسب الممكن.. ويبقى مخطط التدريب وبرنامجه مسؤولية القيادة العليا وعليها إيجاد حل له كمشكلة غالبا ما تكون ممكنة الحلّ في ظروف السلم قبل انفجار الأحداث وتشكل مناطق التوتر حيث تقوم معارك إسلامية مكانا رائعا للتدريب (مثل أفغانستان مثلاً).

8- مشكلة المخبرين وعلماء السوء:

اصطدمت حركة المجاهدين في سوريا أول ما اصطدمت بجيش المخبرين الجرار الذي بلغ عشرات الآلاف من العملاء المرتدين والمضللين من أبناء المسلمين الذين انحازوا للطاغوت وعملوا له عينا على المجاهدين. ولقد أدى نشاط هؤلاء المخبرين إلى إيقاع خسائر فادحة في صفوف المجاهدين. ولعل أغلب القواعد التي كشفت ودوهمت كانت بفعل وشاياتهم. فقد انتشروا بكل أشكالهم من كبار الموظفين وحتى الشحادين وعمال النظافة...ولعل أسوء أنواع المخبرين كانوا أولئك المسوخ من الملحقين بقائمة العلماء وأئمة المساجد، حيث تشكل المساجد منطقة أمن للجماهير، وقليلا ما يتوقعون تسلل الدولة إليها، وغالبا ما يفقدون الحيطة. **ولقد برز من العلماء من انحاز إلى صف السلطات والمرتدين منافحين عن النظام واصفينه بالإسلامية ومعظمينه وفاتحين المجال أما خداع البسطاء من المسلمين وعلى رأس كل أولئك مفتي الدولة ووزير الأوقاف ومدرائه**[33]... إلى آخر هذه السلسلة القذرة التي ذهبت إلى حد

---

[33] حتى سقط فيها بعض العلماء المرموقين أمثال: "سعيد رمضان البوطي" الذي ذهب إلى مديح حافظ أسد على منبر خطبة الجمعة. وفي محاضراته. ووصل به الأمر لوصفه بالرئيس المؤمن والتهجم على المجاهدين الذين خرجوا عليه ! وذكر شيئا من ترهاته هذه في كتابه هذه مشكلاتهم ص 12، وفي مقابلة أجراها مع مجلة الأنصار المغربية زعم فيها أن حافظ الأسد يسعى لتأصيل وتقوية الأصولية والعودة للكتاب والسنة في سوريا ! . !

تكفير المجاهدين وإباحة دمائهم للطاغوت. ولقد اصطدم المجاهدون بجيش المخبرين ذاك وأوقعوا فيهم خسائر فادحة وصلت إلى حد نجاح الحملة التي قاموا بها حيث تقلص عدد المخبرين وانتشر الذعر بينهم وأصبحوا يشكّون بأن المجاهدين يعرفونهم ويتصورون أن فيهم من يعمل في جهاز الأمن نفسه...إلا أن كل تراجع في وتيرة العمل الجهادي كان يحمل معه إطلالة تلك الرؤوس الجبانة. ولا بد لمن يخطط للعمل الجهادي من أن يأخذ هذه المعضلة بعين الاعتبار ويضع لها حلا ناجحا، ويضع استراتيجيته حاسبا حسابها. أما على صعيد بعض أولئك المشايخ فعلى الرغم من أن المجاهدين قد أعدموا بعضهم أمثال الشيخ/محمد الشامي, والشيخ الطاووس وغيرهم...فقد كان إعدامهم مشكلة إعلامية تحتاج إلى عناية كبيرة لانتشار سمعتهم كعلماء بين بعض البسطاء. كالشامي الذي اضطر المجاهدون للسكوت عن خبره وضاع دمه بينهم وبين الدولة التي قتلت من جهتها بعض العلماء الطيبين...فمشكلة المشايخ هذه أيضا واحدة من المهمات. وأهم ما فيها رؤوسهم الكبيرة حيث يجب أن يكون في إعدام بعضهم العبرة ولكن ضمن مخطط إعلامي مدروس جدا لتغطية العملية والإفادة منها وتحجيم إرهاصاتها السلبية.

9-مشكلة الوثائق

إن ممارسة المجاهدين لقتال السلطة وكذلك أي معارض للنظام ولاسيما من اتخذ حمل السلاح أسلوبا لمحاربة الطاغوت سيتعرض بالطبع للملاحقة، وباعتبار أنهم أو بعضهم ولاسيما تلك العصابات التي تستخدم أسلوب قتال المدن (كتجربة الطليعة) مضطرون للحركة في المدن وعلى طرق السفر ومعرضون لطلب وثائقهم الشخصية من قبل الأمن أو الجيش، وكذلك باعتبار أن بعضهم قد يضطر لمغادرة البلد والسفر بشكل نظامي أو غير نظامي ليتحرك في الخارج لأغراض تخدم العمل أو لأغراض شخصية إن هو قرر الانسحاب، كل هذه الاعتبارات والظروف تفرض على من يخطط استراتيجية لهذه الحرب أن يأخذ في حسبانه مشكلة هامة هي (مشكلة إيجاد الوثائق)، ويمكن إيجاز تطور معالجة هذه المشكلة من خلال تجربتنا السابقة بما يلي:

- مع انفجار الأحداث الفجائي والذي لم تكن التنظيمات الإسلامية وعلى رأسها الإخوان المسلمون قد أعدت له شيئا، اضطر مئات الناس للتوجه للسفر أو للتخفي عدة أيام ريثما يتدبرون أمرهم، وكانوا يحملون وثائقهم الشخصية وقد اعتقل كثير منهم حيث كانت قوات الأمن والشرطة مزودة بقوائم أسماء الملاحقين. فاعتقلوا على حواجز التفتيش وانتهى أمرهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.
- واجهت الطليعة المشكلة حيث أن القسم المكشوف والفعال فيها كان قد لوحق واضطرت عناصره لممارسة حرب عصابات المدن، فقامت ببعض عملياتها بمهاجمة دائرة الأحوال المدنية، واستولت على بطاقات شخصية وأوراق وأختام حكومية تمكنت بها من تجاوز المشكلة مؤقتا.
- بعد خروج الإخوان للخارج ولا سيما الأردن والعراق، بدأوا بإنشاء جهاز خاص بالوثائق ليزود المهاجرين والملاحقين بالوثائق الشخصية والأوراق الدراسية التي تدل على مستواهم السابق، حيث لم يتمكنوا من طلبها عبر الطرق النظامية وكذلك جوازات السفر والأختام اللازمة...الخ وتطور الجهاز حتى غدا جهازا متكاملا قادرا على تأمين كل الاحتياجات، وقد أرسلت كثير من هذه الوثائق إلى الداخل لتحل بعض مشاكل المحبوسين هناك والمجمدين عن الحركة.

• لم تستطع الطلعية حتى فترة متأخرة –بعيد النفير وحماة– الاستقلال بإنشاء جهاز وثائق نظراً لفقرها. واضطرت للوقوع تحت تأثير تحكم جهاز الإخوان. ثم استقلت بجهاز لها فيما بعد ولكنها سرعان ما دمرت ولم تفد منه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• والذي يستخلص من هذه التجربة وبحث المشكلة، أنه على من يتصدى للتخطيط لمثل هذا الأمر أو من يتوقع أن يفاجأ بظروف من شكل هذا الطرف، أن يعد حلا لهذه المشكلة المفصلية –سهلة الحل– ولا يجب الاعتماد على سلب الوثائق الحكومية لأن معظمها معروف الأرقام وقد تغيرها إلى نسخ ثانية يتعذر سلبها مرة أخرى (كما حصل في سوريا حيث غيرت كل البطاقات الشخصية) والأفضل من ذلك الانصراف لإيجاد جهاز مستقل. والجدير بالذكر أنه يمكن في الخارج تأمين كل هذه الاحتياجات بالمال وعبر التعامل مع بعض المطابع وبعض الأسواق السوداء، فهي مشكلة هامة وسهلة الحل في نفس الوقت إذا بوشر بعلاجها قبل الأزمة .

10- مشكلة الجرحى والإسعاف

لقد كانت هذه إحدى مشاكل المجاهدين الكبيرة في الداخل، فكثير ما يشكل الأخ الجريح معضلة حقيقية، فتركه في أرض المعركة خطر كبير لما يحمله من أسرار في التنظيم السري الهرمي الذي يشكل اعتقال أحد أفراده أزمة حقيقية ونقله إلى قاعدة رغم ما فيه من العناء والجهد إن أمكن مشكلة أخرى لعدم إمكانية علاجه في قواعد المدن، ولسنا بصدد بحث هذا الآن. وليست حرب عصابات المدن كحرب عصابات الأرياف والغابات والجبال حيث يتمكن فيها الثوار من إنشاء نواة مستشفى ميداني لهم لعلاج الحالات العادية والمتوسطة، وبالتالي إمكانية وفائدة نقل الجرحى، بل على العكس فلا مجال لهذا فقد مرّ في تجربة الطليعة بعض الحوادث المأساوية في الداخل نتيجة هذا الأمر ...وفي عدة مرات استشهد بعض المجاهدين الذين تمكنوا من الانسحاب في قاعدتهم بفعل الجرح البليغ أو النزيف من جروح يمكن علاجها...وفي بعض الأحيان كان المجاهدون يضطرون لاختطاف أحد الأطباء مع بعض معدات الإسعاف إلى إحدى القواعد وقد كان هذا حلا ناجحا ولكن في حدود الجروح العادية...وقد أفادنا الاطلاع على بعض التجارب العالمية بمعلومات قيمة عن إنشاء قواعد سواء في الأرياف أو الجبال أو الغابات أو حتى المدن في بعض الأحيان كقواعد إسعاف أو مستشفى مصغرة ... وعلى الأقل وفي حدود الإمكان يجب على مُقاتل العصابات أن يلم بمعلومات أولية عن الإسعاف الميداني وعلاج بعض الجروح وإعطاء بعض الأدوية وحتى إجراء بعض الجراحات البسيطة، ويجب تزويد كل قاعدة ببعض المعدات، وقد توفرت الآن في الأسواق العالمية بعض المعدات شبه الكاملة بحجوم صغيرة وسهلة النقل وبالإمكان الإفادة منها كثيرا. وتبقى هذه المشكلة المطروحة على أصحابها الذين يتعاملون معها دائما ويتعلمون منها ويجدون لأنفسهم حلولا لا تناسبهم.

11- مشكلة الاستخبارات وتأمين المعلومات عن العدو:

باستمرار تُبنى عملياتنا ومخططاتنا ولا سيما في الهجوم وكثيرا من حالات الدفاع على معرفة مخططات العدو وأسراره بكل أشكالها...ولابد لقوات العصابات من أن يكون لها جهازها الخاص لجمع المعلومات عن العدو ورصده على كل مستوى، معرفة شخصياته الفاعلة ونبذة عنهم وعن تحركاتهم ومواقع إقامتهم وعن مخططات العدو ومراميه ومواعيد الدوريات وتسليح المواقع...

وفي الحالات التي نواجه فيها نظاما ديكتاتوريا ولا سيما تلك التي تتبنى سياسة الحزب الواحد أو الأسرة الواحدة، تشكل أعضاء الحكومة ورجالات الحزب وفعالياته أو (الأسرة المالكة وحاشيتها) هدفا لاستطلاعاتنا الدقيقة. ويأتي استطلاع ورصد أجهزة الأمن العميلة في طليعة الأهداف التي تستحق الجهد والاختراق من جانبنا، وكذلك الجيش عندما يُزج به بالمعركة ضدنا. وتشكل الجماهير المسلمة المؤيدة المنتشرة في كل مكان خير جهاز استخبارات رديف للعصابات. ولكن هذا لا يغني عن ضرورة إيجاد جهاز يعني بهذا الأمر والقيام به بزراعة عملاء لنا في جسد النظام وأجهزته ولاسيما في أجهزة الأمن وقطاعات الجيش والوحدات المستخدمة لحربنا.

ولقد كان في التجربة الماضية نماذج ثمينة ورائعة في بعض الأحيان على مستوى النوعية. ولكنها كانت في حدود ضيقة وقليلة وقد أفادت بعضها في إيقاع خسائر فادحة في صفوف العدو، وأمكن عن طريقها تجنب كثير من الخسائر حيث قامت بالإنذار في وقت مبكر. وطالما أن طبيعة معركتنا عسكرية يأتي جهاز الاستخبارات في طليعة الأجهزة التي يجب إنشاؤها ورعايتها والتخطيط للاستفادة منها على مستوى القيادة العليا ولا يخفى أن طبيعة هذه الأجهزة ونوعيتها يحددها طبيعة النظام المعادي وأجهزة قمعه.

إلا أنه يجب عدم نسيان الجماهير كرديف هائل في جهاز الاستخبارات. ولا سيما إن أمكن تعبئتها لصالح المعركة، وهذا ما يجب أن يكون أولى مهمات العصابات عبر برنامج معد بكل عناية.

12- المشاكل الأمنية للبناء التنظيمي الهرمي:

أغلب التنظيمات السرية هرمية البناء وهذا هو الشكل الشائع حيث ترتبط القيادة بقواد أجنحة ومسئولي أجهزة، يرتبطون بمرؤوسيهم أيضا بنفس الطريقة عبر هذا الشكل الهرمي **وهو بناء قوي سهل الإدارة يتميز بإمكانية الاتصالات من الأعلى إلى الأسفل والعكس بسرعة وفعالية، إلا أنه بناء خطير، سرعان ما تتحول فيه أصغر المشاكل –إن لم يتم تلافيها– إلى كوارث حقيقية بفعل عمليات التعذيب والبطش الوحشي التي يتعرض لها المعتقلون والتي تجبرهم على الإدلاء بكل ما لديهم، معرضين السلسلة الهرمية نحو الأعلى والأسفل لأخطار جمة**...ولقد كانت التنظيمات العسكرية التي عملت في الداخل (في التجربة السورية السالفة) كلها هرمية إلى حد كبير، ولقد تعرضت للخسائر في كثير من الأحيان بل لدمار أجنحة بكاملها بفعل هذا البناء الاضطراري.

ثمة طريقة أخرى لبناء التنظيم وهي طريقة الربط الخيطي حيث يرتبط كل عنصر قيادي بحلقات صغيرة وخيطية خاصة ومتعددة تفرض عليه جهدا وعناء كبيرا لتعلق مسئولياتها في عنقه كلها، وحيث لا ترتبط هذه الخلايا (التي قد تكون من عنصر واحد غالبا أو اثنين) مع بعضها وبالتالي لا يشكل اعتقال أحدها خطرا على مجموع السلسلة في حين يشكل اعتقال المسئول كارثة على كافة الحلقات. ولكن لكونه فردا واحدا فإن احتمال تعرضه للخطر يبقى قليلا لا سيما إن اتخذت الحيطة الكافية حوله...ولكن هذا الأسلوب على أمنيته العالية ضعيف، إذ كثيرا ما يؤدي مقتل أو اعتقال رأس الخيط إلى انفراط عقد حلقاته الخاصة وصعوبة وصل هذا التنظيم مرة أخرى. ولا يمكن تلافي هذا المر إلا بوجود نائب بديل مطلع، مهمته ربط الحلقات حال غياب المسؤول أو استخدام طريقة الظرف المختوم الحاوي على الأسرار التنظيمية. حيث يقوم المسؤول البديل بالاطلاع عليه لوصل الحلقات التي تكون مجهزة بكلمة سر لتلقي أوامر المسؤول الجديد. ولا يفتح الظرف الذي يجب أن يكون مشفرا إلا من

قبل رجل معين مهمته الربط، وقد يكون هو المسؤول التالي وقد لا يكون، ولا يفتح الظرف أيضا إلا في حال فقدان المسؤول المباشر.

هذه إحدى الطرق الشائعة في تفادي مشاكل التنظيم الخيطي أو العنقودي.

وقد يكون التنظيم مختلطا: أي هرمياً في جناح وخيطياً في آخر، حسب دور الجناح وظرفه المتشابك الأسباب، وهذا التركيب يوفر مجالا طيبا للمناورة بيد القائد. وبين هذا الشكل الهرمي والآخر الخيطي ومزج النسب المختلفة لكل منها تتراوح معظم التشكيلات التي تتخذ العمل العسكري السري أسلوبا لها ... وقد توصلت بعض العصابات في أوربا ولاسيما (الألوية الحمراء) في إيطاليا، وعصابات (باير ماين هوف) في ألمانيا (ومنظمة إيتا) الانفصالية في إسبانيا ...إلى أساليب تنظيمية غاية في الدقة والمتانة عبر التجربة مكنتها من الصمود حتى في وجه أجهزة أمن قوية للغاية. **وهكذا تُعلِمُنا التجارب أن الأمن ومتانة التنظيم والدقة والحذر مع سهولة الإدارة هي عوامل متناقضة تحتاج لكثير من الجهد الفكري والتنظيمي.**

والتجربة مريرة يدفع ثمنها من دماء أصحابها حتى يتعلموا. وعلى من يتصدى للتخطيط أو إدارة مثل هذه التنظيمات أن يبني نظامه وبناء خلاياه بناء على معطياته الاستراتيجية من طبيعة البلد والقوة الذاتية والمعادية وطبيعة أجهزة الأمن وطريقتها..الخ.

ويتخذ له الأسلوب المناسب، هذه المشكلة (المعضلة) تطرح نفسها بإلحاح على عصابات المدن في حين لا تشكل مشكلة كبيرة للعصابات التي تدير قتالها بشكل شبه علني في الأرياف في ظروف طبيعية مساعدة كتوفر الغابات والجبال والمسالك الوعرة والامتداد الواسع.

ولقد كانت التجربة السورية السالفة من الصنف الأول وقد أعطت دروسا غالية فادحة الثمن يجب دراستها والإفادة منها. ولعل أهم المشاكل هي الاعتقال وأثره، وانقطاع العنصر عن السلسلة العامة وصعوبة التحاقه بها ثانية. وذلك باستشهاد مسؤوله مثلا أو إخلاف الموعد المضروب وموعد الاحتياط. وكثيرا ما تشرذمت جيوب هامة وفقدت صلتها بالقيادة عبر العمل في الداخل ولم يعاد وصلها إلا بجهد جهيد أو أنها ضاعت.

ويبقى لفت النظر لهذه المشكلة مهما ودرسا يجب أن يعيه القائمون على الأمور ويعيروه كل عناية.

13- قضية الاحتفاظ بالمبادرة والقدرة على الردع:

من أهم ما أفدنا من تجربتنا السالفة، أنه على عصابات المجاهدين وجهازهم العسكري أن لا يتركوا للنظام وأجهزة قمعه وقتا مريحا للتفكير، وأن يتابعوا عبر مجموعة من التكتيكات العسكرية المدروسة والأعمال المتلاحقة (لعبة البرغوث والكلب)[34].

حتى إيصال أجهزة الأمن والجيش وغيرها من أجهزة القمع إلى حالة الإعياء التي يستحيل معها تقدير أمورها بحكمة وتنفيذها بيسر وتحكم. ولا يمكن تحقيق هذا إلا عبر الإمساك بالمبادرة والاحتفاظ بها ما أمكن طيلة فترة الحرب وهذه مهمة ليست بالسهلة. ولا يمكن تحقيقها دون العمل وفق مخطط استراتيجي شامل تتضافر فيه الجهود العسكرية

---

[34] تحدث بعض محللي حرب العصابات عن هذه الظاهرة وأطلقوا عليها هذه التسمية، وتعني أن صراع العصابات التي تنتشر في طول البلاد وعرضها بقوى ضعيفة قياسيا لقوة الدولة، تشبه جيش البراغيث الذي ينتشر في أنحاء جسم الكلب المصاب بهذه الحشرة ليوجه له الوخزات واللسعات باستمرار وفي كل المناطق وعلى الرغم ن أن جيش البراغيث هذا لا يملك قوت الكلب إلا أنه بوخزاته المستمرة يضعه في جو من الإنهاك والإعياء يهيؤه معه للسقوط في النهاية (مقتبس من كتاب حرب المستضعفين لكاتبه الأمريكي)

والإعلامية والسياسية للتنظيم السري الجهادي الثوري. وبطبيعة الحال فإن العدو وأجهزته تدرك هذا وهي تحاول باستمرار تملك زمام المبادرة لإجبار المجاهدين ومقاتليهم على الاندفاع في سلسلة من ردود الأفعال تختارها الدولة.

وتبني بناء عليها (تكتيكات) حصار وتفتيت متتابعة، توجه بموجبها للعصابات ضربات ساحقة، وهكذا تستمر اللعبة.

فضلا عن المبادرة فإن على العصابات المجاهدة أن تحتفظ بقدرة دائمة على الردع الصاعق في حال فقدان المبادرة في عمليات نوعية ومفاجئة تُدخل النظام وأجهزته في دوامة مؤقتة ريثما تستطيع العصابات معاودة استرداد أنفاسها وامتلاك المبادرة من جديد، وتفيدنا التجربة السالفة أن الطليعة ملكت المبادرة بفعل سريتها وصغر تنظيمها حتى أواخر عام 1980 ثم ما لبثت هذه المبادرة أن تحولت للدولة التي استطاعت استجرار الطليعة لمجموعة ردود أفعال عسكرية صفيت بموجبها معظم جيوبهم حتى أواخر 1981 .

أما تجربة حماة فقاسية، فبعد أن تمكن المجاهدون من حشد قوى هائلة لهم في المدينة وبناء رؤوس جسور تنظيمية عسكرية في مناطق أخرى، تمكنت الدولة بفعل امتلاكها للمبادرة بعد حصار المدينة من جر المجاهدين مرغمين للصدام العلني الذي خططت له، ودمرتهم وقد مرّ بيان ذلك.

وهكذا وفي حرب العصابات وغيرها من الحروب تبقى المبادرة هي الهدف من الصراع (التكتيكي) ويبقى على قيادة المجاهدين أخذ هذا في الحسبان والتخطيط له منذ البداية والعمل على استردادها دائما عندما تفقد.

14–قضية العمل العسكري الخارجي الرديف:

ساحة المعركة هي مكان الجهد الرئيسي للثورة وقيادتها وهي في أرضها (في الداخل) وهذا يجب أن يكون أحد الدروس الهامة الكبيرة التي أفدناها من تجربتنا السابقة ولا جدال حول هذه الحقيقة الاستراتيجية حيث لن تلبث أي ثورة اتخذت لنفسها في المهجر مستقرا ومقاما أن تنقرض وتتفسخ تحت عوامل التآكل والمرض الداخلي والخارجي، ولكن يبقى على قيادة الثورة أن تخطط لإنشاء جهاز عسكري صغير يكون بالنسبة لها ذراعا طويلا تستطيع به أن تنال بعض الأهداف الاستراتيجية في الخارج إن لزم الأمر، حيث يوفر الخارج بعض الفرص لاغتيال بعض رؤوس النظام وقادة أجهزته الأمنية العسكرية الذين يتواجدون أحيانا في الخارج بظروف شتى بمعطيات أمنية لا تتوفر في الداخل وبحيطة أقل من تلك بكثير. **كما أن تدخل بعض الجهات في القضية واتخاذ موقف معادي لها، أو تولد ظروف سياسية يقتضي من قيادة الثورة التصدي له والتهديد أو الردع**...كل هذا يقتضي وجود مثل ذلك الجهاز ووجود قيادة ميدانية له يرأسها عنصر قيادي مرتبط بالقيادة ومسؤولها مباشرة ومزود بالصلاحيات والإمكانيات اللازمة.

كما أن من الضروري إيجاد شعبة من الجهاز الخارجي متفرغة لبعض الأعمال الإعلامية لتحقيق الجهد المناسب مع مخطط إعلام الداخل، ولكن هذا الجهاز الخارجي بشقّيه السياسي والإعلامي والعسكري يجب أن يبقى خاضعا للقيادة في الداخل ومؤتمراً بأمرها. ولا يجب أن يتمدد حتى يكون غرفة استجمام رديفة تشجع على الهرب من حرارة المعركة في الداخل أو نقطة ارتكاز للفارين والهاربين.

رغم أنه يجب أن يقدم العون للمضطرين للخروج لإعادة برمجة الإفادة منهم ضمن مخطط شامل، أو مساعدتهم ضمن نطاق المتضررين **فكل قاعد في الخارج دون سبب متضرر وليس مجاهدا أبداً**.

ولقد علمتنا التجارب الماضية دروسا هائلة تحتاج إلى كتاب مستقل لمرحلة تجربة العمل في الخارج، ولقد كان عملا فاشلا إذ أن الثورة برمتها انتقلت بكل كوادرها للخارج وما لبثت أن لفظت أنفاسها.

وعلى الرغم من ذلك فلم يكن لها القدرة على الردع العسكري حتى في الخارج كما مر معنا. وهكذا يجب أن يتنبه المعنيون في الأمر لضرورة مثل هذا الجهاز وضرورة التحكم به والسيطرة عليه ضمن مخطط استراتيجي شامل.

15- مشكلة التنسيق بين الأجهزة الجهادية الثورية العسكرية الثلاثة:

الجهاز المكشوف (القواعد)، الجهاز غير المكشوف (العناصر المدنية)، الجهاز الخارجي:

سرعان ما تتشكل نويات هذه الأجهزة الثلاثة إبان اندلاع الثورة والأحداث وهذا ما حدث في تجربتنا السالفة، ولم تشذ عن هذا المنطق الذي غالبا ما تسير الأمور بحسبه.

كوكبة من الشباب تفجر شرارة الثورة ويتلاحق نفر منهم فيختفي ويدير عمله القتالي من خلال قواعد سرية سواء في الجبال والغابات أو القواعد العسكرية في المدن، طائفة من المؤمنين بهذه الثورة المندلعة تلتحق بهم ولكنها بحكم عدم اكتشاف أمرها يكون عليها أن تمارس عملها الثوري من خلال حياتها اليومية العادية من دون أن تلتحق بالقواعد ويتشكل الجهاز الثاني. ثم ما تلبث الحاجة أن تطلب خروج بعض الأعضاء سواء لأهداف إعلامية أو عسكرية أو مالية أو سياسية أو حتى اضطراراً وسرعان ما يتكتل هؤلاء ويتشكل الجهاز الثالث خارج البلد الذي تدور فيه الثورة.

وهنا يأتي دور القيادة التي تحرك الأحداث لتثبت قدرتها على إدارة دفتها بتحكم لا أن تترك الأمواج تلعب بها. وفي الوقت الذي يتوجب فيه أن تكون قيادة العصابات الثائرة المجاهدة متواجدة في الساحة وضمن أحد الجهازين المكشوف أو غير المكشوف، فإنها غالبا ما تكون في القطاع المكشوف المختفي في القواعد السرية فإن استطاعت أن يكون بعض رؤوسها في غير المكشوفين فهي الحالة النموذجية ويتوجب عليها أينما كانت أن تضع المخطط الاستراتيجي أو مجموعة التكتيكات المتلاحقة لبرمجة عملها السياسي والإعلامي لهذه الأجنحة الثلاثة.

وعلى الرغم من أن المهام قد تتداخل في عمل متشابك من هذا الشكل-ونقصد العمل الجهادي الثوري- فإنه غالبا ما تتحدد مهام كل جناح في الحدود التالية:

أ- الجهاز العسكري المكشوف والملاحق (القواعد السرية)

وقد تكون هذه عبارة عن تشكيلات عسكرية تتواجد في الجبال والغابات الوعرة وتقيم لأنفسها معسكرات مؤقتة تنطلق منها لتنفيذ مهامها العسكرية وتكدس فيها لوازمها العسكرة والإدارية...الخ.

وقد تكون كما كان حال غالب الإخوة في التجربة السورية في قواعد عسكرية مغطاة بغطاء مدني (عائلة، معمل..) داخل الأحياء السكنية حيث ينطلق منها المقاتلون لتنفيذ عملياتهم.

وغالبا ما تتواجد القيادة في هذه القواعد والمعسكرات ويقع على عاتقها مهمة بناء الأجهزة الرئيسية للعمل العسكري والسياسي والإعلامي وتأمين الاحتياجات، كما يقع عل عاتقها بحكم أن غالب عناصرها من المدربين والمنفذين والأعضاء القدامى الموثوقين تنفيذ غالب العمليات العسكرية المعقدة من مستوى الكمائن والإغارات

والأعمال المركبة الصعبة. ويشكل هذا الجناح قلب القوات الثائرة وقلب الهجوم. وعليهم تقع مهمة تنسيق عمل الجهازين الآخرين وكذلك مهمة التدريب العسكري.

ب- الجهاز غير المكشوف (العناصر المدنية):

وتتشكل في تشكيلات غالبا ما تكون مزيجا من الهرمية والخيطية ويمارس أصحابها حياتهم الاعتيادية اليومية (دراسة، عمل، تجارة، وظائف...) ويكونون عادة أكثر عددا وأقل خبرة وأوسع انتشار.

ويقع على عاتق هؤلاء الأعضاء مهام الاستخبارات والرصد ونقل الأسلحة والأعتدة والذخائر وتأمين التموين لأعضاء الجهاز الأول وكذلك تنفيذ المخططات العسكرية وأعمال الاستطلاع والتصوير، وفي مجال التنفيذ ينحصر تقريبا عملها في مجال الاغتيالات العسكرية البسيطة وزرع العبوات الناسفة وما إلى ذلك من الأعمال البسيطة. وقد يشارك بعضهم في الأعمال العسكرية الكبيرة في حالة توافر خبرات نوعية فيهم. وترتبط قيادتهم التي يجب أن تكون شبه منفصلة أي لا مركزية بالقيادة العليا، ويجب أن تتمتع بصلاحيات كافية وعليهم تقع مهمة التعبئة الجماهيرية وتوزيع المنشورات والإشاعة الموجهة ومحاربة الإشاعة المعادية والإعلام المعادي ونقل صورة عن الأوضاع الحقيقية التي تدور في البلد لأولئك المتوارين أو المتواجدين في الخارج.

ج- الجهاز الخارجي:

كما ذكرنا فإنه يتشكل بوحي من الحاجة والاضطرار ويجب السيطرة عليه وفرز قيادة على مستوى عالي الارتباط والتبعية والكفاءة من الذين لا يظن فيهم الركون لحياة رغيدة في الخارج.

وتنحصر مهامه في مجالات الإعلام والصلات وجمع التبرعات وتأمين الأسلحة والمعدّات (التكنولوجية) من الخارج وكثير من اللوازم وتهريبها للداخل، ويجب أن يتمتع الجهاز بقدرة عالية على الاتصال السريع مع قيادة الداخل، وأن يتبعها تبعية كاملة كما يجب أن يضم في تشكيله ذراعا عسكريا يوكل إليها مهمة رصد العناصر المعادية في الخارج ونشاطها وإرسال استطلاعات والاستعداد لتنفيذ بعض العمليات العسكرية ضدها إن لزم الأمر كعمليات استراتيجية أو إعلامية كما يجب أن يؤمن المأوى والعلاج لبعض المضطرين للخروج، من المقاتلين والمضطرين وتأمين عودتهم وإيوائهم.

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن الأجهزة الثلاثة يجدر القول أنه لا تخفى عن المتبصر المطلع مدى الفائدة التي يمكن الحصول عليها من السيطرة بالتخطيط مركزيا على هذه الأجهزة الثلاثة وإعطائها حرية العمل اللامركزية لتفصيل مهامها...وكذلك النتيجة الرائعة التي يمكن تحقيقها من إيجاد تناغم استراتيجي ضمن تخطيط مدروس بين هذه الأجنحة الأساسية الثلاث.

16- مشكلة الجهاز الفني

نعيش في أواخر القرن العشرين وجدير بنا أن نسعى إلى إدارة حربنا على مستوى العصر وعلى مستوى ما يزج به أعداؤنا من إمكانيات بشرية وفنية في هذه الحروب، وأن لا نتابع إدارة حربنا على طريقة أعراب البوادي في الغزو ضمن الممكن طبعا (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وعلى الرغم من صحة ما قلناه بأن العامل البشري هو الأول والأخير في

الحرب الثورية إلا أنه يجب عدم تجاهل ما يمكن أن نوفره من إمكانات وخسائر مادية وبشرية إن استطعنا الإفادة مما وصل إليه العلم الحديث من تكنولوجيا الاتصالات والأسلحة الحديثة الرائعة.

وكلها إمكانات ومواد متوفرة في الأسواق العالمية ويمكن تأمينها وتأمين إيصالها لميدان القتال، ولعله من الواضح أن لهذا الأمر الذي لا تخفى تكاليفه المادية الباهظة أهميته الكبرى التي لم نفد منها في الماضي. وينبغي على قيادة المجاهدين تشكيل نواة هذا الجهاز ليقدم ضمن الإمكان اللوازم الفنية للمعركة ولقد قدمت تجربة الطليعة مثلا متواضعا رائعا عن سعيها في هذا المجال وتمكنت في بعض المناطق كحلب، من افتتاح معمل صغير لتصليح الأسلحة وتعديلها وقد تم تحويل بعض المسدسات العادية إلى رشاشة مثلا وتم إنتاج بعض القنابل اليدوية محليا...وتطوير بعض هذه الأجهزة الإلكترونية بإمكانيات مادية ضحلة وعلمية محدودة ولكنه كان عملا مشكورا ورائعا.

ولقد فشل الإخوان المسلمون في مرحلتهم على الرغم من تشكيلهم لهذا الجهاز الذي كان طيلة الوقت بإدارة عضو قيادة هو أبو أنس بيانوني، فشل في تحقيق المطلوب منه على الرغم من مئات الأسفار التي قام بها مسئولوه لأوروبا والملايين التي أنفقت دون طائل.

ولم يتمكن من تقديم أي إمكانية فنية للمعركة ولاسيما أثناء حشد النفير، كما لم يستطع جهاز العمليات الخارجية التابع لنفس المسؤول القيام بأي عمل رادع رغم تطلب الظروف لذلك ولا تخفى الأسباب.

المهم على المتصدين للقيادة أن يفيدوا من هذه التجربة ويأخذوا هذا الأمر الهام بعين الاعتبار لحشد ما أمكن من طاقات لهذه المعركة المصيرية.

17- مشكلة التنكيل بالمدنيين ولاسيما أهالي المجاهدين:

لقد كانت هذه إحدى المعضلات ولاسيما في تجربة الطليعة أيام اشتعال العمل العسكري. فقد عملت الدولة نتيجة فشلها المتكرر في ملاحقة المجاهدين والحد من نشاطهم والعثور عليهم عمدت إلى قتل المدنيين والتنكيل بهم، وتطور موقفها إلى مجزرة للمدنيين بعيد كل عمل عسكري للمجاهدين حتى اضطرتهم لتوقيف عملهم لهذا السبب بدافع التذمر الشعبي الذي توجه جزء منه بالتهمة إليهم كما قامت الدولة بالاعتداء على أهالي المجاهدين ونكلت بهم وقامت بعدد من المجازر الجماعية جمعت فيها بعض آباء المجاهدين وإخوتهم وأعدمتهم...

وهنا يجب أن نقول انطلاقا من فهمنا لهذا الطرح الجهادي الثوري العسكري وتكاليفه، أنه على كل من يلتحق بهذا الدرب أن يعرف أن هذا من بعض الضريبة التي تلحق به وبأهله وبالشعب وقد اختار أن يدفعها في سبيل الله كما أن المجتمع بكامله والذي سار عبر قرون طويلة في درب أوصلته للاحتلال وقبوله، من المؤكد أنه سيدفع شيئا من الضريبة الدموية كثمن للحرية والعدل وإعادة حكم الإسلام. وبدلا من التفكير السلبي الذي وقع فيه بعض إخواننا وبعض أهلنا المدنيين والذي قادهم للتفكير في إيقاف العمل العسكري خوفا على المدنيين والأهالي كان عليهم العلم (ويجدر بنا أن نفكر) أن الحل الأمثل هو الردود الرادعة الشرسة التي تجعل الدولة تفكر بعدم اتباع هذا الأسلوب وترفع من معنويات المدنيين مرفقة ذلك بحملة إعلامية مبرمجة، لعلاج هذه الظاهرة. وعلى المجاهدين والشعب أن يختاروا بين أمرين: إما متابعة العمل وتحمل التضحيات وإما سلامة ذليلة يستعد معها النظام أن ينعم بها علينا إن أردنا واستسلمنا ولا نحسب أن هذه الظاهرة سلبية كلها.

يقول أحد كبار محللي حرب العصابات الأمريكان في دراسة حول بضعة عشر ثورة عصابات في مختلف بلاد العالم ما معناه (لطالما كانت شراسة النظام وبطشه بالأهالي بسبب فعل الثوار أكبر هدية قدمها للثورة والثوار، إذ عبّأ الأهالي إجباريا في صفوف الثورة لما أثبته من الوحشية والدموية التي دفعت الناس حتى الحياديين منهم دفعا للالتحاق بالثوار لما يرون من عدالة طرحهم وظلم النظام)...(عن كتاب حرب المستضعفين ...بتصرف) وهكذا يجب بناء الحملة الإعلامية الجماهيرية بناء على هذه الواقع القذر للنظام الطاغوتي الذي سرعان ما يبدي استعداده لإراقة دماء الأبرياء لعجزه أمام ضربات المجاهدين ولاسيما نظام احتلال طائفي كالنظام النصيري لا يبالي أن يقتل أبرياء لا يعدهم من أبناء فئته العفنة.

18- مشكلة التمشيط والحصار:

دائما تحاول أجهزة الأمن والجيش التابعة للنظام الطاغوتي دفع المجاهدين للخروج من مخبأهم لصدامه علنا، بمعطيات غير متكافئة طبعا، لا عددا ولا عدة ليتخلص من الأسلوب الرائع الناجح الذي تمارسه العصابات في الكر والفر...وفي حمى الهستريا التي تصيبه يلجأ إلى سلسلة من أعمال الحصار والتمشيط بحثا عن المقاتلين والسلاح، وفي حين تشكل الجبال والغابات والمناطق الوعرة والامتداد الواسع للبلد عونا كبيرا للعصابات. كذلك امتداد المدن الصناعية وتعقد بنائها.. تقدم المدن الصغيرة والمتوسطة صعوبات جمة لمواجهة مثل هذه الأعمال التي تتم بهمجية لا تراعي حرمة ولا عرفا (ولا نقول دينا لأنه لا دين لطاغية ادعى نفسه ربا يشرع للناس ويحكم في أمرهم من دون الله). وقد حفلت التجربة السابقة بكثير من المواجهات التي واجه بها المجاهدون مئات عمليات التمشيط والحصار التي كانت تتم في قطاعات محدودة من المدن. وتطور الحال في بعض الأحيان إلى حصار وتمشيط مدن بأكملها (كما تعرضت حلب لهذا وحماة وإدلب والجسر...) حيث زجت الدولة بعدة فرق مسلحة من الجيش بلغ تعدادها عشرات الألوف من الجنود لإغلاق المداخل والمخارج حول المدن واحدة إثر أخرى، وتولت المهمة وحداتها الخاصة وسرايا الدفاع بقيادة الضباط وصف الضباط النصيريين ليمشطوا المدينة ويفتشوا بيوتها واحدا واحدا على مدى أيام طويلة ذاق خلالها الأهالي مرارة الجوع والإرهاب والعسف. ولقد نجح المجاهدون خلال كل تلك العمليات في تفادي العاصفة تجنب المواجهة الخاسرة ولم تسفر تلك العمليات عن العثور على المقاتلين ولا على أسلحتهم، إلا في حوادث صغيرة لا تكاد تذكر.

ولكن السلبية كانت في أن المجاهدين وبحكم ضعفهم وعدم قدرتهم على العمل المركزي لم يفيدوا من الظرف الخاص الذي اضطرت إليه الدولة، بتصعيد العمل في أماكن أخرى أو مهاجمة الجيش والقوات المحاصرة ليلا وفي أماكن ضعفها، فقد كان اختفاؤهم شاملا مما ترك أثرا سلبيا على الناس في هذه الناحية ومع ذلك فقد كان هذا أسلم نتيجة من التصدي للجيش ومواجهته مواجهة شاملة. كما أفادت التجربة بسقوط الرهان حول الجيش الساقط الذي أقدم فيه شباب الأمة على حصار أهلهم وترويعهم وحتى نهب أموالهم في هذه العمليات بإمرة المحتلين. ويأتي ذلك من الجهل العام ومن فشل المجاهدين في تعبئة الناس إعلامياً على مستوى واسع يشمل أفراد الجيش في قضيتهم.

ورغم هذه العمليات والتشديدات الأمنية التي كان منها ترك بعض الدبابات والجنود على مداخل المدن ومفارق الطرق إلا أنها لم تؤثر على وتيرة عمل المجاهدين عاد بأشد مما كان بعيد انتهاء الحصار الشامل وكانت تجارب رائعة تستأهل الدراسة.

19- مشكلة الصدام المكشوف:

أثبتت معركة حماة الشهيرة بما لا يدع مجالا للشك القاعدة المعروفة في خسارة العصابات المحاصرة لمعركة المواجهة والدفاع المتمركز في منطقة محدودة تركت لمصيرها دون تدخل قوات مؤيدة من الخارج، أو تحريك قوي لمناطق أخرى تستدعي سحب الجهد عن المجاهدين في مكان آخر...ورغم أن المجاهدين في حماة دُفعوا لذلك اضطرارا ضمن مخطط ناجح للدولة في جرهم للصدام، إلا أنه يمثل بالنسبة لنا درسا نافعا جدا يستأهل الدراسة المفصلة. ومما نفيد منه ما أعطاه من مثل حي على فشل المواجهة الشاملة قبل أوانها لاسيما إن انحصرت في مدينة واحدة.

فعلى الرغم من أن (أبا بكر-عمر جواد) رحمه الله قائد المجاهدين أيامها وزع أكثر من ثمانية آلاف بندقية آلية روسية على الناس صبيحة الانفجار، وعلى الرغم من اشتراك ما يقرب من ألف مجاهد وعدة ألوف من المدنيين في المعركة دفاعا عن المدينة، وعلى الرغم من تواجد السلاح عموما بين أيدي المدنيين أصلا، هذا عدى ما قدمه المجاهدون، وعلى الرغم من تواجد الأسلحة المتوسطة والمقاومة للدروع والرشاشات الثقيلة لدى المجاهدين. لم تستطع المدينة أن تصمد، وافتقرت للذخيرة وذكر الناجون من المقاتلين أنهم افتقروا لأي سلاح يمكن به معالجة الدروع بعد أربعة أيام فقط من اندلاع المعركة! رغم أن التنظيم الذي قادها كان نوعا ما قويا فهو حصيلة أكثر من عشرة أعوام من التنظيم، وصاحب تجربة امتدت ثلاثة أعوام في مباشرة المعركة والاستعداد لها.. وهكذا قُصفت المدينة ودُمر نصفها واستشهد معظم المجاهدين واضطر من بقي من المدنيين حيا لإلقاء أسلحتهم قبل اكتشاف هويتهم واستسلموا طعمة للاعتقال، فاستبيحت المدينة وكانت المأساة.

ورغم أن خسائر العدو كانت فادحة أيضا، فإنه لا مجال للمقارنة والأمر واضح.

وما نريد قوله أنه على العصابات أن تعي أن حربها الطويلة هي حرب إنهاك وإزعاج أكثر منها حرب حسم عسكرية فعلى قادة الجهاد فهم حقيقة هذه الحرب ومطالعة تجارب الأمم ودراسة تجربتهم الخاصة لكي لا تعاد مثل هذه الأخطاء القاتلة والله الموفق.

المبحث الثاني: من مشاكل العمل السياسي والإعلامي المسلح.

الحرب الجهادية والثورية هي كغيرها من الحروب كما قيل بنت السياسة فهي قبل كل شئ طرح سياسي(ايديولوجي) الدوافع، أداته ووسيلته وطابع عمله هو العمل العسكري، ومهما كان العمل العسكري (الذي بدونه تفقد الثورة والحركة كل وزن لها وكل أمل في النجاح إلا برحمة الله.) مهما كان هذا العمل ناجحا فإنه إن لم يتم استثماره وفق رؤية سياسية واضحة، وما لم يتم منهجة حصاده عبر إعلام مدروس ومبرمج فإن تلك الدماء المسفوحة وكل تلك الطاقات المجاهدة تطيش في الرياح ولا نحصد منها إلا ألقاب المجد لشهدائنا ودموع ثواكلهم.

فيجب أن نؤكد وألا ننسى أن طبيعة المعركة سياسية أصلا ولا يقل الجهد السياسي المبذول أهمية عن الجهد العسكري وإنما يجب الانتباه كما سنبين ذلك لاحقا أن على القيادة المجاهدة المقاتلة أن تصنع قرارها السياسي وخطتها الإعلامية بنفسها وتنطلق بها من الخندق وإذا نظرنا في خريطة التجربة الماضية التي نجدها متطورة إلى حد ما على الصعيد العسكري والدروس المستفادة منه، إلا أنها مختلفة جدا على الصعيد السياسي فلم يكن هناك جهود سياسية بالمعنى الدقيق ولاسيما على مستوى أقطاب الجهاد الحقيقي (الطليعة) ويبدو أنه من المنهجية تناول التجربة بالتحليل في

قسمين لتباين طبيعة العمل السياسي في كل منهما. ونعني: تجربة الطليعة في العمل السياسي وتجربة الإخوان المسلمين فيه من الخارج.

أولا- من تجربة الطليعة في العمل السياسي:

لم تمارس الطليعة عملا سياسيا أو مجهوداً سياسياً بالمعنى الدقيق للكلمة. وقد انحصر نشاطها طيلة فترات عملها المختلف بالجهود العسكرية، ولهذا نجد أن معظم الجهود راحت هدراً تقريبا ولم يفد منها إلا العبرة ولم تحقق الطليعة ما تصبو إليه من أهداف -طبعا لمشاكل متعددة مر بيانها- ولكن لا شك في أن إحدى تلك المشاكل كان ضعف العمل السياسي بل نكاد نقول انعدامه.

وما يمكن أن نلاحظه في هذا المضمار:

1- الافتقار لقيادة ذات رؤية سياسية واسعة قادرة على التنظير السياسي على مستوى الطرح والفكرة في بلورة منهج عمل ومجموعة من الأهداف والشعارات تلف حولها الجماهير العريضة التي أيدتها بكل عطاء، وكذلك على مستوى التعامل مع معطيات الساحة والمؤثرين فيها من جماعات وكتل وأحزاب ودول مجاورة منطلقين من فهم شامل لمكانة سوريا وقضية الصراع عليها وطبيعة اللعبة على المستوى الإقليمي والعربي والدولي.

2- على المستوى الإعلامي وهو جانب مهم من العمل السياسي، كان الإعلام الداخلي ضعيفا في حين انعدم في المجال الخارجي ولم تمارس الطليعة في الخارج أي نوع من الأعمال الإعلامية الناجحة. وفي الداخل اقتصر الإعلام على مجموعة من البيانات ولم تصدر الطليعة كما ينبغي (إلا في وقت متأخر جدا فيما بعد) صحيفة أو مجلة خاصة بها وقد كان إعلامهم عبارة عن مجموعة من البيانات التي غالبا ما كانت مختصرة تطالب الجماهير (بالإضراب مثلا؟) أو أنها كانت بيانات إخبارية لتبين أو تنفي بعض العمليات، أما على المستوى التوجيهي والإعلامي السياسي فكان ضحلا جدا وقد قامت الطليعة ببعض البادرات الطيبة ولكنها كانت بسيطة ونعني بعض أشرطة الكاسيت التوجيهية. كما أهمل الإعلام العسكري ونقصد بعض العمليات ذات الطابع والفائدة الإعلامية، وعلى الرغم من ذلك فقد قامت طلقاتهم الصادقة بعملية إعلام فطرية غير منظمة في تأليف القلوب من حولهم وإعطائهم بعض المكاسب لتعويض خساراتهم بضعف الإعلام والعمل السياسي.

3- تورط الطليعة بمرحلة لاحقة في العلاقات مع أنظمة الجوار وقد بدأ ذلك من قبول المساعدات من العراق دون قيد أو شرط (بعض كميات السلاح) وتطورت في الخارج بدائرة واسعة من ذلك عندما بدأت كوادرها الباقية بالهجرة خارج الحدود وقد تلقت الطليعة عدة ضربات من جراء ركونها للعلاقات مع تلك الأنظمة دون مخطط مدروس يأخذ بعين الاعتبار عمليا أنها في النهاية أنظمة لا تصنف في قائمة القوى الصديقة إن لم تصنف معادية مرحليا على الأقل. ولقد ساهم الإخوان إلى حد بعيد في حصار الطليعة في العراق ومنع المدد عنها كما بينا ولاسيما أيام حماة ولم تستطع الدبلوماسية الطليعية كسر الطوق.

4- وقعت الطليعة ممثلة في قائدها عدنان عقلة في فخ الوفاق كما سبق بيانه ونجحت خطة الإخوان الدوليين في حصرهم وعزلهم عن الداخل وسحب البساط من تحت أرجلهم وقد كانت خسارتهم في الوفاق أوضح دليل على ضعف دبلوماسيتهم ومستوى قيادتهم السياسية. صحيح أن السبب الرئيسي في هذا كان طيبة القلب كما عبر (أبو

عمـار) فيمـا بعـد بقولـه: (نحـن قـوم إذا خـدعنا بـالله انخـدعنا، فـالمؤمن غـر كـريم والفـاجر خـب لئـيم وقـد سـلمنا قلوبنـا لإخواننـا) ولكـن لم يكـن هـذا بـالمبرر الكـافي فقـد لعبـت بسـاطتهم أمـا (مكيافيليـة) قيـادة الإخـوان في حينهـا علـى رأسـهم عدنان سعد الدين في حصارهم إعلاميا ولم يفارقهم حتى دمروا تقريبا.

5 – وأخـيرا جـاءت تجربـة الصـلح المأسـاوية الـتي أقـدم عليهـا نفـر ممـن تبقـى مـن الطليعـة بعـد دمـار الجـزء الهـام منهـا واعتقـال عـدنان عقلـة –فـرج الله عنـه– لتثبيـت مـدى الفشـل السياسـي في عمليـة الحـوار الـتي دارت بـين بعـض القيـاديين المتبقين والمخابرات السورية.

فمن ناحية أولى كانت محاولة الصلح فردية اتخذ القرار فيها جزء من القيادة دون الحصول على موافقة مجلس الشورى. ولم يمنح ذلك المجلس موافقته عليه فيما بعد وأدى هذا التشرذم وتباين وجهات النظر إلى انشقاق في الصف الذي لم يكن قد صحا من سكرة اعتقال الزعيم وخيرة عناصره. ومن ناحية أخرى وحتى على مستوى المقتنعين بالصلح والآملين فيه فقد سحبت الدولة البساط من تحت أرجلهم باستدراجها لبعض العناصر من قواعدهم فيما كان ممثّلوا المفاوضات يفاوضون في ألمانيا مما أضعف موقفهم جدا.

وهكذا تحولت عملية الصلح التي كانت أصلا منطلقة من موقف هزيل هو مفاوضة (بين منتصر ومهزوم لا يمكن لها أن تكون في ظروف مشرّفة)، تحولت لاستدراج، وتم حصار المفاوضين حتى سحبت كل الشروط والعروض وتحول الأمر إلى عملية استسلام مقابـل العفـو الفـردي عـن المستسـلمين. وكـان فشـلا سياسـيا تمثـل في الإقـدام عليـه وفي إدارة الحـوار، ولم يكـن هـذا إلا لضـحالة المستوى بل وانعدام وجود الأكفاء على عموم المستويات وهكذا تعطينا تجربة الطليعة العبرة وإن كانت قليلة الدروس عن أثر انعدام الوعي السياسي أو تخلفه في حصار منجزات العمل العسكري وإنهاء أثرها مهما كانت من الكبر.

ثانيا – من تجربة الإخوان في العمل السياسي:

كـان محـور عمـل الإخـوان في الخـارج كلـه سياسـيا تقريبـا علـى تخلفـه، ولم يحقـق الإخـوان بأنفسـهم أي إنجـاز عسـكري علـى صـعيد العمـل في الـداخل إلا إذا اعتبرنـا حصـولهم علـى بيعـة مـن تبقـى مـن المجاهـدين –ونعـني القيـادة الميدانيـة في حمـاة ودمشـق– وقيـادة الضـباط عمـلا عسـكريا لهـم. أمـا كـل المحـاولات القليلـة الـتي تمـت مـن الخـارج نحـو الـداخل لإقامـة رؤوس جسور عسكرية، أو تنفيذ بعض العمليات فقد كانت جميعها فاشلة على قتلها.

ولكـن حصـيلة الأمـر أنـه علـى الـرغم مـن أن عملهـم بشـكل عـام كـان عمـلا سياسـيا فقـد كـان متخلفـا غـير تـابع لخطـة متكاملـة ولا يشـرف عليـه مـن يتمتـع برؤيـا واسـعة لمعطيـات هـذه اللعبـة ولعـل أهـم مـا أفقـده وزنـه كعمـل سياسـي هـو عـدم استناده إلى عمل عسكري قوي طيلة المرحلة. ولو حاولنا تحليل التجربة السياسية بسرعة نلاحظ بعض الملامح:

1– الـدروس الثمينـة الـتي مـرت بـه وأثبتـت فشـله كثـيرا مـن الثـورات في العـالم. **ونعنـي فشـل إدارة الثـورة مـن قيـادة رئيسـية سياسـية تقيـم فـي دائـرة أمـان (فـي الخـارج تتخـذ القـرار) وتحـرك قيـادة فرعيـة ميدانيـة عسـكرية فـي الـداخل** وهـذا مـا كـان في الفـترة الـتي تم بهـا التنسـيق بـين القيـادة الميدانيـة في الـداخل والقيـادة في الخـارج فيمـا سمـي بالحسـم، (سـيأتي تفصـيل هـذا) فلـم تسـتطع القيـادة السياسـية تجسـيد أهـداف المجاهـدين وتحقيـق آمـالهم وكانـت أعمالهـا في معـزل عـن ذلـك ولخدمة أغراض لا تهم الجهاد والثورة كأهداف منشودة أصلا.

2- افتقار الإخوان إلى قيادة سياسية ناجحة (كما كان حال الطليعة أيضا)، تفهم معطيات هذه اللعبة الخطيرة والمصيرية حيث كانت جل أعمالهم السياسية ذات طابع تكتيكي أديرت من قبل الشيوخ بلا مبالاة عجيبة ولم تكن مناورتهم السياسية استراتيجية اللهم إلا في حصار الطليعة.

3- التوسع في العلاقات مع أنظمة الجوار وغيرها بشكل منفتح وغير مدروس جعله ورقة لعب. ولم تكن هذه العلاقات توجه بطريقة تعطي الثورة زخمها وتفرض هويتها بل على العكس ولاسيما في العلاقات مع العراق ثم الأردن.

ولم يفد الإخوان شيئا على صعيد المنجزات من هذه العلاقات إلا الإيواء السلبي في حين حققت تلك الأنظمة ولاسيما العراق كثيرا من الإنجازات ونجح الجميع وهم المهتمون في هذه الظاهرة الخطرة في تدجين هذه الحركة الثورية وحصار أصحابها وشراء الكثير من موجهيها بصورة مباشرة أو تبريدهم في حر الخليج والسعودية.

4- التورط في تحالف وطني فاشل وخاسر، وبصرف النظر عن رأينا بعدم الجواز الشرعي لما أقدم عليه الإخوان، وفشلهم في تقديم دليل وفتوى تدعم موقفهم طيلة خمس سنوات، فقد أثبتت الأيام والأحداث أنه حتى على الصعيد السياسي فقد كان خاسرا تماما إذ أفاد الحلفاء والذين كانوا مجموعة أصفار سياسية من بعض الشخصيات والأحزاب البائدة والمنبوذة ولاسيما البعثيين اليمينيين، أفادوا من الحلف وعادوا للصدارة كمعارضة وطنية تغذت بدماء إخواننا، في حين لم يكسب الإخوان الذين افترض فيهم أن يكونوا الكتلة الرئيسية في الحلف والوزن المهم فيه، لم يكسبوا إلا إيوائهم بالإضافة لبعض الفُتات من الدعم بالمال والسلاح في العراق مع كامل التحكم بهم وبقواتهم القليلة المتبقية. وهكذا خسر الإخوان عنصرين استراتيجيين رئيسيين كان من الواضح جدا أنهم سيخسرونهما في حلف كهذا وهما:

أ - الهوية الإسلامية للثورة ورايتها، فقد غدت الشعارات والطروح والأهداف قريبة من العلمانية مليئة بشعارات القومية العربية والقومية والحرية السياسية...الخ.

وصدرت معظم منشورات التحالف كأنها من منشورات البعث، اللهم إلا ذكر أن دين الدولة هو الإسلام، كما تنص على ذلك كل الدساتير الكافرة في الحكومات المرتدة ولكن بوصفها تراثا ... فياللفخار.

ب - القادة البشرية من الإخوة الذين غادروا الساحة حنقا على هذا الحلف فضلا عن سوء الإدارة وهكذا تاجرت القيادة بذكاء، فربحت صديقا مزعوما وخسرت ولدا بارا ...فياللحصافة ! وهكذا كان الحلف دليلا كبيرا على قصر النظر السياسي والدكتاتورية التي سيطرت على العمل حيث فرض نفر قلائل يعدون على أصابع طرف واحد، فرضوا رأيهم على جماعة كبيرة وورطوها بهذا العمل.

5- على صعيد الإعلام (على عكس الطليعة)، فقد عزل الإخوان عن الساحة الداخلية حتى على صعيد الإعلام ولم يكن لهم أي إعلام داخلي ولم تصل مجلة النذير التي أصدروها بعيد الأعداد الأولى التي تولت الطليعة توزيعها أيام اختلاط الأوراق، لم تصل للداخل. ونستطيع القول أنه باستثناء الإذاعة الموجهة من العراق والتي فقدت هويتها الإسلامية لم يكن للإخوان أي إعلام ذي بال.

أما على صعيد الإعلام الخارجي فقد نجح الإخوان إلى حد كبير في التعريف بأن هناك ثورة إسلامية في سوريا وساعدهم امتداد إخوانهم في التنظيم الدولي على هذا الأمر وتكلمت عشرات المجلات الإسلامية عن الثورة وأجرى قادة الإخوان الكثير من المقابلات الصحفية والإذاعية مع مجلات دولية وتمت لهم اتصالات بالتجمعات والهيئات الحزبية

الدولية وبمنظمات حقوق الإنسان ونستطيع القول أنهم حققوا إنتاجا في مجال الإعلام لا بأس به، ولكن وللأسف لم يعط ذلك العمل أكله بسبب انعدام الوزن العسكري الذي يدعمهم في الداخل فكان باهتا لا قيمة له. وقد أفاد الإخوان من هذا العمل وجمعوا الملايين من الدولارات من التبرعات، ولكن النهاية الفاجعة ومأساة حماة والتورط الهائل في الكذب والتهويل الذي ختم به الإعلام الإخواني جهوده أضاع الثمرة وسود صفحته وجعله محل استهزاء واتهام وأفشل ما كان قد أُنتج.

وهكذا لا نجد في التجربة السياسية للثورة الإسلامية في سوريا تنوعا وثراء كالذي وجدناه في الجانب العسكري، في حين نجد بعض الدروس العميقة والطيبة في أعمال سياسية فاشلة للفائدة والعبرة. ويمكن إجمال أن نستفيد من تلك المرحلة من العمل السياسي الثوري لفت النظر إلى عدة نقاط هامة فيه حيث يجب أن يأخذ أي عمل جهادي ثوري مسلح مثل هذه الأمور في حسبانه حتى يفيد من تضحياته ويرفع مردودها إلى أعلى المستويات:

• على صعيد الإعلام الداخلي يجب اتباع خطة يتزاوج فيها الإعلام السياسي (إذاعة موجهة –مجلة دورية– كاسيت– فيديو– بيانات...) والذي يجب عليه أن يأخذ منحى توجيهيا لتثبيت بعض الأفكار في رؤوس الجماهير وتجسيد بعض الأهداف والشعارات والدوران حولها. هذا بالإضافة إلى النشاط الإخباري والتوجيهي وما يستلزمه الحال...هذا الإعلام السياسي يجب أن يتزاوج مع الإعلام العسكري وأن يرفد كل منهما الآخر ويغذيه، فالإعلام العسكري هو مجموعة الأعمال العسكرية التي يتوخى منها هدف إعلامي مثل بعض الخطابات الجماهيرية المحروسة بالقوة إن تيسرت الظروف، عمليات اغتيال لبعض المجرمين والعملاء وإجرائها بشكل استعراضي، مهاجمة دوريات عسكرية في مناطق شعبية تهمنا جماهيرها...كل هذا لتثبيت فكرة طول ذراع الثورة العسكرية وقدرتها على مجابهة النظام وإرداء عملائه.

وهكذا وبتزاوج الإعلام السياسي والعسكري الداخلي يحصل بإذن الله المردود الطيب في أوساط الجماهير.

• وفي الإعلام الخارجي: يجب ممارسة خطة إعلامية مدروسة تتناسب مع الإعلام الداخلي وتكمله، فإنه وإن كانت الساحة الداخلية أهم وأجدر بالجهد فإن الساحة الخارجية تعد رافدا ممتازا للثورة في حال نجاح الإعلام والجهد السياسي فيها. حيث نُكتل القوى الإسلامية في الأقطار الأخرى حول الثورة فنفيد منهم في جهود كثيرة، في الصعيد المادي (تأمين تبرعات، التحاق متطوعين...) وفي الصعيد المعنوي (جهود إعلامية) انتشار الفكرة الجهادية في صفوف الإسلاميين...وهنا يجب الاهتمام بالتجمعات والكتل الإسلامية والإفادة من إعلامها الواسع (مجلات، ندوات، محاضرات، نداءات إغاثة، إدانة النظام عالمياً) وعلى الصعيد العالمي غير الإسلامي، يمكن ممارسة الإعلام المتصلبالصحف ووكالات الأنباء وإجراء مقابلات مع الصحف العالمية، ولفت النظر للقضية الجهادية الثورية، وتعرية النظام ويجب هنا مخاطبة كل عقلية بما يناسبها . وهكذا نستطيع إن يسر الله الحصول على رأي عالمي مؤيد للقضية ولا يخفى ما يمكن جنيه من فائدة من وراء الاتصال بهيئات حقوق الإنسان وما شابهها لجني التأييد وإدانة النظام ومحاصرته سياسيا لإشعاره بالعزلة.

• مواجهة الإعلام المعادي وحربه النفسية: من جانبه لن يقف النظام مكتوف الأيدي إزاء هذه الحركة الجهادية الثورية، بل سيعمل إلى مواجهتها بحرب إعلامية عسكرية ونفسية مركزية مبرمجة، ولاسيما تلك الموجهة للرأي العام

الداخلي حيث يصف المجاهدون بأنهم عصابة مفسدة منشقة على الأمة إرهابية إجرامية وسيتبع ذلك بسيل من الإشاعات وممارسة الحرب النفسية. وهنا يساعد المجاهدين كثيرا سوء سمعة النظام واتصاف إعلامه بالكذب، وهذا يجعل مقاومة هذا الإعلام وحربه النفسية سهلة ولكنه يحتاج إلى جهود في نفس الوقت، ويجب أن يبني المجاهدون مخطط المقاومة هذا حسب الظروف وما يقتضيه وطبيعة النظام وهجمته الإعلامية.

• مشكلة تبني عملياتنا وسرقة جهودنا: ولقد تعرضت الطليعة لهذه المحنة التي شكلت مصدر تعب نفسي للمجاهدين ومصدر ضياع لجهودهم في نفس الوقت. **وذلك حين عمدت قيادة الإخوان المسلمين وجهاز إعلامهم النشط إلى تبني عمل المجاهدين ونسبه إليهم وجمع التبرعات باسمه وبناء صرح من المجد المزيف بفضل دماء الشهداء**...ومن بعد عمدت الأحزاب العلمانية المارقة عبر إذاعته الموجهة من العراق على العزف على نفس الوتر فكانت تسمي المجاهدين معارضة وطنية لإقحام نفسها كمعارضة وطنية في هذا المجد، ومن ثم بدأت تزعم أن عناصرها أيضا يشاركون في العمل بعد أن أتاح لهم الإخوان بفضل التحالف استخدام اسم (جيش تحرير سوريا).

إن هذه المشكلة على ما يبدو من بساطتها جديرة بالاهتمام، والتصدي لها لن يكون ممكنا إلا بحملة إعلامية واسعة ولاسيما في صفوف الإسلاميين في الخارج مع الإنذار والتهديد والتصدي حسب ما يقتضيه ويسمح به الظرف لهذا العمل الجبان الذي يقوم به الآخرون على اختلاف مشاربهم. وفي الداخل يجب اعتماد مثل هذا الأمر ويجب برمجة أعمال تبني العمليات بشكل يقطع الطريق على سراق الثورات وتجار الدماء الشهيدة.

وفي الختام نقول إن أي جهد لا يكون مبرمجا فإنه ذاهب سدى لا محالة إلا أن يشاء الله، والإعلام مثله مثل العمل السياسي أو العسكري أو التنظيمي إلا أن يشاء الله، والإعلام مثله مثل العمل السياسي أو العسكري أو التنظيمي يجب أن يقوم على استراتيجية شاملة في التخطيط تماشي الخطة العامة وتدعمها وتكون لها رديفا متمما عبر مجموعة من التكتيكات المقصودة لا العشوائية وأول ما يجب الانتباه إليه هو عملية تصنيف الشرائح التي نتوجه إليها بالإعلام ومعاملتها حسب ما تقتضيه كل حالة بحكمة فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم" الأمر الثاني هو الصدق، ويجب أن نحشد صدقنا الإعلامي في وجه أكاذيب النظام وزيفه ويجب أن نتوصل إلى حال يكون إعلامنا مصدر ثقة عند العدو والصديق لما يرون من صدقنا فيه فلا يجب التهويل في خسائر العدو ولا التقليل في خسائرنا وقصارى ما يمكن عمله هو السكوت عن أعمال وأشياء لا نريد التعليق عليها وترك التفسير للجماهير وإشاعاته الصديقة غالبا أما الكذب والتهويل فإنه وإن جاء ببعض الكسب المؤقت فإن نهايته أن نوصف بالدجل وأن نتساوى في هذا مع إعلام النظام –كما حصل لإعلام الإخوان إبان حماة– وكفى بها من عبرة.

• – على صعيد العمل السياسي: يجب الانتباه أولا إلى أننا جماعة أصولية من المسلمين نستند في عملنا كله إلى شرع الله الحق ونهدف من وراء ذلك إرضاءه سبحانه وتعالى وإقامة حكمه في الأرض وعليه فإن كل شاردة وواردة من عملنا يجب أن تنطبع بهذا الطابع ويجب أن يقوم العمل على سياسية شرعية محققة وفق ما يقتضيه الشارع ووفق آراء العلماء المسلمين الثقات وفتواهم.

ولهذا يجب بادئ ذي بدء طرح مجموعة من الأسئلة الهامة في فقه الجهاد المعاصر لإشكالات معاصرة، وقد مر معنا خلال التربة السالفة كثير من هذه المواقف، وكل هذا يجب نشره بين المجاهدين والجماهير حتى تطمئن القلوب وتستريح إلى العمل.

ومن ثم يجب أن تكون خطواتنا العسكرية متماشية مع مخططنا الاستراتيجي السياسي والعكس بالعكس، وبهذا نتجنب المطبات الصعبة كاندفاعات الجماهير التي لا يسيطر عليها نتيجة التصعيد العسكري مثلا- وقد حصل هذا مع الطليعة- وغيرها من الظروف السياسية التي تولد دون إمكانية السيطرة عليها أو توقعها مسبقا.

كما يجب الاهتمام بالطروح القائمة في الساحة والتي تدعي التصدي للنظام من تيارات علمانية ويصف إسلامية وتوجهات شوهاء والتصدي لها والكشف عن أمرها وتعريتها. يجب هذا وإن كان يبدو للبعض تبديدا للجهد وفتح جبهات جانبية، إلا أن الواقع قد أثبت أن تداخل الطروحات ولاسيما الإسلامية منها يوجب على المجاهدين الحقيقيين شرح وجهة نظرهم في كل ما يطرح على الساحة والتدخل فيه وإن كان هذا سيفتح عليهم باب الصراع بين حقهم وباطل الآخرين. ولكن تكاليف هذا تبقى أقل من ترك الأمور مائعة يستعصي فهمها على الجماهير.

ولا على المجاهدين من ذلك فإن وجودهم على الساحة وطرحهم الصافي كفيل بدحر كل تلك الاعوجاجات إن شاء الله. ويكفي أن موقفهم في آرائهم تلك والذي يجب أن ينطلق من رأي الحق والشرع يجب أن يكون معلنا ليتميزوا عن كل تلك السبل المداهنة المدجلة، وهكذا نوجز القول: أن على القيادة الجهادية الثورية أن تتمتع بالحصافة والحكمة في تقدير الأمور والتوكل على الله أولا وأخيرا وأن تسلك الصراحة والصدق في طرحها مقرونا إلى العمل الجاد وسيكون النصر حليفها بإذن الله.

المبحث الثالث: من مشاكل الصف الداخلي في التنظيم الجهادي المسلح:

مهما تراكمت المشاكل والصعاب في درب هو الصعوبة ذاتها فإنها تبقى صعوبات يمكن حلها في ظل وجود صف متماسك متين من النوع الإسلامي الجهادي الثوري الحق. فالصف الداخلي(القيادة والأفراد) هو رأسمال العمل وممثل الفكرة في أرض الواقع. وبناءً على تركيبه وقربه من الخطأ أو الصواب يتوقف سير العمل كله.

وإن مما يزيد الأمر تعقيدا أنه حتى يكون الأخ الملتزم مجاهدا وثوريا يجب أن يتحلى فوق التزامه وإسلاميته بشيء من المميزات الشخصية التي تتوفر فيه ولا تتوفر في غيره من الملتزمين حتى تؤهله لاتخاذ قراره الشخصي الهام بالانضمام إلى صفوف المجاهدين الثوريين ليسلك درب الصعاب والأهوال والفداء . ورغم ما يلعب الالتزام وفهم الإسلام الصحيح من دور في قرار المرء للانضمام إلى مثل هذا العمل فإنه يبقى للتركيبة النفسية للفرد دور في اتخاذ مثل هذا القرار ويبقى بحاجة لدم ثوري متأجج.

ولقد تحدثت بعض الكتابات عن المواصفات النفسية للشخصية الثورية عموما وأثبتت التجربة الواقعية من الجهاد والعمل الثوري أن جانبا كبيرا من هذه المواصفات توجد في شخصية الثائر المسلم إلا أن ما يهذبها ويدفعها في طريقها الإيجابي هو الالتزام بالإسلام والشرع والأخلاقية الإسلامية...

فهذه النفسية الثورية التي أهلت صاحبها لأن يكون مجاهدا ثوريا رافضا للواقع حاملا للسلاح، لا تخلو من زوايا سلبية في قرارة نفسه البشرية، زوايا إن لم يحسن تهذيبها وضبطها يمكن أن تحدث الإشكالات بل الكوارث، فالرجل

الثوري بطبعه غالبا ما يكون مثاليا في رؤيته للأمور، عنيدا في التمسك بآرائه ومبادئه، قصير النفس في معالجة المشاكل ميالا للتطرف، ميالا لحل الأمور جذريا وبالعنف، فدائيا مستعدا للتضحية وعاطفيا متسرعا، سريع التأثر...الخ. وهنا يأتي دور التعبئة النفسية والتربية المعنوية والتوجيه السلوكي في تحجيم سلبيات هذه النفسية الخاصة وتثمير إيجابياتها. وليس أفضل من الإسلام لمثل هذه المهمة لوضع الأطر الصحيحة للعلاقات وطريقة التعامل بقالب ينزل الجميع على حكمة راضين مسلمين تسليما...

ولقد أفادتنا تجربتنا السابقة وزودتنا بكثير من الدروس والتصورات حول مشاكل الصف الداخلي التي ظهرت خلال الفترة الماضية على تنوعها وثرائها ويجدر بنا أن نلفت النظر إليها لنفيد منها ونأخذ العبرة.

1 – مشكلة القيادة والشورى:

كانت مشكلة القيادة في الحركة الجهادية الثورية المسلحة التي نشبت في سوريا إحدى أكبر مشاكل ذلك الخط، ولعلها كانت في وقت من الأوقات وراء الفشل الذريع الذي أصاب العمل الجهادي، ولعل أفضل القيادات التي مرت في تاريخ تلك الحركة تلك التي لم تعمر طويلا واصطفاها القدر في خضم الأحداث ونعني قيادة الجهاد الأوائل.

فإذا نظرنا في تجربة الطليعة نجد أنها أنجبت عددا من الكوادر القيادية الميدانية الشابة التي استطاعت رغم قصر فترة مشاركتها في الأحداث أن تضرب مثلا رائعا في الإخلاص والفدائية والتفاني وقيادة الطلائع انطلاقا من ضرب المثل أمامهم في معايشتهم اليومية في ميادين المعارك، ولقد كان لهذا وقع السحر على نفسية المجاهدين الشباب وإقدامهم لما يرون من المثل الحي، ولقد عبر النقيب الشهيد إبراهيم اليوسف رحمه الله عن هذا بقول موجز يمثل لسان حال المقاتل الشاب في المعركة:"إن كنت إمامي فكن أمامي" .

ولكن للأسف لم تسمح طبيعة سير الأحداث بالشكل الذي مرت به بتبلور قيادة متينة مجربة تتحلى بالحكمة والسياسية والكياسة، إلى جانب ما تحلت به من الإقدام والتضحية، فقد اختارها القدر ولم يقدر للحركة أن تنعم بأولئك القواد الذين كان بالإمكان أن تصقل التجربة مواهبهم وأن يتخرجوا من الميدان أبطالا فدائيين يجمعون الفدائية والثبات إلى التجربة والخبرة...وقدر الله وما شاء فعل.

فإذا نظرنا إلى تجربة العمل الجهادي بعيد هجرته وراء الحدود نجد نموذجين من القيادات التي ظهرت في تلك المرحلة: ففي الطليعة كان عدنان عقلة (فرج الله عنه) مثالا للقائد المقدام المضحي المتفاني، والثوري الأصولي الثابت على مبادئه ودربه كالجبل. وقد تمتع الرجل بمزايا شهد له بها العدو قبل الصديق وكان صاحب تاريخ جهادي عريق، وأسبقية في الدعوة إلى جانب خصال شخصية حميدة كتلك التي تجدر بقائد مثله، إلا أنه وللأسف لم يجمع إلى ذلك حكمة القائد وتعقل الحكيم. ولكم كان بحاجة لمثل هذه الحكمة والسياسة. ولقد أنصفه يوما أحد المنصفين من قيادة الإخوان المسلمين وهم قلائل في مثل موضوع كهذا قائلا: إني لا أشك بإخلاص عدنان عقلة كقائد ولا أشك بشجاعته في ذلك الإخلاص ولا أشك بافتقاره إلى الحكمة ليفيد من هذا الإخلاص وتلك الشجاعة.

وربما نلتمس للرجل عذرا بأنه كان وحيدا في ساحة قيادته، فقد ذهبت المعركة بمعظم شباب الطليعة الكوادر ولم يبق حوله في الخارج إلا لفيف من الشباب الذين يميزهم الإخلاص والاندفاع فقط، مضافا إليهم بعض الشباب الثوري المفتقر للنضج والذي أصبح في فترة من الفترات عبئا على عدنان وطليعته. ولقد اضطر عدنان فيما بعد إلى تشكيل

قيادة ومجلس شورى وكان بينهم من لا يجدر بهم أن يكونوا أكثر من عناصر عاديين في سلك الحركة، لكنه دفع إلى إشراكهم في قيادته للحاجة ولقد صنعت المسؤولية من بعضهم كوادر مسؤولة ولم يكن ذلك كافيا، واضطر عدنان لإدارة الطليعة بأسلوب فردي كامل وكانت كل الأمور من عظيمها إلى حقيرها تتم برأيه ومشورته ولقد سلّمت معظم الطليعة لعدنان وكان هذا إيجابية حملت الكثير من السلبيات فلم يكن عدنان يتمتع بحكمة القائد ولقد كان منهكا باستمرار لتراكم الهموم والمسؤوليات على رأسه ولمعاناته المستمرة من مشاكل الإخوان والأنظمة المجاورة ووضعه الداخلي وهموم بعده عن الساحة وهكذا أنهك الرجل واتسمت إدارته بالتطرف والعاطفية المفرطة والتشدد حتى في أمور عادية، وفقد القدرة على الديبلوماسية، ولم يستطع أن يخرج من القيد الإعلامي الذي كبله به الإخوان المسلمون، فحاصروه على صعيد الإسلاميين وعلى صعيد الأنظمة المجاورة فزاد هذا من مشاكله وحطمه في النهاية إذ ارتمى دون وعي وبدافع من رغبته المميتة في العودة إلى الداخل في الفخ الذي نصب له مستغلا هذا الجموح وراح ضحية ذلك. وهكذا أثبتت الأحداث فشله في ميدان السياسة والإدارة قياسا إلى ما حققه من نجاح على مستوى الثبات والفدائية والإقدام في العمل العسكري. ولقد أدى تمحور الطليعة حول شخصه إلى دمارها بدماره وسقطت شراذم بعد أن أسقط. وكانت هذه إحدى سيئات القيادة الفردية التي يجب الاعتراف أن أبا عمار دفع إليها دفعا.

وفي الطرف الآخر ونقصد قيادة الإخوان المسلمين نجد أنهم قد حملوا معهم إلى الخارج بعيد فرارهم نفس هيكلهم السابق ونفس قيمهم وتنظيمهم الداخلي، وأعيد تشكيل تلك القيادة التي دخلت لتعيش حالة حرب شاملة وصعبة حسب نفس الاعتبارات المشيخية السالفة أيام الدعوة والعمل المسجدي، حيث كان قصار ما يحتاجه القائد أن يكون شيخا خطيبا بهي الطلعة.

وهكذا فشلت القيادة المشكلة على الصعيدين معا، فعلى الصعيد السياسي والتنظيمي والإعلامي، لم تستطع القيادة أن تفرز كادرا قياديا يتمتع بسعة الرؤيا في هذا الخضم المتلاطم.

وعلى الصعيد العسكري كان فشلها ذريعاً إذ لم تستطع أن تضرب المثل في الإقدام والتضحية والثبات. لا بنفسها ولا بذويها كأبناء القيادة الذين وضعوا في الصف الأخير ودفع بهم لحياتهم الخاصة من دراسة وزواج...في حين كان آباؤهم يخططون لمئات الشباب ليزجوا بهم في المعركة حيث يحبسونهم رهن الرباط في عمان وبغداد ولقد عذا هذا فيما بعد سوءة لا ستر لها، وكان كل الشباب يتحدثون بهذا مستنكرين، وفضلا عن ذلك أدى خوف القيادة من الإقدام في المعركة لا إلى إحجامها فقط وإنما للإمساك بزمام المقدمين من (الكوادر) العسكرية الشابة التي صارت تحت قيادتها، ولم تكن على مستوى قرار مسؤول بإطلاق أيدي هؤلاء الشباب في عمل عسكري فدائي جاد. ربما كان ذلك لعدم الثقة بهم، وربما لعدم قناعتهم بالمعركة أصلا. المهم أنها فشلت في إعطاء المثل وكبلت كل إمكانية لبروز مثل هؤلاء القادة. ولقد برزت في صفوف الإخوان كوادر قيادية شابة كان لمعظمهم شرف المشاركة في الحقبة الماضية، ومن ثم نالوا تدريبا لا بأس به أهّلهم للعمل ولكنها كانت خاضعة باستمرار لذلك التحكم الذي كبلها بالأغلال وأفقدها فاعليتها. انطلاقا من التزامها بالطاعة والثقة بالقيادة ..وفي هذه الظروف ظهر في الأخوان نماذج قيادية مختلفة فكان فيها الشيخ الذي يجمع حوله الشباب بطيبته وسلامة طويته وتجربته الدعوية الطويلة، وكان فيها السياسي الذي غدت اللعبة السياسية ورقته المفضلة مع الأنظمة...وشيئا فشيئا تركزت محاور القوى في هذين التيارين، ومرت مرحلة سيطرت فيها

النوعية الثانية فبرز ما سمي بمحور عدنان سعد الدين الذي كان رجلا داهية أمسك بزمام اللعبة بين يديه وراح يديرها على مزاجه وكان وراء كل ما حصل تقريبا في مرحلة الوفاق وحماة بالتعاون مع الشخصيات التقليدية. وعلى الرغم من دفع حسن هويدي إلى منصب القيادة الأول فقد كان ضعيفا واستمرت الأمور تجري حسب مشيئة محاور القوى وكان ذلك الوضع الذي تأزم وأفرز المشاكل والكوارث ثم دفع الجماعة للتفسخ فالانشقاق عام 1986. وهكذا نجد أن القيادات تراوحت بين ثلاث صنوف: رجل عسكري مقدام لم يُعِر السياسة والحكمة قسطها اللازم، وشيخ طيب لم تستطع الحرب الضروس أن تدفع الدم في عروقه، وسياسي داهية استغل كل من هؤلاء وهؤلاء لتنفيذ مآربه وتوسد القيادة... وفي خضم تلك الظروف ماتت الكثير من (الطاقات) التي كان بالإمكان أن يدفع بها عبر التوجيه الحسن والتجربة الثرية لتكون (كوادر) قيادية لمعركة المستقبل، ولكن قدر الله وما شاء فعل، وهكذا علمتنا التجربة مدى الحاجة لقيادة تتصف بحكمة حكيم وشجاعة مقدام لتخطط بروية وتعقل وتنظم بأناة وبصيرة، ثم تقدم على بركة الله أمام جندها ضاربة المثل والقدوة الحسنة، وعلمتنا أنه بدون قيادة من هذا المستوى سيظل العمل مترنحا بين مقدام متسرع ومتريث بصير جبان، ولن يكتب للحركة نصر إلا أن يشاء الله أن يهبها المعجزة. أما مشكلة الشورى وهي مشكلة تابعة أيضا للقيادة وتمس الطبقة الأولى بعد القائد العام والتي يجب ان تكون رديف القائد في كل حركة وسكنة لتعطيه الرأي السديد ولتكون له عونا على اتخاذه، ثم لتشارك بكل كفاءة ومسؤولية في اتخاذ القرار وصناعته وتنفيذه، ولتكون إلى جانب القائد قدوة أمام المجاهدين في الإقدام والتضحية فماذا كان في تجربتنا ؟.

معروف في السياسة الإسلامية الشرعية أن لعلماء المسلمين آراء متعددة في موضوع الشورى نجملها في نقاط رئيسية:

1 – أنها مستحبة للأمير غير متوجبة عليه أصلا وهي كذلك في الإلزام غير ملزمة له يستأنس بها فإن ارتاح أخذ بها وإلا أنفذ رأيه، ويبدو أنه على هذا أغلب جمهور علماء السلف وقد نقل ابن تيمية مثل هذا رغم تنبيههم على أهمية الشورى وأنها دأب الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده وخيار الخلفاء وحكام المسلمين.

2 – أنها واجبة على الأمير ولكنها غير ملزمة له في النهاية أي يجب عليه أن يستشير أصحابه ولكنه يقرر بنفسه ما وجد فيه الحكمة والمصلحة ولو خالف رأي أكثرية الشورى أو إجماعهم وقد ذهب بعضهم كابن عطية إلى أن الأمير الذي لا يستشير إطلاقا يعزل عن الولاية.

3 – ذهب بعض المتأخرين من رجال الفكر الإسلامي إلى أنها لازمة على الأمير واجبة وكذلك هي ملزمة له أي أن على الأمير أن يلتزم رأي الأغلبية ويأخذ به ويستشهدون ببعض الأدلة التي يفسرونها بطريقتهم وهذا الرأي رغم شيوعه في الحركات الإسلامية عدوى فكرية دخلت على الفكر الإسلامي في مطلع هذا القرن عن طريق بعض المستشرقين ونتيجة التأثر بالنهج الديمقراطي الذي يعتمد التصويت ورأي الأكثرية. ويسود هذا المذهب الذي يثبت الدليل الشرعي عكسه اليوم معظم الحركات الإسلامية ولاسيما السياسية منها.

ولكن الذي حصل في تجربتنا السالفة أنه في الطليعة وتحت قيادة أبي عمار سارت الأمور بحيث تحكم أبو عمار في القرار بشكل فردي تقريبا ورغم أنه مارس الشورى إلا أنه أنفذ باستمرار ما كان يراه بصورة كادت أن تفقد الشورى أهميتها وأصبح الكل لا يرى تقريبا إلا ما يراه الأمير وكان حسب رأيهم تطبيقا لمبدأ الشورى المعلمة.

وفي الإخوان المسلمين ميعت الأمور حتى غدا الأمير مجرد عداد أصوات في القيادة لا رأي له ولا حزم. ولعبت مراكز القوى والتحزبات في القيادة وداخل مجلس الشورى دورا سلبيا أفقد الشورى هدفها وماهيتها وأصبحت الأمور لعبة أكثر منها جدا، في أمور تتعلق بها دماء المسلمين ومصير دينهم...وكان على المراقب العام باستمرار أن يعد الأيادي المرفوعة لتقرير ما أسفرت عنه تلك المصارعات، وكان رأيهم أن هذا تطبيقا للشورى الملزمة. وهكذا ضاع في المرحلة السابقة أحد أهم مبادئ صنع القرار في السياسة الشرعية الإسلامية ونعني الشورى، وميع ولم يتقن ولم تعرف له حدود، وضاعت بالتالي إمكانية الإفادة من الديناميكية التي تحلى بها الدين الإسلامي، وكانت إحدى أكبر المشاكل (القيادة، والشورى).

2 – مشكلة حدود الصلاحيات وتداخل المسؤوليات:

كان من أهم أمراض القيادة في المرحلة الماضية وعبر مختلف المراحل وفي كل الجماعات ولا سيما في جماعة الإخوان المسلمين(التي كان بناؤها الإداري ضخما متعدد الأجهزة) مشكلة حدود الصلاحيات وتداخل المسؤوليات فنظرا لأن الوسط الأخوي يسمح بالمراعاة في كثير من الأمور، تطور الأمر ليكون علة من العلل المزمنة في تلك الأجهزة، فكثيرا ما كان مسؤول يتدخل في صلاحيات مسؤول آخر، فيفتي ويقضي فيما ليس من شأنه، وتُشكل المسألة ويقع الحرج أمام القاعدة التي كانت تحار إلى أين تتجه بمشاكلها، ولقد سيطر هذا في جليل الأمور وحقيرها حتى المتعلق منها بأمر الداخل، وكان طبيعيا أن ترى عضوا قياديا على مستوى مراقب عام أو عضو مكتب تنفيذي يتدخل في شأن حقير على مستوى صرف معونة لأخ أو توزيع بطانيات الشتاء عن بعض العوائل، وأن ترى مسؤول مركز حلب يفتي في مشكلة أخ من مركز إدلب، وهكذا شكلت هذه الظاهرة مشكلة صعُبت على الحل وعقدت لأجلها الاجتماعات الطويلة التي استطاعت حلها جزئياً ولكن لم يقض عليها تماما إلا بتقنيات أوصلت العمل إلى شكل مؤسسات البنوك وبقيت كثير من الأمور بحكم سيطرة بعض الشخصيات وفعل مراكز القوى تخرق المعتاد بين حين وحين بتجاوز مسؤولية أو صلاحية بدون حق، ولقد فاقم الأزمة أن الجماعة بالخارج عاشت حالة سلمية مدنية وإن كانت تدعي بالاستمرار أنها في حالة حرب. ومعروف من تجربتنا أن حالة الحرب في الداخل لم تحمل الكثير في هذه الإشكالات التي تفسخت في الخارج كأمراض مستعصية وكانت بسبب حالة اللاسلم واللاحرب التي عاشتها الجماعة.

3 – مشكلة الرسوبيات الحزبية والعقيدية القديمة عند المجاهدين المتنوعي المشارب:

في ظروف الثورة والعمل المسلح يلحق بهذا الدرب لفيف مختلط من المخلصين، ومن الطبيعي أن الكثير منهم ينتمي لمدارس إسلامية دعوية أو مشيخية مختلفة، وفي ظروف المحنة العصيبة والحرب، توحد المصاعب والأخطار ووحدة الهدف بين هذا المزيج الذي آمن كل أفراده بحمل السلاح، ولكن فتور المعركة ولو لبرهة أو تعرض العمل لمفترق طريق خطير يحمل طابعا مبدئيا يفجر تلك الاختلافات المتأصلة بين العساكر وتدفع كل واحد للعودة إلى جذوره السابقة لينهل منها حلا أو تصورا بخصوص مشكلة واقعة. وبوجود تلك العقلية المتزمتة وتلك النفسية الثورية العنيدة تصل بعض المشاكل إلى اختناقات خطيرة ولاسيما في ظرف عصيب، ويظهر الشرخ واسعا والتباين خطيرا ليضع الثوار على حافة الانشقاق أو ذر الرماد على ضغائن متأججة.. هذا التباين الذي قد لا يكون له خطره إن كانت المشكلة في الحجم

العادي قد تضع الفرقاء على حافة شرخ وانشقاق خطير إن كان الأمر مهما...ولقد كانت هذه المشكلة باستمرار مدار خلافات صغيرة لم تصل إلى الانشقاق ولكنها ولدت الكثير من المتاعب. ولا شك أن حرارة المعركة تشد القلوب وتوحد الهدف وتعمق التآخي إلا أنه يجب عدم نسيان هذا الخطر الكامن. ولا حل له إلا بتوخي البحث عن النوعية المشتركة في الهدف أثناء التنظيم بشكل لا يهدد وحدة الصف في المستقبل وبممارسة نوع من التوجيه والتربية المعنوية عبر العمل توصل المجاهدين إلى نوع من الرؤية المشتركة للأمور العامة ولا سيما الفكرية والاستراتيجية منها، ويبقى علاج ما هو دون ذلك لحكمة القيادة التي يجدر بها وهي تحافظ على صفها أن تلتفت لمثل هذه المشاكل.

4- مشكلة حياة القواعد العسكرية:

تعتمد القيادة في عملها على إيواء الملاحقين من المجاهدين المكشوفين في قواعد خاصة قد تكون في المدينة (بيوت مدنية)، أو في الأرياف (غابات-جبال)على شكل معسكرات صغيرة...وكغيرها من أشكال الحياة تجد هذه أيضا همومها ومشاكلها، ولقد واجهتنا خلال التجربة السابقة مشكلة حياة مجموعات الشباب المجاهد سويا في القاعدة في الداخل، أو في الخارج في قواعد البيوت (في الأردن أو في المعسكرات التجمعية التدريبية في العراق).

ولا شك أن حياة القواعد في الداخل حيث أجواء الحرب والتوجف والخوف والقرب من الله لا تفرض كثيرا من المشاكل التي تظهر في القواعد والمعسكرات في حياة الأمن. وقليلة هي بالفعل تلك المشاكل التي أفرزتها حياة القواعد في الداخل على صعيد الحياة المشتركة باستثناء مشاكل مردها نفسي في غالبها كان يعاني منها الشباب الجديد في تلك الحياة (كالخوف، وفراق الأهل، والضغط النفسي) فإن الحياة كانت تبدو للآخرين رتيبة يقضي المجاهدون معظمها بين القراءة والتعلم والعبادة وبين إعداد السلاح ومدارسة الخطط وتنفيذ العمليات.

أما في قواعد ومعسكرات الخارج فكانت أهم المشاكل هي مشكلة الفراغ وما يولده من هبوط في المعنويات وما يثيره من إشكالات جانبية نفسية أخرى وهكذا تطل مشكل فرعية برأسها في مثل تلك الظروف ويصبح من واجب القيادة الاهتمام إلى حد أكبر بالأفراد ومعايشتهم يوميا وإخضاعهم لسلسلة من المحاضرات والدروس التوجيهية لمعالجة آثار تلك الظواهر التي قد تكون ذات بعد نفسي أو خلقي أو سلوكي في بعض الأحيان.

5- مشكلة السرية والأمن الداخلي:

لقد كانت هذه ولاسيما في فترة العمل من الخارج إحدى المشاكل الكبيرة فلم تكن كثيرا من القرارات والتدابير السرية بحاجة لأكثر من أيام حتى تتفشى أخبارها في القواعد عن طريق سلسلة الأسرار بين الإخوة كل بمن يثق به، وهكذا كنت هذه الأمور المتسربة تفعل فعلها السلبي في كثير من الأحيان وتثير التساؤلات وتوجد المشكلات أمام القيادة التي كثيرا ما كان أقطابها أساس تسريب المعلومات. ولقد كان العديد من الإخوة على اختلاف مستوياتهم في بعض الأحيان يسرون بأعمالهم وأمورهم الخاصة لزوجاتهم وأصدقائهم الذين ينقلونها بالتالي لأصدقائهم الأعزاء عليهم، وهكذا كانت الكثير من الأمور التي يفترض أن تكون سرية عرضة للإفشاء وقد أثبتت بعض حوادث الكشف عن مخبرين وعملاء للسلطة مخترقين للصف أن كل تلك الإشاعات والأسرار والخلافات كانت سرعان ما تصل إلى أجهزة المخابرات التي زرعت أولئك العملاء. ورغم أن حياة الخارج لم يكن فيها إجمالا ما يمكن أن يكون في دائرة الخطر من الأسرار، إلا أن بعض الأدلة تشير إلى أنه حتى على مستوى القرارات الخطيرة كان هناك تسريب

وصل في بعض الأحيان إلى المخابرات. كما لعبت الإشاعة المعادية نفس الفعل السلبي في كثير من الأحيان لفقدان السرية والحس الأمني، وهكذا تطرح مشكلة السرية والأمن الداخلي نفسها كواحد من المشاكل التي يجدر الاعتبار بها وممارسة كثير من التوجيه والحذر لعلاج آثارها في أي عمل جديد أينما كان.

6 – مشكلة العنصر الذي ارتبط التزامه بالقتال والحماس والشجاعة:

لم يكن من الممكن تميز هذه المشكلة في مرحلة القتال في الداخل فقد كان الصف يحوي بالفعل بعض العناصر التي التحقت ولاسيما من أوساط الجماهير ولم تكن قد مرت في مرحلة نضج كاف على صعيد الفكر والسلوك الإسلامي، وإنما كان التحاقها بسبب التعاطف والتأثر أو الشجاعة...إلى آخره من أسباب فرعية، وفي مرحلة القتال لم تكن لتظهر على هذه العناصر ظواهر سلبية بحكم ما تفرضه أجواء المعركة من التزام وانضباط، إلا أنه وبالخروج وراء الحدود وبرود دوافع الحماس والقتال والشجاعة ودخول المجاهدين محنة الهجرة والصبر والرباط والمصابرة، انكشفت كثيرا من النفسيات على حقيقتها وعات شيئا فشيئا لسابق سلوكيتها قبيل التحاقها بالصف، وظهرت بعض التجاوزات الخلقية والسلوكية بل وبعض الممارسات اللاانضباطية من بعض العناصر.

وشكل أمثال هؤلاء عبئا على قياداتهم فمن الناحية الأولى كانوا ملزمين بهم وبإيوائهم لسابق تجربتهم حتى لا يقعوا فريسة للعدو أو الفساد، ومن ناحية أخرى يشكل إبقاؤهم في الصف مشاكل جانبية لا تحمد عقباها.. وقد عولج الكثيرون منهم بأناة وعلى مراحل طويلة واضطرت قيادتهم في آخر المطاف لفصلهم عن الصف وقد انحرف بعضهم.. فكانت هذه إحدى المشاكل التي تلفت النظر إلى ضرورة حسن الخيار المبني على صفات ثابتة في المرشح للتنظيم وفي معالجة مثل هذه الظواهر فيما بعد بحزم وحكمة.

7 – مشكلة النفسية المدنية وصعوبة تأقلمها على العمل العسكري:

يتألف البناء البشري لأي ثورة مسلحة من كوادر مدنية في الغالب، ولاسيما من قطاع المثقفين والعمال وفئات أخرى من أبناء الشعب، وبحكم حياتهم المدنية التي اعتادوها يواجه هؤلاء الثوار الجدد مشاكل نفسية وبدنية كبيرة في تأقلمهم على العمل العسكري، فهذه الحياة التي غالبا ما ينخرطون فيها فجأة أو بشكل اضطراري تتميز على عكس الحياة التي ألفوها، بالخشونة والإجهاد والفاقة والصعوبة، ومن هنا نعي ماللتربية والتوجيه النفسي والمعنوي من أهمية تزود صاحبها بالقدرة على المقاومة وتحمل الظرف الجديد ويبرز دور الشحن النفسي اللازم لتلك النفوس لتعبئتها وتصديها لهذا الدرب الذي كثيرا ما تحدث القرآن الكريم عنه كدرب ملؤه الصعاب والبلاء، والنفسية المدنية بحكم تكوينها ميالة للرخاء والنعومة والرتابة والتنظيم في حين تختلف عنها حياة الحرب ولاسيما الحرب الثورية في كل هذا، وكذا يجد المرء نفسه وفجأة أمام هذا التغيير النوعي الشديد فيعاني مرارة التغير التي لا يثبت فيه راضيا مختارا إلا أولئك الذين وعوا الدرب وتكلفته ودخلوه عن سبق إصرار وتصور –ثبت الله قلوبهم– وهكذا تثير هذه المشكلة التي واجهت الكثير من إخواننا ووضعت قيادتهم أما حرج وصعوبات كبيرة في إعدادهم تشير إلى ضرورة التعبئة الإيمانية والعقيدية التي تخفف من وطأة هذه المشكلة إلى حد كبير بل وتحولها إلى متعة شخصية في غالب الأحيان.

8 – مشكلة التنظيم المتمدد أفقيا صعب الضبط والإدارة:

وقعت الطليعة بعد قرارها فتح باب التنظم أفقيا أمام الجماهير المسلمة المؤيدة في هذه المشكلة حيث تمدد التنظيم بطريقة غدا بها غير مسيطر عليه فلم يكن لدى القيادة إمكانية تعبئة هذه الكوادر الجديدة ولا دراستها وتوزيعها حسب الكفاءة والمواصفات، ولا تسليحها وتدريبها وإشراكها في المعركة والإفادة منها...الخ ولقد كان الدرس قاسيا إذ حمل الظرف الصعب معه مأساة كبيرة لهؤلاء الشباب الأغرار المخلصين وراح معظمهم ضحية الاعتقال كما رأينا.

وهكذا تفيدنا التجربة وتعلمنا ضرورة ضبط الامتداد التنظيمي بشكل يسمح بالتحكم فيه باستمرار وعدم الوقوع بحالة الانتشار التي يستحيل معه على القيادة أن تلم عناصرها فتحميهم وتملك قيادهم والإفادة منهم.

9 – قضية التربية والتوجيه المعنوي والإعداد والمنهج:

إذا كانت الذخيرة البشرية للتنظيم هي رأسماله الهام، وإذا كانت قوته تقاس بمدى تماسك هذه القاعدة الصلبة التي تتحرك القيادة لتحقيق الأهداف التي تطرحها فإن قضية التربية والتوجيه المعنوي الذي يفترض بالقيادة أن توليه أولى اهتماماتها، وقضية الإعداد بكل أشكاله النفسي والمادي والتدريبي وقضية المنهج الذي يجب أن تربي أفرادها عليه. إن هذه القضية تأتي ولا شك في طليعة القضايا الهامة والمفصلية التي يجب أن توليها القيادة الحكيمة أولى اهتماماتها **فبدون إيجاد قاعدة صلبة للتنظيم تفرز كادرا قياديا مسؤولا وواعيا لأمر حركته الجهادية وثورته ومبادئها ومعطياتها ومشاكلها وما إلى ذلك وبدون إيجاد (كادر) بشري مؤمن بهذه الطروح والأفكار يستحيل على القيادة الجهادية تعبئة طليعة قوية يمكن الاعتماد عليها لتعبئة الجماهير فيما بعد وتوجيهها لخدمة الفكرة والهدف**.

ولقد كان المجاهدون الأوائل من تلاميذ مروان رحمه الله مدركين لأبعاد قضيتهم الجهادية فكرا وعملا...وكانت الطريقة الانتقائية في التنظيم الصغير عاملا مساعدا على تماسك الحفنة الطليعة الأولى من الشباب. ولكن تسارع الأحداث واتساع التنظيم واستشهاد معظم تلك الكوادر الناضجة في الجولة الأولى من المعارك ملأ الصف بكوادر شابة لا يميزها إلا الإخلاص والاندفاع. ولم تسمح أجواء المعركة للقيادة بممارسة عملية بناء وتكوين تلك الكوادر، ثم انتقل معظم الناجين للخارج وفشلت القيادات (التي آلت معظم هذه الجموع لقيادتها) في تعبئتها وتربيتها وتكوينها على المدى الطويل رغم توفر الظرف والزمن والطاعة في القاعدة..

فلم يُتَّبع في الخارج –وقد تساوت في ذلك كل الجماعات– أي منهج مدروس ومنسق لإعادة عملية التربية والتكوين والتوجيه المعنوي وفق منهج معد يأخذ بعين الاعتبار الهدف وطبيعة المعركة وترك هذا الأمر كما تركت كثير من الأمور يكون الحبل فيها على الغارب وهكذا تفشى الجهل واللامبالاة وتنوع الآراء وأصبحت القاعدة مزيجا من الشباب الذي ينقصه البناء الفكري الذي يكمل ذلك الاندفاع الهائل الذي تحلى به غالبية الشباب وبرد الاندفاع مع الزمن لدى الكثيرين الذين لم يعد بربطهم بهذا الخط رابط.

10 – أزمة الثقافة:

كانت هذه المشكلة حصيلة المشاكل التي تراكمت عبر الزمن على كل المستويات ولقد بدا فعل هذا المرض الخطير كامنا في الأيام الأولى مقتصرا على عدم الثقة الذي بدا واضحا بين الفرقاء والجماعات بعضها البعض. ولكن سير

الأحداث على الشكل الذين سارت فيه، والعاصفة التي هبت إبان أحداث حماة وانكشفت أوراق القيادات (خاصة في صف الإخوان المسلمين)، ثم دمار الطليعة والظرف (الدرامي) الذي أحاط به، كل ذلك أورث الجميع عدم الثقة في أي شئ، ودفعة واحدة انهارت كل الخيوط الباقية من الثقة بين الناس فانعدمت الثقة على كل المستويات، بين شخصيات القيادة أنفسهم وبين القيادة والقاعدة وبين شباب القواعد على اختلاف مراتبهم وأصبحت هذه القضية معضلة المعضلات أمام أي شكل من أشكال الإصلاح ورأب الصدع من جديد.

لقد كان لتحطم المثل الأعلى والضريبة الغالية الفادحة التي دفعتها تلك الجموع من جراء ثقتها العمياء التي تعاملت بها مع القيادة ورموزها عبر الأحداث، ردة فعل عنيفة جعلت هذه الثقة تكاد تكون مفقودة، هكذا أصبحت هذه إحدى أكبر الأزمات أمام أي عملية من أعمال الاستقطاب بغية الإصلاح ومتابعة السير وفق طرح صحيح جديد، وهكذا كانت هذه المشكلة المعضلة حصيلة كل تلك الأزمات.

وفي ختام هذا الباب نقول:

إن تجربة ثرّة من العمل الجهادي الثوري المسلح، كالتي مرت بها سوريا والحركة الإسلامية فيها طيلة أكثر من خمسة عشر عاما أعظم من أن تحيط بمشاكلها ودروسها وعبرها هذه الصفحات القليلة. ولن يكون من كبير الفائدة مزيد من الإطالة والتفصيل في هذا الكتاب الذي يستهدف مواضيع أخرى قصدنا إيرادها بهذا الترتيب والسياق ولا شك أن بعض الأبواب والفقرات التي مرت تحتاج كل واحدة منها إلى وقفة تأمل طويلة ممن يزمعون السير في درب كهذا الدرب فهي تجارب دفع ثمنها زكي الدم المجاهد، ولكن حسبنا –والله أعلم– ما عرضنا من الإيجاز لتاريخ المرحلة السابقة وبمقدماتها التاريخية ومن ثم نظرات في تلك التجربة ومن بعد بعض الدروس والعبر التحليلية لننقل للبحث التالي في الكتاب وحصيلة ما أفدنا منه شخصيا وهي نظريات قد يوافقنا فيها البعض وقد يخالفنا فيها آخرون وهذا أمر طبيعي فهدفنا منها إثبات قتناعاتنا التي تمخضت عن معايشة تلك التجربة بمختلف مراحلها ومعايشة الكثير من شخصياتها الفاعلة على أكثر من مستوى، والله الموفق.

أفكار ونظريات عملية مستفادة من دروس التجربة

المبحث الأول: بين النظرية المجردة والطرح المستخرج من التجربة:

تعمد كل جماعة أو حزب أو تجمع سياسي ولاسيما كتلك التي تطرح برامجها في التغيير والإصلاح على المستوى السياسي، إلى بلورة أفكارها وآراء منظريها في مجموعة من الشعارات والبرامج والنظريات السياسية التي تضمنها خلاصة فكرها ووجهة نظرها حول تحقيق هدف مرجو معين ومحدد. ولئن كان من السهل إلى حد ما صياغة العبارات وتذويق البيان وعرض تلك الأفكار بصورة تبدو للسامع العادي معقولة ومنطقية، فإنه ليس من السهل على كل عاقل قبول هذه الطروحات والبرامج من الجهات المختلفة والتي تبدو في كثير من الأحيان متضاربة الأهداف مختلفة المشارب ليس من السهل عليه تقبلها على أنها طروح عملية مؤكدة النتيجة...وتزداد هذه الصعوبة في القبول إذا كانت التجربة الزمنية لهذا الطرح طويلة إلى حد ما بشكل يدفع المحلل الحصيف إلى دائرة الشك في جدوى مثل هذه الأفكار أو جدوى تطبيقها وإمكانية ومدى قربها من النتيجة على الأقل ...هذا الشك قد ينقل صاحبه إن هو أمعن الفكر في نوع من هذه الطروحات إلى الاستنتاج بأنها لا تعدو كونها برامج وأفكار وأهداف فارغة المحتوى فصيحة البيان، ليس لها من حظ في معالم التطبيق العملي والفعلي الذي يرجوه أصحابها منها. وللحقيقة لابد من القول أن كثيرا من تلك البرامج المطروحة في سوق العمل الإسلامي قد وقعت في هذه الحالة المرضية ونعني بعدها عن الواقع وعدم جدواها، رغم أنها كانت مجدية وعملية وقابلة للتطبيق والعطاء في وقت من الأوقات لأنها تحجرت وتصلبت مع الزمن ولم يتمكن أصحابها من تطوير واقعها على صعيد التكتيك والمحتوى بما يتلاءم مع تسارع الزمن والحدث الذي غدا رهيبا في عالمنا المعاصر. فما كان مناسبا في الثلاثينيات غدا غير مناسب في الأربعينيات فكيف به ونحن على أعتاب نهاية القرن العشرين...إن كثيرا من تلك الطروحات تبدو في واقعها المتحجر بعد انقضاء هذا الزمن الطويل عليها، وتمسكها بقدسية هشة تحاط بها آراء المنظرين الأوائل بطريقة لاشك أنها بعيدة عن تفكيرهم أنفسهم لو عادوا للحياة الآن، تبدو طروحات بالية فارغة أكثر منها طروحات جادة عملية. إلا أنها لا زالت تجني ثمار الهالة التي حققها لها المجددون الأوائل، وتعيش على فتات فضلهم السالف عبر واقع موغل في الفقر والإفلاس والبعد عن العطاء.

ولئن كان هذا المرض العضال قد أصاب العديد من الجماعات السياسية من مختلف مناطق العالم، فإن المهتم بأمر الحركة الإسلامية والذي يعلق الأمل عليها كطريقة للخلاص والتقدم في سائر بقاع العالم لابد له من أن يلاحظ أن حظ الحركة الإسلامية من هذا المرض الخطير العضال وافر إلى حد مؤسف بل ومخيف. فقد خلط معظم القائمين على أمر هذه الحركات بين روعة فكر المجددين والمنظرين الأوائل لهذه الحركات ووفرة حظه على صعيد القيمة الفكرية والتجديدية وغيرها من المميزات، وبين أساليب أولئك الدعاة التي كانت مناسبة لهم في عصرهم ذاك، فأسبلوا على تلك الأفكار والأساليب رداء من القدسية الذي يشبه كثيرا ثياب الكهنوت، وغدت عندهم شبيهة بحديث من لا يرد كلامه صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم، فغدت طريقا وسنة ومنهجا لا يتطور على صعيد الأسلوب والطرح وغدا كل صوت نزيه يرتفع من الصف مطالبا بالحركية والتجديد وملائمة الواقع نوعا من الهرطقة الدينية سرعان ما يوصف

صاحبه المخلص المندفع في جبينه بخاتم التطرف والانشقاق والتعجل...الخ. وغالبا ما ينكفئ أولئك المساكين على أنفسهم فيخرجون من تلك القافلة المسكينة الموغلة في التيه وصحراء الفشل وضياع الجهود.

وكثيرا ما يندفع اليائس من واقع متحجر إلى هجر كل ما كان قديما خالطا أيضا بين تراث فكري ثر لا غنى عنه لكل حركة تجديد، وبين أساليب استهلكت ويجب خلعها وينطلق هو الآخر مرتكبا خطأ لا يقل خطرا عن خطر المتحجرين، إذ ينبت من كل فكر وطرح ونظرية ليسلك درب العملية بزعمه. تلك العملية التي لا تستند لفكرة ولا نظرية في التطبيق والعمل. وهكذا يولد واقع مريض آخر هو عمل بلا أرضية ولا جذور...يندفع أيضا في ظلام تيه جديد في شراذم غالبا ما يغوص أصحابها المخلصون في دمائهم ودماء غيرهم.

ولكن إلى متى يبقى هذا الواقع المرير: تشرذم العمل الإسلامي بين نظرية مجردة تتحرك كجسد ضخم يمشي على أرجل من فخار، وبين أرجل تعدو بجسد هزيل بلا رأس..

نعتقد أنه قد آن الأوان ليقف منصفاً مفكراً أمام نفسه وتجاربه وتجارب غيره من المسلمين لإنهاء هذا الطلاق النكد بين الفكر النظري والعمل الجهادي، لاستخلاص تصورات عملية تستند إلى قاعدة ثمينة من التراث الفكري والتاريخي الهائل، متحركة بأساليب مجددة تناسب واقعا قائما في منطقة محددة، ولابد من الاعتراف هنا بواقع مرير ناتج عن مرحلة الاستعمار القديم والحديث بكل أبعاده العسكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية والذي فرض ظروفا متباينة إلى حد مرعب بين بقاع العالم الإسلامي، وفرض عليها تلك الحدود المصطنعة التي غدت واقعا قائما لا فائدة من نسيانه وتجاوزه، هذا الاعتراف لابد وأن يقودنا- مادمنا في نطاق العقل والمنطق- إلى اعتراف آخر يفيد بأن طروحات عملية تولد في مكان ما لابد وأن تكون مناسبة لواقعها وابنة شرعية له، ولا يعني هذا بالضرورة أنها ملائمة ومفيدة لواقع بلد آخر، فقلما تتطابق الظروف وبالتالي الحلول وقد تتشابه بنسب مختلفة وقد تختلف إلى حد يجعل نظرية واقعية في مكان ما مستحيلة في مكان آخر ويعتبر تطبيقها فيه ضرب من الإجرام والبحث عن الفشل والخسائر وضياع الجهود. إن هذا لا يعني أن لا يستفيد المسلمون من تجارب بعضهم في مكان أو آخر، وأن لا يتعظوا من تلك الدروس، بل تعني أن لا تستعار تلك التجارب لتلبس جاهزة. فظروف بلاد العالم الإسلامي متشابهة في بعض الجوانب كخضوعها لطواغيت لا يقيمون شرع الله، ويتبعون في العمالة جهة من الجهات العدوة الكافرة، ويتعرض المسلمون ولاسيما الدعاة للحرب والنكال نفسه...الخ إلا أن الاختلاف يأتي في المرحلية التي تحياها الحركة الإسلامية وفي واقعها الذي يفرض نوعا من الحل الآني يناسب بلدا ما وقد لا يناسب آخر في الجوار لتشابك العوامل والظروف والمؤثرات بشكل غاية في التعقيد، فظروف دعوة عريقة قديمة الجذور كتلك التي في مصر أو بلاد الشام أو الباكستان أو تركيا ليست كظروف دعوة ناشئة يافعة كتلك التي في المغرب أو تونس أو بلد في قلب أفريقيا السوداء، ومعطيات الدعوة هنا وما توجبه المرحلة ليست كمعطياتها هناك...وظروف دعوة في بلد محتل كأفغانستان وفلسطين أو سوريا ليست كظروفها في بلد آخر لا يعاني هذه المشكلة وإنما يعاني غيرها وما يفرضه الدين هنا قد لا يوجبه هناك...ولكن هذا لا ينفي التعاون والتشاور والتعاضد بل والدعم بين تلك الحركات بشكل لا مركزي، فلا يمكن لهيئة مرشدين في المغرب أن تتصور الحلول وتفرضها على العاملين في المشرق والدعوة التي قد يزينها أصحابها بالعالمية التي تطبع الدين الإسلامي والدعوة إلى الوحدة والعمل وفق هياكل ذات طبيعة دولية لاشك أنها مقبولة ومفيدة على صعيد التلاقح الفكري والتراث العريق الواحد المشترك إلا أنها

مثالية إلى حد بعيد، بل إنها معضلة حقيقية إن كانت ستعني ضربا من التدخل في سير الحركة في منطقة ما من آخرين غرباء عن واقعها، ولقد أعطت هذه التنظيمات الإسلامية ذات الطابع الدولي المثال تلو المثال على أن كلمة الدولية التي تلحق بهذه التنظيمات لا تعني أكثر من فكر مشترك منبثق عن ديننا الواحد- ولاشك في هذا- ولكنها لا تعني شيئا على صعيد التنظيم والعمل السياسي. ولطالما فشل -مثلا- التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في حل مشاكل فرعه في سوريا حتى الداخلية منها، ولطالما كانت تلك الحلول حين طرحها بعيدة عن الواقع وليدة بنات أفكار أناس لا يعيشون ذلك الواقع ولا يفقهون منه شيئا، في حين كان تعاونهم المطلق في مجال الدعم والإعلام عظيم الفائدة.

إن السنين الطوال من العمل الدعوي لإقامة حكم الله في بعض مناطق العالم الإسلامي عبر طرح البرامج وإصدار البيانات وتدبيج الخطب وتوسيع القاعدة وكسب نصار وفقدان آخرين...ومعاناة من قساة الطغاة وسفاهة حربهم وضراوتها والاستمرار بالصبر والعناء ...أدخل كثيرا من تلك الحركات في حلقة مفرغة ولقد مر عليها أوقات كان لها من الأنصار أكثر من واقعها الحالي، ولقد سجلت كثير من تلك الحركات التراجع تلو الآخر كأدلة على الفشل والعجز عن تحقيق الهدف، لقد أصبح عمر الدعوة في بعض الأمكنة عشرات السنين وما زالت تنحو عبر نفس الأساليب البالية حتى اضطر أصحابها لأن يصرحوا وبشكل مخجل أنهم لا يريدون الحكم ! .

ولا ندري كيف يقيمون حكم الله إن كانوا لا يريدونه ومن سيقيمه إن تخلوا عنه وتركوا ريادته ؟؟ وهل يبدو لهم منطقيا ونحن نعيش ظروف تلك الأنظمة أن أولئك الملاحدة والمارقين والمفسدين من حكامنا سيطبقوه ويهدوه لشعوبهم المسلمة إن نحن دعوناهم إليه ليل نهار وأشبعناهم وعظا وخطبا وتحملنا بلاءهم وقتلهم وسجونهم مئات السنين أم أنه اعتراف عاجز ؟؟ وليته كان كذلك إذا لأكمل الدرب من يرى نفسه أهلا له، إن التصدي للعمل والفشل المتكرر فيه والإصرار على التمسك بزمام ناقته جريمة مضاعفة...هي الفشل المتكرر وعدم السماح بالفرصة لمؤهل آخر.

إن التصدي للبحث عن طرح عملي ونظرية فكرية سياسية إصلاحية ذات فعالية واقعية أصبح ملحا بعد سنين العجز والبرامج والنظريات والطروحات التي ما تفتأ تصبحنا وتمسينا بالعجز والفشل، ويجدر بنا أن نتساءل لماذا ؟ لقد شبت الدعوة واكتملت رجولتها ودخلت سن الكهولة بل والهرم وها هي تجاوز أعوامها الخمسين في مصر والشام مثلا وغيرها من البلاد فأين حصاد ذلك العمر وأين نحن من الهدف الذي تصدينا له على صعيد قربنا منه على كل المستويات ؟ هل نحن من الهدف الذي تصدينا له على صعيد قربنا منه على كل المستويات ؟ هل بات أقرب أم أبعد ؟ بل هل بات نفسه أم تخلينا عنه واستبدلنا به آخر يناسب هممنا الضعيفة وأنفسنا المتهاونة ؟

بل أين نحن من شعارنا ... هل فعلا كنا أهلا لـ (الله غايتنا- الرسول قدوتنا- القرآن دستورنا- الجهاد سبيلنا- الموت في سبيل الله أسمى أمانينا) ولاسيما البندين الأخيرين ...هل فعلا نهجنا نهج من ادعى الجهاد سبيله والموت في سبيل الله أسمى أمانيه ؟ سؤال يحتاج إلى جواب.

إن الإخلاص والفكر المجرد المتمسك بقدسية الشعارات والتفاخر بدماء شهدائنا الذين مضت عليهم السنون لايجدي شيئا إذا أضيف إليه التقاعس عن العمل والعجز عن تقديم المثل والقدوة باستمرار. فالإيمان ذاته هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ...نعم العمل...لذلك كان شعار البنا رحمه الله يجمع الإيمان في بنوده الثلاثة الأولى إلى العمل في البندين الأخيرين ...دليل الصدق والعزم.

لقد أثبتت وقائعنا المريرة أن البيان لن يقابل رشاشا يحمله سفاح من القتلة، وأن الحكم لن يحصل عليه منكفؤن عجزة. مهما افترضنا فيه الإخلاص، ...وجزاهم الله كل خير فالإخلاص لأنفسهم وعليه يؤجرون، وعجزهم علينا وبه نذبح، ولقد آن الآوان لطرح المحرجات من المسائل ونريد حلا...؟

كثير من الشعارات طرحت من قبل منظرينا الأوائل، ولقد جربوها فنجحت حينا وفشلت في آخر، ولقد لاقوا وجه ربهم بما عملوه وحسب نياتهم وجاء دورنا وعلينا أن نوجد نظرياتنا وأساليبنا ونهج عملنا بأنفسنا وبجهودنا كما فعلوه، معتمدين على الله مستنيرين بالتجربة ولاشك أن بعضا من أساليبهم وطروحاتهم لا تناسبنا ولا تناسب ظروفنا ومشاكلنا، فعلينا أن نشكر سعيهم ونوجد حلا لمشاكلنا، ونظريات عمل تخصنا لتحقيق برامجنا وأهدافنا. لنتعظ بتجربتهم وهم لنا خير السلف، ولكن لا يجب أن نحولهم إلى أصنام نظل عليها وعلى طروحاتها عاكفين.فالزمن يمر والظرف يتجدد ويتعقد ويفرض علينا إيجاد حلول لمشاكلنا بأنفسنا انطلاقا من ذلك التراث لقد آن الآوان لأن يوجد السالكون لدرب الدعوة العازمون على إقامة الحكم الإسلامي نظريتهم الفكرية والعملية المنبثقة من الواقع القائم مستنيرين بذلك التراث الثر من التجارب.

ما هي الطروحات العملية المنبثقة من التجربة ؟كيف تولد؟ وما تكاليفها ؟ وما ميزاتها ؟ وما صفات القائمين عليها وكيف تنهج في العمل ؟ ..

أسئلة جديرة بأن يتفهمها العاملون للإسلام وأن يجيبوا عليها كل حسب ظرفه إجابة عملية، ليوجد كل منهم طروحاته العملية لإقامة الحكم في دياره بنفسه. وإزالة القهر والظلم وإقامة العدل الإلهي بين الناس قضية جديرة بمن يتصدون لهذا الهدف وهي موجهة إليهم. ولا نعني أولئك الذين اكتفوا بهدف جزئي نبيل من العمل الإسلامي كبيان الدين والدعوة للتمسك به وأعمال البر بأشكالها وألوانها ...وجزاهم الله كل خير.

إن الطروحات والأفكار العملية المستخلصة من التجربة تولد من خلال العمل بعد أن تثبت فاعليتها وجدواها، ويحس بها القائمون بها ويستنيرون بأثرها ويتخذونها سبيلا وإن كثيرا من تلك النظريات تولد متأخرة ولكن لا بأس، وتكلف التضحيات وضرائب الفشل ولكن لا ضير في ذلك، وفإنها على الأقل وليدة دروس كلفت أصحابها أنفسهم عناء التجربة ولم تنزل عليهم من أعلى الهرم التنظيمي من آخرين لا يعنيهم الفشل ولا يكلفهم شيئا من التضحية. تجربة تعلم أصحابها منها وتكيفوا مع ظروف شبيهة قائمة. إننا يجب أن نعمل حتى لا تذهب كل تلك التجارب الكثير من الدماء والعناء والجهد هباء دون مقابل، يجب أن نستخلص منها تصوراتنا العملية الجديدة في الثبات والمتابعة، إن كل الانطلاقات تبدأ متعثرة لأنها تنطلق من واقع مرير يشدنا إليه بكل تبعاته وما ورثناه من أمراض ظروف وطروح ماضية ما تفتأ تشدنا إليها باستمرار لنكرر أخطاء مرت بفعل معتقدات وتصورات ساذجة أحيانا لها هيبة القدسية.

إن الفشل هو الذي يكلف الضحايا وغالبا ما تكلف الهزائم أكثر بكثير من الانتصارات. ولكن الفشل درس ذو مردود مزدوج فهو يزود العامل بغناء التجربة ويجمعها إليه لجنب نفسه وأقرانه تكاليف هزائم قد تقع وتكون أكثر كلفة وهو بهذا أكثر إغناء من النصر ذاته لأن الظروف المؤدية للانتصارات قليلا ما تكرر، ولكن تلك التي تؤدي للفشل هي التي تتكرر أكثر. إن الطروح العميلة المستخلصة من تجربة، تولد من خلال العمل والتوجه مباشرة نحو الهدف وبجدية وتكلف الكثير من الجهد والدماء والعناء حتى تستخلص كنهج ناجح يثبت نفسه ونجاحه، وتقتضي أن يوجدها

أصحابها العاملون بأنفسهم ...وتتميز بالجدية والفاعلية والثبات وتحقيق النتيجة إن شاء الله ولكنها تقتضي من القائمين عليها أن يتحلوا بالاستعداد للتضحية والثبات والإخلاص والعزم على الاستمرار، فيفيد اللاحق من السابق، وهكذا تبقى النظرية مستندة إلى أصول فكرية راسخة على صعيد التصور والهدف، وإلى أساليب متطورة باستمرار على صعيد التجربة والعمل.

وطالما أن العمل الإسلامي سيبقى حبيس نظريات مقيدة متحجرة لا تناسب واقعها وتثبت فشلها كل يوم، وطالما أنها تتنزل على العاملين كأوامر علوية من آخرين لا تكلفهم التضحيات شيئا.. وطالما أن المندفعين للعمل منبتون عن إرساء قواعد انطلاقهم الفكرية والنظرية من خلال التراث والتجربة، ومنطلقون للتطبيق بلا طرح نظري فكري واضح...فإننا مدعون وللأسف لمزيد من الضحايا والعذاب حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

فإذا عدنا لتجربتنا الإسلامية الجهادية الثورية في سوريا الشام وعلى خمسة عشر عاما من الجهاد والصدام المسلح مع الطاغوت النصيري المحتل...نجدها قد أنارت لنا سبلا من العمل، وأورثتنا تجارب تمكننا من استخلاص نظريتنا العملية الخاصة على صعيد التجديد الفكري والنظري، وعلى صعيد بلورة الهدف ووضوح الطريق إليه...ولقد كانت أكثر ثراء من عشرات السنين التي مرت دون تحرك جاد نحو الهدف المنشود، على ما في تلك السنين من فوائد وتجارب. وكان من أولى فوائدها أن تعلمنا منها كيف نجد طريقنا للطروح العملية المنبثقة من تجربة العمل، وما هو الفارق بينها وبين النظرية المجردة وليدة بنات الأفكار والمصاغة ببيان ساحر فصيح. لقد شقت طلقات المجاهدين الطريق الصعب والمباشر نحو الهدف، ولقد روته دماؤهم. ولا شك أن أخلافهم مدعوون للسير والثبات لإغناء التجربة والاقتراب من الهدف إن شاء الله.

المبحث الثاني: مفهوم الثورة كنوع من أنواع الجهاد وضرورتها كوسيلة للتغيير:

كل الحركات الإسلامية المعاصرة التي تتصدى لإقامة الحكم في بلاد الوطن الإسلامي الكبير انقلابية الطابع جذرية التصور والحلول على صعيد الهدف المعلن. فهي تسعى إلى استبدال حكم البشر بحكم الله لهم، وبالتالي فهي تعني إنهاء وإسقاط تلك الهياكل المتمثلة في أولئك الطواغيت وإزالة آثار نهج حكمهم الذي فرضوا فيه قوانين الشرك والكفر بالله، بعد أن استبعدوا حكم الله لاعتقادهم بقصوره وعدم صلاحيته واستوردوا غيره مما صنعته لهم أوربا وغير أوربا من النهج والأحكام..إسقاط كل هذا واستبداله بحكم الله بكل ما ينطوي عليه من عدل وإنصاف وسعادة للإنسان ولسائر مخلوقات الله حيث يقام هذا الشرع الحكيم.

وهي بهذا الطرح الانقلابي الجذري تمثل ثورة على الأوضاع القائمة بكل أشكالها ونتائجها، وهكذا كانت دعوة آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم انقلابية جذرية أطاحت بالكفر بكل أشكاله وآثاره وصفاته، وأقامت الحق والعدل بكل كماله وخصائصه.

ولقد علمتنا تجارب الدعوة المعاصرة على مر السنين، أن هذه الأهداف الانقلابية الشاملة لا ترضي رؤوس الكفر من حكامنا ورؤسائهم ومحركيهم ومن فرضهم علينا، وهم يدركون خطرها وخطر حامليها من الدعاة، لذلك فإنهم يحددون حجم طغيانهم وبغيهم فينا حسب قربنا أو بعدنا عن هذا الهدف الشامل. ولقد أثبتت التجارب أنهم لم يتوانوا

يوما وفي كل مكان، ورغم أن الدعاة لم يرفعوا سلاحا ولم يعلنوا حربا عن القتل والنكال والسجن والتشريد. إزاء كل بادرة أو حال أحسوا فيها أن الدعاة يقتربون من هدفهم بشكل عملي، فيقتلون من يقتلون ويشترون من يشترون ويسجنون من يسجنون ويعيدون الدعوة إلى ما وراء الخط الأحمر الخطر، لتبقى دعوة محجمة مقصوصة الجناح لا تتجاوز في بيانها حدود الأخلاق والعبادات وكل ما لا يمس الحكم والحكام من أمور الدين.

وهكذا تنكفئ الدعوة لتتابع سيرها من جديد، ولتتلقى الضربة حين يقرر الحاكم ويتقدم الخروف لتنحر سكين الجزار رقبته حينما يقرر، ولقد أثبت كل الحكام في بلاد المسلمين حيث داهمهم الخطر أنهم جاهزون للذبح والقتل والنكال والبغي، حمل الدعاة السلاح أم لم يحملوه، لا فرق في ذلك بين طاغية وآخر والشواهد أكثر من أن تعد، في كل مكان.

وهنا لابد أن نقول إن على الدعاة أن يقرروا أحد أمرين؛ إما أن يقبلوا واقع هؤلاء الطواغيت ككل وينصرفوا إلى العمل الدعوي الذي يرضى به الطواغيت مما لا يشكل عليهم خطرا ويحيون الإسلام في نفوسهم وأهليهم ضمن ما يسمح به الطاغوت. وإما أن يعملوا على إيجاد الحل الناجع لإزالة هذا الطاغوت بشكل جاد، وهذا نهج انقلابي ثوري بالطبع، فإن بنية هذه الهياكل الطاغوتية تفرض علينا إما قبولها كلها أو إسقاطها كلها ومازال دأبهم كدأب الكفار الأوائل...(ودّوا لو تدهن فيدهنون) تعجبهم أنصاف الحلول تلك التي ليست من ديننا، **إن النهج الذي تنهجه الحركات الإسلامية لا يعدو في النهاية كونه تغريرا بالطيبين من المسلمين ممن يهبون لنصرة العمل الإسلامي ويعملون له بكل إخلاص لتقديمهم عبر هذه الطرق العلنية المائعة لسكين الجزار. إنه نوع من القتل العمد دون مقابل وبنية حسنة وللأسف لا تغير من الواقع شيئا.**

على الإسلاميين أن يفهموا أن شعاراتهم الانقلابية هي ثورة كاملة على هذا الواقع، وأن معركتها مع الطاغوت قائمة شعروا أم لم يشعروا، إذ أن واقعتها الدموية آتية إن لم يكن اليوم فغدا فليملكوا زمام المبادرة وليقرروها وليقرروا توقيتها وليعدوا لها، أفضل من أن يقرر ذلك عدوهم السفاح ولآ يحصدوا من ذلك التقاعس إلا الدماء والضحايا والدموع والحقد الدفين.

ولعل بعض الإسلاميين يرى في كلمة ثورة ما يخرج عن قاموس الإسلام والمسلمين، ويفضل عليها كلمة جهاد كمصطلح إسلامي، ونحن نذهب في فهم كلمة الثورة مذهب الدكتور النفيسي حيث يقول: ...وإذا كانت الثورة– كمصطلح– هي العلم الذي يوضع في الممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييرا جذريا شاملا كالتغيير الذي أسسه وكرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والانتقال بالمجتمع من مرحلة معينة إلى أخرى متقدمة على صعيد تحقيق العدالة الاجتماعية، إذا كانت الثورة كمصطلح تعني ذلك وهي كما نعلم تعنيه، فليست الثورة غريبة علينا إذاً كمسلمين، ولسنا كمسلمين غرباء عن الثورة، وإذا كانت الثورة تقف مع مجموع الأمة، وإذا كان مجموع الأمة يقف مع الثورة، فإنها لا شك ثورة حق، لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم أكد أن الأمة لا تجتمع على ضلالة. وإذا كانت الثورة تنحاز انحيازا تاما لمصالح الأمة ومطالبها وللمستضعفين فيها والجائعين والمعذبين، فإنها لا شك أنها ثورة حق، لأن الهدف الأساسي من رسالات السماء إلى الأرض كان ومازال تحقيق العدل والقسط وتحطيم الظلم والظالمين. يقول جل من قائل " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط")ا.هـ (عندما يحكم الإسلام).

والجهاد أعم من الثورة، والثورة بمفهومنا الذي نريد شكل من أشكال الجهاد، فالجهاد هو ممارسة كل شكل من الجهد بما في ذلك القتال (وهو المقصود منه عموما في معظم النصوص) ومنه الحرب بكل أشكالها، ومنها قتال المسلمين كجهة أو دولة أو جيش للكافرين كجبهة متمايزة عنهم كدولة عدوة أو جيش ...الخ.

والثورة هي نوع من العمل الجهادي العنيف الانقلابي الطابع وهي بلا شك أحد أشكال الجهاد الذي يصبح في سبيل الله بمقتضى النية التي تضفي عليه هذا الطابع، وبذلك يكون جهاد الدعاة لأولئك الطواغيت هو ما يمكن تسميته الجهاد الثوري في سبيل الله، لضم الخاص إلى العام للتميز وهو وإن كان مصطلحا جديدا فإنه إسلامي بكل ما في الكلمة من معنى وما الأسماء والمسميات إلا أدوات تخاطب وتعبير، وهي تأخذ قيمتها الإسلامية أو غير الإسلامية حسب ما تتضمن من معيار النية الخالصة هل هي لله أم ليست لله ؟

وبهذا نقول: إننا ندعو إلى عمل إسلامي جهادي ثوري في سبيل الله ...لماذا ؟

لقد ثبت لنا كما قدمنا أن طبيعة الأنظمة الجاثمة على صدورنا لا تقبل الحلول الجزئية، بل تقتضي الجذرية. وثبت أن استعدادها للقمع والنكال وجرأتها على الله وعباده تمكنها في ظل ما تتلقاه من دعم عالمي وتآمر على الإسلام من فعل كل شيء واستباحة كل عمل. وكما أن أجهزة القمع والأمن التي غدت متخصصة رفيعة المستوى، تقتضي منا إعادة النظر في هياكلنا وبنانا التنظيمية التي مازالت رغم القرن العشرين تدار على طريقة عشائر البدو الرحل.

إن التنظيمات الإسلامية شعرت أم لم تشعر تدعي الثورية والانقلابية وتزج بملايين العزل من المسلمين بمعركة غير متكافئة، وكأن ترديد شعارات الحكم الإسلامي وآلاف المطالبات بتحكيم الشريعة والإدمان على (حشيش) الشعارات الجوفاء ألف سنة يقيم الحكم الإسلامي! ... إنه لم يقدم إلا الضحايا وإضاعة الجهود وهذا ما تعلمنا إياه التجربة صباح مساء.

إن المشكلة ليست في عجزنا عن صياغة الشعارات وإلقاء الخطب وإصدار النشرات. المشكلة الحقيقية في بنية هذه التنظيمات وقياداتها، وهل هي قادرة على تحقيق هذه الأهداف أم لا ؟ وهل هي جادة في ذلك أم لا ؟ وهل هي قادرة كفء أم لا ؟ بل ولا بد من الحرج هل هي صادقة في زعمها أم لا ؟

إن الذين شاخوا من زعماء الحركات الإسلامية وكبار مفكريهم اليوم، وقعوا بفعل الهزائم المتلاحقة للدعوة وبفعل عجزهم عن إيجاد الحل لهذه المعضلة المتكررة، وبفعل عجزهم عن التخلي عن قيادة الركب وإتاحة الفرصة أمام الكوادر الناشئة في الحركة وبفعل ما لا يعلمه إلا الله من الأسباب.

وقعوا في تصورات شائهة وأخذوا يجرون الحركة الإسلامية برمتها إليها، تصورات تشكل شئنا أم أبينا تجاوزات مخيفة لأفكارنا وأساسياتنا ومعتقداتنا، بل تشكل ردة على ما تربينا عليه من أفكار ومعتقدات وطروح وأهداف، ولا مبرر لكل ذلك إلا الضعف وقلة الحيلة.

الترديات السياسية للحركة الإسلامية:

فمن قال أن دخول الإخوان المسلمين في حلف وعهد للتعاون وتقاسم السلطة مع ميشيل عفلق وأكرم الحوراني وأمين الحافظ وكل الكفار والمرتدين في أحزاب المعارضة السورية هو من صميم مبادئنا وما تربينا عليه ؟ إنه ردة على ما رفعنا من شعارات وأسسنا من قواعد..

ومن قال أن تحالف الإخوان في مصر مع الأحزاب العلمانية من وفد وتجمع وسواها، ثم دخولهم البرلمان الكافر وتصريحهم بإيمان الحاكم، وتعاونهم معه وكبحهم لتيارات الجهاد، هو من ضمن الحنكة والسياسة التي أباحها الإسلام ؟ إنه انحراف عما ربونا عليه .

ومن قال أن تهبط الصحف الإسلامية هنا وهناك لمستوى النفاق و التزلف وإطراء الحكام المارقين الكفرة الزناة كي يسمحوا لنا ببعض هامش الدعوة من الحكمة والموعظة الحسنة ؟ إنه انحراف وضعف وذل.

ومن قال أن يقوم أحد كبار الدعاة والمشايخ وهو الشيخ (الغزالي) بتفريغ جهوده لحرب الانطلاقة الجهادية والعودة للسنة، ويسخّر كل هزئه وسخريته للنيل منهم. من قال أن هذا من قبيل الاعتدال والتمدن؟ وماذا نريد وبماذا نستطرد؟ والكل يعلم. هل ما تشهده الحركة الإسلامية هو تكتيك أملاه ظرف الهزيمة، أم ردة على ما تربينا عليه ؟ ثم لماذا هذه الحرب الموجهة من كبار الدعوة وقادتها للشباب المجاهد لوقف مسيرته ؟؟

تعالوا نستعرض مواقفهم: إنهم ينكرون على الشباب المتدفق حماساً وفدائية هذا التوجه. بل وينكرون أن يكون ذلك من الإسلام الصحيح، إنهم ينكرون إمكانية تعبئة الجماهير المسلمة في صراعها مع الطاغوت ويدعون عدم كفاءتها، ويستبعدون إمكانية إسقاط تلك الأنظمة الطاغوتية عبر عمل مباشر، ويزعمون أن التوازن الدولي لن يسمح بإقامة دولة الإسلام لاسيما في بلاد ذات استراتيجية وأهمية بالنسبة للعدو ولاسيما طاغوت الشرق والغرب. لقد بدأت في الساحة شعارات مخيفة وطروحات مخيفة لا دافع لها إلا العجز والضعف. إن قيادات الحركة الإسلامية فشلوا ومازالوا يفشلون في تعبئة الجماهير وقيادة ثورتها الرافضة لهذا الواقع، بل ويعملون غير عالمين – أو عالمين– على كبح جماح الاندفاعات الجهادية الثورية الجادة التي أصبحت واقعا لا مفر منه وفي كثير من بلاد العالم الإسلامي، حتى أن بعضهم وظف نفسه حبوبا مهدئة لجماهير المسلمين الثائرة مقدما للطاغوت أفضل الخدمات.

إن شعار الحفاظ على أرواح المسلمين ودمائهم ودفع الضر عنهم غدا على نزاهته سلاحا معاكسا ما فتئ يخدم أعدا المسلمين.

إن واقع المسلمين الحالي لن يغيره عمل لا بذل فيه ولا دماء. بل إن آلافا من الدماء الزكية ستراق ويجب أن تراق حتى ندفع ضريبة هذا الإذلال والنوم عبر عشرات وقل مئات السنين ولا شيء بلا ثمن...لقد قضى 83% من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم نحبهم شهداء لماذا ؟ لماذا لم ينزل الله نصره ويقيم دولة الإسلام سلما ؟ ولماذا لم يتكفل بقتل أعداء الله وإعطائنا الحكم دون جهد؟ ليس مخيفا أن نقدم آلاف بل عشرات الألوف من الضحايا وليس مخيفا أن تراق الدماء..

المخيف أن تراق بلا ثمن ودون مقابل وبلا ضرورة. يجب أن تراق بل ولابد من ذلك، ولكن يجب أن توظف كل قطرة دم شهيد لإقامة صرح دولة الإسلام وبأعلى مستويات الفاعلية، هذا هو المهم وهذه سنة التاريخ، كل الحضارات والأفكار التي أشادت دولا – ومنها حضارة الإسلام– شيدت على صرح مجيد من أعمال الشهداء والفدائيين العظام ومن لا يجد في التاريخ عبرة فلن يعتبر.

هل يتصور أن نقيم الحكم الإسلامي بالشعارات والخطب والنصائح الإسلامية المخجلة التي تتزلف للطواغيت الفجرة الزناة العصاة وتنشر صورهم وتصفهم بما ليس فيهم من الإسلام والالتزام حتى نتمكن من نشر فكرة إسلامية مصلحة ندفع ثمنها النفاق والخزي لصعلوك عربيد ؟؟؟

أم بدخول أحلاف المعارضة مع المرتدين من الأحزاب لإبلاغ صوت الحق عبر أقلية مسحوقة في برلمان طاغوتي ما فتئ يصادق على أحكام الكفر...ربما يزعم ذلك زاعم على إخلاصه إن لم يكن في التجربة عبرة، ولكن ها هي التجارب أما من معتبر ؟ أما فينا رجل رشيد ؟ لقد أقنعونا أن في العمل في الحركات الإسلامية هو الجذرية الانقلابية، ولقد صدقنا ذلك وعملنا، ولكن الحقيقة أن العمل أصبح ترقيعيا إصلاحيا لم يتردد أقطابه عن التردي في المداهنة وأنصاف الحلول مع أشكال الطاغوت المختلفة حاكمة أو معارضة، مشاركة في الحكم! إن كل هذا يفرض على العمل الإسلامي أن يكون انقلابيا جذريا حقاً لا قولاً أن يكون جهاداً ثورياً حكيماً في سبيل الله، إن هذا غدا فهماً عاماً لكثير من الشباب وكوادر الحركة الإسلامية، والذي ما فتئ يفرز الانتفاضات الجهادية الصادقة غير الناضجة، ولابد من التجارب والجهود والضحايا حتى ينبثق الخط الجديد وتولد الطروح العملية من خلال التجربة.

لقد علمتنا التجربة الجهادية الثورية المسلحة في سوريا الشام، أن الطاغوت أضعف بكثير مما يظن الجبناء من المسلمين، وإن إسقاطه وإسقاط هيبته رهن بقيام فئة صادقة تعاهد الله حقا على العمل، ورهن تضافر جهود المسلمين ولا مفر من التضحية، ولن يكون إزالة هذا الطاغوت الواهن عمل يوم وليلة. إن ضعفنا وعجزنا وتفرق كلمتنا وفقر تجربتنا هي من أسباب قوة الطاغوت، وليست قوته الذاتية وما كان له ذلك وليس له من الله سلطان ولا نصير. فعلينا أن نعود إلى أنفسنا ونزيل منها أسباب قوة عدونا الواهن..

المبحث الثالث: حرب العصابات الإسلامية..ضرورة يفرضها الواقع:

لقد ثبت لكل العاملين للإسلام أن المعركة مع الطاغوت قائمة ولكنها مازالت في غالب بلاد الإسلام من نوع الحرب الباردة، حيث يستمر الدعاة والطاغوت في متابعة حال (اللاسلم واللاحرب) ويعلم الجميع أن الصدام الدموي مع الطاغوت أمر واقع، إن لم يكن اليوم فغدا، طالما إنهم يدعون ما يدعون..

ومن هنا يتوجب على العاملين للإسلام وعلى سبيل الفرض الشرعي أن يعدوا لمعركتهم هذه ويخططوا لها امتثالا لأمره تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم". ويتوجب عليهم أن يتخيروا أفضل الأساليب لبناء تنظيماتهم وإعدادها وتدريبها وتزويدها بكل ما يلزم لدخول هذه المعركة المفروضة عليهم، والتي اختاروا دخولها وتمثيل المسلمين فيها يوم رفعوا تلك الشعارات المخيفة..التي تستنفر كل أعداء الله ضدهم.

ولقد أثبتت تجربتنا وتجارب الكثير من الشعوب، أنه لن يكون لمدني أعزل أن يجابه طاغوتا مسلحا يجند القتلة ويربيهم على سفك الدماء بلا خوف ولا رحمة على إرهاب الناس لإذلالهم وسلبهم وهتك أعراضهم بلا هوادة، ولقد أصبحت حالة مشهودة معروفة في سائر بلاد المسلمين كما هي الحال في كثير من بلدان العالم الثالث أن يحتفظ الطاغوت دائما بجزء من قواته ليدربها تدريبا بوليسياً قمعيا خاصاً بإشراف أسياده الإمبرياليين لتكون له درعا واقيا، تحت أسماء شتى كسرايا الدفاع، والوحدات الخاصة، والأمن المركزي، ومكافحة الشغب، والحرس الوطني...وغيره من الأسماء هنا وهناك.

في سوريا مثلا كبلد صغير ومتوسط الحجم بين الدول الإسلامية، يعد سكانه نحو أحد عشر مليونا أو اثني عشر مليونا على الأكثر، يتدرع النظام بعدد من الدروع الأمنية، فهناك أجهزة الأمن المختلفة (شعبة الأمن السياسي-شعبة الأمن العسكري-شعبة الأمن الجنائي-شعبة أمن الدولة-شعبة الأمن التابعة للقصر الجمهوري...الخ) وتعد هذه الأجهزة

المتعددة والتي يصرف عليها بسخاء ويخضع ضباطها لدورات تدريبية اختصاصية في التحقيق والتقصي والتعذيب عشرات الألوف من الضباط والعناصر، كما توظف جيشا هائلا من العملاء والمخبرين، الذين ينتشرون في طول البلاد وعرضها ليتجسسوا على الشعب ويحصوا عليه الأنفاس.

هذا فضلا عن حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يشكل غالب المخبرين منه، والذين يشكلون سرطانا أخطبوطيا يمتد في كل مرافق الحياة ليودي للسلطة خدمات جلى بصرف النظر عن الراغب بالدخول فيه مختارا أو المجبور قسرا ليحصل على عمل أو وظيفة في الدولة.

بعد ذلك تأتي سرايا الدفاع، وهي سرايا مسلحة تسليحا ممتازا ومدربة على القتال الخاطف والإنزال المظلي والميكانيكي السريع، وتنتشر في كل المناطق الحيوية ولاسيما في دمشق وما حولها، وهي سرايا متنوعة التسليح يشرف عليها أخو الرئيس السوري-رفعت الأسد- وهي مشكلة من غالبية ساحقة من النصيريين، وما تبقى من أبناء القرى والصحراء عديمي الثقافة الذين يحولون مع الزمن لأدوات بهيمية تفعل ما تؤمر به دون تفكير ولا تمييز. وهذه السرايا مخصصة لحماية النظام وتعد عشرات الألوف من الضباط والجنود.

ثم يأتي دور الوحدات الخاصة، وهي فصيل من الجيش ككل جيوش العالم يدرب ويعد للمهام الخاصة وأعمال الكوماندوس والاقتحام والإنزال، ويشكل طاقم ضباطه وصف ضباطه من العلويين، أما عناصره فمن أبناء المسلمين، وتأتي الوحدات الخاصة في الصف الثاني بعد السرايا لحماية النظام، وقد كان لها الدور الأول في أعمال القتل والإرهاب والتي نفذت ضد المسلمين أثناء الأحداث، وتعد عدة عشرات من الألوف.

ثم يأتي دور الجيش الذي يشكل طاقم ضباطه الفاعلين في القطعات المحاربة من النصيريين، ويعد ما يقرب من نصف مليون جندي، ولم يتوانى النظام عن زجه في المعركة في أعمال الحصار والتمشيط كدرع مرافق لسرايا الدفاع وللوحدات الخاصة في عملياتها الإجرامية، ولقد قصف هذا الجيش ودمر مدينة حماة بإشراف الضباط النصيريين، وتنفيذ أبناء المسلمين الذين خربوا ديارهم بأيديهم وسفكوا دماء أوليائهم وأهليهم..

إن هذه الآلة القمعية الرهيبة مكنت النظام من أن يفرض كفره على الناس، ويطبق عليهم مخطط التكفير الجماعي لينسى الناس دينهم، وليذلهم ويفرض عليهم الحصار والتجويع.. فماذا أعدت التنظيمات الإسلامية التي زعمت أن الجهاد سبيلها، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها ..؟ لقد كان زعما فارغا بل كان كذبا متعمداً.

ونترك لإخواننا في كل قطر إسلامي أن يدرسوا حالهم التي لن تكون بعيدة عن هذه الحال.. ويقدروا مدى جدية هذا الكلام. وهنا تبرز ضرورة بناء التنظيمات الإسلامية وإعدادها إعدادا مناسبا لمواجهة هذه الأجهزة المدربة، ولما كانت الحرب واقعة لا مفر منها مع هذا الطاغوت، تبرز أهمية حرب العصابات المنظمة التي يقودها ويشرف عليها تنظيم طليعي مدرب، ومعد ليقود جماهير المسلمين في حرب طويلة الأمد، لإسقاط الطاغوت وإقامة حكم الإسلام مكانه. كما تبرز أهمية إعداد التنظيمات وبناءها بناء حقيقيا صادقا يتناسب مع ما يفرض الواقع من الصدام مع الطاغوت في حرب من هذا النوع أثبتت نجاحها في كل مكان قامت فيه وتوفرت عواملها وعلى رأس تلك العوامل نفر من الصادقين العازمين يقودون المسيرة.

نقـول: أثبتـت نجاحهـا بـالطبع بعـد خـوض جـولات مـن الفشـل والخسـائر، ولكـن إصـرار الثـائرين وطليعـتهم الثوريـة وحقهـم الذي ضحوا له فرض النصر أخيرا على أعدائهم بمشيئة الله.

ولا يعتـبر كلامنـا هـذا دعـوة لكـل تنظـيم إسـلامي شـامل الـدعوة انقـلابي الـنهج أن ينـتفض ممـن نومـه حـالا ليحمـل السـلاح ويصـرخ في العشـيرة مقتحمـا المعركـة. إن لكـل بلـد ظرفـه ولكـل تنظـيم وضـعه ولكـل نظـام طـاغوتي مميزاتـه الـتي تفـرض طبيعـة منطق حربه وإنهائه.

إن بعـض الظـروف الـتي نشـأت (كسـوريا) فرضـت علـى تنظيمهـا الإسـلامي أن يسـارع إلى خـوض المعركـة لاعتبـارات كثـيرة أهمهـا حالـة الاحـتلال النصـيري وتـوفر معطيـات الحـرب وعراقـة التنظـيم واتسـاع كـوادره..الخ. وقـد تشـابه بـلاد أخـرى سـوريا أو قـد تتنـاقض معهـا كمعطيـات..ولكن يبقـى الجميـع مطـالبون بـأن يعيـدوا حسـابهم ويرتبـوا أمـورهم وينطلقـوا في إعـادة بنـاء تنظـيمهم، والإعـداد لمعـركتهم عـبر برنـامج جـاد ومنطقـي، ولـيكن لعشـرات السـنين ولكـن المهـم هـو الصـدق وإعطـاء المراحـل حقهـا، والله هـو المتكفـل بالنصـر والفـتح، فهـو القائل:"والـذين جاهـدوا فينـا لنهـدينّهم سـبلنا" فالهدايـة للعـاملين وعـبر طـريقهم الجاد وليس للقاعدين الذين يضحكون على أنفسهم وعلى المسلمين ويشبعونهم من طيب كلامهم.

لـيس خـوض الحـرب ولاسـيما حربـا ثوريـة جهاديـة، مـن الشـكل الـذي نـدعو إليـه عمـلا هـازلا، فـالله تعـالى يقـول: "ولا تقـف مـا لـيس لـك بـه علـم". ويقـول :"وأعـدّوا لهـم مـا اسـتطعتم" وليسـت عمليـة إقحـام المسـلمين في حمـام الـدم هـذه مسـؤولية سـهلة هينـة، رغـم أنهـا واجبـة ومفروضـة علـيهم في نهايـة المطـاف، وكـذلك لـيس هـذا دافعـا علـى التقهقـر والتراجـع والخـوف والتسـليم للذبح تحت الدعاء الذي أسيء فهمه "ليس لها من دون الله كاشفة" كلام حق أصبح رداء جبن وباطل ...

إن حـرب العصـابات الإسـلامية الـتي نـدعو إليهـا رغـم أنهـا كمـا هـي حـرب العصـابات المستضـعفة في كـل مكـان، حـرب غـير نظاميـة ولكـن هـذا لا يعـني أنهـا حـرب بـدو رحـل، لا تقتضـي التنظـيم والتخطـيط والضـبط ويمكـن أن يـديرها نفـر مـن المنـدفعين المخلصـين بعشـوائية وبدائيـة. إن الضـعف والفقـر وقلـة العـدد والعـدة تقتضـي تعويضـا بالصـدق والثبـات والعـزم والتخطـيط والدقـة وحسـن الإفـادة مـن الظـرف، حـتى يتحقـق الهـدف إن شـاء الله تعـالى، ولننظـر في تجربتنـا السـورية الغنيـة في حركـة إسـلامية جهاديـة اسـتمرت في تـواترات متفاوتـة حـتى الآن أكثـر مـن خمسـة عشـر سـنة، ولننظـر في عشـرات حـروب العصـابات الإسـلامية، وغـير الإسـلامية في مختلـف أنحـاء العـا لم، ولنـدرس ولنحلـل ولنسـتفد كمـا أمرنـا الله تعالى..إنهـا تعلمنـا الكثـير ..ولقـد مررنـا فيمـا سـبق بـبعض الـدروس والعـبر الـتي استخلصـناها مـن تجربتنـا الخاصـة، وهـي مفيـدة لنـا لا شـك ولغيرنـا كمثـال لحـرب العصـابات للدراسـة وللتحليـل والعـبرة، ولابـد قبـل تـرك هـذه الفقـرة مـن أن نـتكلم عـن بعـض الملاحظـات الأساسية حول حرب العصابات المنظمة والمخطط لها استراتيجيا.

يقـول أحـد دارسـي ومحللـي حـرب العصـابات الأمريكيـة –في كتابـه حـرب المستضـعفين الـذي أعـده وقدمـه لمواجهـة حـرب العصـابات الـتي هزمـت بـلاده الولايـات المتحـدة– في أكثـر مـن مكـان في العـا لم "إن حـرب العصـابات لا تقـوم إلا إذا تـوفرت أسـباب نجاحهـا" ويقـول إن هـذه الطريقـة مـن الحـرب– حـرب العصـابات– إذا تـوفر لهـا نفـر مـن العـازمين الصـادقين، وإذا اسـتطاع هـذا النفـر تجسـيد شـعارات وأهـداف تمثـل مصـلحة الجمـاهير فـإن مـن المسـتحيل القضـاء عليـه" ولقـد تكلـم غـيره مـن المحللـين العسـكريين الغـربيين الـذين واجهـوا هـذا الـنمط مـن الحـرب في كثـير مـن الكتـب المفيـدة، ولابـد لنـا كمسـلمين وكمعركـة إسـلامية تجسـد مطالـب الحـق بالنيابـة عـن الجمـاهير المسـلمة، وتتصـدى لقيـادة قـافلتهم نحـو الهـدف المنشـود، أن نفهـم أهميـة

هـذا السـلاح ولاسـيما وأن ديننـا ومـا يـزود بـه جمـاهير المسـلمين مـن عاطفـة وفدائيـة وقـدرة علـى التضـحية، يجعـل مـن هـذا السـلاح سـلاحا معجـزا مخيفـا لأعـداء الله.. وهكـذا كـان في كـل حـروب التحريـر الـتي قادهـا الإسـلام وحركـات الجهـاد. علينـا أن نفهـم هـذا السـلاح لاسـيما وأن الحـرب بيننـا كمستضـعفين مـدنيين عـزّل وبـين طواغيـت يحكموننـا بالحديـد والنـار أمـر لا مفر منه.

ليسـت حـرب العصـابات حـرب مواجهـة بـين جيشـين مصـطفين للقتـال بـل علـى العكـس فهـي حـرب إنهـاك، وهـي حقيقـة تشـبه إلى حـد كبـير مثـال صـراع البرغـوث والكلـب كمـا شـبهها بعـض المحللـين العسـكريين، فـالبرغوث علـى ضـعف وصـغر حجمـه، يعمـد في صـراعه مـع الكلـب علـى الانتشـار واللسـع والإنهـاك وامتصـاص القـوى دافعـا الكلـب للحـال المميتـة الـتي لا يجد معها هذا العدو ليقضي عليه. وتستمر اللعبة حتى يوجد البرغوث بطول صراعه فرصة هلاك خصمه وهذه هي اللعبة..

- – إن العصـابات لا تسـقط خصـمها القـوي بصـراع مواجهـة بـل بسلسـلة مـن العمـل الطويـل المـدى، تؤهلـه في الأخـير للسـقوط، لتنتقـل إلى مرحلـة تكـافئ القـوى، وقـد تسـقطه دون بلـوغ هـذه المرحلـة وعلـى هـذه العصـابات الثـائرة المستضـعفة أن تفـر مـن المواجهـة مـا أمكنهـا قبـل مراحـل الصـدام الأخـير، ولقـد أثبتـت كثـير مـن التجـارب ومنهـا تجربتنـا في سـوريا–في حمـاة– فشـل هـذه المواجهـة مهمـا أعـدت لهـا العصـابات مـن إمكانـات محليـة لا مـال لمقارنتهـا بإمكانـات الجـيش النظـامي، وعلـى العكـس اسـتطاعت هـذه العصـابات أن تـدخل الجـيش، وفي كـل مكـان قامـت فيـه ثـورة في التنـاقض المميـت بـين السـيطرة والقـوة المتمركـزة. فبفضـل الانتشـار الواسـع والضـربات المبرمجـة المتلاحقـة يضـطر الجـيش للانتشـار والتواجـد في كـل مكـان فيضـعف خطوطـه الخلفيـة معرضـا مواصـلاته للخطـر والشـلل، وتضـعف قواتـه المبعثـرة الـتي يفـرض عليهـا سلسـلة مـن الواجبــات المضــنية لحراســة النظــام وأهدافــه وشخصــياته وعملائــه ومؤسســاته العســكرية والسياســية والاقتصــادية وطــرق مواصـلاته.. ومراقبـة السـكان والتمشـيط والتفتـيش..الخ مـوفرا للعصـابات أهـدافا سـهلة ومتنوعـة ومتـوفرة ومصـدر تسـليح ممتاز...

فـإذا شـعر الجـيش بضـعفه وعمـد إلى تجميـع قواتـه في منطقـة تـوتر فقـد السـيطرة وتـرك رقعـة البلـد الواسـعة للثـوار ليبـدؤوا عملهـم بـالتنظيم ونشـر الـوعي وتصـفية العمـلاء.. فيضـطر الجـيش للانتشـار وهكـذا..إذا تمركـز فقـد السـيطرة وإذا انتشـر فقـد القـوة، ولا مفـر لـه مـن هـذه المعضـلة، في حـين تتحـرك العصـابات بمرونـة وخفـة وتتضـخم ف كـل يـوم وتجنـد المقـاتلين الجـدد والأنصـار وترفـع معنويـات مقاتليهـا وتنهـك معنويـات جنـود العـدو.. وتسـتمر اللعبـة الـتي يجـب أن تكـون طويلـة الأمـد حـتى ينهـك الخصـم وتقـترب العصـابات مـن مرحلتهـا الثانيـة وهـي مرحلـة تـوازن القـوى والتصـعيد الشـامل بانتظـار تـوفر المعطيات السياسية والعسكرية للمرحلة الثالثة وهي سقوط الكلب منهكا وانهيار الطاغوت.

- – علـى القيـادة الطليعيـة لكـل حركـة إسـلامية جهاديـة ثوريـة مسـلحة أن تفهـم وإلى أبعـد الحـدود ظرفهـا وإمكانياتهـا والأرض الـتي تتحـرك عليهـا وجغرافيتهـا الطبيعيـة والسـكانية والسياسـية وتـتفهم النظـام المعـادي وتركيبتـه ونقـاط ضـعفه وقوتـه وبالتـالي تتقـدم لوضـع برنـامج حربهـا بنفسـها مبتدئـة سلسـلة مـن الإعـداد الـلازم والـذي قـد يكـون طـويلا ولكـن إلزاميـا وسـتتعلم مـن التجربـة وسـتقع في أخطـاء قـد تكـون شـبه مميتـة وقـد تعـود بالعصـابات الثـائرة إلى الصـفر أو قريبـا منهـا بعـد سلسلة من الهزائم..

ولكن يبقى الحق الذي تدعو له والثبات الذي يجب أن يتحلى به الباقون من (كوادرها) باستمرار، خير كفيل بعد تأييد الله بالنصر الموعود إن شاء الله.

• على هذه الحركات الإسلامية أن تفهم كما فهم المجاهدون السوريون وبعد طول جهد وعناء وخسائر أن هذا النوع من الحرب لا يحتاج إلى تلك الهياكل التنظيمية المعقدة الشبيهة ببناء المؤسسات البنكية والتجارية، إنه التنظيم العسكري بكل ما في هذه الكلمة من معنى لخدمة غرض محدد، ضمن نهج محدد، لا مجال فيه للتسيب والتراخي والروتين والاعتبارات الباهتة التي فشت في مؤسستنا الدعوية الهرمة عبر الزمن وجو السلم والرخاء. إن الشورى والحزم والضبط وسرعة الاتصال، وإيجابيات القرار الفوري والحكيم والسريع، والمرونة والحذر والخفة، هي التي يجب أن تتوفر في حركة من هذا الشكل ترتبط القيادة فيها بفروعها بخيط مركزي قوي في خطوط العمل العريضة، تاركة أوسع مجال من اللامركزية للقيادات المتسلسلة، حتى قيادة مجموعة لتتصرف ضمن الممكن والحكمة وما يقتضيه الظرف والضرورة بعد أن تكون قد أعدتها وهيأتها وعبأتها عقيدياً وسياسياً وفكرياً. ولا شك أن بين أغلب التنظيمات الدعوية الإسلامية القائمة، ونعني المعنية بأمر الجهاد وإقامة حكم الإسلام، وبين هذا المستوى من التنظيم الدقيق والفاعل.. بون شاسع يحتاج إلى ثورة حقيقية داخل تلك الحركات، على صعيد العقلية والهياكل.. والمؤسسات حتى تعاد صياغة تلك الحركات من جديد بما يناسب تلك المعركة لإخراجها من أساليب عمل البدو الرحل الذين يعيشون في رخاء وبحبوحة إلى أساليب عمل معاصرة وجادة تناسب قوة ووعي العدو ومن يقف من خلفه.

• إن حرب عصابات إسلامية ثورية جهادية بإذن الله لابد لها من تأييد الله أولا وأخيرا ومن الأخذ بالأسباب ولابد أن تتوفر لها عوامل أساسية:

1. وجود تنظيم إسلامي طليعي جهادي يتصدى لبلورة مجموعة من الأهداف والشعارات التي تنطلق من واقع المسلمين في البلاد المعنية وتمس واقع حياتهم وأمر دينهم ودنياهم.
2. أن تستند هذه الحرب إلى جماهير المسلمين وتنطق باسمهم وتعبئهم ليكون منهم خطوط إرفادها بالجنود والمؤونة والدعم والمعلومات..وعلى هذه الحركة أن تتحرك في وسط الجماهير التي تشكل لها سياج حماية وتخفي لا يستطيع النظام مواجهتها إلا بمواجهة الجماهير بحرب إبادة شاملة وهو ما لا يستطيعه لأن ذلك سيحدد نهايته.
3. وجود الظرف الذي يقتضي ويبرر الثورة من الظلم والطغيان والعسف وغياب الحكم الإسلامي وتعبئة الجماهير حتى يتفهموا هذا الأمر ولا شك أن معظم بلاد الإسلام تعيش هذا الظرف بنسب متفاوتة.
4. الانطلاق ضمن خطة شاملة متكاملة تعتمد نهجا استراتيجيا يضع في التصور خطوطا عريضة للعمل وفق ما يقتضيه الواقع بكل معطياته. ثم الاعتماد على التجربة الذاتية والتعلم منها والانطلاق في تصحيحها الذي غالبا ما يكلف بضع سنوات وعدة انتكاسات باهظة التكاليف.

فإذا توفرت هذه العوامل، وتوفر للحركة الإسلامية قيادة مصممة عازمة ثابتة قدوة على صعيد الفداء والعمل فلا شك أن الفرصة مواتية على صعيد عالم الأسباب، فإن وعده الصدق" إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد".

المبحث الرابع: قضايا هامة وأساسيات في حرب العصابات الإسلامية المسلحة:

في ختام فقرات هذا الفصل الذي سجلنا فيه خلاصة الفكرة والعبرة التي استخلصناها من التجربة التي مررنا بها في الحركة الجهادية المسلحة في سوريا، وما قمنا به من اطلاعات ومقارنات على حركات وثورات إسلامية وعالمية في ظروف ساخنة، بقي أن نذكر ونلمح إلى أهم النظريات والدروس العملية التي استخلصناها من التجربة، ومن مقارنتها بأشباهها من التجارب الإسلامية والعالمية ومن مئات الحوارات والمدارسات التي قمنا بها لاستخلاص هذه الفوائد الموجزة من النظريات العملية في سير حركة إسلامية جهادية ثورية مسلحة، فوائد كلف جهلها وتعلمها آلاف الدماء الزكية وخسائر وانتكاسات فادحة يجب أن لا تذهب سدى-بإذن الله.

وأهم تلك الدروس:

1 -ضرورة إيجاد خط عمل موحد لجميع المؤمنين بالعمل الجهادي الثوري المسلح وتميزه عن باقي الخطوط في تنظيم مستقل متمايز بطريقته المتكاملة على الصعيد العسكري والسياسي والإعلامي:

فعادة لا تطمح العصابات الثائرة لتشكيل خط متمايز بمعنى التنظيم الجديد ذي الطروحات والأبعاد الشاملة ولا يكون لديها الوقت ولا الإمكان لمثل هذا فتنصرف لإدارة المعركة التي تتميز بالروح العسكرية الثورية، ولكن سرعان ما تجد هذه العصابات نفسها بحاجة لطرح متمايز على "صعيد الفكر أيضا كما الأسلوب" وتكون فترة العمل المسلح هي مرحلة المخاض لإفراز مثل هذا الخط الجديد كما حصل معنا لتمييزه عن كل الشوائب التي ورثتها من الماضي، وهكذا ينهي هذا الحزب الجديد مرحلة الفصام النكدة الحادة بين الفكرة والمنهج، وبين الشعار والسلوك، بين الفكرة والتطبيق، وتجد هذه الطليعة نفسها متحولة إلى تكتل سياسي مستند إلى أرضية صلبة واسعة الانتشار بفضل نجاحها في بلورة أهداف الجماهير والعمل بها وباسمهم، وهكذا يلعب العمل وحرارة المعركة دورا إيجابيا في صقل الروح الواحدة وتخليصها من شوائب الانتماءات السابقة والحزبيات المترسبة، لتتكون مع الزمن قاعدة صلبة تتمايز بالتمازج الفكري منهية حالة المزيج التي لابد أن تمر بها في البداية.

وهكذا يوجد العمل المسلح والسياسي والمتكامل، حيث لا تكون العصابات المسلحة مجرد إحدى شعب حزب سياسي مهادن سلمي دعوي تشكل حمايته وسلوك قادته عبئا ينوء به المجاهدون الذين وقع عليهم دور الدفاع والحرب، وإنما يكون العمل العسكري والسياسي والإعلامي...الخ مهما حركة واحدة وقيادة واحدة.

لقد علمتنا التجارب أن تنظيما إسلاميا شامل الأهداف، انقلابي الشعار لا يستند إلى قوة تحميه هو تنظيم هش محدود الإنتاج، محكوم عليه بعمليات التدجين المتتالية، لإدخاله حالة السبات والتقهقر. كما أثبتت أن تنظيما سياسيا إسلاميا شامل الأهداف يستند في قوته إلى فصيل عسكري مسلح كشعبة من شعبه المتعددة مهمتها الدفاع عن التنظيم، يوقع الجماعة ككل في حال انفتاح المعركة في مقاتل استراتيجية مميتة، أهمها أن معظم تلك الكوادر المدنية ستروح وفي بداية المعركة طعمة للاعتقال والقتل فضلا عما توفره بحكم طبيعتها المدنية من أهداف سهلة للعدو المنظم والقوي والمتوحش، وعلى العكس أثبتت التجارب أن التنظيم الذي يعد نفسه لهذه المعركة ويفهمها، يجب أن يعبئ كوادره بالكامل لتكون في حالة حرب، لقد أثبت شعار (علنية

الـدعوة وسـريى التنظـيم) أنـه شـعار فاشـل مـازال يكلـف أصـحابه الـدماء والعنـاء، إذ سـرعان مـا تـؤدي الاعتقـالات المتأتيـة عـن علنيـة الـدعوة، إلـى الإمسـاك بأقطـاب سـرية التنظـيم وهكـذا يـؤدي البنـاء الهرمـي الـدعوي التنظيمـي إلـى الإيقاع بكامل الكوادر في يوم وليلة وتدميرها.

هـذا فضـلاً عـن أنـه لـن يكـون بإمكـان القيـادة العامـة في الحالـة هـذه، وغالبـاً مـا تكـون في القسـم السـلمي غـير العسـكري أن تفهـم طبيعـة المعركـة الـتي تخوضـها قيـادة فرعيـة بـأفراد جهازهـا الفرعـي بالنيابـة عـن القاعـدين الـذين يشـكلون جسـم التنظـيم الـدعوي الأساسـي، وهكـذا سـرعان مـا يكتشـف العسـكريون، وهـم يعـانون مـن ضـراوة المعركـة أنهـم في واد وأن الآخـرين –الـذين غالبـاً مـا يفـرون مـع بدايـة تسـخين الأحـداث– في واد آخـر وهنـا تبـدأ المشـاكل بالتفـاقم، ويميـل السياسـيون للمهادنـة والسـلم وحلـول الوسـط، ويميـل العسـكريون إلى التطـرف والمتابعـة، ويتـوتر الوضـع الـذي غالبـاً مـا ينتهـي بالانشـقاق، فلايكفـي أن يكـون الرجـل داعيـة حـتى يكـون مجاهـداً مغـواراً، وكـل مـن هـو خـارج المعركـة قاعـد مهمـا كـان تقيـاً وورعـاً طالمـا أنـه لـيس ممـن عـذره الله تعـالى. فلقـد ثبـت أنـه لـيس بإمكـان الداعيـة السياسـي أن يـتعلم مـن الحـرب مـن خـلال قـراءة الغـزوات والسـرايا والقيـام بعملـه السياسـي، في حـين أن بإمكـان المجاهـد الداعيـة أن يـتعلم السياسـة ويبلـور نظريتـه الخاصـة بـه والمعـبرة عنـه، والـتي تخـدم معركتـه وكـذلك إعلامـه وكـل متطلبـات معركتـه الـتي يـديرها بنفسـه ويتحمـل نتائجهـا تبعـاً لذلك.

هـذا فضـلا عـن أنـه لـن يكـون بإمكـان القيـادة العامـة في الحالـة هـذه، وغالبـا مـا تكـون في القسـم السـلمي غـير العسـكري أن تفهـم طبيعـة المعركـة الـتي تخوضـها قيـادة فرعيـة بـأفراد جهازهـا الفرعـي بالنيابـة عـن القاعـدين الـذين يشـكلون جسـم التنظـيم الـدعوي الأساسـي، وهكـذا سـرعان مـا يكتشـف العسـكريون، وهـم يعـانون مـن ضـراوة المعركـة أنهـم في واد وأن الآخـرين –الـذين غالبـاً مـا يفـرون مـع بدايـة تسـخين الأحـداث– في واد آخـر وهنـا تبـدأ المشـاكل بالتفـاقم، ويميـل السياسـيون للمهادنـة والسـلم وحلـول الوسـط، ويميـل العسـكريون إلى التطـرف والمتابعـة، ويتـوتر الوضـع الـذي غالبـا مـا ينتهـي بالانشـقاق، فـلا يكفـي أن يكـون الرجـل داعيـة حـتى يكـون مجاهـدا مغـوارا، وكـل مـن هـو خـارج المعركـة قاعـد مهمـا كـان تقيـا وورعـا طالمـا أنـه لـيس ممـن عـذره الله تعـالى فلقـد ثبـت أن لـيس بإمكـان الداعيـة السياسـي أن يـتعلم مـن الحـرب مـن خـلال قـراءة الغـزوات والسـرايا والقيـام بعملـه السياسـي، في حـين أن بإمكـان المجاهـد الداعيـة أن يـتعلم السياسـية ويبلـور نظريتـه الخاصـة بـه والمعـبرة عنـه، والـتي تخـدم معركتـه وكـذلك إعلامـه وكـل متطلبـات معركتـه الـتي يـديرها بنفسـه ويتحمـل نتائجهـا تبعـا لذلك.(إدراج خطأ من الناسخ الأول جزاه الله خيرا)

2 – <u>ضـرورة الاهتمـام بإنشـاء الأجهـزة اللازمـة حسـب أهميتهـا أولا بـأول مـع ضـبطها ومكافحـة جنوحهـا للـروتين في العمل.</u>

أ – القيادة:

وهـي رأس الهـرم في الحركـة الجهاديـة الثوريـة أو مـا يمكـن تسـميته أركـان حـرب الثـورة الجهاديـة (وسـأتعرض في هـذه الفقـرة إلى سـرد أفكـار مستخلصـة مـن تجربـة خاصـة ومـن مطالعـات ومقارنـات في تجـارب كثـيرة إسـلامية وغـير إسـلامية ومـن الحـوارات المطولـة الـتي أجريتهـا عـبر هـذه التجربـة مـع شـرائح شـتى مـن المعنيـين بمثـل هـذه الأمـور، بـدءا مـن الرجـال الكبـار

أصحاب التجربة الطويلة والنظرة الثاقبة، وحتى صغار المجاهدين الذين عاشوا تجارب غنية تفوق في زخمها ما يمكن تصوره فيهم قياسا لعمرهم اليافع وتجربتهم القصيرة، وسأثبت ما اقتنعت به من جراء مطالعاتي وحواراتي الكثيرة المقارنة في هذا المجال، ومراقبتي لسير الأحداث في قضيتنا بشكل خاص وحركات عديدة بشكل عام، سأثبته لأن كل ما ذكرت ما زادني إلا قناعة فيما سأذهب إليه فيما يلي):

عادة ما يرفع راية الجهاد والثورة نفر من الرجال المدنيين المؤمنين بفكر محدد والعازمين على الجهاد في سبيله إرضاء لله سبحانه وتعالى. ومن هؤلاء النفر تكون نواة القيادة الثورية أو ما أسميناه (أركان حرب الثورة الجهادية) ومن خلال المسار الثوري تتمايز مقادير هؤلاء الناس، ومن خلال المعركة والعمل المباشر على أرض الواقع، فيبرز زيد كمؤهل للقيادة يثبته عمله وإخلاصه، ويبرز عمرو كمؤهل لموضوع الإعلام مثلا أكثر من غيره، ويبرز ثالث ليثبت كفاءة في مجال آخر وهكذا.

وفي أجواء المعارك الحقيقية ودرب الجهاد الذي يكلف المتوسد لسدة القيادة حياته ورأسه..قليلا ما يندفع صغار النفوس لمثل هذه المواقع، وغالبا ما يتميز العاملون بالصفاء والإخلاص وكلهم يستشعر قربه من أجله في كل لحظة، وليس كما يكون الأمر في العمل السياسي والدعوي الهين اللين الذي لا يكلف أصحابه شيئا ولو كان معارضة وحرباً للنظام من مواقع آمنة مطمئنة وراء الحدود، لا يكلفهم تضحية ولا جهدا، ولا يحتاج منهم إلا إلى بيان فصيح وسمت مليح وقدرة على التلاعب والدهاء وبعض الجهد الذي يقابله مجد وسلطان وجاه ومال وصولة وجولة...ولهذا ترى أصحاب هذا المجد الهش يتهافتون على هذا الكرسي ويتصارعون عليه ويكيدون لبعضهم ويكذبون ويغدرون ويستبيحون ما لا يجيزه الشرع، فضلا عن أن تقول ما لا يجيزه خط جهادي لأني أعترض على تسميته جهادي ابتداء، ولا مجال للإسهاب، ونترك لكل مطلع أن يعتبر بتجربة الإخوان المسلمين السوريين وراء الحدود، وتجربة الحركات الدعوية الأخرى في الظروف السلمية، ليحكم بنفسه على ما نقول (أعود للفكرة الرئيسية) فعندما تتمايز مقادير هؤلاء الناس يتوسد كل موقعه من خلال إثبات كفاءته ويصادق له الآخرون دونما كبير عناء، ويسير الركب وتنضم (الطاقات).. وهنا يدخل الخط (كوادر) جديدة ربما أثبتت كفاءتها أكثر من أخرى سبقتها إلى الدرب، فلا تجد هذه أيضا العناء في الوصول إلى مستوى المسؤولية، بل يدفع بها العمل إليه، ودرب كدرب الجهاد الحي يختطف كوادره أولاً بأول، وهكذا تسير الأمور منطقية دونما اختناقات خطيرة.

ومن خلال العمل تبرز الحاجة إلى أجهزة متفرعة، فأول ما يحتاجه المجاهدون هو الأجهزة الملحقة بالعسكرية - كالجهاز الفني- وجهاز التسليح- العلاقات مع الأنصار الشعبيين -جهاز الإعلام- العلاقات الخارجية...وهكذا (سأعود للتفصيل في هذا في الفقرة (ب) الأجهزة الملحقة) فلا تكون صناعة الأجهزة سابقة للحاجة لها، ولكن العكس هو الصحيح، وفي حال تسيير الأمور بالمقلوب كما حصل في تجربة الإخوان المسلمين في سوريا، تنشئ أجهزة ويصرف عليها الملايين ثم يثبت أن لا حاجة لها، وتفشل ولا تكون قد أفادت إلا في إشباع رغبة الزعامة عند قيادي محترف، ترأسها وأشرف على فشلها، هذا هو خلاصة تصوري عن التشكيل القيادي والأجهزة. وقد عبر الشهيد سيد رحمه الله تعالى عن هذا بكلام مشابه ولقد وجدت في كلماته رحمه الله بلسماً لأنه عبّر بإيجاز عما وجدته كحقيقة من خلال ممارستي للعمل الحركي ومشاهداتي.

فقال: (إن المجتمع الإسلامي ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي، ينشأ من أشخاص ومجموعات وفئات جاهدت في وجه الجاهلية لإنشائه، وتحددت أقدارها وتميزت مقاماتها في ثنايا تلك المعركة.. وهذه الحركة يجب أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن ويرتد من يرتد ويصدق الله من يصدقه فيقضي نحبه ويستشهد، ويصبر من يصبر ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق...) ا.هـ (فقه الدعوة في ظلال القرآن)

فالمختصر المفيد...تبرز القيادة من خلال العمل وتتابع فيه ولا يكون ثمة حاجة لأن تبرز من خلال الأساليب البرلمانية الديمقراطية –داء الحركات الإسلامية المعاصر– فتثبت وجودها أو تفرز المعركة من هو أجدر منها ولم أسمع خلال تجربة الجهاد السورية عن أحد نازع النقيب إبراهيم اليوسف مثلا أو غيره من القيادة الميدانية للجهاد زعامته في اختصاصه، في حين سئمت كما سئم غيري ممن شارك في الثورة الجهادية في سوريا الصراع على الزعامة التافهة الذي كان يجري وراء الحدود في السعودية والأردن والعراق وأوربا وغيرها من مواقع النعيم الوارف التي تدار منها واحدة من أهم معارك المسلمين المصيرية، وقد عبرت عن الفكرة كما عايشتها إن شاء الله.

أما عن بنية القيادة وطريقة اتخاذ القرار والشورى فالذي أفدته من تجربتي ودراستي وملاحظاتي هو أنه:

- *في موضوع القيادة:*

1 – يجب أن تكون القيادة محدودة العدد ذات كفاءة ميدانية، لا أرى أن يزيد عددها عن الأمير وثلاثة أو أربعة أعضاء قيادة مشاركين له في القيادة، ومدارسة الأمور بعموم اتجاهاتها وأن يمسك كل واحد منهم بجانب أو جهاز مهم من الأجهزة والأقسام الفاعلة في العمل، وأن يعطي فيه كل واحد منهم صلاحيات واسعة ضمن الخطوط العريضة التي يحددها الأمير بعد دراستها معهم ويتخذ فيها قرارا، وهذه الطريقة في الصلاحيات يجب أن تكون معطاة ليس فقط لأعضاء القيادة وإنما لكل من أوكلت له مسؤولية من صنف ما. يجب أن تكون له دائرة حركة وصلاحيات ضمن المخطط العام، فقد أثبتت تجاربنا وتجارب غيرنا أن أسوأ القادة هم أولئك الذين يتدخلون في صلاحيات مرؤوسيهم بعد أن أعطوهم إياها، حتى يصل تدخلهم إلى توافه الأمور كعدد (البطانيات) التي تعطى لقاعدة من القواعد، كما كان يحصل مع قيادة الإخوان وراء الحدود في عمان وبغداد.. كما أنه لا يقل عن هذا الحظ من القادة سواء أولئك الذين يكونون آخر من يعلم بما يدور في قطاعات مسؤولياتهم، فثمة فرق بين أن تتدخل وأن تطلع على شؤون غيرك.

2– يجب أن يكون إلى جانب الأمير عدد من اللجان أو الأشخاص كمستشارين ليست لهم صلاحيات القرار، ولا يهم أن يكونوا أعضاء قيادة أو لا، ويجب أن يركز الأمير وقيادته على أن يكون لهم ثلاث أنواع من المستشارين، أو ما يمكن تسميته بعد امتداد العمل (بالغرف الاستشارية):

أ – *المستشارون الشرعيون*: غالبا ما يكون رجال العمل والحركة من القادة المجاهدين من سن الشباب أو الكهول على أكثر الاحتمالات، وغالبا ما لا تكون سوية العلم الشرعي عندهم في الحد الذي يمكنهم من البت الشرعي والإفتاء في كثير من الأمور التي تعترض المسار، فإن توفر أمير عامل وكان من العلماء المشهود لهم بالصلاح والقدرة فهذا هو النموذجي، ولكن ما أثبته الواقع وعانيت منه بنفسي أشد المعاناة أن معظم العلماء الشرعيين المعروفين بالقدرة على الفتوى ليسوا من رجال العمل والجهاد وللأسف، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فنحن بحاجة إلى العالم العامل

ومعظمهم في سن لا يمكنهم من مباشرة مثل هذا الدور الريادي، فلابد إذن من أن يكون رجل العمل القيادي قد أخذ على نفسه أن يكون راجعا إلى أمرهم فيما يعترضه من مسائل ذات وجه شرعي وتحتاج لفتاوى، وإلا تغلب الرأي والسياسة على ما يوجبه الدين، ودخلنا فيما دخل في أسلافنا من التجاوزات التي بلغت حدا مخيفا، فالشرع قبل السياسة ولا تضارب بينهما على الإطلاق، وإنما قصدت أن الشرع فوق ما قد يبدو لنا مصلحة مؤقتة.

إذن وطالما أننا نسعى لأن نكون جماعة مجاهدة، فقد وضعنا أنفسنا في مقام الذين يقولون سمعنا وأطعنا لكل ما يمليه الشرع الحنيف، ويجب البحث عن مثل هؤلاء العلماء الذين يقبلون أن يعطوا رأيهم في مثل هذه الأمور، وأن تكون للقيادة بهم صلة ولقاء ولو بشكل سري وهو الأفضل حتى لا نخسرهم فهم ندرة.

ب - *المستشارون السياسيون*: وهم أصحاب الخبرة من المخضرمين العارفين بمعطيات الساحة وما يتعلق بالقضية من الحركيين السابقين المضموني الولاء للقضية الجهادية. وكذلك يجب أن تكون العلاقة بهم سرية، وليست آرائهم ملزمة بالضرورة ولكنها ذات قيمة كبيرة في اتخاذ القرار.

ج - *المستشارون العسكريون*: وهم أصحاب خبرة في مجال العمل العسكري ويا حبذا لو كان لهم تجارب في تنظيم أعمال جهادية سرية سابقا أو ممارسة لها، كذلك لا يحمل رأيهم بالضرورة صفة الإلزام، ولكن له قيمة كبيرة فيما ينعكس على القرار الأخير، ولا بأس أن تكون العلاقة بهم سرية أيضا.

وليس بالضرورة أن يكون أصحاب الخبرة الشرعية والسياسية والعسكرية من أبناء البلد الثائر فالمهم أن ترجى عندهم الفائدة والإخلاص والسرية، وفي مرحلة لاحقة يكون من المفيد الاجتماع بهم معا في جلسات واحدة إن تيسر الظرف للإفادة من الحوار المشترك ليبين كل مجال اختصاصه، وأن يحضر أعضاء القيادة وبعض الكوادر المعدة للقيادة جانبا من تلك اللقاءات حسب الظرف.

ويستفاد من هؤلاء بأن يطلب إليهم إعداد دراسات وخطط وما إليها ليصار إلى الإفادة منها على صعيد القواعد في مرحلة من المراحل بإشراف المسؤول عن التوجيه والتوعية والإعداد الداخلي:

في موضوع الشورى واتخاذ القرار:

سبق أن مر معنا موجز للآراء الواردة في موضوع الشورى في السياسة الشرعية (ص 386في الأصل المطبوع).

- فقائد العصابات مطلع على شاردة وواردة في خطوط عمله العريضة، ومعاونوه معه باستمرار، وقد يتيسر له الاجتماع بقادة جبهات وأجنحة عمل ولا يتيسر أن يلتقي بقائد جناح آخر لم يحضر شورى موضوع مهم لظروف الحرب وعليه أن يلتقي مع الأمير على أوامر معينة بمعطيات قد تكون معروفة لديه وقد تكون غير معروفة.

-وظروف المعركة التي لا تقبل التمييع تفرض على الأمير أن يستشير حتى أصغر عنصر من عناصره ليحيط بالأمر الواقع، ولكنها لا تسمح له بأن يميع الأمر ويتحول إلى مجرد عداد أصوات لأعضاء قيادته في أمر ما.

-كما أن ظروف السرية ولاسيما في المراحل الأولى للعمل قبل الانتقال لحال الصدامات المكشوفة لا تسمح بالاجتماع بكل الكوادر المفيدة ومشاورتها في اجتماعات شبه علنية. إن ظروف العمل السري تفرض على الأمير أن يتخذ قرارا بناء على معلومات سرية خطيرة لا يمكن بيانها إلا لعدد محدود قد ينحصر بمساعده فقط، وليس لكل أعضاء القيادة وقادة الأجنحة.

-وبفرض إخلاص الأمير وبذله وسعه في الشورى والتفكير والرجوع لقيادته ثم لغرف استشارته وتقليب الأمر وتوكله على الله واستخارته في كل الأمور يبقى أجدى وأفضل (لديناميكية) عمل العصابات أن يتمتع القائد الأعلى بهذه الخاصة وهو القرار بناءً على الشورى المعلمة فقط، وهذا هو الصحيح شرعاً والذي عليه الدليل. وبما أن القائد سيتحمل بنفسه أولا وبقيادته ثانيا مسؤولية قراره مباشرة بكل أبعاده ومخاطره، فلا شك أنه سيستفرغ وسعه ولن يكون قراره تعسفيا لمجرد إثبات رأيه ، وسيكون أمام أعضاء قيادته حمله عن رأيه بالمناقشات التي تدور للشورى إن كان لديهم ثمة دليل وحجة، ولا شك أنهم قائمون على أعمالهم وبالتالي يملكون الحجة فيما يقترحون.

-وبقرار الأمير الشخصي المبني على الشورى يتحمل الأمير أو قائد الجناح صاحب القرار مسؤولية قراره مباشرة، ويثبت عبر العمل نجاحاته التسلسلية فيثبت جدارته أو فشله المتكرر وعدم صلاحيته وقلة كفاءته وسرعان ما يسقط ليحل محله كفء آخر ولن يتمكن نفسه إلا من ترك المجال لمن هو أكفأ، أما لو كان دوره الأخذ برأي الأكثرية فلن يكون من الممكن إلزامه بالحق في حال الفشل لاسيما إن كان رأيه معاكسا لرأي الأغلبية.

-أمر آخر ذو أهمية(وهو: أني لا أجدني منشرحا إلى أن قائدا مشرفا على عمله سيكون قادرا على السير في إنفاذ مخطط اتخذ الرأي فيه بالأكثرية رغم أنه معارض لهذا القرار. فلن يستطيع قيادة أمر غير مقتنع فيه، وسيكون هذا بالغ الخطورة في عمل عسكري، فأما أن يسير دون قناعة، أو يستقيل في ظرف لا يسمح له بالاستقالة وترك الناس في وسط المعركة، بالإضافة إلى أنني لا أعتقد أن مجرد (50%+1) وهو ما تنص عليه قوانين الديمقراطية هو ضمان لرأي سديد، وللأسف فقد تشرب هذا الداء العصري لمؤسساتنا وولد ظواهر خطيرة في جسم حركاتنا الدعوية، وليس هنا مجال الإسهاب وكما قال أحد جنرالات الحرب العالمية "الديمقراطية هي أسوء الطرق لاتخاذ قرار عسكري، وأكثر هيئات الأركان فشلا هي أكبرها عدداً" .

ربما لا يقتنع بهذا الكلام من لم يجرب نتائج إطلاق روح الديمقراطية في منظمات عسكرية وتدفعه نظرياته الفلسفية لدحض كل هذه الأدلة التي أسلفناها وإني متأكد أن مجربا حركيا عاش تجربة عسكرية حية سيكون متريثا أمام رفضها دون تمعن.

ولابد من القول أن ترك القائد بكل هذه الصلاحيات أمر محفوف بخطورة تحوله إلى ديكتاتور حقيقي لاسيما إن هو أحرز نصرا عسكريا متتاليا، ما لم يتم ضبط ذلك من قيادة ناصحة حقيقية وما لم تكن تقوى الله مسيطرة على العمل وعلى قيادته وأفراده باستمرار، ولكن يبقى هذا الخطر أقل خطراً بكثير من تمييع القرار العسكري وتضييع المسؤولية بين أصابع المصوتين المرفوعة، فلست مقتنعا بقيادة ثورية تفرزها الانتخابات البرلمانية التي تدفع المسؤولين للتصارع وممارسة الحملات الانتخابية بأساليب لا تناسب ظروف المعركة بل لا تناسب ديننا الحنيف، ولا تؤدي لقرار عسكري فضلا عن أن يكون ثوريا يتخذه جيش من القادة ويتحول فيه القائد الذي يفترض أن يكون "محرك" العمل إلى مجرد عداد أصوات.

هذا ما أراه بناء على تجربتي وما فتح الله علي به من خلالها ومن خلال مطالعتي ومحاوراتي الطويلة.

(اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.)

2 – الأجهزة الملحقة: كما أسلفنا يجب أن يكون إيجاد الأجهزة مرهونا بالواقع الذي يستدعي ضرورة كل منها بدوره، وليس بالضرورة أن يكون مسؤولو بعض الأجهزة أعضاء في القيادة في حين يكون من المفيد أن يكون مسؤولو أجهزة أخرى أعضاء في القيادة لأهميتها. أما الأجهزة التي أعتقد أن الثورة إن تقدمت ووقفت على أرجلها فإنها ستجد نفسها بحاجة إلى إنشائها فهي:

جهاز التمويل: ويهتم بواردات الحركة وإحصائها ويضبط مصاريفها...

جهاز التسليح ويدرس احتياجات العمل وطرق تأمينه وإحصاء المتوفر منه وصيانته.

جهاز الوثائق: ويهتم بتأسيس جهاز لتأمين الوثائق اللازمة ضمن الممكن :جوازات، أوراق شخصية..الخ.

جهاز الإعلام: ويشرف على وضع وتنفيذ مخطط العمل الإعلامي بإشراف القيادة.

الجهاز الفني: ويشرف على تأمين وصيانة المعدات والتكنولوجيا وتطويرها...

جهاز العمل الخارجي: ويهتم بأمور الحركة بكاملها في الخارج، من إعلام وجمع تبرعات ورعاية مهجرين وعمل خارجي.

جهاز الاستخبارات: ويهتم بالأمن الداخلي وبجمع المعلومات عن العدو.

جهاز الأرشيف: ويهتم بحفظ كل الصادر والوارد من الوثائق الهامة في الجماعة ويشرف على أمنها وتشفير ما يلزم منها.

جهاز اللجان الشعبية وإعانة المنكوبين: ويهتم بأمر تنظيم الأنصار ورعايتهم ورعاية أمر المتضررين ضمن الإمكان.

ويجب أن تتجه القيادة إلى تأسيس نويات هذه الأجهزة التي تتمدد وتتوسع وتتفرغ من خلال العمل إلا أنه يجب السيطرة عليها بالإشراف المباشر حتى لا تتحول لمؤسسات بنكية كبيرة العدد ثقيلة الحركة بل يجب أن تكون خادمة للعمل لا عبأ عليه فقد يكفي للقيام ببعضها رجل واحد أو نفر قليل.

3- ضرورة أن تضطلع القيادة الواحدة للتنظيم الجهادي الثوري بالقرار على صعيد إدارة العمل العسكري والسياسي والإعلامي بشكل مباشر وميداني وشامل.

إن الافتقار لقيادة واحدة تدير العمل الإسلامي الجهادي الثوري المسلح، أول نذر الدمار، وهكذا كان في تجربتنا وغيرها، فطبيعة العمل تفرض أنه على قيادته أن تكون تنفيذية ميدانية ذات كفاءة متعددة الجوانب على المستوى السياسي والعسكري والإعلامي بشكل شامل لتشكل ما يمكن تسميته أركان حرب ثورية تفرز قياداتها أولا بأول، وتنمي روح المسؤولية في الأكفاء لتعويض الخسائر في القيادة، وتمكن القائد من اتخاذ قرار يعرف بالضبط والتمام تبعاته وإمكانية تنفيذه أو عدمها وضريبة ذلك، فيدير معركته على بصيرة ولا تنزل عليه الأوامر من الأعلى دون أن تكلف أصحابها أرقاً ولا عناءً، **إن ثمة فرق جوهري جدا على قادة الحركات الإسلامية الانقلابية أن يفهموه قبل أن تدفع آلاف الدماء ثمنا للجهل أو التجاهل وهو أن الفارق واسع بين حركة ثورية تدير صداما مسلحا وبين دولة مستقرة ذات سيادة، ففي حين يكون من الطبيعي أن تكون القيادة في الحالة الثانية سياسية تدير ضمن اختصاصاتها المتعددة وزارة للدفاع تأتمر بأمر السياسة مباشرة ولا تخرج عنها.**

ولم يكن على مر التاريخ فيما نعمل لحركة ثورية أن تنتصر وتسير على بصيرة بفعل قيادتين منفصلتين إحداهما سياسة إعلامية تعيش حالة الأمن في الداخل أو الخارج وأخرى ميدانية عسكرية تعاني ظروف المعركة. ولقد كانت قيادة الثورات الناجحة باضطراد واحدة مسيطرة على كل الفعاليات، ميدانية تعيش ظروف معركتها لقد عانت الحركة الجهادية الثورية السورية في مرحلة من المراحل في هذا الواقع عناء مرا دفع ثمنه نحو أربعين ألف قتيل في (حماة) عدا الخسائر المعنوية الفادحة التي أودت بجماعة عريقة ذات جذور في سوريا.

4- ضرورة اضطلاع القيادة المجاهدة الثورية بدورها الريادي على مستوى الإيمان بالفكرة وقدرتها على التضحية وإعطاء القدوة والمثل الأعلى:

تلعب القيادة الجهادية الثورية المعنية بأمر إدارة الثورة دورا مفصليا بالهزيمة أو النصر -بمشيئة الله تعالى- بمدى ما تقدمه من دليل على نجاحها أو فشلها، وعلى الرغم من أهمية كفاءة القيادة الطبيعية وما وهبها الله إياه من القدرة على التخطيط الشامل والواعي لهذه الحرب، ومدى عبقريتها الذاتية، إلا أن أهم ما يجب أن يميز هذه القيادة-والحرب من هذا النوع- هو القدرة على التضحية وإعطاء المثل الأعلى والقدوة.

ففي الحرب تتعلق أنظار الجنود بقائدهم وفي حين ينعكس جبن الجندي وإحجامه على نفسه أو نفر قليل من جواره، ينعكس إحجام القائد وتردده وتلعثمه وانهياره فشلا ذريعا وربما هزيمة لا يستر لها سوأة ولا تحمد لها عاقبة. ولقد لعب هذا في فترة من الفترات دورا إيجابيا هائلا في بداية المعركة في سوريا حين قدمت الطليعة مثالا رائعا في فدائية قادتها الميدانيين وثباتهم وقدرتهم على مواجهة الشهادة بصدور مفتوحة مما دفع الشجاعة في نفوس المجاهدين والشعب على حد سواء. كما لعبت دورا سلبيا مفجعا في مرحلة قيادة الإخوان للعمل من وراء الحدود عندما قدموا الدليل تلو الآخر على إحجامهم عن ركوب المعركة مما دفع القاعدة للحيرة والفشل والتبرم بالقيادة وشعروا أنها لا تشاطرهم العبء ولقد وصل الإحجام إلى أنهم بخلوا بإرسال أولادهم إلى المعركة مع المجاهدين واحتفظوا بهم لأمهاتهم البواكي ...وكان لهذا أسوأ الأثر.

إن على القيادة أن تتحلى بالحكمة والشجاعة، بالصبر والإقدام، بالحذر والجرأة، بالرؤيا الواسعة والفهم الشامل، بالقدرة على اتخاذ قرار سريع ومبادر في ظرف اضطراري مخيف بالصدق، بالإخلاص، بالثبات، بالقدرة على المعاناة، بالقدرة على إشعار القاعدة أنها منها وفيها، وأنها تشاركها الجهد والعناء...هذا فضلا عن أساسيات يجب أن يتحلى بها كل مجاهد في سبيل الله.. وعلى هذه القيادة أن تتخلى عن دورها وتملك الشجاعة لمثل هذا القرار إن وجدت نفسها غير كفؤة للأمر، أو وجدت في الصف من هو أكفأ..وهذه شجاعة وإخلاص قلما يرقى إليها بشر ويغلب صدقه حبه لسيادة هي ملك يمينه.

5 - ضرورة التخطيط الاستراتيجي الشامل وفهم معطيات المسألة الاستراتيجية على أرض الواقع وامتلاك المبادرة ومحاولة الحفاظ عليها باستمرار.

لقد كان غياب النظرة الاستراتيجية والرؤيا الشمولية المنطلقة من الواقع -كما رأينا- سببا في عشرات المقاتل التي تسببت في الهزيمة النكراء في تلك الجولة. ولقد علمتنا التجربة أن الانطلاق في تخطيط حرب العصابات- رغم أنها

حرب غير منظمة- لابد له من حد أدنى من الخطوط العريضة في استراتيجية شاملة على المستوى السياسي والعسكري والإعلامي والمالي...الخ وأن من يتصور أن بإمكانه فعلا إدارة حرب ثورية بهذا الشكل بإلقاء الحبل على الغارب زاعما أن هذا من التوكل على الله، فإنه يهزأ بنفسه وبمسؤوليته وسيدفع الثمن من دمه ودماء المسلمين.

إن حرب العصابات الإسلامية، شأنها شأن كل حرب ثورية لن يكون بالإمكان تخطيطها وتنظيرها على الورق ثم النزول بهذا الورق إلى أرض الواقع، فالعمل كله سلسلة من التفاصيل والمراحل المتلاحقة التي يفرضها واقع متغير ومفاجئ في كل لحظة، ولكن ورغم ذلك يبقى من واجب القيادة أن تنطلق بها من حسابات استراتيجية دقيقة آخذة بعين الاعتبار معطيات الواقع الاستراتيجية حتى في أدق التفاصيل، فترسم مخططا معتمدا على سلسلة من الاحتمالات والحلول البديلة المعدة مسبقا وكلما كانت القيادة متمتعة بالعبقرية والبصيرة النافذة وكلما كانت الدراسة للواقع أعمق وأبعد غورا، كانت تلك الاحتمالات محدودة العدد ممكنة الحلول...إن أولى نتائج غياب النظرة الاستراتيجية والتخطيط الشامل هي انعدام المردود المتوخى من العمل العسكري والسياسي والإعلامي، وظهور الفوضى التنظيمية وضياع المجاهيد وتضاربها، وحدوث مفاجآت في سير الأحداث تعصف بلب المشرفين على سير الأمور. كما تدفع بالعمل العسكري إلى اللامركزية التي تؤدي إلى حصار جيوب المقاومة وإنهائها واحدة تلو الأخرى إلا أن يشاء الله.

فعلى القيادة أن تأخذ في حسبانها وهي تضع تصورها الاستراتيجي الشامل جملة من العوامل التي غالبا ما تكون ثابتة معروفة الميزات والأثر، وهي جملة المعطيات في هذه المسألة المعقدة، وما يمكن تسميتها

معطيات المسألة الاستراتيجية :

1 – واقع الدعوة، وقوتها الذاتية، وقواها الرديفة الصديقة والشعبية وأثر ذلك ومدى ثبات هذا الواقع.

2 – واقع العدو، وبنيته وقوته وبناؤه وأصدقاؤه وحلفاؤه وطبيعة نقاط ضعفه...

3- واقع الجماهير وهي الحكم الفصل في اللعبة، وأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأثر ذلك في السكان، ومدى التعاطف مع الأهداف المرفوعة، معرفة واقعيته في نفسية التركيبة السكانية وشرائحها وأنواعها.

4- الجغرافيا الطبيعية لمنطقة العمليات..الأرض- التضاريس- الطبيعية العمرانية، المناخ العام وأثرها وصلاحيتها أو عدمها.

5- الجغرافيا السكانية، توزع السكان وأنواعهم، طوائف، تجمعات، أعراق، أقليات، وأثر كل منهم في المسألة.

6 – الجغرافيا السياسية وأثرها في المعركة التي يخطط لها.. التجمعات السياسية الموجودة في الساحة وأثرها وقوتها ودورها..صديقة، عدوة، محايدة..تاريخها، مواقفها، رجالاتها.

7 – الجوار وأثره وطبيعة علاقته بنا وبالنظام وطبيعة تركيبته وإمكانية التأثير عليه.

8 – اللعبة السياسية المتعلقة بنا على صعيد الإقليم العربي، والإسلامي، الدولي...إلى آخر ذلك من دراسات ملحقة وتصورات عن المعركة المقبلة أو الناشبة ومستلزماتها وإمكانية تأمين اللوازم..

إلا أن هذا الفهم وإن كان لازما لا بد منه في الإعداد لابد من لفت النظر إلى نقاط أساسية ..

- إن هذه الاستراتيجية لابد وأن تكون ثابتة إلى حد ما في خطوطها العريضة لأن تكاليف تغيرها فادحة إن أمكنت. ويجب أن لا تكون الحلول البديلة كثيرة، بل محدودة ومفصلة أيضا.

- إن مجموعة التكتيكات المتلاحقة لتحقيق مخطط استراتيجي معين يجب أن تكون مرنة إلى حد كبير وأن تعطى فيها أوسع الصلاحيات للمنفذين الميدانيين تحت الإشراف المباشر للقيادة ما أمكن.
- إنه ليس من الضروري أن تتواجد كل الشروط اللازمة لاستراتيجية معينة لبلوغ النصر فكثيرا ما يوفر العمل شروطا لازمة لم تكن لتتوفر في زمن السلم، والعمل كفيل بتوفيرها بالتوكل على الله.
- يجب ترك نسبة لا بأس بها للمغامرة والاعتماد على الله أولاً وآخراً فالعمل أساسه مغامرة، وحرب يترصدنا فيها العدو كما نترصده ويعمد باستمرار إلى خداعنا كما نعمد نحن بالمقابل إلى خداعه.
- قد يفرض المعركة ظرف ما فرضنا، وهنا لا بد من أن تتوفر قيادة تتحلى بالبصيرة والعبقرية لتضع مجموعة من التكتيكات وصولاً إلى نقطة التوازن لمتابعة البناء من خلال المعركة –كما حصل مع الطليعة مثلاً– وستكون طبيعية مثل هذا الحال صعبة وتكاليفها باهظة والله أعلم.
- يجب أن ألا ننسى أولا وآخرا أننا نعمل لله وبالله وأن نصرنا من عنده وأن الله أمرنا بالاستعداد ما استطعنا ولم يعد المسلمون يوما ماأعد أعداؤهم لا عددا ولا عدة وكان نصر الله مشروطا بنصر جنوده لله " إن تنصروا الله ينصركم " صدق الله العظيم.

6 – ضرورة الالتصاق بالجماهير المسلمة والتحرك من خلالها، وتجسيد أهدافها العادلة، وبلورة شعاراتها التي تمس دينها ودنياها معا.

فليس كافيا أن ترفع الحركة الجهادية مبادئ الإسلام والحاكمية بتعميم مبهم. فالجماهير العادية من المسلمين لن يأكلوا في النهاية مبادئ وشعارات عريضة. وعلى الحركة أن تفهمهم أنها تهدف إلى إعمار دينهم ودنياهم وأن مصلحتهم العاجلة فضلا عن الآجلة متعلقة بمدى تضحياتهم ومشاركتهم. فالدين والمبادئ هي الأساس ولا شك وهي التي تحفز المسلم العادي على الإقدام والتضحية ولكن لابد من مخاطبته بمشاكله اليومية. ولابد من التقدم إليه بتحليل شاف عن أسباب شقائه عن البدائل التي أعدتها الحركة الجهادية لمشاكله على الصعيد الشخصي وعلى صعيد المجموع وفي كل المجالات من أمنه إلى اقتصاده إلى أمور حاضره ومستقبله.

فحرب العصابات مستندة إلى الجماهير، وهي مصدر قوتها ومتطوعيها الجدد وتموينها وإيوائها وإمدادها بالمعلومات المفصلة عن تحرك العدو، ويوم تنفصل العصابات عن الجماهير فقد حكمت على حربها بالهزيمة. فلا يمكن لها وهي المحدودة عددا المعدمة عدة أن تواجه النظام بقوتها الذاتية، إن على هذه العصابات أن تكسب تأييد السكان ما أمكن، لأن هؤلاء هم الوسط الكبير الذي تتخفى فيه وتنطلق منه، ومن عجائب نعم الله أن النظام المعادي لا يستطيع بحكم باطله الذي نشأ عليه أن يحيد هذه الجماهير، فسرعان ما تتجه حربه إليهم وينعكس نكاله لهم ليغطي على فشله في القبض على العصابات ويقدم بتعسفه وظلمه وفجور عساكره أروع هدية للعصابات المجاهدة إذ يعمل على تجنيد الشعب كله في المعركة لصالحها بسرعة فائقة. وعلى إعلام المجاهدين أن يحسن الإفادة من هذا الظرف. ولقد فشلت عدة حروب عصابات عالمية انفصلت عن السكان وتآكلت، وكانت الثورة السورية واحدة من هذه الثورات، ولقد تآكلت وتحدد عددها وعزلت عن جماهيرها بالخروج خارج الحدود، وكانت هذه إحدى أسباب الهزيمة . فضلا عن أن

هـذا أعطـى الشـعب الشـعور بـأن الحركـة الإسـلامية قـد تخلـت عنـه وتركتـه لقـدره يصـارع المحتـل النصـيري في معركـة غـير متكافئة.

7 – ضـرورة الاعتمـاد علـى القـوى الذاتيـة في التمويـل والتسـليح وكـل أسـباب القـوة وعـدم الركـون إلى المسـاعدات الخارجية:

يجـب أن يعـرف الثـوار المجاهـدون المسـلمون، أنهـم في معـركتهم هـذه يـدخلون حربـا مصـيرية أحرقـت فيهـا السـفن، فالكـل يعلـم مـدى خطـر انتصـارهم علـى الجميـع، ولـن يمـد لهـم أحـد يـد العـون ليعطـيهم أسـباب النصـر، فـإن حصـل فلمصـلحة مؤقتـة أو لمـؤامرة مبيتـة. ولقـد أثبتـت تجربتنـا وتجربـة غيرنـا في كـل أنحـاء العـا لم أن المصـدر الأول للمـال والسـلاح يجـب أن يكـون مـا يحصـل عليـه مـن أيـدي العـدو الـذي دخـل الحـرب ضـدنا وأنـه يجـب الإفـادة مـن هـذا العتـاد، والـذخيرة والسـلاح الـذي يتفضـل بنقلـه إلى جبهـات القتـال معنـا مـوفرا لنـا أفضـل مـوارد التسـليح والعتـاد. ولـن يشـفق علـى مجاهـدينا وأهلـيهم المعـذبين إلا أنفسـهم أو مـؤمن مـن المسـلمين هـو واحـد منـا مهمـا بعـدت الـدار والمـزار، ومـا تبقـى فلـن يكـون نصـيرا استراتيجيا ويجب فهم هذا الأمر مهما بلغ من المرارة .

8 – ضرورة التركيز على التربية والتوجيه المعنوي وإيجاد القاعدة الفكرية الواحدة وإنهاء حالة المزيج التنظيمي.

ترتكـز الحركـة الجهاديـة الثوريـة المسـلحة علـى حـق تـدعو لـه، ويجـب أن تَفهَمَـهُ وتُفَهِّمـه للجمـاهير بكـل إيضـاح ويجـب أن تـربى قاعـدتها علـى فهمـه، وترفـع مـن مسـتوى وعيهـا عـبر برنـامج معـد للتربيـة والتوجيـه المعنـوي، فغالبـاً مـا تكـون الطبقـة الأولى مـن المجاهـدين الثـوار متفهمـين لقضـيتهم متربـين عليهـا تربيـة إسـلامية وسياسـية وفكريـة نوعيـة، وسـرعان مـا تـذهب المعركـة بتلـك الكـوادر لتحـل محلهـا كـوادر أقـل فهمـا وهكـذا حـتى يضـم الصـف عناصـر لا يميـزهم إلا الانـدفاع والإخـلاص مـع الجهـل الكامـل بالنظريـة الجهاديـة الـتي يرتكـز إليهـا العمـل كلـه، ومـن هنـا يجـب القـول وقـد علمتنـا التجربـة أنـه يجـب الاهتمـام بإعـداد برنـامج تربـوي وإعـدادي وتوعيـة شـامل يضـم الإعـداد الـديني والروحـي بـأعلى المسـتويات، توجهـاً فكريـاً وجهاديـاً ثوريـا مركـزاً وفهمـاً تاريخيـاً لجـذور الحركـة وواقعهـا وأهـدافها المسـتقبلية، كمـا يتضـمن الإعـداد العسـكري الممكـن واللازم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا...

إن توحيـد القاعـدة الفكريـة للمجاهـدين الثـوار ورفـع سـورية ديـنهم وتقـواهم خـير ضـمان في الحصـول علـى صـف متماسـك كالـذي ذكـره القـرآن "إن الله يحـب الـذين يقـاتلون في سـبيله صـفاً كـأنهم بنيـان مرصـوص" " محمـد رسـول الله والـذين آمنـوا معـه أشـداء علـى الكفـار رحمـاء بيـنهم تـراهم ركعـا سـجداً..." يجـب إنهـاء حالـة المـزيج التنظيمـي والقضـاء علـى الرسـوبيات الحزبيـة العتيقـة وسـتجد القيـادة في أجـواء الجهـاد خـير عـون علـى ذلـك. ويبقـى هـذا خـير دافـع لـداء الخـلاف والانشقاقات التي كانت دائما قدر الثورات والانتفاضات.

9– ضرورة ربط التمدد التنظيمي وإخضاعه للسيطرة، وتجنب إثارة الجماهير دون إمكانية لضبطها والسيطرة عليها.

فعلـى القيـادة أن تحـدد أسـس عمليـة التنظـيم وحجمـه ضـمن إمكانياتهـا الماديـة والتعبويـة في السـيطرة عليـه والإفـادة منـه، ويجـب تـوفير أي عنصـر مـن الشـعب أن يـؤدي ضـمه إلا إلى العـبء والاعتقـال. كمـا يجـب تجنـب إثـارة الجمـاهير عـبر

عمليات عسكرية إعلامية دون حساب إمكانية الإفادة من ذلك والسيطرة عليه. فلا يجب توريط تلك الجماهير بعمل موسع وجعلها طعمة مباشرة لثأر السلطة الشامل دون إمكانية حمايتها أو إمكانية الإفادة من انتفاضتها (كما حصل في أحداث آذار 1980 في سوريا. وقد مر بيانه).

10 - ضرورة الاحتفاظ بالقيادة وبكوادر الثورة الأساسية في أرض المعركة وترك التواجد في الخارج في أضيق الحدود:

وكفى في تجربتنا الماضية عبرة. فالمعركة في الداخل يجب تطويرها وتكيفها على أرضها، لتبقى ممثلة لأهدافها ولجماهيرها ملتصقة بهم.

11 - ضرورة إنهاء حالة التميع التنظيمي وأمراض الديموقراطية في صفوف التنظيم الجهادي الثوري الذي يجب أن يكون نظام ضبطه عسكريا طالما استمرت حالة الحرب:

فقد أثبتت التجارب أن الديموقراطية هي أسوأ الأساليب لاتخاذ قرار عسكري، في حين أثبتت الشورى التي أوجبها الشرع وفرضها أنها أضمن الأساليب للنجاح. وقد أسهبنا في هذا في الفقرة(2).

12 - ضرورة دراسة ورعاية الخط البياني للثقة بين القاعدة والقيادة باستمرار والمسارعة إلى علاج الإشكالات الناشئة أولا بأول دفعا لبلاء الانشقاقات:

ويجب اعتماد الجو الأخوي والمصارحة والمباشرة في حل تلك المعضلات.

13 - ضرورة عدم التورط في وفاقات ميتة مع جهات إسلامية موجودة في ساحة الصراع لا تؤمن بالفكر الجهادي الثوري المسلح.

فمهما بدا شعار توحيد جهود المسلمين براقا لا يجب نسيان الأثر السيئ لمزج تركيب مختلف من الناس في قافلة ذاهبة للحرب، ولابد من التمايز، فمن اقتنع بالدرب انضم إليه وشغل موقعه حسب كفاءته ومن لم يقتنع فليسلك درب العمل إلى الله عبر قناعته وله الأجر حسب إخلاصه وصوابه.

ولقد أثبتت ساحة العمل الإسلامي موضوع (تعددية العمل الإسلامي) كأمر واقع إن لم يكن كأمر صائب أحيانا، ففي حين تتسع الساحة حسب استيعابها ربما لعشرات التنظيمات الدعوية والمسجدية والخيرية والسياسية وكلها قد تكون إسلامية حسب ما تطرح من برامج، فإنهاتضيق عن استيعاب تنظيمين مسلحين دون أن يكون بينهما مجال تضارب وصدام في العمل. وهذا ما أثبتته الكثير من الثورات في العالم ومنها الثورة الجهادية في سوريا. فقطاع الجماهير التي ستتوجه إليها بالتعبئة واحد وسيكون هذا مجال صدام وحرب إعلامية.. والأهداف العسكرية المستهدفة واحدة، والوضع الأمني المرير الذي سيلحقه تنظيم عسكري بآخر أمر لابد واقع وقد حصل، ولابد أن يفرض الواقع على تلك التنظيمات الإسلامية الجهادية العسكرية نوعا من التنسيق أو أن الواقع سيصفي إحداها وسيثبت الأخرى. أو أن صداما بينهما سيحصل لتشابك معطيات المساحة. ففي حين ترى إحداها الهدنة مع النظام نتيجة ظرفها تراه أخرى جريمة لا تغتفر.. ويحصل الصراع وضياع الجهود. ولكني أكاد أجزم أنه إن سلمت النفوس وأخلصت لله فلن يختلف

زعيمـان مجاهـدان علـى القيـادة فـإن اختلفـا فأحـدهما أو كلاهمـا غـير مخلـص. وقلمـا يفـرز العمـل الجـاد مثـل هـذا الخـلاف ولابـد مـن توحيـد المتجهـين للجهـاد العسـكري المـؤمنين بحمـل السـلاح جهـادا في سـبيل الله في تنظـيم واحـد، لا يكفـي التنسيق ولا أفهـم التنسيق إلا هدنـة يلحقهـا الصـراع فيمـا بعـد. هـذا بـين العسـكريين. أمـا مـع الجماعـات الإسـلامية الـتي لا تـؤمن بالجهـاد وحمـل السـلاح فـإن مـن غـير المنطقـي التفكـير في الـدخول في وفاقـات واتحـادات معهـا لـدمج القاعـد بالمجاهـد. وكفى بتجربة الوفاق بين الطليعة والإخوان درسا.

أمـا أن يكـون تعـاون محـدود بنقـاط محـددة وأن يكـف بعضـنا عـن الآخـر فـنعم وهـذا مـا يجـب أن يحصـل إن يسـر الله تعالى.

14 – ضـرورة عـدم التـورط في تحالفـات مباشـرة ومشـروطة مـع جهـات وأحـزاب علمانيـة مهمـا كانـت الـدعوة براقـة للوطنية والوحدة في وجه الطاغوت وضم الجهود ومصلحة الجماهير..

فقـد أثبتـت هـذه الأحـزاب أنهـا منحرفـة وتابعـة، فضـلا عـن أن غالبهـا قـد كانـت لـه فرصـة الحكـم يومـا مـا ولنـا في رقـاب قادتـه دمـاء وأعـراض.. هـذا فضـلا عـن عـدم جـواز مثـل هـذه الأحـلاف وغالـب قيادتهـا وأفكارهـا في نطـاق عـالم الـردة. ويجـب التركيـز علـى عـدم جـواز التـورط في وعـود للمشـاركة في الحكـم في حـال سـقوط الطـاغوت في أجـواء ديموقراطيـة وشعبية.. إلى آخر هذه القائمة المشبوهة من الطروحات.

15 – ضـرورة إغـلاق كـل بـاب للمفاوضـة وإلقـاء السـلاح مـع الطـاغوت المتمثـل في النظـام الحـاكم بعـد فـتح المعركـة لأنها ليست إلا استجرار للمذبحة والاستسلام.

فلـن تفـتح هـذه المعركـة إلا لأن إمكانيـة التفـاهم مـع مثـل هـذه الأنظمـة قـد سـدت، ولـن يكـون مـن الممكـن أن يتفـاوض الجـزار وذبيحتـه، ولـن يكـون مـن وسـيلة ناجعـة للتفـاهم بعـد فـتح المعركـة إلا عـبر المعركـة، إلا عـبر السـلاح، وكـل مـا عـداه استجرار للاستسلام والله أعلم.

16 – ضرورة التعاون مع الحركات الإسلامية الجهادية المسلحة على صعيد تبادل الخبرات والكوادر والتجارب والدعم ضمن إطار عمل منفصل يفرضه الظرف مع تنمية الشعور بوحدة المآل المطلقة.

17 – ضرورة التعاون مع الحركات الإسلامية على صعيد الاتفاق والتعاون والإفادة منها في مجال الإعلام والدعم المادي والإرشاد والنصح.

18 – ضرورة ضبط العلاقات التعاونية والمصلحية المشتركة مع الهيئات والجماعات غير الإسلامية بإخضاعها لسياسة شرعية محققة محكومة بما يقرره الإسلام وبأضيق إطلاقات الضرورة وفق أصولية تناسب الفكر والطرح وتناسب الوعي السياسي للصف المجاهد.

19 – ضرورة إيجاد التوافق بين تركيز الجهود وإيجاد التفوق المحلي في التكتيك العسكري على قوات العدو وبين الانتشار وتغطية رقعة البلاد عن طريق المرونة وخفة الحركة وسرعتها. وإيجاد نوع من العمل المخطط بشكل مركزي واستراتيجي لإيقاع الجيش في الارتباك والتناقض وإهدار معنويات جنوده.

20 –ضرورة الاهتمام بإعطاب الجهاز السياسي والأمني والعسكري للنظام المعادي باستهداف رؤوسه مع بداية المعركة حيث يكون في مرحلة الاسترخاء مثل (رئيس الدولة، الوزراء وأعضاء البرلمان، وكبار ضباط الأمن والجيش...)

21 – ضرورة ردع أصدقاء النظام عن تأييده ودعمه دون تطوير ذلك إلى فتح جبهات ثانوية حقيقية. وبذلك يحاصر النظام ويردع أصدقاءه عن الوقوف من الحركة موقفا عدائيا معلنا.

22 – ضرورة عدم الارتكاز على الجيش في وقت مبكر لتنظيم انقلاب عسكري محالف، لأن كل الجيوش القائمة في الدول العربية والإسلامية هي جيوش قائمة في الأساس على كوادر عسكرية غير ملتزمة إسلامياً وسيؤدي نجاح مثل هذا الانقلاب إلى استلام العسكريين الذين سرعان ما سينقلبون على المجاهدين المسلمين الذين سيكونون أقلية مستضعفة سرعان ما تذوب أو تصطدم بالعسكريين الجدد. وفي تجربة عبد الناصر والإخوان المصريين خير العبرة وعلى العكس يجب مع بداية العمل إيجاد عناصر مجاهدة ثورية في الجيش كضباط تابعين للحركة يعملون على تنفيذ ما تأمر به لتفكيك الجيش المعادي والتسريع بهزيمته في الحرب كمؤسسة قمعية لإعادة تركيبه بعد سقوط الطاغوت كوسيلة إسلامية أساسية في الدولة.

23 – ضرورة تجنب الصدام المكشوف وحرب التمركز ضد الجيش النظامي، هذا الأسلوب الذي أثبت فشله وكان فادحا في الخسائر التي أحدثها. وعلى العصابات المجاهدة أن تستمر في حربها المنظمة طويلة النفس سعيا إلى دخول مرحلة الهجومات الموسعة دون التمركز، والتي تمتد حتى حصول نوع من التوازن في القوى أو توفر جو يساعد على الدخول في صدامات مفتوحة لإسقاط النظام.

ولن يكون بالإمكان إنشاء مثل هذه المناطق المحررة والدفاع عنها إلا إذا وفرت عوامل خاصة جدا كاستنادها إلى خطوط تموين مضمونة ومستمرة، وتوفر وعورة في المسالك تجعل من العسير على الجيش السيطرة عليها والتحرك فيها، وإحاطتها بمنطقة عمليات واسعة نشطة تكون نصف محررة (الفعالية فيها لعصابات الثوار وحيث يتهدد كل مسلك

قـوات الجنـود الحكـوميين) وبـدون تـوفر مثـل هـذه العوامـل تبقـى مثـل هـذه المحـاولات ضـربا مـن المجازفـة والمقـامرة بـأرواح المدنيين ولقد كان في درس حماة عبرة رغم أنه كان ظرفاً إجبارياً لم يختره المجاهدون رغبة فيه.

24 - ضـرورة اتبـاع نهـج الإعـلام الصـادق لمواجهـة إعـلام الطـاغوت الكـاذب. والـذي يصـور باسـتمرار قضـاءه علـى المجاهـدين وسـيطرته علـى الوضـع. لقـد أثبتـت تجربـة الإعـلام الإخوانيـة، ولاسـيما أثنـاء النفـير وحـرب حمـاة فداحـة الخسـائر المترتبـة علـى إعـلام مهـول كـذوب، عـدا عـن مـا في ذلـك مـن تجـاوزات شـرعية بصـرف النظـر عـن الفتـاوى الشـائهة الـتي أباحـت أن يكذب المسلمون لأغراض خيرة.

فيجـب علـى إعـلام المجاهـدين أن ينحـو منحـى صـادقا يجعـل منـه مصـدر معلومـات مؤكـد مـع الـزمن لـدى العـدو والصـديق ولهـذا الأمـر رغـم مـا قـد يحدثـه أحيانـا مـن الصـدمات أبلـغ الأثـر علـى المـدى البعيـد ولا يجـوز للمجاهـدين أن يكـذبوا لتهـوين خسـائرهم أو المبالغـة بخسـائر عـدوهم وعلـيهم في أقصـى الحـالات أن يسـكتوا عـن أنبـاء لا يريـدون إبلاغهـا أو أن يواروا عما يريدون. فحربنا قامت على عدالة طرحنا وصدق خطنا مقابل طغيان عدونا وكذب ادعائه.

وخلاصة القول

إن الحركـة الإسـلامية تشـهد مـيلاد تجديـد جديـد، وهبـوب ريـاح حيويـة ونشـاط في مفاصـلها الـتي شـاخت كثير منهـا كمـا أن هــذه الــروح الجهاديــة الشــابة في الحركــات الإســلامية تواجــه مجموعــة مــن الصــعوبات الهائلــة بعضــها خــارجي وبعضــها داخلي..

ونريــد مــن إخواننــا أن يعتــبروا، إن المعركــة مــع الطــاغوت قائمــة وعلــى قيــادة الحركــة الإســلامية أن تفــتح المجــال أمــام التجديـد والكـوادر الشـابة المخلصـة للعمـل، فتفيـدها مـن تراثهـا وتجربتهـا وتـترك لهـا مجـال الانـدفاع منعـاً للشـرخ الـذي لابـد حاصل إن سارت الأمور على ما هي عليه.

إن ثمـة تضـارب نحيـاه، بـين الهـدف وهـو إقامـة حكـم الله ومقاومـة الطواغيـت، وبـين الوسـيلة وهـي التنظيمـات الـتي قامـت لخدمـة هـذا الهـدف. وثمـة تنـاقض خطـر نعيشـه بـين الشـيوخ وتقاليـدهم المعهـودة وولائهـم لهياكـل حزبيـة هرمـة وبـين شـباب مخلص مندفع يريد أن يشق طريقة في الجهاد خروجا من حال الظلم الواقعة ووصولا لإقامة الحكم الإسلامي.

لقـد أثبتـت الحركـة الإسـلامية في سـوريا الشـام عـبر ثورتهـا، وكـذلك بـوادر الانطلاقـة الجهاديـة في مصـر وغيرهـا مـن بـلاد العـالم الإسـلامي، أن القيـادات التقليديـة للعـالم الإسـلامي غالبـا مـا تفشـل في إحـداث تغيـير نـوعي في تفكيرهـا وسـرعان مـا تنتقـل لمقاومـة هـذه التيـارات الناشـئة. لقـد أصـبحت مصـلحة هـذه الهياكـل التافهـة وثنـا نعكـف عليـه رغـم الخسـائر الفادحـة التي ندفعها.

إننـا بحاجـة إلى ثـورة داخليـة في مجـال عملنـا الـدعوي، ويجـب أن تعيـد القيـادات الإسـلامية المخلصـة حسـاباتها حـتى يكـون التطـوير داخليـا قبـل فـوات الأوان، وحـتى تكـون عمليـة الترمـيم والبنـاء طبيعيـة. يجـب أن يفهـم الجميـع أنـه لا يكفـي أن يكـون الأخ قـديما في الحـزب حـتى يكـون مجاهـدا، ولا يكفـي أن يكـون الشـيخ وقـورا حـتى يكـون قائـدا، ويجـب إفسـاح المجال أمام القوى الشابة والدماء المجاهدة الجديدة. حتى تكون ولادة الخط الجديد ولادة طبيعية.

إلا أن سير الأمور رغم رجائنا لا يبشر بمثل هذه الولادة وكأن قدر هذا الميلاد أن يكون قيصريا، يجب أن نعمل جميعا حيث يمكن تلافي الأمر حتى لا يؤدي هذا النمو الخير إلى الانفجار الذي يبدو وكأنه حتميا. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الفصل الرابع: خطوات على طريق الثبات في الشام المباركة.

مقدمة:

الحمد لله أن بالإمكان القول أنه ورغم أننا ولدنا كحركة جهادية في بلاد الشام في ظروف الاستثنائية إلا أن هذه الطروحات الفكرية الجهادية الرافضة لهذا الواقع المرير لا تأتي بدعا من القول. فها هي ساحة الوطن الإسلامي الكبير عربية وعجمية تشهد ميلاد فكر الجهاد، وانبعاث رايته من داخل صفوف الحركات الإسلامية ذات التاريخ الدعوي الطويل، وهاهي أخبار الانتفاضات الجهادية هنا وهناك تطالعنا بأخبار المجاهد الثائر حاملا بندقيته مقررا إرساء خط جديد في ساحة الدعوة يأتي بدوره مكملا الطريق بما يناسب ما وصلت إليه حالة المسلمين ودعوتهم في ظل حكومات الكفر والجور والعسف.

ولو أننا عدنا إلى الوراء بضعة عقود ناظرين في مسار الدعوة إلى الله، ذلك المسار الذي ولد إبان أو بعد سقوط الخلافة الإسلامية التي آلت في أواخر أيامها إلى رمز إسلامي وحسب.

نجد أن ذلك المسار ولد في أنحاء شتى من الوطن الإسلامي في مصر والشام وتركيا والباكستان...الخ بطروح متشابهة تدعو إلى العودة لفهم الإسلام فهما شموليا كدين ودولة وعبادة وعقيدة، مصحف وسيف، نظام شامل ارتضاه الله لعباده المؤمنين، وأوكل إليهم واجب تحقيقه على سبيل الفرض.

وهكذا شهد العالم الإسلامي ارتفاع شعار الجهاد والدعوة، فاتحاً المجال أمام ملايين المسلمين الذين كانوا يعانون من الاستعمار والاضطهاد في كل بقاع الوطن الإسلامي. وراحت الدعوة تشق طريقها، وكعهد كل دعوات الخير؛ اصطدمت بإرادة الطواغيت ورثة فرعون ونمرود. وابتدأت المحنة وتابعت الدعوة طريقها صابرة مصابرة فتحمل الدعاة السجن والقهر والقتل وكل صنوف الظلم. وتتالت السنون وزاد طغيان الطغاة وثبت صبر الدعاة إلا أن الحال وصلت لوضع لا يطاق. وبدل أن تتطور الدعوة تلقائيا لتفرز قيادتها الميدانية الشابة، ولتولد الخط المنطقي والطبيعي لعلاج تلك الأوضاع المارقة والظالمة، بدل ذلك راحت الدعوة تمر في مسارات حسب الظرف الذي نشأ في كل منطقة من المناطق، وتولدت نظريات دعوية شتى أسفرت عن مدارس في الدعوة تراوحت بين الدعوة إلى الله من خلال مهادنة الطاغوت بل والالتصاق به أحيانا، وبين الدعوة إلى الله من خلال ما يسمح به الطاغوت من أجواء برلمانية ديمقراطية، فتلاحم الدعاة مع صنوف أخرى من ضحايا الظلم والحكم الاستبدادي، من تجمعات وطنية أو قومية أو غير ذلك تتقوم في معظمها على فكر علماني مرتد، وشكلت معها معارضات سياسية. وانصرفت الدعوة في مناطق أخرى لتتابع طريقها عبر مدرسة الصبر اللانهائي متحملة القتل والعذاب والسجن والتشديد دون طائل...

ولقد لعبت القيادات التقليدية التي قادت الدعوة خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة لعبت الدور الأكبر فيما استقر عليه الطريق. ولم تستطع تلك القيادات وللأسف رغم الإخلاص في كثير من الأحيان، لم تستطع أن تتطور بما يناسب تطور أساليب الطواغيت في تحجيم الدعوة وتقليم أظافرها بل وتدميرها في بعض الأحيان، مما جعل الشباب الذي تربى على فكر الجهاد والمفاصلة والتمايز، عبر كتابات ومواعظ سلسلة الطبقة الأولى من المفكرين الدعاة كالمودودي وسيد والبنا وعودة وغيرهم...كل هذا جعل الشباب يعيش في حالة من الفصام الصعب بين فكره وطموحه

وبين ركود القيادة الدعوية وعدم قدرتها على التطور والنماء وتوليد خط الجهاد الذي غدت كل مقدماته ومبرراته تطرح نفسها بإلحاح. وبدلا من أن تسمح تلك القيادات لتلك الطموحات الشابة والصادقة من أن تشق طريقها عبر التنظيمات الأم للدعوة، مفيدة من كم هائل من الإمكانيات البشرية والمادية والعلمية، ومن الذخر التاريخي المجيد مما لو كان وظف في طريقه الصحيح لاجتاحت الدعوة تلك الصروح الطاغوتية واجتثتها من الجذور. ولكن لحكمة يعلمها الله لم تنح الدعوة عبر قياداتها هذا المنحى. واضطرت التطلعات الجهادية التي تحمل فكر الجهاد العلمي الثوري المسلح هنا وهناك أن تشق الطريق بنفسها محدثة ما أسموه انشقاقاً عن الجماعات الأم. ولعل أبرز ما حصل في هذا الاتجاه هو ميلاد الطليعة المقاتلة على يد الشهيد مروان حديد في الشام المباركة وشبيه به ما حصل من انتفاضات جهادية في أرض الكنانة مصر وفي غير ذلك من البلدان...

حيث لم يسمح تصلب جلد الدعوة المتمثل بهيكليتها التقليدية المسيطرة بالتطور الطبيعي، كان لابد من أن يأتي ذلك التطور انفجاريا. وهكذا انشطرت مدارس الدعوة وبرزت طروح الجهاد باحثة لنفسها عن قيادتها وخطها وطريقة عملها...

(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

فإذا عدنا بعد هذا الإسهاب للحديث عن تجربتنا الجهادية الخاصة في الشام المباركة فإننا نجد أننا نأتي كخط جهادي ثوري ضمن هذا السياق الذي ميز الدعوة الإسلامية في شتى أماكنها منذ مطلع السبعينات.

أما الآن فنحن مدعوون إلى صياغة حلقة جديدة في سلسلة الدعوة المباركة في الشام، حلقة تولد ولادة طبيعية بدورها لتلم شعث أولئك المجاهدين الذين جاهدوا وهاجروا ورابطوا ونصروا خلال المرحلة الماضية ومن آمن بدربهم من أبناء هذا الشعب المسلم ليكونوا ورثة تلك الراية الجهادية الصافية المترفعة عن كل أشكال الخلط والمزج العقائدي المنحرف. والمترفعة أيضا عن كل أسباب الخور والضعف التي برزت كنتيجة من نتائج الهزيمة العسكرية والنفسية في الجولة السالفة. وارثة تلك الراية التي رفعها مروان الشهيد ورفاق ثم تناقلتها من بعدهم الأيدي المخلصة التي تابعت الجهاد المسلح سواء من سار منهم عبر خط الطليعة أو عبر الخطوط التنظيمية الأخرى. من الذين اقتنعوا بحتمية خلع المحتل النصيري البعثي الكافر لإقامة الحكم الإسلامي الذي يرضي الله تعالى على أنقاضهم. ونظرا إلى أن ساحة العمل الجهادي في سوريا قد خلت من إمكانية تحقيق الهدف عبر الوسائل التي آلت إلى أحوال تناقض الهدف. ونعني تلك التنظيمات، واستحال إمكان الاستمرار عبر تلك القنوات كما بينا آنفا فإنا وبكل ما يميز ديننا الحنيف وفكرنا الجهادي الحي من حركية وواقعية مدعوون لإرساء خط تنظيمي جديد متميز. لينطلق بتلك الراية من جديد، من تجربة ثرة ومحنة عنيفة عبر أكثر من خمسة عشر عاما من الجهاد المسلح وأكثر من أربعين عاما من الدعوة هي ميراثنا كمجاهدين وميراث كل مسلم عامل يهمه أن يشارك في العمل والدعوة لإقامة حكم الله في هذه البقعة المباركة من وطننا الإسلامي الكبير.

الباب الأول : مفاهيم لابد منها

المبحث الأول: فرضية الاستمرار:

من المعروف أن المجاهدين الأوائل وعلى رأسهم الشيخ الشهيد مروان حديد -رحمه الله- حملوا السلاح وقرروا الصدام مع النظام النصيري المحتل الكافر بناء على قناعة راسخة منهم بأن الجهاد والحالة هي ما وصلت إليه فرض عين على كل مسلم في هذا البلد. فقد استولى على الحكم وعلى رقاب المسلمين ودمائهم وأعراضهم وأموالهم فئة مرتدة مارقة عن الإسلام، أجمع على كفرها سلف وخلف علماء الأمة الإسلامية، حتى أولئك الذين لا يرون حمل السلاح لضعف في المسلمين وعدم أهلية فيهم. وقد كان هذا الرأي من الشيخ وإخوانه المجاهدين مبني على فكر إسلامي حركي واضح، فالله سبحانه يقول:{ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا} وقد استدل علماء السياسة الشرعية بهذه الآية على عدم جواز ولاية الكافر في رقاب المسلمين أيا كان مستوى هذه الولاية ولاسيما أهمها ورأسها جميعا وهي ولاية أمر المسلمين، أي الولاية التشريعية والتنفيذية العامة أو ما يسمى (بالإمامة). فلا تجوز إمامة الكافر على المسلمين وهذا محل اتفاق بين العلماء.

فضلا عن ذلك فإن المجاهدين الأوائل من مجاهدي سوريا الشام، أدركوا وعلى رأسهم الشيخ مروان مرامي حزب البعث والنصيريين الذين كانوا متخفين تحت ردائه، أدركوا مرامي هذا الحزب العميل المزروع في هذه البقعة الهامة في بلاد المسلمين، كما أدركوا الخطر الداهم إن وصلت الفئة المرتدة (أعني النصيريين) إلى السلطة، وأنفذت برنامجها المدروس والمبيت في تحكيم هذه الفئة بأسلوب طائفي مبني على حكم الأقلية، وما سيلحق بالمسلمين ودينهم من جراء هذا الوضع غير الطبيعي وغير الجائز.

فكان أن صدعوا بالحق وتبنوا الرأي القائل بفرضية الجهاد فرضية عينية على المسلمين، لخلع هذا الطاغوت الجائر ولاسيما بعد أن وصل النصيريون للسلطة، وبدأوا بتنفيذ برنامجهم الطويل المدى في حرب الإسلام ودحره من هذه البقعة المباركة وعلمنة جماهير المسلمين وتكفيرهم في مخطط جماعي هذا فضلا عن الظلم والعسف والجور الذي لحق بالناس على اختلاف طبقاتهم، وأوجب على المسلمين العمل على رفع الظلم، وما إلى ذلك من الأسباب الفرعية في فرضية الجهاد وضرورة حمل السلاح. وهكذا صدع الشيخ وإخوانه بالحق الذي آمنوا به وضحوا في سبيله فقضى معظمهم نحبه ومنهم من ينتظر. ويسير الركب ويلحق به من أراد الله له الخير من المسلمين مقتنعين بهذه الفرضية . ويضطر فريق آخر من المسلمين للصدام والدفاع، بعد أن عمم الطاغوت النصيري حربه لتشمل كل المسلمين. ويذكر هنا أن طوائف أخرى من المسلمين لحقت بركب الجهاد لأسباب شتى! ولابد من القول أنه رغم كل هذا الوضوح، فلازال في المسلمين ممن يقول أن الجهاد في هذا البلد حكمه كحكمه في غيره من البلدان، فرض كفاية إن قام به البعض سقط عن الآخرين...**أما قناعتنا فإنه فرض عين على من بلغه حكمه من مسلمي سوريا..وعلى الأقل ومن باب أولى فإنه يتعين على من قصده النظام بالحرب والعداء وهدده في دمه أو عرضه أو ماله**، وهم جموع الشباب والشيوخ في الحركات الإسلامية كلها تقريبا، ولا سيما أفراد تنظيم الطليعة وأفراد تنظيمات الإخوان المسلمين وبعض أفراد الحركات الأخرى. فهؤلاء حوربوا وقتلوا وأخرجوا من ديارهم بغير حق، سواء من بدأ الجهاد منهم أو من لحق بهم اضطرارا.

فحكم هؤلاء أن دفاعهم عن أنفسهم إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، مفروض على كل منهم.

كما أن مسؤولية أخرى تعلقت في أعناقهم وهي فتح باب الجهاد على المسلمين وإدخالهم في دائرة النكال وتوجب الدفاع عنهم ومتابعة الجهاد وليس المكان هنا -في هذه الفقرة- مكان حشد الأدلة التي اقتنعنا بها وآمنا بموجبها إيمانا عميقا بفرضية الجهاد عمليا على كل المسلمين تقريبا في مشارق الأرض ومغاربها، ولاسيما على وجه التخصيص أولئك الرازحين تحت كابوس حكومة كفر مجمع على كفرها، كالحال في سوريا فقد أفردنا لهذه الأدلة معظم الجزء الثاني بعنوان (أفكار وأساسيات على طريق الجهاد الثوري المسلح). لكن ما نريد قوله أن الغالبية الساحقة من الشباب والشيوخ الذين ساروا في الأحداث التي مررنا بها بشكل أو بآخر كانوا مقتنعين بأنهم كانوا ينفذون فرض عين عليهم في الجهاد، أو أنهم يقومون بفرض كفاية عن المسلمين الذين يعجزون عنه في سوريا، وبناء على هذا كانت مساهمتهم ومشاركتهم في صنع الأحداث بقليل أو كثير بناء على الشعور بهذه الفرضية وعلى الإيمان بها.

ثم سارت الأحداث -بتقدير الله- على ما بينا وشاء الله سبحانه وتعالى أن يخسر المسلمون تلك الجولة الهامة في هذه الحرب الضروس.

وكان من أسوء ما أسفرت عنه رغم الخسائر الفادحة على كل الأصعدة في الأموال والأنفس وغير ذلك، كان من أسوء ما أسفرت عنه هذه الهزيمة الجماعية للبقية الباقية من المجاهدين والمرابطين الذين أسقط في أيديهم نتيجة الضربات المتلاحقة التي لحقت بالمجاهدين ونتيجة لتسلط القيادة السيئة على زعامة من تبقى من الفلول المجاهدة، وانحراف راية الجهاد عن الطرح الإسلامي الصافي.

وبدلا من أن تفرز مثل هذه الحال فئة من الثابتين تلم شتات هؤلاء المجاهدين المحبطين، لم يكن إلا إحباط شامل، وهزيمة نفسية كاملة وإعراض عن متابعة الجهاد، وهكذا كان، فقد بدأت عملية الهجرة المعاكسة ومغادرة ساحة الرباط والجهاد منذ فترة سابقة لأحداث حماة نتيجة فساد القيادة أو فشلها، ثم كانت الطامة الجماعية في حماة وما تلاها من دمار وتحالف، ثم دمار الطليعة وسقوط محاولات الإصلاح كما مر معنا آنفا فغادر الساحة-ونقصد ساحة الرباط- جل أو كلّ تلك الطاقات الهامة من الشباب المجاهد والمرابط، ليضربوا في الأرض باحثين عن مستقبلهم الشخصي تاركين هذا العبء مرميا لا يقوم به أحد.

إنه من الطبيعي أن تكون الصدمة قاسية وأن تسفر عن هذه الهجرة وهذا الإعراض لفترة ما هي فترة ما بعد الأزمة، أما أن تسفر هذه المأساة عن إحباط جماعي ينسي الكل هذا الفرض المتعين عليهم وهذه الأمانة الكبرى التي تعلقت في أعناقهم، أمانة ثقيلة متنوعة المناصي لا زالت رغم تباعد الأيام تلقي بثقلها على ضمير الكثيرين منهم، أمانة نحو دين الله المنتهك المحارب المتروك لمجرمي النصيريين يعيثون فيه فسادا كما يشاؤون، أمانة نحو شهدائنا ومعتقلينا الذين خلّفناهم ورائنا تستصرخنا دماؤهم وسجونهم وتحفزنا على الثأر والنجدة ومتابعة الطريق، أمانة نحو أهلينا وآبائنا وأمهاتنا الذين تركناهم فريسة لثأر ذلك الوحش الكاسر الشرير...أمانة نحو كراماتنا وعزتنا ورجولتنا، ومتابعة الدرب والثبات على حق طالما آمنا به وضحينا من أجله...أمانة نحو ديارنا وأموالنا وأرزاقنا التي نهبت لنتشرد ذات اليمين وذات الشمال نستجدي العيش الكفاف. ترى هل يكفينا العذر في العجز عن حمل الأمانة بل في الإعراض الذي يصل إلى حد خيانتها.. هل يكفينا ؟؟

هـل يكفينـا العـذر بأننـا عملنـا وسـعينا وفشـلنا ولا يكلـف الله نفسـا إلا وسـعها ؟ هـل يكفينـا العـذر أم أنـه يـا تـرى عـذر لتبريـر هـذا التراجـع عـن المبـدأ للعـودة لـدنيا طالمـا تركناهـا لله، ثم عـدنا إليهـا اضـطرارا فأعجبتنـا وأنسـتنا مـا كـان مـن قضـية وجهاد. فرحنا نركض وراءها كل يسابق خليله ويغبط أو يحسد من يسبقه في نيل هذا الفتات.

تـرى هـل اشـترطنا علـى الله عنـدما بـدأنا الجهـاد –وأخـص أولئـك الـذين شـاركوا فيـه يومـا مـا بشـكل أو بـآخر بـدءا مـن التأييـد المعنـوي وحـتى حمـل السـلاح –هـل اشـترطنا أن تسـير الرايـة الجهاديـة مـن نصـر لنصـر ومـن حسـن لأحسـن حـتى نسـتمر فيهـا ؟؟ فـإذا تعثـرت وواجهـت الصـعاب فإننـا سـنتخلى عنهـا ؟ إن كـان هـذا شـعورنا الـداخلي فمـا فهمنـا الجهـاد إذاً، ولا عرفنـا سـنة الله في ابـتلاء وتمحـيص أوليائـه، وعشـرات الآيـات والأحاديـث والشـواهد مـن سـيرة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وسـيرة صـحبه ومـن تـبعهم بإحسـان تؤكـد لنـا أن هـذا الطريـق طريـق محـن ومصـاعب وقتـل وتشـريد وفقـر وجـوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات ...وبشر الصابرين.

طريـق قلمـا يجـد السـالكون فيـه أجـرهم في الـدنيا. فالأصـل في الأجـر أنـه عنـد كـريم عزيـز في جنـة عرضـها السـماوات والأرض. أجـر جزيـل علـى القيـام بفـرض قـد افترضـه الله علينـا كمـا افـترض الصـلاة والصـيام والزكـاة وغيرهـا. أمـا أن ينصـر الله جنده فهذا وعده المقطوع عليه وهو الصادق الحكيم العالم بتوقيته وكيفيته والمؤهلين له لينزله عليهم.

فهـو أجـر مضـمون مـن رب كـريم إمـا النصـر أو الشـهادة. أمـا العنـاء فهـو سمـة الـدرب، حـتى أن الله تعـالى يبـين لنـا أن هذا النصر لا يأتي إلا بعد ضراوة المحنة وإلا فكيف نفهم قوله تعالى:

{حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا} سورة يوسف :110.

وقولـه تعـالى: {أم حسـبتم أن تتركـوا ولمـا يعلـم الـذين جاهـدوا مـنكم ولم يتخـذوا مـن دون الله ولا رسـوله ولا المـؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون} سورة التوبة 16.

ويقـول تعـال: {أحسـب النـاس أن يتركـوا أن يقولـوا آمنـا وهـم لا يفتنـون. ولقـد فتنـا الـذين مـن قـبلهم فلـيعلمن الله الـذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} العنكبوت 202.

ويقـول تعـالى:{ولنبلونكم بشـئ مـن الخـوف والجـوع ونقـص مـن الأمـوال والأنفـس والثمـرات وبشـر الصـابرين}البقرة 155.

هـذه آيـات الله وغيرهـا كثـير وكلنـا يعلـم هـذا وكلنـا يقـرأ السـيرة ويـرى أن رسـل الله قاطبـة عليـه السـلام وفـيهم سـيدنا محمـد صـلى الله عليـه وسـلم خضـعوا لهـذا الامتحـان الربـاني فقـد جاهـد صـلى الله عليـه وسـلم في مكـة صـابرا محتسـبا يبـين الحـق ويجهـر بـه ويتحمـل الـبلاء هـو وصـحبه ثلاثـة عشـر سـنة، ثم انتقـل للمدينـة وعـانى أكثـر ممـا نعـاني مـن بـلاء المشـركين وكثـرتهم وشـوكتهم، ومـن فسـاد المنـافقين وإرجـافهم، ومـن تـآمر اليهـود ومخططـاتهم ومـن تهديـد الـدول العظمـى في جـواره وبأسـها وهكذا...فما وهن وصحبه وما استكانوا.

وجـاء أمـر الله ودار الزمـان وعـانى كـل مخلـص وكـل مصـلح مـن أمـر الجهـاد والثبـات مـا عـانى، ولـولا صـبرهم وجهـادهم لمـا وصـلنا إسـلام ولا نعمنـا بنعمـة ربنـا الوارفـة دون فضـل منـا ولا نصـب. وجـاء دورنـا...والله تعـالى يقـول: {ومـن جاهـد فإنمـا يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين} العنكبوت 29

ويقول سبحانه:{فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} النساء 84.

فهي مسؤولية فردية -إقامة فرض من فروض الله- كما أنها مسؤولية جماعية دفع الظلم وإحكام شرع الله، وكل مسؤول، وكل نفس بما كسبت رهينة والسؤال الذي يطرح نفسه ونطرحه على إخواننا المجاهدين، خاصة أولئك الذين تحملوا قسطا من أعباء الجهاد قبل غيرهم، لئن كان جهادنا فيما سلف مبني على شعور بالفرض والقيام به، فما الذي تغير وتبدل ؟ فالحرب زادت ضراوة والكفر زاد عتوا، والظلم زاد عسفا وقوة، وإذ بنا نعرض ونفر ؟ بل ونقبل ذلك على أنه أمر واقع. لإن كان الجهاد فرضا، فالاستمرار على الدرب والثبات فيه أكبر فريضة وأوكد ذلك أن العمل الذي بدأناه وكلفنا أنفسنا وكلفنا الناس معنا ما كلنا به عليم، كلف الإسلام والمسلمين والأهل والعشيرة ما لا قبل لهم به وأصبح دفاعنا أوجب من ذي قبل، ووجه الفريضة في متابعة الطريق أكثر منطقية من البدء فيه وهذا بيّن.

أما القول كيف ؟ والحال هي ما وصلت إليه. فذلك سؤال له جواب آخر، نريد أن نصل قبل هذا لتبيان هذه الحقيقة التي غابت عن أذهان غالبيتنا بسبب الحال الذي أوصلنا إليه الواقع المرير وضعف ثقتنا بأنفسنا وبالله وبفهمنا غير الواضح للطريق وتكاليفه وبالتسليم والاستسلام للعجز وبسبب من الطريقة التي تربى عليها غالبيتنا، وبسبب إعراض الشيوخ والعلماء عن أداء دورهم وأمانة ميراث محمد صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . فغابت عنا هذه البديهة البسيطة: أنه لئن كان الجهاد في سبيل الله لإزالة حكم الكفر البين من على رقاب المسلمين وإقامة حكم الله القويم بدلا عنه فرضا آمنّا به وعملنا له فإن متابعتنا للدرب والثبات عليه بعد تتالي المحن، وتصحيح المسير وتلمس الحل الصحيح الشرعي القويم أشد فرضية وأهم أثرا . صحيح أن الاستمرار غدا أصعب وأشق على كافة الأصعدة، والعوز والفقر والفاقة باتت أكبر وأعتى، ولكن هذا كله لا يعني أن الحل قد استحال وأن الطريق قد سد، فثمة حل دائما وأبدا، لكنها الصعاب التي تتطلب النوعية الثابتة، ولنا في قصة طالوت وجالوت خير العبرة. وكلنا يعرفها وقليل يفقه مداليلها، والأقل منهم من يحمل نفسه على تطبيق ما فهم، فالحل موجود وخطة تلمسه بينة وقد أشار إليها القرآن الكريم: {والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا} ولذلك قال الإمام أحمد وعبد الله بي المبارك رضي الله عنهم: إذا اختلف العلماء فعليكم برأي أهل الثغور. أي المرابطين للجهاد (لقول الله الذي أشرنا إليه) فقد تكفل الله لهم بالهداية.

فالطريق الصائب مرهون بعزم نفر من الصادقين، بالعزم والنية على البحث عنه للسير فيه، بحث الصادق العازم على الجهاد. ولكنه مكلف وشاق والله ولي الصابرين، ولئن كان الجهاد اليوم فرض على المسلمين في سوريا فهذه الفرضية أوجب في أعناق السابقين وقد خبروا الدرب وخاضوا التجربة وعليهم تقع مهمة قيادة الاستمرار.

المبحث الثاني: كيف يكون البحث في المشكلة إيجابيا ؟

منذ أن بدأت النكسة والانهيار بعد مأساة حماة والتحالف الوطني ومن ثم دمار الطليعة وتشرذم المسلحين وعدم تمكنهم من إصلاح ما فسد. ومن ثم ما أسفر عنه ذلك من هجرة للإخوة ومغادرتهم وإعراضهم عن ساحة الرباط والجهاد، منذ ذلك الحين وحتى الآن، مئات ألوف الحوارات دارت بين الشباب والشيوخ وكل المعنيين بهذا الأمر.. حوارات ومناقشات متنوعة المناخ تدرو كلها حول ما كان من أمور، لتجتر أحزانا وتستعيد ذكرى آلام، وتتهم طرفا وتبرئ آخر، وتلوم زيدا وتبرئ عمرا.. لتصل بالنهاية للإحباط...ولهذا السؤال الذي يحير المخلصين منهم والذين

يتحدثون ويتحاورون حرقة وأسى بحثا عن مخرج من هذه الطامة التي ألمت بالجهاد والمجاهدين وألحقت بالناس ما لا علم إلا لله به من ضرر. ما الحل وكيف المخرج ؟؟؟ وما البديل ؟ البديل! ما هو ؟

ولئن كنا في صفحاتنا القادمة سنحاول تبيان بعض الأفكار على طريق إيجاد هذا البديل إلا أنه يجب أن نرسخ مفهوما لازما ثانيا بعد –مفهوم فرضية الاستمرار– يجب أن نتحدث عن طريقة طرح السؤال وما يجب أن يتحلى به السائل الباحث حتى يكون البحث إيجابيا ولا يكون ضربا من (التحشيش) الذي تعود عليه غالبا لاجترار المأساة واختتام السهرة بتوزيع أكياس الاتهام على المتهمين، والانسحاب براء من كل تبعة ومسؤولية بعد شاي ساخن في سهرة ظريفة...

كيف يكون البحث في المشكلة عن حل ناجح إيجابيا ؟

لابد أن نعترف ومن خلال تجربة مريرة عشناها بأنفسنا لابد أن نعترف بأن نسبة كبيرة من إخواننا حتى الآن اعتادت بحث هذا الأمر إن قاد السياق إليه عفوا في جلسة أنس بين الإخوة اعتادت بحثه كنوع من الهراء واللغو والحديث الشيق لذكريات مضت، حيث غالبا ما ينتهي الحديث بتلبيس تهمة الفشل والانحراف برأس القيادة السالفة الذكر، وبصب اللعنات على لحاهم وبالتأثر لما أصاب المسلمين من بلاء، وقد تدمع عيون بعض الحضور حزنا وعطفا، أو حرقة لذكرى شهيد من الشهداء أو أسير من المعتقلين...ثم ترتفع الآهات والأنات والحسرات لتقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ليس لها من دون الله كاشفة، ثم يدور الحديث دورته العادية ليصير إلى مشاكل الحياة ودنيا العمل والأزواج والهموم والأهل...وما إليها، هذا في قطاع الشباب.

أما في قطاع بعض الشيوخ فالحال هي هي...اللهم إلا أنهم في كثير من الأحيان يصبون اللوم على الشباب وطيشهم والطليعة وحماسهم، وما جروا إليه المسلمين الآمنين من الناعمين، بذلّ السلطان فبدلوا بطيشهم ذلك النعيم وبالاً ونكالاً وقتلاً وتشريداً، فسامحهم الله أو قاتلهم الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؟ ليسلها من دون الله كاشفة . وبين هؤلاء تتراوح أراء السامرين في حديث حول أهم قضايا المسلمين في هذا البلد المصابر. والعجيب في الأمر أن هؤلاء السامرين هم أنفسهم أصحاب المحنة وضحاياها وقد عانى كل واحد منهم وشارك وتحمل نصيبا من ضريبتها من فقد حبيبا قتلا أو أسرا أو تشريدا ودمار مستقبل وفرقة أهل ووطن إلى آخر هذه الضرائب التي دفعها الكل أو الغالبية. إن هذا لعجيب أن تسمر الضحية بحديث سفك دمها واستلاب مالها وانتهاك عرض لها وتنتقل عن هذا الحديث وكأن شيئا لا يعنيها، حقا إنه لمن الجدير بنا أن نبكي على أنفسنا وعلى هذا الذل والضعة والعجز ونعض البنان حتى نقطعها.

ترى هل سأل أحد هؤلاء السامرين نفسه لم يبحث هذا الموضوع ؟ هذا إن بحث، فقد تحول الأمر إلى أشد، فقد أصبح الإخوة يتبرمون من إعادة الحديث بهذا الأمر ويتركون السهرة لا يعكر صفوها ترهات الماضي، بل مشكل الحاضر في شؤون الدنيا...

هل سأل أحد منا نفسه بماذا يعنيه هذه الأمر ؟ وهل أمر الجهاد بالنسبة إليه والحال ما هي عليه، فرض عين أم أمر اختياري ؟ وهل نكوص القيادة على عقبيها يعفيه من المسؤولية، أم لا ؟ بل هل يشارك أو هل شارك هو نفسه بشكل مباشر أم لا ؟ وبصورة أخص هل يشارك بإعراضه عن الأمر وانصرافه لشأن نفسه بالمأساة الدائرة على الإسلام

والمسلمين أم لا ؟ إن كل واحد منا يحتاج لأن يقف مع نفسه وأمام ربه وقفة تأمل وصدق، إن هذه الأسئلة الجوهرية هي مفتاح القضية، وهنا نتوجه نحن له كمسلم معني بهذا الأمر أو هكذا نفترض ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، أو كما قال صلى الله عليه وسلم نتوجه إليه بالسؤال: عندما تسأل أيها الأخ (لاسيما الأخ المجاهد) ما البديل ؟ هل تسأل عنه للثقافة والاطمئنان ؟ أم لتبحث عنه حتى تجده ؟ فإن وجدته فحتى تبحث عن دورك فيه فإن وجدته فحتى تكون مهيئا ومستعدا لتحمل تبعات هذا العلم وهذه المعرفة وتكون صانعا لذلك البديل؟ بعون الله تعالى.

فإن لم تكن أنت، وأنت المجاهد صاحب التجربة والمعاناة والخبرة والقضية، وصاحب التضحيات والمعني بكل نصر أو هزيمة تتم في صعيدها ؟ إن لم تكن أنت المعني بهذا البديل فمن إذاً ؟ .

خلاصة القول أخي:

حتى يكون البحث في المشكلة إيجابيا، يجب أن يكون بحث الباحث عن تكليف، بحث الباحث عن دوره وواجبه وحق الله في عنقه، نحو دينه وعرضه وإخوانه الشهداء والمعتقلين، وأهله المعذبين فلهؤلاء القلة من الباحثين معنا عن البديل وضعنا هذا الكتاب وتحملنا هذا العناء وهو أقل الواجب. كثيرون هم أولئك الباحثون جعجعة عن هذا البديل. حتى إذا تراءى لهم أنه وجدوه تعذروا الأعذار وبدأوا سيل الأسئلة المعهودة: فكيف نعمل ؟ وما إمكانيتنا ؟ سيحاربنا فلان ؟ سيتألب علينا فلان ؟ ومن أين المال ؟ وكيف السلاح ؟ ومن سيفتي لنا ؟ ونحن قليل، ثم إننا بحاجة إلى علماء تقودنا فنحن شباب ضعاف لا أحد يعترف علينا إلى آخر تلك الأعذار! فالطريق مكلفة ولا سند إلا الله. ونكاد نجزم أن باحثا صادقا عن البديل سيهتدي إليه وسيجد معه وسيجمع طريق الحق بينهم وبين أشباههم، حتى إذا ما لمسوا من أنفسهم الصدق والعزم فسيجدون البديل، عندما يجدون ذواتهم ويعرفون تكليف الله لهم وسيعلمون أنهم هم البديل، هم أساس البديل، الشباب المؤمن الصادق وعزمه على الثبات والمسير أما كيف؟ فمن خلال الجهاد والمسير رويداً رويداً يفتح الله وهو خير الفاتحين، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وصدق الله العظيم: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا }.

{كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله}

{إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}

{إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}.

المبحث الثالث: البحث عن المخرج والبديل:

الفضل كله لله فهو صاحبه يؤتيه من يشاء، هذا حق نؤمن به، أما في عالم الأسباب فالمسلم مأمور من الله تعالى بالإعداد :{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل} ومن الإعداد كل ما من شأنه أن يشد من عزم المسلم وقوته، ويرفع بأسه في وجه أعدائه، ومن أهم الإعداد ولاسيما بعد جولة فاشلة ومعركة خاسرة أن ينصرف المؤمن لنفسه يحاسبها ويدرس ما كان من أمر تجربته وأخطائه فيتجاوزها، يدرسها ويحللها ليزيل أسبابها ثم ليتوجه إلى التصور الصحيح بعزيمة صادقة مصممة. ولعل أهم ما نقوم به للوصول إلى بديل ناضج هو تلمس الحل من خلال دراسة التجربة بكل جزئياتها والوقوف على مواطن الخطأ والصواب، ثم تقييم الواقع، وما آل إليه الحال. والسؤال المهم الذي تجب معرفة جوابه، ما هو ميراثنا بعد هذه الحقبة الجهادية التي امتدت أكثر من عشر سنوات بدأ من مروان وطلقات تلامذته

الأوائل وانتهاء بسقوط حماة وعدنان وطليعته المقاتلة وتصفية المجاهدين وتشردهم في الخارج، وهل يمكّننا هذا الميراث من المتابعة أم أنها حالة العطب والدمار والعجز التام ؟

المبحث الرابع: ما هو ميراثنا الجهادي ؟

فادحة هي الخسائر التي منينا بها في هذه الجولة ولعلها أصبحت بينة من خلال ما قدمنا من نبذة تاريخية:

- فأعمدة الجهاد الأول وقادته المتمرسين راحوا ضحية الجولة الأولى وما تلاها من القتال.
- والطاقات المؤمنة المتربية في مدارس الدعوة المختلفة في طول البلاد وعرضها راحت ضحية الاعتقال. وهي كوادر من أفضل ما أنجبت الحركة الإسلامية المعاصرة، شباب بالآلاف أعدم جلهم، ومن بقي ضمه السجن ولا يعلم بمصيره إلا الله.
- عشرات الألوف من المدنيين والأنصار والمؤيدين راحوا ضحية القتل والنكال والسجن وما قصة الخمسة والثلاثين ألفا من شهداء حماة ببعيدة عنا.
- سقوط هيبة المسلمين وارتداد كثير من جماهيرهم عنهم بسبب المثل السيئ الذي قدمه قادة الحركة الإسلامية لاسيما في الخارج، وبفعل البلاء الكبير الذي انصب على رؤوس الناس والإرهاب الذي عاشوه طوال تلك الحقبة من الزمن.
- خسائر مادية لا تحصى من أضرار لحقت بالمجاهدين وأهليهم وذويهم وأنصارهم.
- انكفاء موجة التأييد العارمة التي لاقتها الحركة الجهادية من إخواننا في الأقطار الإسلامية الأخرى.
- خروج العلماء وتعطل دور المساجد في تخريج الأجيال المؤمنة، وأخيراً وليكتمل البلاء، هذه الهزيمة النفسية الشاملة التي لحقت بمن تبقى من المجاهدين والمرابطين، فراحوا يغادرون ساحة الجهاد والرباط تباعا بمعنويات محطمة ونفسيات تعبة متبرمة بهذا الدرب وما أتى به، ساعية على دنياها وأسباب معاشها.

وهذه قمة البلاء وطامته الكبرى، فليست الهزيمة بمشكلة لا يمكن تجاوزها إن تركت وراءها قلوبا عازمة على المسير وتجاوز الواقع إلى نصر تال يعيد للإسلام مجده ويحقق نصره.

ولكن الهزيمة الحقة هي أن تنجلي المعركة عن قتلى الأجساد وقتلى الأرواح والنفوس وبذلك يحقق العدو مبتغاه فمن قتل استراح منه، ومن بقي فقد حطم روحه ومعنوياته، فهو لا يخشاه بأكثر مما يخشى ذلك الجسد الذي لا حراك فيه وهنا كانت مصيبتنا...إلى آخر تلك القائمة من الخسائر . ولكن ترى هل أورثتنا تلك الحقبة السالفة شيئاً من الإيجابيات ؟ ...شيئاً ما نتزود به لمتابعة السير ؟ نعم لقد كان هناك الكثير ولكن أجواء الهزيمة أعمت العيون عنه.

لقد أورثتنا الحقبة الماضية ما إن أحسن الإفادة منه لاستطاع المؤمنون بإذن الله ونصره أن يتجاوزوا محنتهم ويتابعوا دربهم إلى النصر بإذن الله فلقد كان مما أورثنا إياه:

1 – التجربة الطويلة المتنوعة:

لقد حفلت المرحلة الماضية وهي تجربة امتدت حتى الآن أكثر من ثلاثة عشر سنة حفلت بالدروس العظام، وفي شتى الميادين لقد كانت تجارب دفعنا ثمنها غالي الدم، تجارب لو أحسنا دراستها والإفادة منها لأعطتنا الجذور المتينة في تحرك مدروس هو

النصر إن شاء الله. وهي سنة الكون، فلولا خطأ السلف لما استفاد الخلف، وهكذا هي حلقات التطور في كل مناحي الحياة ومنها الحروب والثورات ولئن كان من الجدير بنا ومن واجبنا دراسة تجارب المسلمين وغير المسلمين للإفادة من الدروس، – والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها –، فإنه من واجبنا الانتفاع بهذه التجربة الذاخرة حتى نشق طريقنا متجنبين تلك المطبات التي وقع بها أسلافنا بحكم حداثة التجربة وقلة الخبرة.

- ففي تجارب القتال طبقت أساليب فنجحت بعضها وأخفق بعضها وتعرض المجاهدون للنصر والهزيمة وتركوا لنا دروسا لا تقدر بثمن حول جدوى طرق القتال في هذا البلد ومشاكله ولوازمه وأفضل سبله، دروسا يجب البناء عليها والانطلاق إلى الأمام، ولا يجوز أبدا أن نبدأ من حيث بدأ الآخرون نستعيد دفع ضريبة الدم لدروس مرت علينا واعتبرنا منها.
- الهجرة والعمل من الخارج ودروسها، طبيعة الحياة التي مرت بنا وسلبياتها وإيجابياتها.
- الركون إلى الأنظمة المجاورة وما أفدنا منه وما دفعنا بسببه وتكبدنا من خسائر.
- المؤامرات التي تعرض لها المجاهدون سواء من أعدائهم أو من صفوف النفاق والإرجاف فيهم من أصدقائهم المزعومين.
- التحالف الذي قام بين الإخوان والأحزاب العلمانية برعاية العراق والثمن الذي دفعناه.
- استدراجات العدو للصلح والمهادنة وهو ما وقع فيه بعض الطليعة وما جرى من حوار بين النظام والإخوان.

2 – تمايز الصف:

يقول الله تعالى: {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب} صدق الله العظيم.

فهذا التمايز والتمحيص الذي حصل،إحدى ثمرات التجربة وميراث الجهاد. فقد مرت فترة كان الكل فيها مجاهد وكل يزعم لنفيه ما يزعم، وتتالت التبعات وسقط من سقط على الطريق وشملت المحبة صفوفا أكبر من الناس فثبت قوم وارتد آخرون، وتأرجحت بين هذه القمة وذاك الدرك مواقف الناس وتتالت التبعات..قتل ..أسر ..نكال..فاقة.. خوف..ضعف..هوان..هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا حقا .

لقد كان في الصف من قاتل إيمانا وعقيدة وفكرا عن سبق إيمان ووضوح هدف..وكان هناك من قاتل طمعا لهدف شخصي وهدف دنيوي...وكان من قاتل سمعة ..ورياء..وشجاعة..وعصبية..ونكاية في السلطة، فريق آخر وجد الثمرة وقد آن أوانها..فاصطف يريد حصته وصار سيد المجاهدين وزعيمهم.. آخر اضطر للحرب فحارب، فمنهم من صدق، ومنهم من سقط.

ففي خضم المعركة وزحمتها لم يكن لتتمايز الصفات وتتباين المعادن فكل يدعي وصلا بليلى، الكل مجاهد مهاجر، ولكن حاشا الله تعالى أن يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب واشتدت المحنة وبدأت مرحلة الدفع وسقطت القشور وبانت الحقائق...وما مثل الحرب محكا لمعادن الرجال، فليس الطريق طريق خطب وادعاءات كما هو حال الدعوة السلمية، الطريق هنا تضحية وبذل وعطاء...وسرعان ما ظهر من كرر قول أسلافه: {لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا }آل عمران 154 وظهر من قال :{إئذن لي ولا تفتني }التوبة 49 كما ظهر من قال:{هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما} الأحزاب 22.

وعلى صعيد الشعب المسلم ذاته تمايز الناس ففي الوقت الذي انحاز فيه بعض المرتدين من أبناء المسلمين ليصطفوا أذلاء لأعداء الله، انحاز آخرون ليضمهم ركب الجهاد. وعلى صعيد الدعاة أنفسهم ثبت من ثبت وانسحب من انهزم يحمل الآخرين تبعة الدرب ويبرأ من كل دعوة لعمل عسكري معلنا البيان تلو البيان ليؤكد براءته من الجهاد. وظهر من انحرف في الدعوة يريد

مهادنة أعداء الله في محالفتهم يريد منهم نصرا لحقه، والله سبحانه يقول:{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً} النساء 139

وهكذا تمايزت الطروح والجماعات وأصبح ممكنا الآن أن يُدعى من آمن بالجهاد المسلح بالقوة دفاعا عن دين الله ليكونوا جماعة واحدة على بينة من أمرهم في تكاليف الطريق وصدق الله العظيم:{ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة} الأنفال.

3 – المجاهدون المجربون أصحاب الخبرة:

وعلى صعيد الشباب بعد هذه المحنة..لقد سقط في ساحات المجد والخلود من اختاره الله إلى جواره شهيدا إن شاء الله، ووقع في الأسر نفر آخر مازالت قلوبهم متوجهة إلى الله وآمالهم متعلقة به، تنتظر الخلاص على أيدي جند الله، وما يعلم جنود ربك إلا هو..فريق ثالث وهم من نعني من بقية المجاهدين تشرذموا في أقطار الأرض كل يبحث عن خاصة أمره حاملا جرحه وآلام هزيمته في نفسه. إن هؤلاء المجاهدين السابقين هم قسم هام من ميراث هذه الحقبة ونتائجها...إن هؤلاء الشباب الذين ألجئوا إلى هذا الاعتزال بفعل المثل السيئ الذي ضربه الشيوخ والقادة، هم كوادر مجاهدة خبرت الدرب وعاشت التجربة وتمرست به، وحرام أن تضيع هدرا ليبدأ الجهاد مرة أخرى بأغرار لا يعرفون من أمر هذه المحنة شيئا...إنها والله مسؤولية لعل الله تعالى سائلنا عنها. لقد عاش هؤلاء الجهاد والرباط والهجرة والمؤامرات والمحن وعرفوا من زيد ومن عمرو، من هؤلاء اللاعبين في هذه الساحة، ونالوا حظهم من التدريب والأعداد والتنفيذ ليتخرجوا رجالا عركتهم المحنة، إن إخواننا هؤلاء ثروة لا تقدر وعلى من يتصدر للمسؤولية أن يحسن الإفادة منهم فهم حبات عقد ثمين تناثرت هنا وهناك ويوم يجمعها خيط التنظيم والقيادة سيكونون ركيزة متينة لأي عمل جهادي عسكري، فلا غنى لأي محاولة تجديد عنهم ولاشك أنهم محط الرجاء وهم إلى دربهم عائدون إن شاء الله.

4- الرصيد الشعبي الإسلامي في سوريا:

أعوام طوال مرت على هذا الشعب المسلم المصابر في هذا البلد الذبيح يتركه جزار ليتناوله آخر، ويبيعه متاجر ليتناوله متاجر، شعارات ترفع، عقائد تلاك في أطراف الألسن، نفاق مريع تتربى عليه الشريحة الغالبة من الطبقة الفاعلة في الدولة. واستلم النصيريون الكفرة السلطة وازدادت شدة الانحدار والظلم والكبت وازداد الذل والعنت. ووسط تلك الدياجير ترتفع راية الكوكبة المجاهدة لتقول: لا لتلك المهازل، رافضة الواقع المهين بكل أبعاده ترفضه رفض عمل وتضحية وبذل لا رفض شعارات ونظريات وأهداف فضفاضة تلوكها الألسن وتزدان بها الخطب وبيانات المناهج. ويتنفس الناس الصعداء، ويرون في هذه البارقة الأمل، ويبذلون أمامها الغالي والرخيص، وفي أقل من عام ونصف من الجهاد المعلن تنطلق مئات ألوف في أنحاء البلاد لتناد ملئ حناجرها مخاطبة المجاهدين أنها تفديهم بالروح بالدم، وتطالبهم بإعطائها السلاح لتشاركهم شرف الجهاد. لم تكن تلك الحركات مجرد عواطف جاشت فقط. فقد فتح الناس بيوتهم عملياً للمجاهدين وأصبح الحديث عنهم على كل شفة وفي كل مجلس، وابتهلت القلوب إلى الله تستنزل النصر. لقد لمس الناس فيهم الصدق وروح القدوة التي افتقدوها منذ زمن لا قدوة الخطب والشعارات، وشاء الله للكل المحنة، وسارت الأمور على النحو الذي بينا، ولاقى الناس العنت والظلم والإهاب بجريرة عمل المجاهدين.

والحمد لله أن الكثير منهم بات يعرف الآن أنه بجريرة تجار الحروب الذين زاودوا على الجهاد والمجاهدين وعلى الناس أنفسهم وكان ما كان، ورغم كل الدياجير ما تزال ذكرى الجهاد ذاخرة في ضمير ذلك الشعب كحلم عز مرّ في ليل ذل وضعة. وما تزال للصادقين من المجاهدين مكانة في قلوب الناس، ولا يزال لدى البعض معقد الأمل والرجاء. لقد أنار المجاهدون بدمائهم درب الحق إلى إرضاء الله وعزة الحياة الدنيا، لقد كانت هزة حركت فيهم ما نام من النخوة والحمية عبر عشرات بل مئات السنين، ورغم تلك التراجعات والنكسات في نسبة الأنصار والمؤيدين للجهاد والمجاهدين في صفوف الشعب بسبب ما كان، فإن تلك المحنة قد تركت في صفوف الشعب أنصارا للإسلام والجهاد كشريحة تشكل قاعدة مهمة لأي انطلاقة جهادية ظافرة في المستقبل بإذن الله.

إن أعداء الله في سوريا يعرفون هذا جيدا، وترتعد فرائصهم خوفا منه، لقد نالت المحنة مختلف صفوف المسلمين وأورثتهم حقدا مقدسا على هؤلاء المستعمرين النصيرين. أحياء بكاملها هدمت ودكت بيوتها فوق الأحياء دكا، مجازر جماعية كثيرة جرت على مرآى من الناس ومسمع. بيوت كثيرة نكبت بشهيد أو سجين أو شريد، لقد أصبح للقضية في نفوس الكثيرين وزن وطعم، لقد شاركوا فيها ودفعوا جزءا من ضريبتها، لقد أصبحت قضيتهم لا يحجبهم عنها إلا الإعراض من أصحابها عن دور القدوة الطبيعي الذي يجب أن يصيروا إليه ليكونوا طليعة لأولئك المسلمين المصابرين المتحفزين.

إن أولئك الأطفال الذين شهدوا ذلك العنف وهم صغار يافعون صاروا رجالا في مقتبل العمر الآن بعد أن مرت أكثر من سبع سنوات على تلك المآسي، ولازالت تلك الذكريات الدامية راسخة في رؤوسهم...ويوم يعود للراية أصحابها ويوم يكونون على مستوى القدوة ومضرب المثل كما فعل أسلافهم فإنهم سيرون قيمة هذا الرصيد الشعبي الهائل في صفوف الشعب المسلم وسيعلمون أن دماء إخوانهم لم تذهب هدرا.

5-الرصيد الكبير في صفوف أبناء الحركات الإسلامية وشعوب العالم الإسلامي:

بعد طول السنوات العجاف التي مر بها المسلمون على امتداد الوطن الإسلامي كله وتلك السنون التي لم يسمع بها إلا أخبار الذل والصغار والنكبات والمحن والمذابح من سجين وقتل وتشريد ينصب على رؤوس الدعاة في كل مكان، حملت السنوات الأخيرة روح الجهاد حية فاعلة موثرة تنبعث طلائعها هنا وهناك في بلاد الإسلام. وأصبح المسلمون يطالعون ولو قليلا عن أخبار المجاهد الثائر الذي يرد الصاع صاعين لأولئك الفراعنة الذين أظهروا في الأرض الفساد.

ولقد كانت الثورة الجهادية في سوريا واحدة من أبرز تلك الانتفاضات الإسلامية الجادة في وجه الطغيان وعتوه، وسرعان ما ملئت أخبارها رغم أعداء الله الذين فرضوا عليها حصارا إعلاميا دوليا رهيبا شاركت فيه كل أجهزة إعلام الدول العربية والإسلامية المرتدة سواء ما كان منها صديقا أو عدوا للنظام السوري. وسرعان ما ملئت أخبارها الأسماع ووضع المسلمون أيديهم على أفئدتهم ينتظرون ما ستسفر عنه هذه التجربة اليافعة لتكون قدوة لهم في كل مكان، واندفع أبناء الحركات الإسلامية في كل مكان يتلقفون أخبارها ويشاركون إخوانهم -ولو على سبيل المشاعر- شيئا من الضريبة بينما شارك آخرون فعلا في الدعم المادي والإعلامي وتأثر من هذا، كما كان إخوة الأردن جزاهم الله خيرا، لقد كانت الثورة في سوريا معقد أمل ومحط رجاء...وأصبح لها أنصار في الكثير من مناطق الحيوية في بلاد المسلمين.

وشاء الله ما كان... وانعكس هذا وبشكل حاد سلبا على الكثير من إخواننا أولئك هنا وهناك ولاسيما أولئك الذين يفصلنا عنهم بعد الدار ونزاهة المبلغ المنحاز.

ورغم ذلك ماتزال أخبار الجهاد في الشام المباركة على بؤسها الحالي موضع اهتمام الكثير من الإخوة المسلمين في بقاع الوطن الإسلامي، وما تزال هذه التجربة معقد أمل ورجاء، إن هذا الرصيد الهام الذي تركته الحركة الجهادية في الشام المباركة، رصيد ثمين سيكون له كبير الأثر يوم يعود أصحابها ومجدها، ويوم تعود لتسلك الطريق المستقيم، وليس المجاهدون في الشام وغيرها في غنى عن مثل هذا الدعم الذي يشكل مرتكزا هاما من الدعم الرديف حين تعطي الدماء المسفوحة في سبيل الله أعظم مردودها.

6-النضوج: لعل أهم ميراثنا الجهادي بعد التمايز والتجربة المتنوعة هو ما حصل من نضوج لدى فئة من المجاهدين وإن كانوا قلائل بالنسبة لأعداد الفلول النازحة عن أرض المعركة والرباط. لقد مكنت التجربة الثرة المتنوعة وما تلاها من فترة سبات تفسخت فيه كل الهياكل والطروحات، وما عاناه الإخوة المشردون هنا وهناك من تجارب ومعتركات الحياة بعد نزوحهم وابتعادهم عن تلك المؤثرات التي شلت تفكيرهم واستلبت قدرته على التطور بفعل طريقة الإسلاميين في التربية الإمعية...

لقد مكنت هذه الفترة التي استفاد منها البعض في مراجعة الحسابات وملاحقة أسباب الفشل وجذوره والاطلاع على تجارب الآخرين من إسلاميين وغير إسلاميين في المضمار الثوري والسياسي، مكنتهم من الوصول إلى درجة من النضوج تبشر بكل خير. إن هذا النضوج على الصعيد الشخصي في معترك التجربة وعلى الصعيد الفكري بفعل المتابعة والمدارسة والمطالعة والاحتكاك بالمذاهب والأفكار ولاسيما ما وفرته الهجرة في شتى أقطار الأرض من سعة الأفق واتساع الرؤيا، هو ثروة حقيقية تمكن إلى حد كبير من إعادة الحسابات وممارسة النقد الذاتي واستقراء حل يقرب من الصواب إن شاء الله.

ولكن ما يجب الاعتراف به أن دائرة النضوج النوعي الممتاز هذه لازالت دون المستوى المطلوب في الكم والانتشار، وذلك بسبب إعراض الكثيرين من الكوادر الحقيقية بين المجاهدين عن الاهتمام في هذا الأمر وللأسف، ولايزال هذا واجباً من أهم واجبات الذين سيتصدون للملمة الصف وتضميد الجراح سعياً لجولات قادمة.

ولعل أهم مناحي هذا النضوج هو اتساع الرؤيا في الصعيد السياسي والفكري والاطلاع على طرق الناس في التفكير والعمل مما يوفر مجالا خصبا للمقارنة والدراسة، لعل الله ييسر العاملين القدرة على الرؤيا الشمولية في تخطيطهم لأي عمل قادم إن شاء الله.

وهكذا نرى...أن هذا الميراث المتنوع من تجربة ثرة، وتمايز صف، ومجاهدين متناثرين ومجربين ورصيد شعبي إسلامي كبير في سوريا الشام وما حولها من بلاد المسلمين وما اكتسبته الفكرة وحاملوها من نضوج، ميراث ليس بقليل، ميراث ثمين لا تخفى قيمته على باحث متبصر، ميراث يحملنا المزيد من التبعات والمسؤولية، فلن تنعدم القدرة على الاستمرار والصمود إن توفر العزم، وأصبح الشعور بفرضية الاستمرار قناعة جماعية وأصبحت طريقة بحث المشكلة منطقية وإيجابية. فلئن كانت خسائرنا فادحة فلا شك أنها لم تذهب هدرا. نسأل الله أن نفيد من تلك الخسائر وأن تكون لنا

منطلقا راسخا في طريق صحيح. وهكذا فإن وعي هذا الميراث هو أول الحوافز على المضي قدما في طريق الثبات والاستمرار على الحق إن شاء الله تعالى .

المبحث الخامس: الحل الجذري والقرار الصعب:

لقد كانت معايشتنا الطويلة للأحداث ومشاركتنا فيها بشكل مباشر ويومي، وما كان في تجربتنا الطويلة المتنوعة وما كان من مئات الحوارات والمناقشات والمناظرات، وساعات التفكير الطويلة في حل هذه المعضلة، وما كنا نستشعره من فرضية الاستمرار فرضية عينية على كل من شارك في الأحداث، ولاسيما ممن حمل السلاح وجاهد ورابط في سبيل الله، ثم ما كان من منهجنا الإيجابي الواقعي في البحث عن الحل والبديل الذي قادنا لنظرة تحليلية شاملة للوضع ومعطياته ولا سيما بعد سقوط راية الجهاد الحقيقية للثورة الإسلامية في سوريا...كراية إسلامية صافية مجاهدة، ودمار وانتهاء حامليها بهذا المفهوم وخلو الساحة إلا من تلك الطروحات الشاذة أو الواهنة. إن كل ذلك كان يشير وبوضوح تام إلى أن طبيعة الحل الشافي لمعضلة بهذا المستوى يجب أن يكون من النوع الجذري اللاترقيعي.. لقد كان المنطق والحس الإسلامي السليم يشير لهذا على خطورته من استنتاج. هذا فضلا عن أن السنوات البائسة التي تلت استنتاجنا المنطقي هذا، حملت الدليل عقب الدليل على عقم كل حل ترقيعي طرح في الساحة ونفذ ولم يساوي نصيبه من الفشل إلا الإحباط الذي اعترى أصحابه ودفعهم لشبه اليأس ومن ثم اللحاق بقوافل المهزومين من أسلافهم. ورغم أن ذلك الحل كان ثوريا جدا، وأصعب من أن تتحمله عقول كثير من المخلصين الباحثين عن حل، فقد كان إلزاميا شبيها بذلك الذي يلجئ الجراح لبتر عضو مريض اضطراراً لا حباً في البتر.

حلا توصلنا إلى اعتقاده من خلال فهمنا لدين الله أولا وللغاية والوسيلة في سياق هذا الفهم ثانيا، بعيدا عن تلك الطريقة العرجاء من التفكير والمكبلة بقيود التقليدية والحزبية التي تعود عليها الكثير من أبناء الحركات الإسلامية بفعل التربية الإمعية التي جاوزت تربية منحرفي الصوفية بكثير في هذا المضمار. ولقد اقتنعنا به واثقين بالله أولا ثم مدفوعين ومتفائلين بالنتيجة التي توصلنا إليها في تحليل الواقع والميراث الجهادي الإيجابي العظيم الذي ننطلق منه وليس من الصفر أو تحت الصفر كما يظن الكثيرون. لقد صار كل المخلصين الذين بحثوا عن الحل والبديل بعيد هذا الدمار الشامل إلى أحد ثلاث حلول بديلة أمام ذلك الواقع المريع:

أولا: الهزيمة والاستسلام للأمر الواقع والانسحاب من هذا الضياع واختلاط الوراق، والانصراف إلى البحث عن الشأن الخاص والتمسك بالدين الشخصي والتخلي عن المسؤولية، واللحاق بركب من انهزم دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن بديل، بانتظار أن يعود للجهاد صفاءه والعودة عند ذلك.

ثانيا: الانضمام لجوقات الإصلاح الترقيعي من داخل الجماعة، والتمسك بقدسية الشرعية التنظيمية والعمل على الإصلاح التدريجي تحت عباءة الجماعة.

ثالثا: الحل الجذري وهو تجميع المخلصين المقتنعين بالجهاد والفداء والتضحية وبدء العمل من جديد بعيدا عن هذه التفسخات بتخطيط هادئ شامل وإرساء خط متميز للعمل الجهادي يقوم بهذا العبء وهذا ما كان يعبر عنه بالانشقاق عن الجماعة! فيا غيرة الدين! وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن حتمية الحل الجذري وشرعيته دينا وعقلا،

يبدو أنه من المفيد التحدث عن مآل أصحاب الطرحين السابقين بعد مضي نحو أربع سنوات أو أكثر على ذلك الدمار الشامل[35].

أما في رأيي المتواضع فإني مقتنع مع من اقتنع بل مؤمن بأنه الحل الوحيد الناجح والممكن والشرعي جدا بعد سقوط آخر الآمال بالجهاد ونعني سقوط الطليعة بعد محاولاتها الطيبة. كما كانت قد سقطت آمال العسكريين وانتهى حاملوها في صفوف الإخوان المسلمين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

- أما بالنسبة لأصحاب الرأي بالاعتزال والانصراف إلى الحياة الشخصية للاهتمام بالدين الشخصي بانتظار انصلاح أحوال الجهاد للعودة إليه. ففضلا عن أن هذا الرأي يتعارض والفرضية بالاستمرار التي بيناها ولاسيما في حق المجاهدين الذين ضحوا وجاهدوا ورابطوا، وفضلا عما ثبت لنا من أن عدونا لن يتركنا إن تركناه، وأننا وكل المسلمين من ورائنا ندفع ضريبة ما كان من عملنا مركبة مضاعفة. فالناظر في أحوال أولئك المعتزلين يجدهم -غالبهم- وقد عادوا للدنيا عودة النهم الجائع وسرعان ما انغمسوا فيها بين دارس وعامل وتاجر، وسرعان ما عادوا للحياة الطبيعية المسالمة وكأنه لم يكن ذلك الماضي ولم تكن لهم تلك التجربة، وكأنه لا يربطهم رابط أمانة وواجب نحو دين الله ودماء الشهداء وأنات ألوف المعتقلين وملايين الرازحين تحت نير ذلك الاحتلال الكافر. وما لبثت تلك الأعذار الواهية والتسويفات الفارغة من العزم على العودة للجهاد حين يصبح نظيفا ساطعا لا شبه فيه ولا غبار عليه، ما لبثت أن زالت واندثرت، وخرج أصحابها من هذه اللعبة تاركين الأمر كله، هذا فضلا عن أن جلهم وبفعل الحاجة إلى الجماعة سواء ماديا أو وثائقيا أو للتمثيل والحماية، وقعوا في النفاق والمداهنة ودخلوا في دوائر محاور القوى وبرزت ممارسات من الصغار والذل يعجب المرء كيف تصدر عن مجاهد سابق كان في صف المدافعين عن دين الله في يوم من الأيام، ولا يغرنا أن الاحتيال على النصوص مازال يوفر لمعتذر يتخذ من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة، يوفر له أن يحتال بآية أو حديث ليستر عوار انهزامه ونفاقه ولا نريد أن تحمل سطرنا المثلة الحية وكل الأخوة يعرفونها من تصرفات بعض هذه النماذج ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
- أما بالنسبة لأصحاب الإصلاح الترقيعي المتدرج عبر الجماعة الشرعية!! فهم جل أولئك الإخوة القدماء في سلك الدعوة والذين ترسخ في أذهانهم ذلك المفهوم الخاطئ عن الشرعية والجماعة والتنظيم، ومعظمهم والحق أحق أن يقال، يألمون للحال المفجع ويريدون الإصلاح، ولكن لا يستطيعون شم هواء العمل خارج غرفة مقفلة تسمى الجماعة الشرعية!.

مئات الحوارات جرت، وعبثا كانت محاولة إقناعهم بضرورة الحل الجذري فإن حصل وثبت بالإقناع ضرورة ذلك. فعبثا كانت محاولة إقناعهم بإمكانية ذلك. فإن حصلت هذه القناعة، فعبثا محاولة إقناعهم بالمشاركة في هذا الحل الذي كان يساوي بالنسبة لهم الخروج عن الطاعة ومفارقة الجماعة والموت ميتة الجاهلية! وهكذا سلكوا طريق الإصلاح الترقيعي عبر الجماعة فماذا كان؟!.

خمس سنوات حتى الآن مرت على الدمار المروع والفضيحة الشاملة، عشرات محاولات الإصلاح على مستوى الجماعة حصلت في شتى الميادين وأدرك أصحابها أنفسهم قبل غيرهم أنهم داخلون في حلقة مفرغة تماما ما فتئوا

---

[35] مضى عليهم الآن عند صدور الطبعة الأولى أكثر من ثماني سنوات .

يـدورون معهـا مـا طلعـت الشـمس وغربـت، فطريقـة بنـاء الجماعـة ومؤسسـاتها ونظامهـا وقنواتهـا التنظيميـة وقدسـية الثوابـت فيهـا والـتي تتمتـع بعصـمة آيـات الله الشـيعة، وارتباطاتهـا الداخليـة والخارجيـة كـل ذلـك كـان كافيـا للاسـتنتاج أي أن محاولـة الإصـلاح عـبر الـدوران في تلـك الأفـلاك المفرغـة ضـرب مـن ضـياع الجهـد. ولكـن عبثـا ...أصـر المصـلحون علـى التجربـة.. ولا نريـد أن نضـرب عشـرات الأمثلـة فلـيس هنـا محلهـا، ولكـن هـا هـي النتيجـة ماثلـة أمـام العيـون لقـد أسـقط في أيـدي عشـرات المصـلحين واتخـذوا طـريقهم نحـو السـعودية أو الخلـيج أو الـيمن أو سـواها مـن بـلاد الله الواسـعة ليلحقـوا بسـابقيهم مـن أصـحاب الـرأي بالعزلـة متلمسـين نفـس الأعـذار، سـالكين نفـس السـبيل ولكـن بفـارق زمـني قـد يصـل إلى خمـس سـنوات. وضـمتهم الحيـاة في دورتهـا العاديـة وراحـوا يعـدون مـع مـن يعـدو، لعلهـم يلحقـون مـن قطـار الـدنيا الـراكض مركبـا كغـيرهم...وخرجـوا مـع مـن خـرج مـن اللعبـة إلا مـن دائـرة التبعيـة والمداهنـة. أمـا الثـابتون مـن المصـلحين فقـد اسـتمروا وقـد توجـت جهـودهم الإصـلاحية؟ لقـد انشـطرت الجماعـة إلى جمـاعتين وهـذا مـا كـان في منظـور كـل مـن حلـل الموقـف ودرسـه بعيـد تلـك الأزمـة الشـاملة. لقـد تمكنـوا مـن عـزل أسـباب الـبلاء في نظـرهم واضـطروا حـتى يحاصـروهم أن يتكتلـوا مـع بعـض آخـر مـن أسـباب الـبلاء ولكـن مـن الحجـوم الأصـغر أو مـن أصـحاب الـبلاء المسـتور وغـير المباشـر...وهـا هـي الجماعـة جماعتـان وفي كـل منهـا مـن يريـد الإصـلاح علـى طريقتـه، إصـلاح الشـطر المـريض الـذي هـو فيـه...ومـا زال في نفـس المصلحين بقية والتاريخ يمر ونحن في سبات.

عجيـب.. لم تعـد مصـيبة المسـلمين هـي المهمـة، ولم يعـد إيجـاد حـل لهـا هـو الهـدف، ولم تعـد الحلـول لتناسـب طبيعـة حالـة الحرب التي نحن فيها ولا لتناسب السكين المسنونة التي تذبح فينا ليل نهار من الوريد إلى الوريد.

لقـد انصـبت كـل محـاولات الإصـلاح علـى التنظيم...إصـلاح الجماعـة، إصـلاح الهياكل...إصـلاح هـذه المؤسسـة الـتي مـا عـادت جماعـة تواجـه حالـة حـرب أوكلـت إليهـا مهمـة الـدفاع عـن الإسـلام والمسـلمين، بـل غـدت مؤسسـة لرعايـة المهجـرين وتلبيـة احتياجـاتهم وتـأمين عقـود عمـل لهـم، وتـأمين بعـض وثـائقهم، واسـتجداء صـدقات المحسـنين للثـاكلات مـن نسائهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

- لمـاذا يجـب أن يكـون الحـل جـذريا؟! لقـد بلغـت مصـيبتنا حـدا أصـبحنا معـه مضـطرين للعـودة للاتفـاق علـى مفهـوم بـدهي مشـترك يقربنـا للإجابـة علـى سـؤال يهـم المتحـاورين . فقبـل أن نحـاوب علـى السـؤال المرعـب لكثـير مـن إخواننـا كهـذا السـؤال، يجـب أن نتحـاور وأن نتفـق علـى مفهـومي الهـدف والوسـيلة في قضـيتنا الراهنـة وهـي مقاومـة المحتل النصيري الذي طغى وبغى وولغ في دمائنا وأعراضنا حتى الثمالة.

لإزالتـه وإقامـة الحكـم الإسـلامي الصـرف الـذي يرضـي الله تعـالى ويعيـد بالتـالي الحقـوق إلى نصـابها، ونعتقـد أن هـذا هـو الهـدف الـذي مـن أجلـه اشـتعلت حربنـا مـع النظـام، أمـا وسـيلتنا لـذلك فقـد اتفقنـا جميعـا –وهـذا مـن المنطـق الـواقعي للأشـياء– أن هـدفا كهـذا الهـدف الشـامل لا يمكـن أن يحقـق بمجاهيـد فرديـة حـتى ولـو بلغـت هـذه المجاهيـد ملايـين المحـاولات وحـتى لـو شـارك فيهـا جميـع المسـلمين بـلا اسـتثناء طالمـا أنهـا أفعـال وردود أفعـال فرديـة فلـن نحقـق هـدفنا الكبـير، لـذا لابـد مـن التنظيم! وهكذا نتفق على أن:

الهــدف: هـو خلـع الظلـم المتسـلط علـى رقـاب المسـلمين والمتمثـل بـالمحتلين النصـيريين حكـام البلـد واسـتبداله بحكـم الله الذي ارتضى لنا الإسلام دينا.

الوسيلة: هي التنظيم أو ما اصطلح على تسميته (بالجماعة) وبنائه بناء يتلاءم مع هذا الهدف الصعب. والعمل وفق أسلوب وخطة مدروسة مبينة لتحقق الهدف بأسلوب عمل جماعي[36].

الطريقة: ثبت لكل عاقل -ونتكلم في قطاع العقل والعقلاء- أن هدفا كهذا لا يمكن أن يتم سلما، وحتى لا ندخل الجدل، فحتى لو كان بالإمكان أن يتم سلما، فقد أصبح الوقت متأخرا بعد أن دخلنا حالة الحرب، وسبق السيف العذل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لنعد إلى سؤالنا الآن، بعد أن سارت الأمور على النحو الذي بينا في النبذة التاريخية والتي لم يكن تقديمها على هذا البحث عبثا إذ لا يمكن أن نمضي بالاستنتاج قيد أنملة بدون الاعتماد على ما مر وفهمه واستخلاص العبرة منه. هل بالإمكان أن نحق هذا الهدف؟ بل وما هو أقل منه وهو الدفاع عن الدين والعرض وعن النفس على الأقل.. دون أن ندرس تجربتنا لنستفيد منها ونعيد بناءنا بما يتناسب وحالة الحرب التي نحن فيها بل حالة الحرب الضروس، حرب الإبادة التي نتعرض لها نحن وأهلنا وديننا في البلد! فنعتمد بناء تنظيم عسكري جاد نحشد له كل الطاقات والقدرات ونتبنى خطة شاملة مستفيدين من كل تلك التجارب...معتمدين على الله وحده مصححين راية الهوية الإسلامية التي نحمل حتى نستأهل نصر الله، وحتى نستأهل الاسم الذي نحمله والشعار المقدس الذي نرفعه والتاريخ الناصع الذي ننطلق منه ونؤدي الأمانة في السير على الدرب الذي استشهد من أجله أسلافنا. إننا لن نحقق شيئا ما لم نسلك هذا السبيل وها هي التجارب تلو التجارب وعلى مدى سنين طوال تثبت هذا ومازال التراجع من سيئ إلى أسوء وليرحمنا الله من مصير أسود من ذلك إن نحن استأنفنا السير على هذا المنوال. لقد كان كل هذا في منظورنا ولقد نادينا به وعبر ما يسميه أصحابه (القنوات التنظيمية) لقد رفعنا عشرات التقارير وحاورنا عشرات الحوارات وارتفعت الأصوات كلها من هنا وهناك تنادي بهذا بعيد الأزمة والدمار الشامل. ولم يكن من عجيب. لقد أريد للأمور أن تسير في هذه المتاهة...لكأننا نجزم أنه أمر دبر بليل!! ولكن لا ...فليس لنا أن ننساق وراء الاستنتاج مهما بلغ من القوة لنجعل منه دليلا، (فعلى مثل الشمس فاشهد أو فدع) ولا شك أن الأيام الحبالى ستلد الحقائق، يجب أن نقول ومهما كان هذا الكلام محرجا... فقد عرفه وعاشه كل الإخوة ولا أحد يجهل هذا ...لقد آلت الأمور إلى أيدي زعامات وقيادات لم تكن في يوم من الأيام قيادات للجهاد، بل على العكس لقد قاوم معظمها التيار الجهادي حتى الأخير، فلما وقع أمر الله وأصبح قضاء لابد منه، تصدت له هذه القيادات خوفا وطمعا واستطاعت -كما بينا- عبر امتداداتها وإمكاناتها وثقة المسلمين في مختلف الجهات بها أن (تحول) كل تلك البطولات التي قدم المجاهدون دماءهم ثمنا لها لصالحها، فتربعت على قمة المجد وأمسكت بكل خيوط اللعبة بما فيها نحن أنفسنا-القواعد الإسلامية العازمة على الجهاد- فمثلتنا وباسمنا أقدمت على كل ما أقدمت عليه، بما فيه الإقدام على بيع الراية الإسلامية الصافية لتلاميذ عفلق والحوراني وأضرابهم من أعداء الإسلام الوالغين في دماء أهلنا وإخواننا ولم تجف دماؤهم بعد في المسجد الأموي ومسجد السلطان وساحات الشرف في كل أنحاء الشام. وباسمنا أثرت وسادت وباسمنا خططت للحرب ودفعت بنا إليها حين اقتضى الظرف ذلك في الوقت الذي وفرت فيه أنفسها وأبناءها وأقرباءها وأرسلت بهم للدراسة في الجامعات الخارجية بمنح دراسية قدمتها تزلفا

---

[36] وقد غير المصنف فرج الله عنه ورحمه رحمة واسعة فكرة التنظيم وتكون لديه ما دعاه سرايا المقاومة الإسلامية العالمية (راجع كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية).

جهات ذات أغراض مبيتة بعد أن أصبحت هياكل الكبراء بفضل دمائنا تستحق التزلف! لقد كانت هذه هي الحقيقة ولقد انطلى علينا كغيرنا أن بالإمكان أن نقوم بالإصلاح، ولو إلى حد ما عبر تلك الهياكل وعبر الإسلام والشرع دون الحاجة لفصم عروة أخرى لنعجل من الثلاثة أربعة ومن الأربعة خمسة. وهو أمر طالما كرهناه ما كرهه غيرنا. لكن في وقت من الأوقات أصبحت الأمور أكثر حرجا، فلقد تحددت أسباب البلاء تماما. ولم يكن بالإمكان أن يحصل الإصلاح دون إزالتها... لقد كان الإصلاح ومازال مرهونا بإسقاط تلك الثوابت ذات القداسة من آيات الله في الجماعة أولئك الجنرالات الشيوخ العجزة الذين مازالوا متمسكين بأطرافهم الأربعة بدفة السفينة التي تغرق منذ أن خلوا بغرفة القبطان فيها، ورغم أن الماء أتى على كل طوابق المركب ولم يبق في السفينة عائما إلا غرفة القبطان تلك، فمازال طاقم القيادة يصر على أننا بخير! سبحان الله! وليت الأمر كان هذا وحسب. فلقد استطاعت هذه القيادات وعبر هذه السنين الطوال من المحنة أن تمسك وبفضل تحكمها بماديات الجماعة على كل الأصعدة، ولا سيما في مجال المال والوثائق والتمثيل في البلدان المجاورة حيث يقيم الشباب، وعبر الصلات القوية التي حققوها بالأنظمة والهيئات الإسلامية الكثيرة، استطاعت أن تشتري ولاء غالبية أفرادها إقناعا أو إجبارا، فضمنت بذلك الأغلبية الانتخابية الدستورية باستمرار وفي كل انتخاب يتم وعلى كل المستويات، فمعظم تلك القواعد ولاسيما في الخليج والسعودية وأوربا هي من الشباب الذي لم يعانِ من المحنة والحرب بشكل مباشر، ولم تصطدم طموحاته العقائدية ولا معاناته الشخصية بتصرفات هذه القيادة التي مازالت مقبولة بشكل أو بآخر لدى قاعدة سطحية لا مبدئية أو جاهلة بما دار وما يدور في مواقع الأحداث، ولكنها قواعد معدودة في الإخوان المسلمين! وهكذا أصبح المجاهدون الذين رابطوا طيلة تلك المرحلة استعدادا للجهاد بعد أن جاهدوا وهاجروا ورابطوا ...أصبحوا أقلية في هذه الأكثرية، وحتى ولو حق لهم التصويت وقد حرم معظمهم منه لافتقارهم للقدم التنظيمي! فإنهم لا يشكلون شيئا. ونظرا لأننا جماعة المسلمين أمة برلمانية متطورة بدورنا! فإن قانون خمسين بالمائة زائد واحد مازال هو الساري بيننا لتحديد الكفاءات والقيادات وإقرار القيادات. إن هذه الأخطبوطية التي أمسكت بها قيادة الجماعة بالجماعة ومؤسساتها وإمكانياتها وقواعدها...هي التي تفسر لنا تكرر انتخاب نفس القيادات العاجزة والفاشلة واللاشعبية بصورة متكررة حتى ولو كانت الانتخابات حرة نزيهة كما تسمى تجاوزا...لأن الغالبية الساحقة الفارة ذات الارتباطات المختلفة بهذه القيادة توفر لها الأغلبية باستمرار أما المجاهدون أو من اصطلح علي بتسميتهم بـ(المشاغبين) في الجماعة فقد أصبحوا أقلية وهكذا اضطروا للانسحاب بصمت وحسرة من هذه اللعبة القذرة غير الأخلاقية والسائرة تحت أنبل الشعارات الإسلامية الجامعة...وهكذا مرت كل المآسي بدءا من قطع الأموال عن المجاهدين والمشاركة في إعدامهم في الداخل، وانتهاء بورطة التحالف الوطني وصمة العار الكبيرة في جبين الحركة الإسلامية في سوريا...الحلف مع السفاح السابق ضد سفاح لاحق لاقتسام السلطة فيما بعد في حكومة نصفها جاهلية ونصفها إسلام يمثله هؤلاء القادة! فياله من بديل يستحق القتل في سبيله! وهكذا أدركنا اللعبة ولكن بشكل متأخر إلى حد ما ... لقد كان علينا أن ندرك هذه الحقيقة المرة: إننا معشر الذين جاهدوا وشاركوا في الجهاد بما قسم الله، ثم هاجروا ثم رابطوا، طلبا للجهاد تحت قيادات شتى أسفر عنها الظرف كما مر معنا أقلية ذات صفات مشتركة، في هذه الزحمة من الأصناف والأنواع والأشكال التي تراكمت في القواعد باسم الجهاد والجماعة والتنظيم والشرعية إلى آخر هذه المسميات...إنه لئن كان المعيار في الانتماء التنظيمي هو مجموعة الأفكار

والمبادئ التي يحملها المرء ويدافع عنها ويتخذ بناء عليها موقفه ويتحمل ما ينتج عنه، وهذا هو أساس التجمعات التنظيمية بمفهومها السياسي والحركي، فإنه لابد من القول أننا جماعة واحدة كنا حين حملنا السلاح متعرضين لكل تبعات هذا الموقف المسؤول...وجماعة واحدة يجب أن نعود حتى نحقق أهدافنا ونعمل لها وفق أسلوب يناسبها ويتناسب مع حجم المسؤولية المترتبة عليها ولا علينا أن الظرف قد أجبرنا على التشرذم في جماعات شتى بفعل اختلاط الأوراق وبريق الشعارات والتلاعب بسلامة طوية المسلمين ردحا من الزمن.

لقد كان في الوقت متسع كيما تنكشف الحقائق انكشافا يسمح باتخاذ موقف منه، إن الشرع لا يجيز لنا ونحن نعتقد ما نعتقد أن نعمل تحت قيادة استباحت الحلف مع المرتدين وتعاقدت على مشاركتهم الحكم بعد إسقاط النظام ولا يجيز لنا العمل تحت قيادة هي بالنسبة للجميع بين الخيانة والعجز والفشل، ذلك طالما أننا متأكدين أن استمرارنا تحت قيادتها لن يقصر في عمرها، بل سيزيد فيه وسيزيد في المجد الذي حققوه...لقد أصبح جليا لنا في مرحلة من المراحل أن مصلحة الإسلام والجهاد والإعداد لمعركتنا المصيرية لإعلاء كلمة الله والتي تحولنا فيها لموقع الدفاع عن المصير تصطدم تماما مع ما يسمى بمصلحة الجماعة والتنظيم والذي يقصد به مجموعة من الأشخاص المحددين ومجموعة من الهياكل والقوانين والأنظمة الداخلية ومجموعة من الفارين الحريصين على دنياهم وما أبقى لهم الطاغوت منها! وهنا بالضبط اكتشفنا الفصام الحقيقي بين الهدف والوسيلة وأصبح علينا الاختيار أن ننحاز للهدف أو ننحاز للوسيلة، وليختار عاقل! هل مصلحة الإسلام وما يوجبه أولى بالانحياز أم مصلحة تجمع وجد أصلا لخدمة ذلك الهدف؟! وهكذا أصبح جليا أن الحل الجذري غدا ضرباً لازماً وألجأ الجراح لآخر العلاج البتر! ولا حول ولا قوة إلا بالله..

فالحق أحق أن يتبع، عاملون كنا وما زلنا إن كان هذا يعني أن : الله غايتنا، والرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا. أما أن يعني ولاء وطاعة عمياء وإمعية عرجاء وتبعية، لو على الضلال وسكوتاً عن الحق، وانقياد للعجزة والفاشلين والمتاجرين والمداهنين فلا، وما أمرنا الله بهذا! ومادام الانتماء يعني هذا فإننا نرده عليكم أيها السادة، لنتابع طريقنا بأنفسنا وعلى طريقتنا، ولابد من التمايز لتحقيق الهدف وكفانا ما كان من شرور الخلائط غير المتجانسة! لقد كانت هذه هي الحقيقة المرة التي اكتشفناها متأخرين، والحمد لله أننا وجدناها وها هي السنوات تمر علينا لتؤكد أنه كان تصورا قريبا من الصواب إن شاء الله تعالى، وعلى كل ما من أحد يزعم حتى ولا من يتمنى القدرة على هذا الزعم...أن النصيريين وأسدهم حاربوا قسما من المسلمين ووفرا قسما آخر ولا أحد يزعم أن حربه حكر على فريق من الناس، وأن على كل من أراد الحرب أن يمر عبر قيادة أركانهم.

لقد حارب النصيريون الإسلام والمسلين قاطبة ولمن أراد الدفع والجهاد أن يحاربهم بما يرى من هدى الله وما يفتح عليه ليرد كيد الطغاة عن دين الله وغرض المسلمين ...وما أمر الدفاع بحكر على أحد ويجب أن نتابع حربنا على طريقنا كما بدأناها مستفيدين من تجربتنا الطويلة متعلمين من تلك الدروس منطلقين من ميراث جهادي كبير... معتمدين على العلي القدري أولا وآخرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

إن على الذين آمنوا بضرورة الجهاد لإعلاء كلمة الله وإقامة حكمه الإسلامي الصرف والنظيف بعيدا عن كل أنصاف بعيدا عن كل أنصاف الحلول المداهنة والمهادنة المستسلمة، وآمنوا بأنه لن يكون من طريق لهذا والحال هي ما وصلت إليه في سوريا الشام إلا الجهاد الثوري المسلح عليهم بناء أنفسهم بناء عسكريا نابعا من هذه الرؤيا، بناء لا

ينسى أنه تنظيم إسلامي قبل كل شئ، بكل ما لهذه الكلمة العريضة من دلائل وضوابط...لجمع أولئك المجاهدين الصادقين العازمين على التضحية في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم في تنظيم واحد هو الوسيلة لهذا الهدف السامي...فقد حملت الأيام الأخيرة ما كان يجب أن يحصل من تمايز أصحاب كل فكر حول فكرهم وقيادتهم في أوساط العاملين في هذه القضية وهكذا اجتمع أصحاب الطروح الوطنية والقومية والخليطة الإسلامية الجاهلية غير المنضبطة ليكونوا لأنفسهم صفا واحدا يلم إليه من يستأهل الانطواء تحت راية كهذه الراية، وتجمع أصحاب العزائم الخائرة والطروح التائهة الترقيعية حول شخصياتهم وثوابت تاريخهم العتيد ليواجهوا هذه الحرب الضروس بما عهدوه من سلسلة الاجتماعات وبناء المؤسسات التي لا تنتهي...

وتشرذم آخرون حول طروحات شتى أو زعامات شتى ! ليكونوا لأنفسهم كياناتهم، وعلى المجاهدين بدورهم أن يجتمعوا.

نريد لهذه القاعدة المؤمنة من بقية المجاهدين الصادقين أن تلم شعثها وتلملم جراحاتها وتستنفر عزائمها وما تبقى من زاد الطريق لتكون قدوة لكل مجاهد عازم على الانضمام لهذا الركب من إخوة الدرب على اختلاف مشاربهم طالما أنهم توصلوا إلى مثل هذه القناعة لريادة الشعب المؤمن الذي سيجد ضالته في قدوة الفدائي المسلم المجاهد إن شاء الله تعالى...إن عدم اجتماع من آمن بالجهاد في صف واحد هو الذي يجعلنا نراوح مكاننا في مرحلة الانتظار التي يجب أن تنتهي بإذن الله.

الباب الثاني: إيضاحات على طريق البديل:

ونحن نتصدى لطرح وجهة نظرنا حول بديل شامل متكامل لوقف سلسلة الانهيارات التي تعرضت ومازالت تتعرض له الحركة الإسلامية والجهادية في سوريا الشام، لعل من المفيد أن نوضح بعض المفاهيم التي نراها ضرورية لشمولية التصور في هذا الموضوع.

المبحث الأول: ضرورة الإفادة من التجارب الذاتية والإسلامية والعالمية عبر دراستها دراسة مقارنة واستفادة:

من الطبيعي أن أهم ما يتعلم المرء منه هو تجربته الذاتية، ثم عبر الاتعاظ بغيره، وقد حفل القرآن الكريم بتوجيه المؤمنين لأنفسهم ليحاسبوها وليتعظوا بما يصيبها. {أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها، قلتم أنّى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم}. كما دأب القرآن الكريم على سرد قصص الغابرين وتجاربهم في كل المجالات {إن في قصصهم لعبرة}{ قل سيروا في الأرض فانظروا }...

- **تجربتنا الذاتية في سوريا الشام:** دعوة إلى الله يزيد عمرها عن أربعين سنة بعد سنوات الهجوم والنوم الطويلة منها ستة عشر سنة في الصدام الجهادي المسلح مع السلطة عبر مراحل منها السري ومنها العلني، دروسا رائعة حاولنا أن نتطرق لها بالتحليل والاستقراء والاستنتاج لنتعلم من درس مضى ونعتبر بمحنة وفشل مر.. وما مثل الفشل الذي لا يقصم الظهر، في روعة الإفادة فهو يجمع الدرس إلى التجربة إلى المجرب.
- **تجارب الإسلاميين المعاصرة:** في كل الوطن الإسلامي وأنحائه، ولا سيما في البقاع المشابهة في ظرفها لظروفنا تجارب دعوية، محن، بلاء، جهاد، صدمات، فشل، نجاح، دروس رائعة لمعتبر، وللأسف فما فتئ

الإسلاميون يتلقون نفس الضربات ويتلقون نفس المحن، ولا يفيد بعضهم من تجارب بعض. فاجعة هي تلك الظاهرة. إن علينا أن نتجاوز هذا الخطأ لنفيد من تجارب إخواننا بل ولنجاوز ذلك ولندون تجربتنا ونقدمها لإخوان لنا حيثما كانوا حتى يفيدوا منها، فها نحن في كل ربوع الوطن الإسلامي نشهد ميلاد خط الجهاد في كل مكان، وعلى أقطابه وأنصاره أن يفيدوا من التجربة الجهادية في كل مكان ولاسيما التجربة الجهادية الثورية المسلحة التي مر بها مجاهدو الشام بشمولها وغناء دروسها.

- **التجارب الثورية العالمية ضد الدكتاتوريات والاستعمار**: يقول صلى الله عليه وسلم:[الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها فهو أحق بها] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

ولابد من الإشارة إلى أن معظم حروب الاستقلال والتحرير في أنحاء الوطن الإسلامي قد قادها الإسلام ومجاهدوه وكلها حروب ظافرة أدت إلى هزيمة المستعمر المحتل وانتصار المجاهدين. إلا أنها للأسف حروب وثورات أجهضت في نهاياتها ليستغلها العلمانيون والقوميون والوطنيون. ليصنعوا منها أمجادا لهم وليقيموا على أشلاء شهدائها وتضحياتهم حكومات كافرة علمانية تابعة للمستعمر، لتعيد احتلال البلاد بأسلوب متطور. ورغم ذلك فبالعودة إلى تاريخ وأحداث تلك الثورات الجهادية (وقد ضاعت معظم تجاربها ولم تدون)، فإننا نجد الدروس العظيمة، فثورة الجزائر وثورة الخطابي وثورة المهدي في السودان وحروب الإخوان المسلمين في فلسطين وفي القتال ضد الإنكليز في مصر وجهاد المختار في ليبيا وحروب الاستقلال في تونس وجهاد المسلمين في الباكستان والهند وأفغانستان والجمهوريات الإسلامية السوفيتية وبلاد إفريقيا وأندونيسيا وجنوب شرق آسيا...الخ تجارب رائعة يجهل تاريخها معظم أبناء المسلمين، ويعرض عن الإفادة منها ودراستها من تربعوا على قمة الهرم الدعوي في الحركات الإسلامية!! هذه التجارب التي يقول في إحداها (ماو تسي تونغ) والمسمى شيخ ومنظر حرب العصابات يقول عن عبد الكريم الخطابي أنه أستاذ له في حرب العصابات، هذا المجاهد الذي جابه فرنسا وإسبانيا ومن ورائهما أوربا وأمريكا وهزمهم في كثير من المعارك طيلة سنوات أسر في إحداها فقط أكثر من عشرين ألف إسباني! ثم تألبت عليه القوى الصليبية وتآمرت عليه المسمى زوراً (أمير المؤمنين!) محمد الخامس ملك المغرب! فهزموه وأسلموه لأعدائه رحمه الله. هذه واحدة من التجارب وغيرها أكثر، ولكن يجب الإشارة إلى أنه على صعيد تجارب المسلمين في التصدي لطغيان الحكومات الكافرة والجائرة في بلاد المسلمين، والقائمة بأبناء المسلمين من الفجرة والكفرة والفسقة والمارقين، فإننا نكاد لا نجد للمسلمين تجارب ناضجة على صعيد الجهاد الفعلي. فقد انحصرت حتى الآن كل أعمالهم في الدعوة والصدع بالحق وتحمل الأذى والخروج من المذابح للدخول إلى السجون في حلقة مفرغة عجيبة ألبسها أصحابها ثوبا من الصبر والحكمة والثبات...الخ. ولعل أولى هذه التجارب الإسلامية وأغناها في هذا السياق هو جهاد المسلمين المسلح في سوريا ضد أعتى أركان الكفر في حكومات بلاد المسلمين وهو نظام أسد النصيري المدعوم من أشكاله من حكام البلاد العربية والإسلامية المتغذي بأموال بترول المسلمين والمستند إلى توازن غريب من الاستعمار الغربي والشرقي واليهودي على حد سواء وهنا تكمن قيمة هذه التجربة الثرة وصعوبتها.

ولكن الناظر في تجارب وتواريخ الشعوب في العصر الحديث ولاسيما بعيد الحرب العالمية الثانية، يجد رصيدا هائلا من نضالات أمم مستضعفة قاومت الاستعمار أو الحكومات الديكتاتورية العميلة وأعطت مثالا في التضحية والثبات

جديرا بأن نفيد منه (فالحكمة ضالة المؤمن...) ولاسيما تلك الحروب التي اتخذ أصحابها لأنفسهم حرب العصابات ضد أشكال العسف والظلم. ولابد أن نذكر هنا تجارب الشعوب في كل من كوبا ودول أمريكا اللاتينية وفيتنام والصين وحروب التحرير في كثير من دول إفريقيا السوداء وماليزيا...الخ. فقد قاومت الشعوب المستضعفة هناك أشكالا من الحكومات والقوى مشابهة لتلك التي تقوم في بلادنا، واستطاعت في كثير من الأحيان بفضل حروب العصابات المنظمة المستمرة أن تصل إلى أهدافها ضاربة أمثلة رائعة في الثبات والفدائية جديرة وللأسف-أن يقف أمامها الكثيرون ممن يدعون لأنفسهم الإسلام ليتعلموا الثبات والتضحية- **ولسنا ممن تأخذه العزة بالعجز هنا لنردد بعنجهية فارغة نحن أبطال الثبات وفرسان التضحية وأحفاد خالد وأبو** عبيدة ونحن المجاهدون الدعاة أعز من أن نقف لنأخذ العبرة من شيوعيين وكفارهم حطب جهنم! وهكذا يتأستذ علينا ليستر عواره ويستر حقيقة أمر يتصدع لها فؤاد كل مسلم؛ وهي أن المسلمين وعلى مدى عشرات السنين بعيد الاستقلال الجغرافي الذي حصلت عليه كثير من بلاد المسلمين، لم يكونوا في أحسن أحوالهم وإزاء تلك الحكومات الكافرة والأوضاع المرتدة أكثر من فرسان سجون وأبطال مشانق في غير ما ردع ولا مقاومة إيجابية عنيدة. لم نستطع وللأسف كحركة إسلامية بعد مضي أكثر من خمسين عاما على عمر الدعوة في بعض المناطق أن نقدم المثل إلا في الصبر والموت والثبات في السجون فريسة للتعذيب وهتك الأعراض ولعشرات السنين...ولا نريد أن نضرب الأمثلة ونسمي الأشياء حتى لا نقع في الحرج والإحراج والكل يعرف ولم يعد هناك ما يكتم.

والعجيب الغريب الذي يدمي الفؤاد أن هذه التجربة الغنية من الدعوة والصبر والثبات على المحن والسجون والمجازر لم تسفر في كثير من البلاد لأصحابها عن العبرة لاتخاذ الجهاد المسلح وسيلة دفع ورد الصاع لأولئك الظلمة بصاعين! وإنما على العكس أسفرت عن عجز أبشع، فراح الإسلاميون يتلمسون العزة والنصرة في حلف الطاغوت الجزار نفسه يوما أو حلف المعارضة الكافرة المرتدة يوما آخر ...لعل هذا يتفضل علينا بكرسي في البرلمان المرتد نصدع منه بالحق ونوصل صوت الله إلى المسلمين! ويتفلسف العاجز ويجد في هذا الدين الذي أصبح بعد أن مسخه أصحابه كما قال الشاعر: (وهذا الدين لفرض يسره قد احتوى مسيلمة) ومازال كل عاجز يخرج علينا بآية أو حديث أو أثر من السيرة والتاريخ ويلويه ويشده بالطول والعرض ليلائمه على قد مقاسه القزم! ولا حول ولا قوة إلا بالله. نعود لسياق فكرتنا موجزين القول (**لا يمكن لكلمة الحق العزلاء مهما كانت مبينة أن تقاوم رشاش الطاغوت ولا تسقط صريعة**). إن كثيرا من شعوب العالم المناضلة والمقاومة، أفرزت لنفسها طلائع نضال وتحرير، وقدمت تجارب ثرة في حرب العصابات والمقاومة، وأمثلة رائعة من الفدائيين والأبطال الوطنيين والثوريين الثابتين، وبالتالي قدمت تجارب ودروس مدونة في غالبها وقد أصبحت المكاتب حتى العربية حافلة بتلك الكتب وتواريخ تلك التجارب وتفاصيلها، وحري بنا وبكل مجاهد يريد خوض غمار هذه الحرب المقدسة دفاعا عن دين الله أن يفيد من دروسها، فالحكمة ضالة المؤمن وعليه أن يطلب العلم بما في ذلك لا شك علم الحرب والمقاومة وهذا من صميم الإسلام.

صحيح أن كل تلك الثورات قامت على عقائد مارقة كافرة شيوعية في الغالب، مرفوضة بالنسبة إلينا ومصنفة ضمن أشكال الكفر الذي هو ملة واحدة وصحيح أن أغلب الثوريين إن لم يكن كلهم قاموا بعد انتصارهم بالاستيلاء على السلطة ليعدوا المثال الديكتاتوري والمتسلط...وهذه طبيعة الإنسان الذي لا يحكمه دين الله القويم...وصحيح أن في

أولئك الثوريين من ولغ في دماء المسلمين في بلادهم، كما كان الحال في ماوتسي تونغ السفاح، في تركستان وغيرها إلا أن هذا أمر آخر له مجال بحثه ولا يختلط علينا إن شاء الله، نريد فقط الإشارة إلى الإفادة من دروس تلك الحروب والتجارب والثورية المفيدة فقط، مع كامل الوعي لعدم الخلط بين الإفادة من الدروس والتشويش بعقائد فاعليها الفاسدة، وهذا لا يخفى على المسلم المؤمن المتبصر، ولذلك يجب أن تبقى الإفادة من هذه الدروس واجب قيادات الجهاد والراسخين من المجاهدين. وليس لصغار الشباب المسلم الذي لم تثبت عقيدته كما يجب بعد.

نريد أن نفيد من دروس تلك التجارب السياسية والعسكرية ونأخذ منها ما يناسبنا بحصافة وعلم، كما يفيد أحدنا من آلة أو اختراع بصرف النظر عن مصدره، وهذا بعض الإعداد الذي أمر به الله تعالى والله الموفق..

المبحث الثاني: العمل والتطور من خلال الحركة:

لقد أصبح فن التنظيم والثورة والحركة السياسية واحدا من أهم العلوم والفنون التي تأتي في قائمة النشاطات الإنسانية التي لا يمكن تطويرها كنظريات فكرية وقواعد هندسية في رأس المنظر دون أن يكون إسقاطها على أرض الواقع هو أساس بلورتها وامتحان صحتها وجدواها ثم الانتقال إلى تطبيقها...إنه لا يمكن الحكم على نظرية ثورية بالنجاح إلا بمقدار نجاحها على أرض الواقع...أي بالمردود الفعلي لهذه النظرية، فمعطيات القضية المتشابكة من صراع الأفكار والأيدلوجيات بين الخصوم وتغير موازين القوى في كل لحظة والطابع المتحول بل المتحول بسرعة لتلك العناصر الداخلة في اللعبة، ولاسيما لعبة الحرب يجعل من المستحيل التنظير والتخطيط لها من خلال واقع ثابت جامد...فهذا النهر الجاري من المعطيات لا يسمح بفهمه والتكيف معه إلا الإبحار فيه والتخطيط له انطلاقا من واقع الحال. والخطأ كل الخطأ، الذي تدفع ثمنه هنا هزائم وإحباطات قد تكون القاضية، وقد تبلغ ضريبتها الألوف من الأرواح...أن نخطط لهذا النهر المتغير من على الشاطئ الثابت الذي لا يتحرك.

فمختصر القضية أن الحرب فن وعلم لا يمكن إتقانه والتخطيط له إلا من خلال ممارسته ولعل هذا أخص في الحرب الثورية، وتبقى حكمة القائد المخطط لها هو إدراك الثابت والمتحول في هذه اللعبة، ليتمسك بالثابت والذي يبرز هويتها وهدفه ويمكن بناؤه، ويتحول مع المتحول عبر الضرورة للإمساك بالمرونة وحرية الحركة ما أمكن. ومن هنا تأتي ضرورة وحدة القيادة السياسية العسكرية لثورة ما.

لقد أدركنا صحة هذا الكلام بعد التجربة والدرس القاسي من خلال العمل خارج الحدود، ومحاولة إدارة المعركة من خلال ثبات المعطيات وعدم فهمها كمتحرك. والتخطيط لها من فريق لينفذها آخرون...وبناء على فهم التفاصيل المهمة النابعة من الإجمال الذي قدمنا له في السطور الماضية، بضرورة العمل عبر تسلسل مجموعات التكتيكات العملية، على صعيد بناء التنظيم من جديد وإرساء خطة، وإيصاله إلى ما يمكن أن يسمى تنظيما بالمقياس السياسي والعسكري عبر العمل المباشر في هذا الأمر والتطور وإرساء الأساسيات في هذه الرحلة خاصة من خلال الحركة وعلى ضوء الأمر الواقع هذا على صعيد بعض المتغير مع الاهتمام الكامل بل وإعطاء الأولوية الكاملة لإرساء ما هو ثابت في طريقنا ونعني الجانب الفكري والأيدلوجي أو ما يمكن أن يسمى بالمصطلح السياسي الحديث "نظريتنا الجهادية الثورية" بكل ما تشمله من فكر مدعوم بالدليل الشرعي المستنبط من ديننا ودستورنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما تشمله من الإشارة إلى ثوابت سياسية في مواقف ذات صلة بالعقيدة والفكر والأسلوب وهذا ما حاولنا إثباته في كتاب

منفصل...فما نريد الإشارة إليه هنا، هو مجموعة–التكتيكات المتبعة على صعيد البناء التنظيمي– التخطيط المرحلي للعمل الحركي ولاسيما في مرحلة ما قبل الصدام–التي نحن فيها الآن. لقد تغيرت كثير من المعطيات بعد الهزيمة الفاجعة في الجولة الماضية وأهم تلك التغيرات هو ما طرأ على صعيد البناء النفسي لكثير من إخواننا على كل المستويات من الشيوخ والعلماء وحتى أصغر المجاهدين واستعداداتهم لمثل هذه الطروح...كثير منها تقدم وتطور وغدا ملائما للطرح، وكثير منها تراجع. ولعب في تراجع المتراجعين وتقدم المتقدمين عوامل متشابكة نفسية واقتصادية وفكرية واجتماعية كما تغيرت معطيات القوى الصديقة والمعادية...الخ ولذلك إن كثيرا من تصوراتنا تصطدم مع الواقع عندما ننزل بها للعمل الميداني في التنظيم وبنائه، وتعدل نحو الأفضل من خلال العمل وقس على هذا.

وأفضل الأساليب هو العمل المرن، وتطويره من خلال الممارسة والأمر الواقع فإن عملنا هذا هو أبعد الأعمال عن إمكان الاستمرار فيه من خلال تفصيل خطة عمل في رأس مفكر أو أكثر من المهتمين بالأمر ثم النزول بهذا القميص المفصل لإلباسه لذلك الواقع المعقد، وشده وقصه ليناسب المقاس.

المبحث الثالث: النموذج المطلوب للبديل:

أنواع متعددة من الإخوة ...تلك التي خلفها الوضع المهزوم الجديد، وسنأتي على بيانها في الفقرة التالية إن شاء الله. إننا نأمل أن يفيئ إلى خط الجاد كل أولئك الذين كان لهم شرف المشاركة في الجهاد، وكل أولئك العازمين على اللحاق بهذا الركب ولكننا ونحن نرسي تصورا لهذا الخط من جديد علينا أن نميز لهذه القاعدة الأساسية أولئك الكوادر المجربين المخلصين الذين لم تهزهم الهزيمة الساحقة، بل رأوا فيها مصداق وعد الله في تمحيص تلك الدعوة وإنهم لقليل...إنها لصعوبة هائلة تلك المعركة الذاتية والصراع الداخلي فينا بين الفطرية في تجميع النصير لإثبات الوجود والوقوف على الأرجل، وبين الفكرة الثابتة التي توصلنا إليها التجربة والتفكير الطويل، بضرورة التركيز على النوع وإهمال الكم في مثل هذه المرحلة ولمثل هذه الأفكار وسنكون أمام مشكلة! من النوع الذي اشتكى منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم من الأيام عندما كان يقول :" إلى اله أشكو جرأة الفاجر وعجز الثقة" إن المهمة باختصار هي البحث عن الثقة الجريء ويالها من صعوبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عاش خير القرون كان يقول: [الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة] أو كما قال. **ورغم الجموح والطموح فإن علينا الأخذ بفكرة الإصرار على النوع ولو تأخر البناء السنين الطوال بحثا عن نموذج الأخ...** المسلم المؤمن الذي فهم دين الله بكله وشموله كعبادة وسلوك ونظام حياة وآمن أن إعادته إلى دوره الطبيعي كقانون علوي يحكم في عبيد الله فرض افترضه الله تعالى كما افترض الصلاة والزكاة. مؤمن عاش هذا الواقع المهزوم من الذل والصغار الذي تفرضه علينا قوى الشرق والغرب ومؤتمرات بني صهيون ليتولى تنفيذه فينا لفيف من المرتدين والفاسقين من أبناء جلدتنا، عاشه فكان موقفه منه الرفض والاستعلاء رفضا إيجابيا أورث صاحبه كامل الشعور بالمسؤولية فكان له موقف، إننا نريد ذلك الأخ المستعد لأن يكون من جيل الفداء والضريبة ليهز الملايين من المسلمين النائمة الراضخة لكل أشكال الاستعباد والنهب والذل والصغار، الأخ المجاهد المستعد للتضحية بالنفس، والمال وبكل غال ورخيص، نريد هذا الأخ وليكون منه ذلك المسلم العابد الملتزم المستأهل لنصر الله إن شاء الله، والعامل أبدا على أن يرقى بنفسه لهذا المستوى، ليفقه دينه ويفهم واقعه، ويستوعب صعوبة طريقه، فيستعد له فكرا وثقافة وانفتاحا، على هذا العالم المتطور لينهل منه ما يعينه على معركته الطويلة انفتاح المسلم

الثابت، وليتعب بدنه حتى يروضه على تحمل تبعات الطريق وليكون باختصار تلك الراحلة التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك الثقة الجريء في موقفه من الحق إننا نأمل أن يصاغ من هؤلاء خط الفداء المرجو. لقد لاقى ثلاثة وثمانون بالمائة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربهم شهداء ويبدو أننا بحاجة لنسبة شبيهة حتى يعود للإسلام مجده، وقد عادت بلادنا إلى حكم الجاهلية...إننا نريد باختصار ذلك المسلم المؤمن العامل المستعد لحمل السلاح دفاعا عن دين الله حتى ينصره الله أو يهلك دونه، حتى ندحر الظلم ونقيم العدل على أنقاضه...

المبحث الرابع: معوقات على الطريق:

1 – الهزيمة النفسية الجماعية:

عبر نظرة فاحصة شاملة في مختلف القطاعات الإسلامية التي شاركت أو تأثرت بأحداث الثورة الجهادية في سورية... يمكن القول تحديداً إن الهزيمة النفسية الجماعية التي أسفرت عنها تلك الهزائم العسكرية والنكسات الاستراتيجية الكبيرة والإحباط الناجم عن تحطم المثل والقدوة في صفوف الحركة ومن ثم إجهاض بقايا الخلايا والقوى المخلصة التي تبقت بعد الأزمة، إن هذه الهزيمة النفسية الجماعية كانت أوسع شمولا وأعمق غورا مما نوقع لها أي محلل لأبعاد ما حصل. ولا شك أنها فاقت في عمقها ومأساويتها حتى توقعات أعدائنا وما توخوه من خلال الضربات المتلاحقة التي أوقعوها فينا. ولا شك أن هذه الهزيمة النفسية الجماعية التي طالت مختلف شرائح العاملين والأنصار هي في بعدها ووزنها الاستراتيجي أفدح الخسائر وأعظم الانتصارات التي استطاع العدو تحقيقها عبر هذه الحرب الطويلة. **فقد أعطت البادرة المقزومين وضعاف النفوس والمرجفين الذين طالما عارضوا خط الجهاد العسكري للدعوة والذي كان اضطرارا فضلا عن وجوبه حين قام، أعطتهم الجرأة ليرفعوا عقيرتهم ويخرجوا قرنهم ليؤكدوا** مستغلين الهزيمة العسكرية لخط الجهاد في الجولة السالفة، فشل الطرح الجهادي وسقوط الحل العسكري وإفلاسه. فراحوا يبثون إرجافهم ويجهزون على ما تبقى من نفس وحس مقاوم في نفوس شرائح المعنيين من الشباب والشيوخ...وانقسم الناس بين الباحث عن السند والنصير ولو على حساب الشرع والعقيدة، وبين باحث عن الحل السلمي والصلح المخزي مع الجزار النصيري، وبين ضائع لا يدري ما يعمل فضمته فلول النازحين بحثا عن الحياة وأسباب المعاش. وقد مرّ معنا بيان هذا.

إلا أن العجيب ورغم توالي الأيام، وكان من الطبيعي أن يخرج هؤلاء المساكين من تحت تأثير الصدمة الهائلة، ليفكروا بأمرهم ويبحثوا عن طريق يصل بهم إلى حل ناجح لهذه المأساة، حل يعود بهم إلى قضيتهم ودربهم لاسيما أولئك الذين حملوا السلاح جهادا في سبيل الله أو ساهموا في الجهاد أو الرباط بشكل أو بآخر...العجيب أن شيئا من هذا لم يحصل...لقد كانت الهزيمة، وأصبح من العسير بعيد فترة، مجرد فتح الحوار الجدي بين هذه الفئات لبحث المشكلة ومناقشتها، وباستثناء القلة النادرة ممن رحم الله التي كانت دائبة في تلمس الحل تحدوها الحرقة والحرص على الطريق، تفرق الباقون أيدي سبأ لا يلوون على شيء في حين لازالت هذه القلة لا تملك أسباب الحركة.

2 – أصناف الشباب:

واليوم، تبدو الساحة وقد أفرزت عدة نماذج من الذين شاركوا في الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا وقد آل بهم الحال إلى واحد من الصنوف التالية:

1 – الصنف المستعد للثبات وإعادة البناء ومتابعة خذ الجهاد العسكري: وهم قلة نادرة من الشباب الذين تمتعوا باستقلال فكري وانتماء لا حزبي في تعاملهم مع الأحداث، وأكدوا من خلال العمل والممارسة والاستمرار والمشاركة على إيمانهم بالخط الجهادي الثوري العسكري، ولقد شارك كلهم في مراحل الجهاد والرباط والإعداد المختلفة، وكلهم من الكوادر الناضجة المجربة ولقد كانت أولى بادرتهم بعد تشوه الطروح وتصفية خيوط الجهاد اعتزال الجماعات والاتجاه مؤقتا للبحث عن سبب عيش مستقل يعفيهم من داء المداهنة الذي اشتد سعاره إبان هذه الهزيمة، مع الحفاظ على نيتهم وعزمهم في تسنح الفرصة للعودة إلى الطريق الذي بدأوه وبنوه ورسخوا دعائمه...لقد كان هذا الصنف معروفا واضحا على ندرة أفراده عبر الحوارات الكثيرة التي أثاروها والنقاشات المطولة والعمل الجدي على بعث فكرة الاستمرار والبديل، بل أن تجمعات صغيرة منهم قامت بما يمكن وصفه بأنه شكل من أشكال العمل والاستمرار، وإن كان في الغالب يفتقر للنضج والشمولية. وما لبث أن انفرط عقدها. ولقد تحلى جل هؤلاء الشباب بروح الفدائية والمغامرة وعليهم اتخاذ القرار في المبادرة التاريخية...وتحمل نتائجها...اعتمادا على الله وحده ثم الحق الذين يدعون إليه انطلاقا من تجربة ثرة غنية. ولابد من الاعتراف أن هذا الصنف كان نادرا في قطاعات الشباب.

2 – شباب متحرق للعودة إلى طريق الجهاد:

يشترك في معظم الميزات مع الصنف السابق إلا في قدرتهم على المبادرة، فهم مستعدون للمشاركة في تنظيم جهادي ثوري عسكري جاد لو قام ولو كان مرحلة الضعف والتأسيس وجل هؤلاء الشباب من الذين شاركوا في الجهاد أو الرباط أو الذين أيدوا طريق الجهاد وناصروه وعاشوا شيئا من التجربة، وهم أيضا قلة بين تلك الفلول، وهم من الكوادر المفيدة والمجربة.

3 – شباب مستعد للعودة للجهاد بعد أن يدخل الجهاد العسكري مرحلة العمل الجدي التنفيذي:

فهم لا يتحملون بحكم استعداداتهم مرحلة البناء الطويلة البطيئة ولكنهم أنصار للجهاد، وهم شريحة لا بأس بها عدديا من الذين عاشوا وشاركوا في أحداث المرحلة الماضية، وشارك معظمهم في الرباط، ثم انفضوا مع الجموع يبحثون عن مستقبلهم الشخصي.

4 – **صنف من الشباب مستعد للحاق بركب الجهاد بعد أن يدخل الجهاد مرحلة العمل الجدي التنفيذي ويثبت وقوفه على رجليه ويعطي انطباعا بتجرده عن الأخطاء المميتة السابقة**: فيعودون تباعا للحاق بإخوانهم والانضمام إليهم وهم القطاع الأكبر من الشباب الذين أسفرت عنهم المحنة وفيهم كوادر ودعاة قدماء وأنصار حقيقيون لخط الجهاد.

5 – **صنف خرج من هذه المعمعة تماما واقتنع في غالب الأحيان بخطئه وفشله**: ولقد لعب دورا هاما عودة هذا الصنف إلى الحياة العادية وبحثهم عن معاشهم في دراسة أو عمل أو تجارة وقطعهم شوطا ما في عملية البناء المادية الشخصية والاستقرار. حيث انصرفوا لبناء حياتهم العائلية وأعمالهم بناء على حالة استقرار التي صاروا إليها ويعتقد والله أعلم أن جل هؤلاء لن يشارك في جولة جهادية قادمة اللهم إلا كما ذكر القرآن الكريم:{وإذا جاء نصر من الله قالوا إنا كنا معكم} العنكبوت. ومعظم هؤلاء من المثبطين المهزومين.

هـذا إجمـالا في قطـاع الشـباب والكـوادر التنظيميـة الـتي أسـفرت عنهـا المحنـة علـى مسـتوى مختلـف التنظيمـات الـتي كـان لهـا بشكل أو بآخر مشاركة في الحركة الجهادية في سوريا، كما أراها بنفسي من خلال الحوار والمعايشة اليومية والله أعلم.

المبحث الخامس: مشاكل على طريق البناء:

أ – مشكلة العملاء والمشايخ:

وهنا لابد أن نسجل بعض الملاحظات الهامة في هذا السياق:

1 – إن غالـب الشـباب الحركـي المجاهـد الـذي يؤمـل فيـه النجـدة والإقـدام إن شـاء الله، لا يسـتطيعون تغطيـة الجانـب العلمـي الشـرعي وإيجـاد حلـول وفتـاوى لمشـاكل سـتطرأ حتمـا أثنـاء المسـير، وهـي بحاجـة إلى رأي عـالم موضـع ثقـة وحـتى لا نقع ثانية في الفصام النكد بين الشرع الصحيح والسياسة غير المنضبطة والجارية وراء سراب المصلحة.

2 – إن بعـض الشـباب يحتـاج حـتى يسـتقر خـاطره ويتشـجع علـى المسـير إلى الركـون إلى فتـوى علميـة شـرعية مـن علمـاء مـوثقين تنضـم إلى الطـرح الجديـد، وهـو بصـورة أو أخـرى –يطـرح نفسـه بـديلا عـن الحلـول الموجـودة وبمعـنى آخـر، هـو مـا يسـمى مـن قبـل العديـدين شـكل مـن أشـكال الانشـقاق وعـودة بالنـاس إلى الـدرب الـذي سـبق لـه أن فشـل وكلـف أرواحـا وأعراضـا ومصـائب لا يعلمهـا إلا الله، وكثـير مـن الشـباب يريـدون فتـوى صـريحة تبـيح لهـم إنشـاء مثـل هـذا الخـط والـدعوة إليه.

3 – إن معظـم النـاس بمـا فـيهم كثـير مـن كبـار الـدعاة ورجـالات الحركـات الإسـلامية بحاجـة حـتى يتبينـوا الحـق حـتى الآن وللأسـف– أن يضـم في صـفوف مؤيديـه– شخصـيات أو مشـايخ أو علمـاء.. حـتى يقبلـوه كبـديل. وهـذا بفعـل مـا تـراكم مـن أسـاليب التربيـة والعمـل الفاسـدة، حيـث أصـبح تقيـيم العمـل والنتـائج في كثـير مـن الأحيـان بنـاء علـى مـوازين شـائهة، ومـن هنـا نـرى أنـه سـيكون مـن الصـعب جـدا أن يطـرح مجموعـة مـن الشـباب المجاهـدين المعمـورين أنفسـهم كبـديل في طريـق فشـل فيـه كبـار الزعمـاء وسـقطوا، وسـتبقى بعـض الجهـات بحاجـة إلى أن يضـم أي عمـل جديـد مـن يمكـن دعـوتهم (بالوجهـاء) وإن كانـت قناعتنـا الراسـخة أن العمـل هـو الـذي يثبـت الهويـة وفـرض شخصـية البـديل. ولكـن مثـل هـذه النقطـة يجـب أن تؤخـذ بالحسـبان انطلاقـا مـن فهمنـا للتركيبـة الإسـلامية عامـة، مـن هـذا المنطلـق يجـب التوجـه إلى العلمـاء والشـيوخ ممن تتوفر فيهم ثلاث صفات مهمة:

أولها: قدرتهم ومكانتهم العلمية على إعطاء الإفتاء.

ثانيهما: إمكانية استئمانهم على سير العمل وهمة بعض الشباب بالقيام فيه.

ثالثهمـــا: أن لا تكـون المرحلـة الماضـية قـد جرحـت أحـدهم وجعلتـه طرفـا في المأسـاة، أو جعلتـه مكـان اتهـام، ورغـم صـعوبة العثـور (ولعـل لفـظ صـعوبة لا يكفـي) بـل نقـول رغـم شـبه اسـتحالة العثـور علـى عـالم أو شـيخ تتـوفر فيـه هـذه الصـفات ويجمـع إليهـا فهمـه للأحـداث ومعايشـته إياهـا وإلمامـه بجزئياتها بشـكل يمكنـه مـن الافتـاء عـن معرفـة بالقضـية. يجـب بـدء البحـث عـنهم. رغـم أن معظـم العـدول الثقـات المـؤهلين إن أردنـا وصـفهم كـانوا مـن الـذين قـرروا الاعتـزال وعـدم الخـوض في الأمـر، هـذا علـى نـدرتهم وإلى الله المشـتكى! إننـا نشـكو إلى الله حـال علمائنـا، وهـو الرقيـب علينـا وعلـيهم ولا يضـيع عنـده حـق فـالله سـبحانه وتعـالى يأمرنـا في كتابـه أمـراً: {فاسـألوا أهـل الـذكر إن كنـتم لا تعلمـون}، ورسـول الله صـلى

الله عليه وسلم يقول:[من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار] وهم ورثة الأنبياء والأمناء على ميراث محمد صلى اله عليه وسلم. ويتذرع أحدهم بالفتن واختلاط الأوراق فمن لهؤلاء الضائعين إن اعتزل علماؤهم وأهل الرأي فيهم!؟ .

ب – مشكلة التمويل :

لاشك أن من أعظم الدروس التي تعلمناها من تجربتنا واطلعنا على أشباهها من التجارب قضية التمويل التي كانت وراء النكسة العسكرية الأولى للجهاد في سوريا...وخلاصة الدرس أنه (على المجاهدين أن يجدوا طريقة تمويل أنفسهم وتسليح مقاتليهم بأنفسهم دون الركون إلى مصادر خارجية مهزوزة). لكن الحال التي نحن فيها خاصة جدا.. فعملية البدء ببناء عمل ما وإيجاد بعض لوازمه كنويات لأجهزة ضرورية جدا للنهوض، وعملية إجراء الصلة والاتصالات بين شباب شرق بعضهم وغرب آخر، مكلفة جدا بالنظر للإمكانات المعدومة والله المستعان. إن من الواضح الآن أن أي عملية بناء لابد وأن تمر بمرحلتين: مرحلة أولى حتى يقوم التنظيم وتتشكل نواته وقاعدته الأساسية، ومرحلة ثانية هي مرحلة العمل ومباشرة القتال.

ولئن كان بالإمكان بل ومن الواجب التخطيط في المرحلة الثانية لتمويل أنفسنا من خلال العمل العسكري ومن مخزون أعدائنا على أشكالهم وأنواعهم، فإنه من الواضح أنه من الواجب تجاوز المرحلة الأولى بهدوء، وانطلاقا من الإمكانات الضحلة المتوفرة. ويجب الانتباه إلى أمر ذي بال وهو أن كثيرا من الجهات التي يظن أن بالإمكان الاعتماد عليها لعداوة مرحلية أو دائمة مع النظام، أو يبدو حسب معطيات الواقع أن من مصلحتها دعم حركة جهاد وانتفاضة ضد الأسد النصيري الذي لم يترك لنفسه صاحبا في المنطقة، إنّ غالب إنْ لم يكن كل هذه الجهات، جهات عدوة للإسلام والمجاهدين في نهاية المطاف. ولن يكون دعمها للجهاد إلا للمصالح مؤقتة سرعان ما نتقلب بعدها عليه وحتى كثير من الشخصيات والجهات التي يشكل بتوجهاتها الآنية، أو المتعاطفة مع الإسلام واتجاهاته الحركية هي في النهاية صاحبة مصالح تتضارب مع مصالح المجاهدين المسلمين الجذريين، وينبغي التحلي بالحصافة والحذر وبعد النظر في التعامل مع مثل هذا الأمور. وأن لا تؤثر الفاقة الحالية على المجاهدين فتجعلهم يرتمون في أحضان الأعداء. ولا مفر من البحث عن أنصار الجهاد الحقيقيين من أصحاب القدرة المادية على الدعم والتعامل معهم في المرحلة الأولى. وبمباشرة العمل لن يكون بمقدور هؤلاء دعم حركة ثورية ذات أبعاد تخوض حربا ضروساً. ولابد من العودة إلى الدرس العام، التمويل الذاتي من خلال العمل الفدائي.

ج – العقلية المشوهة:

لقد ساهمت الطرق العرجاء في تربية الكثير من إخواننا وفي مختلف الجماعات بإيجاد نوع من الشباب أصبح فهمه (للهدف والوسيلة) أي لإقامة الحكم الإسلامي والجهاد ومصلحة الإسلام العليا وهي (الهدف)، ولمفهوم التنظيم والقيادة والطاعة والثقة والشرعية، إلى آخر هذه الوسائل التي علينا اتباعها للوصول إلى الهدف وهي (الوسيلة). لقد أوجدت طرق التربية المريضة صنفا من الشباب (وفيهم مجاهدون ودعاة مخلصون والله أعلم) فطروا على الإمعية والثقة

بالقيادة ومتابعتها على الخطأ والصواب. وفي الوقت الذي تشكل فيه الثقة حجر الزاوية في أساس التنظيم، فإنه لا يجب أن تكون جرثوما مرضيا يحملنا لأن نقف يوما قائلين:{ إن سادتنا وكبرائنا قد أضلونا السبيل}.

فعلى الرغم من قناعة نفر كبير من هؤلاء المجاهدين والمرابطين قناعة كافية بضرورة الجهاد والقتال والإصلاح ومتابعة الدرب..الخ. لازال لديهم رعب قاتل من موضوع البحث عن البديل بشكل منفصل عن الجماعات الأم الموجودة، ورغم توافر الحجة والدليل على بطلان هذه المفاهيم، وأن الغاية هي إرضاء الله وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. بقيت قضية (الشرعية) كما يسمونها وهي البقاء في الجماعة الشرعية على خطئها ومرضها وعجزها عن المسير، هو أسلم في نظرهم شرعا من المسير في خط جديد يساهم حسب رأيهم في زيادة فرقة المسلمين. بل يجب الانتباه أن بعض هؤلاء المجاهدين الذين قد يقتنعون بعمل جذري جديد من الذين كانوا قد أمضوا فترة طويلة في جماعة ما ، قد تهتز إرادتهم بن الحين والآخر بفعل إيمانهم أن ثمة خط آخر يمشي في طريق الدعوة يسمى(الشرعية) وأن على المجاهدين الجدد مراعاته ومراعاة مصالحه التي تتضارب في كثير من الأحيان مع المصالح الإسلامية الشرعية الأساسية...إن هذه العقلية التي انتشرت في صفوف الفلول تلك، من أكبر العوائق التي تحول دون إعادة لم الشعث وجمع الشمل لكثير من الكوادر الحقيقية من المخلصين.

د – الهزيمة والضعف وعدم الثقة بالنفس:

وهي أيضا إحدى الأمراض الخطيرة التي انتشرت في صفوف الفلول المهزومة انتشار الوباء. فكثيرا ما تلتقي بالمجاهد ذي الماضي العريق في الجهاد أو الرباط أو الإعداد لتحاوره حول النهج والتفكير الذي يوصله إلى الحل فتتفق على كل الجزئيات والعموميات حتى إذا اقتربت شيئا من الطرح العملي راحت سيول الأسئلة التائهة الحيرى تنصب منه بغير وعي وكيف سنعمل؟ وكيف سنثق بمن يقودنا؟ ومن أين لنا المال ؟ ومن أي أرض سننطلق ؟ وكل الجوار لنا عدو، وستحاربنا الجماعات الإسلامية، وسنوصف بالمنشقين، الناس في الداخل قرفت الجهاد والمجاهدين .. النظام غدا قويا.. الخ ضياع وهزيمة عجيبة. وعبثا أن تحاول إعادة الأخ إلى سياق منطقي في البحث، لقد كان مختصر الأمر عدم الثقة بالنفس، الكل تربى على أن يقاد ويساهم، لا أن يقود ويؤسس، لقد كانت هذه إحدى نتائج التربية التبعية التي سيطرت في المراحل الماضية وكانت إحدى مشاكلنا .

هـ – مشكلة الأمن والسرية في الحركة: إن لمّ شعث المجاهدين وإعادة ضم تلك الحبات الثمينة في خيط تنظيمي متين مهمة شاقة من كل النواحي، ومن مشاكلها ترصُّد الوسط كله لمثل هذه الحركات، ***وعيون القيادات البائدة الحريصة على هذا الصرح المتهافت من المجد الذي حققته، والتي باتت بواقعها وماضيها المتهم تخشى من بروز أي طرح نظيف جديد يستقطب الفلول ويدفعها في طريق لا تملك قيادته، وترصد مثل هذا الطرح الذي كان ولا زال حلما مؤرقا لها طيلة هذه الفترة، وهي مستعدة لتشويه وهدم واتهام كل محاولة من هذا الصنف المنشق الخارج عن الجماعة.***

وفي هذا الوقت، يعتبر ممارسة الحوار الهادئ واستطلاع وبث بعض الأفكار لتلك الكوادر الضائعة، مهمة المهمات بعد بلورة تصور مرحلي للبناء ضمن مخطط استراتيجي، وضمن المعطيات الواقعية. إن الحركة في هذا المنحى والجمع بين هذا وتلك الخشية، يعد شبيها بالمشي بين حبات المطر بلا بلل، في هذا الوقت الذي يجب الحفاظ على سرية الحركة

كاستراتيجية أساسية...ولا بأس في الإعراض عن كثير من البوادر لأن فيها احتمال كشف وإن كان معيقا في سرعة البناء إلا أنه ضمان وأمن.

إن الصعوبات أكبر من أن نأتي على حصرها هنا، ولقد ذكرنا بعض الرئيسيات التي ترافق مثل هذا الميلاد. أما ما تلا من عمليات البناء فهي صراع مستمر مع المصاعب والفاقة والهزيمة وما خلفته من نتائج. ولكن الأمل يحدونا وقبل كل ذلك وبعد إيمان بالله تعالى وعزم على الثبات في الدفاع عن دينه وعياله كفيل بتذليل الصعاب.

المبحث السادس: وباختصار لعله أصبح واضحا من خلال ما هو من سطور جواب السؤال الهام ماذا نريد ؟

أما الهدف: فهو مقاومة نظام الاحتلال الكافر الذي فرضته الأقلية النصيرية عبر حزب البعث الخائن على هذه البقعة المباركة، ونعني سوريا الشام، حتى الوصول إلى إزالتها وتدمير أركان حكمها الطاغوتي غير الجائز شرعا في رقاب المسلمين. ليصار إلى إقامة حكم الله بالمفهوم الشامل والكامل الرفض لكل أشكال المداهنات وأنصاف الحلول وشوائب العقيدة، وتحقيق أمر الله بفرضية إقامة حكمه في أرضه.

وأما الوسيلة: فهي العمل الثوري الجهادي المسلح المنظم، متابعين الطريق الذي شقه أسلافنا ورووه بدمائهم الزكية، وبناء تنظيم إسلامي عسكري يتناسب وحجم هذا الهدف الصعب الكبير، معطين الفرصة لكل من شاركوا يوما بشرف الجهاد والرباط والإعداد، للعودة إلى هذا الطريق المفروض عينا شرعا، ولكل المقتنعين بالمشاركة بهذا العمل عبر هذا الطرح من أبناء الشعب المسلم، لنقوم جميعا وكل حسب كفاءته وإخلاصه، بصرف النظر عن أي حزبية باهتة، بالتصدي لهذه المسؤولية عبر خط مفاصل يجمع كل المؤمنين بهذا الطرح الصافي المتمايز.

وأما مبررات هذا الطرح: فهي خلو الساحة الإسلامية في سوريا من تنظيم يتصدى لهذا الهدف. مقتنع بهذه الوسيلة خلوا يجعل بقية المجاهدين تتحمل أعباء إرساء أسس هذا الخط من جديد، لتصحح الطرح وتجدد العزم ولنتوكل على الله أولا وآخرا. هذا هو تصوري الخاص عن البديل من خلال تجربتي وفهمي لدين الله وهدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وأملي بالله كبير أن يؤيد بالإخلاص والعلم والعمل والقبول، ويرزق المجاهدين شرف إرساء هذا الخط وينصره نصر عزيز مقتدر. فإما نصر يعز الله به دينه، وإما تجربة جديدة ثرة أخرى، نقدمها لخلف مجاهد كما قدمها لنا سلف شهيد، وتسليم هذه الراية الجهادية الغالية لجيل لاحق يكون كفؤا لها بما يفتح الله عليه، واله من وراء القصد.

تعليق على البديل: وإني إذ أتحدث عن تصوري عن البديل لابد وأن أشير وقد أخذت على نفسي أن أكون واقعيا صريحا مهما كانت هذه الطريقة مجسدة للواقع المرير. لابد لي من أن أشير إلى أنه من خلال معرفتي ببناء وواقع الحركة الإسلامية في سوريا بعد أن آلت بقضها وقضيضها إلى خارج البلد ومن خلال معرفتي بتركيبتها وما آلت إليه بعد هذه الضربات الداخلية والخارجية والتي بعثرت كوادرها في أقطار الأرض الأربعة ودفعت بمن بقي منهم إلى الانخراط في دنياهم والانصراف عن النهج الجهادي الجاد.. أقول وللأسف-وبناء على هذه المعرفة الواقعية أن هذه المعطيات التي يشهد بها الواقع تجعل الأمل بنهضة هذه الفلول المهزومة ضحلا. فقلّما أمكن تجنيد الفلول المهزومة في عمل نوعي وبنائي جديد اللهم إلا إذا تمكنت نخبة مضحية مخلصة غاية في التضحية والإخلاص والصدق. أن تفرز نوية عمل تثبت

فاعليتها وجديتها فتكون قطب جذب واستقطاب وبعث الروح في هذه المجموعة المهزومة. أو أن يدخل في معطيات هذه الحركة جديد يحملها إلى بلادها ثانية لتعاود البناء من خلال تجربة ذاخرة وواقع حي ومن الصفر من جديد.

أما أن تستطيع فلول مهزومة منكوبة تحمل عقد الهزيمة، والإحباط تعيش وراء حدود بلادها، وتفصلها عن أمتها آلاف الكيلومترات مسافة.. وبضع سنين من الابتعاد عنها وعن مشاكلها وواقعها زمنا، وتفتقر لكل معطيات الحركة من زعامة جديدة مضحية، وإمكانيات مادية مشجعة وصف مرصوص متضامن..الخ.

أن أتصور أن واقعا كهذا ..يمكنه أن ينهض من تلقاء نفسه فإني لا أراه إلا أن ينفخ فيه روح من عند الله وتحدث له المعجزة وقد مضى زمان المعجزات.. وأرى في تصوري الخاص المتواضع..وفي ضوء الظرف الحالي.. هذا إن شاء الله لهذه الأمة الإنقاذ أنه لابد من التوجه إلى نخبة النخبة للبحث عن بديل جزئي يدفع الروح في تلك الجموع ويحرك الواقع برمته نحو البديل الشامل الذي لابد وأن يكون في أرض الميدان وداخل البلد ولابد أن يبتدئ من الصفر.. وكل سعي في الخارج نحو البديل هو جهد مطلوب للوصول بالعمل الإسلامي في ديار الشام إلى نقطة الصفر. أي إلى إرجاع من تبقى من تلك الكوادر إلى ميدانها الواقعي لتبدأ العمل.. ومن الصفر معتمدة على الله تعالى ومستفيدة من تجربتها الذاخرة.

كما أني لابد وأن أتوجه إلى إخواننا من أبناء الشعب المسلم في سوريا والذين يعيشون المحنة بأنفسه ويدركون أبعادها، لكي يبحثوا عن الحل بأنفسهم ولا ينتظروا المدد من الخارج، فليست نصرة دين الله بحكر على أحد. ولابد أن ثمة حل كامن داخل البلد. من الممكن أن توفر له العازمون المخلصون أن يحصل وهذه تجربتنا أمامهم فليتعظوا بها وليعتمدوا على الله ويجاهدوا كما جاهد آباؤهم من قبل.. فلعل الله يخرج من هذه الأمة بديلا يكمل المشوار ثم لا يكونون أمثال من تولى {وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}.

أما الكوادر المجاهدة من إخواننا في الخارج فليتقوا الله في هذه الأمانة، تجربة عاشوها وإعداد مروا به، وأمل معقود عليهم، فليس العجز بالعذر..ولا غنى لأي بديل جاد عن جهودهم لإثراء المسار والإفادة من التجربة والله هو الغني الحميد فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله غني عن العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

عمر عبد الحكيم

1987/10/17

الفصل الخامس : ملحق بملخص أحداث التجربة الجهادية السورية (1987-1991)

(ملحق الجزء الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـم

سنقتصر في هذا الملحق على إبراز أهم أحداث وظروف قضية الجهاد في سوريا، خلال الفترة الواقعة بين كتابة الكتاب أواسط (1987) وإعداد الطبعة الأولى التي بين أيدينا للنشر في أواسط (1991).

ونظراً لبعدنا حاليا عن المكتبة والأرشيف والوثائق المتعلقة بهذه الحقبة فإننا سنعتمد الإيجاز في العرض وسنترك التفصيل ونصوص الوثائق إلى حين إعداد الجزء الثالث من الكتاب الذي نرجو أن يرى النور خلال فترة غير طويلة إن شاء الله حيث سيحوي مزيداً من الوثائق التاريخية المتعلقة بهذه القضية بإذن الله.

أما هذا الملحق وسنعتبره (الفصل الخامس) في الكتاب الأول فيمكن إبراز أهم عناوينه في النقاط التالية:

1 - تكرس الانشقاق في جماعة الإخوان المسلمين في سوريا بين الجناحين المتنازعين: جماعة أبي غدة (التنظيم الدولي) وجماعة عدنان سعد الدين وسميت (جماعة الإخوان المسلمين في سوريا).

2 - تورط الجماعتين مع الأحزاب العلمانية من التحالف المشؤوم إلى جبهة الإنقاذ الوطني المرتدة.

3 - قيادات بلا قواعد، قواعد تائهة متفككة، محاولات النظام النصيري في الابتلاع والتصفية.

4 - سوريا تحت الاحتلال النصيري تدخل عامها الواحد والعشرين وتكرس الاحتلال النصيري في لبنان.

5 - حرب الخليج الصليبية اليهودية وأثرها على جماعة الإخوان المسلمين وقضية الجهاد في سوريا، مزيد من التصدع.

1 - تكرس الانشقاق في جماعة الإخوان المسلمين بين أبي غدة وجماعته وعدنان سعد الدين وجماعته.

كانت آخر الفقرات في السرد التاريخي الموجز في هذا الكتاب –الفصل الأول- قد وصلت بنا إلى مرحلة حصول الانشقاق في الإخوان المسلمين السوريين بعد الانتخابات التي رعاها بعض الموفدين من مكتب الإرشاد الدولي للإخوان والتي أسفرت عن فوز طفيف للشيخ (أبي غدة) على منافسيه الذين رشحوا (عدنان سعد الدين). وكان هذا الأخير وجماعته قد رفضوا النتيجة لأسباب متعددة أهمها وجود أوراق بيضاء كثيرة لم يدل أصحابها بخيارهم وكان جلهم من الإخوة الناقمين على ما وصل إليه الحال وعدم موافقتهم على كلا المرشحين.

ورغم المحاولات الكثيرة التي بذلت على مستوى الإخوان السوريين وأصدقائهم وأقرانهم في التنظيم الدولي إلا أن هذا الانشقاق تكرس وتعمق . كما أن هذا الحال أفرز كتلة من بعض الشخصيات التاريخية والأعضاء القدماء في الجماعة أطلق عليها اسم "جماعة الحياد" استمرت جهودها لمحاولة رأب الصدع. إلا أن كل تلك الجهود تحطمت على صخرة الواقع. فالشخصيات الملتفة حول (أبي غدة) والمدعومة بالاعتراف من التنظيم الدولي أو ما يسمونه "الشرعية" واصلت

سياستها في الاعتماد على مراكز القوى الرئيسية فيها من حاشية (أبي غدة) التاريخيين وعلى رأسهم (حسن هويدي، على أبو أنس بيانوني، فوزي حمد، عبد القدوس أبو صالح...) ومن وراءهم في مجلس الشورى...كما أن اتجاهها العام بقي معتمدا سياسة عدم وجود توجه واضح للجماعة، وتماوت الاتجاه للحل العسكري عمليا رغم كل التصريحات التي كانت تبثها مجلتهم الجديدة (البيان). كما أن اعتماد هذه الجماعة على شخصيات فاعلة يوجد معظمها في (الثلاجة) السعودية جعلها بعيدة عن الأحداث وبعيدة عن اتجاهات جماعة أبي عامر (عدنان سعد الدين) ومن حوله من الشباب الذين رسموا لأنفسهم طريقاً آخر.

في الطرف الآخر (جماعة سعد الدين). تبلورت سياسة الاندماج في التوجهات العراقية نحو سوريا والتي تتلخص في العداء التاريخي بين النظامين البعثيين. كما ان وجود حفنة من الشباب المتحفز لأي نوع من العمل العسكري ضد سوريا حول سعد الدين جعل السمة الغالبة لهذا التيار -ولو نظريا- هو سياسة عداء النظام السوري والتوعد بالتصعيد ضده في كل مناسبة، رغم أنه من الناحية العملية لم يستطع أحد هذين التيارين أن يقوم بأي عمل جهادي أو عسكري داخل سوريا ضد النظام. رغم الضغوط الهائلة والتحريض المستمر من حكومة العراق.

ومما يذكر في مجال الانشقاق هذا أن ثلة من العناصر المتواجدين حول (سعد الدين) تركوه إلى التيار الآخر نظرا لأن عقدة (الشرعية) هي من الأمور التي يصعب على من تربى لفترة طويلة في الإخوان أن يتجاوزها كذلك فإن سياسة (سعد الدين) وتفرده وأخلاقياته التنظيمية دفعت العديدين إلى التذمر. وكان من أبرز حوادث العودة إلى الجماعة الأم (كما يحلو لهم تسميتها) هي عودة عبد الله طنطاوي المشهور (بأبي سامي) من تيار سعد الدين(وكان قياديا فيه) إلى تيار جماعة الشيخ -ومعظم القيادات فيه على صداقة روابط تاريخية بهذا الرجل المصيبة-.

وكان هذا الحادث دليلا على طبيعة الارتباط والولآت في هذه الجماعة المسماة بالإخوان المسلمين فعلى الرغم من أن هذا المدعو (عبد الله طنطاوي) أسفَّ في معاداة الشيخ عبد الفتاح ومن حوله من رموز الإخوان خلال فترة الانشقاق ولم يوفر فرصة إلا ونال منهم ونشر غسيلهم المعكر على حباله المشبوهة، ورغم الكره الواضح له على مستوى القواعد الشباب في القطاع الأعظم من الجماعتين، ورغم الشبهات الكثيرة التي تدور حوله على كل الأصعدة.. عاد إلى جماعة الشيخ وقبلت أوبته من قيادتها بل ونظم بعض شعراء الدرجة الثالثة قصائد ترحب بعودته التي استقبلتها إحدى هذه القصائد بقول الشاعر: (عدت إلى أمك الحانية ! !)ورغم أن الغالبية الساحقة ممن بقي ولو إسميا في قواعد جماعة الشيخ تلقى خبر عودته بالاستياء البالغ إلا أنه وجد على كل حال بينهم من يهلل لعودته ويلتف حوله كعادة هذه الجماعة في التعامل مع مراكز القوى فيها.

مرت حتى الآن نحو خمس سنوات على حدوث الانشطار الثاني الهام في الإخوان السوريين /1986. بعد انشطار العطار عنهم في 1970 والواضح أن هذا الانشطار يبدو أصليا تتبلور أبعاده يوما بعد يوم في اختلاف السياسات والتوجهات لدى قادة هاتين الجماعتين حتى الآن.

2 - تورط الجماعتين في خطوة أخرى على طريق الارتباط بالأحزاب العلمانية والقيادات المرتدة من سياسيي سوريا: من التحالف الوطني (المشؤوم) لتحرير سوريا إلى جبهة الإنقاذ الوطني (المرتدة) لتحرير سوريا:

يحتاج موضوع حلف الإخوان السوريين مع الأحزاب والشخصيات السياسية العلمانية والمرتدة في المعارضة السورية إلى كتاب مستقل في حد ذاته، ولكني أعتقد أن ما أوردته في العرض السابق يعطي فكرة كافية.

ورغم أن الحلفاء العلمانيين أبدوا من خلال سياستهم وإعلامهم وتصرفاتهم معظم نواياهم ورغم أن ما حققه الحلف من دمار وخزي للتيار الإسلامي فيه وهم الإخوان، إلا أن قيادات الإخوان وفي كلا الجماعتين وللأسف لم تزدد فيه إلا تمسكاً.. وكانوا وما زالوا يتراوحون في آرائهم بين أنه منهج ضروري لحل شامل للقضية السورية وبين أنه حدث أدت إليه الضرورة، وورطة يصعب التخلص منها، ولابد من متابعتها ولو رغما عنا. لأن الانسحاب الآن يعني معاداة العراق وخسارة للساحة التي أصبحت تمدهم بكل شئ وأهم ما فيها المال، الحدود، الوثائق...

أما عن التحالف الوطني وميثاقه وتفاصيله ونبذة عن إعلامه وبعض شخصياته وأحزابه فقد مر معنا. ورغم الانشقاق الذي حصل بين الإخوان فإن الطرفين بقيا فيه وأصبح لكل جماعة من جماعتي الإخوان المسلمين ممثله فيه.

إلا أن التطور المخيف الجديد، هو تطوير الحلف وتوسيع دائرته وإدخال كتلتين كافرتين جديدتين إليه وترك الباب مفتوحا فيه لإدخال أي هيئة أو شخصية معارضة لنظام أسد إذا وافقت على ميثاق الهيئة الجديدة والتي سميت (**جبهة الإنقاذ الوطني لتحرير سوريا) والتي أعلن عن تأسيسها في شباط (فبراير) 1989 واتخذت من باريس مقرا لها**.

معروف أن التحالف الوطني لتحرير سوريا والذي أعلن في آذار 1982 بعد مباحثات استمرت نحو عام ونصف بين الإخوان الأحزاب ضم في طياته كلا من:

الإخوان المسلمون -الجبهة الإسلامية [37]-حزب البعث السوري- الجناح اليميني المؤيد للعراق- القوميون العرب (أكرم الحوراني) -الناصريون -المستقلون. وقد بقي الشيوعيون القوميون مُستبعَدون منها لإصرار الإخوان المسلمين على عدم إدخالهم لأن ذلك يشكل إحراجا لهم. كما أن بوادر معارضة نصيرية داخلية مزعومة لأسد لم تكن قد تبلورت.

كما أن المماحكات السياسية الصعبة التي تمت بين الإخوان والإسلاميين (الجبهة) من جهة وقادة الأحزاب المرتدة المذكورة أدت للميثاق (المذكور في الفصل الأول) حيث هُندست كلماته بعناية بحيث لا يشكل إحراجاً كبيراً للإسلاميين والإخوان فقد حذفت كلمة (ديمقراطية) مثلا كونها محرجة بالنسبة للإخوان -في حينها- رغم النص على مفهومها في حرية الأحزاب والتجمع والاعتقاد و و... كما وضعت كلمة مبهمة إجمالا في موضوع الشريعة الإسلامية فقالوا (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساس في التشريع) ولم يرض العلمانيون أن يكتبوا كلمة (الوحيد) ولا كلمة (الأساسي) كي يتسنى لهم وضع أساسات أخرى للتشريع مع الشريعة الإسلامية!! وأضيفت إضافات أخرى لترضي كلا من الطرفين الإخواني والأحزاب. تراها في الميثاق الذي نشرنا بنوده في (ج 1). أما في (جبهة الإنقاذ) مصيبة سوريا الجديدة فإننا نلاحظ ما يلي:

---

[37] انسحبت الجبهة الإسلامية من التحالف في عام /1985 قبل وفاة أمينها العام أبو النصر البيانوني -غفر الله له-.

1 – دخـول (التجمـع الـوطني الـديمقراطي) في هـذه الجبهـة بالإضـافة لأعضـاء الحلـف وهـذا التجمـع يضـم الضـباط والسياسـيين النصـيريين الـذين يزعمـون معارضـتهم لحـافظ أسـد ومعظمهـم مـن العشـائر النصـيرية المنافسـة لعائلـة الأسـد في تـاريخ الجبـل النصـيري. بالإضـافة لضـباط قـدماء في سـرايا الـدفاع الـتي كـان يرأسـها (رفعـت الأسـد) أخـو حـافظ الأسـد والمسؤول المنفـذ المباشـر عـن هـدم حمـاة في 1982 الـتي راح ضـحيتها أكثـر مـن خمسـة وثلاثـين ألـف قتيـل ومئـات الآلاف مـن المشـردين والثكـالى والأيتـام . ودمـرت بموجبهـا ثلـث أبنيـة هـذه المدينـة الإسـلامية التاريخيـة! وكانـت هـذه السـرايا قـد حلـت للقضـاء علـى نفـوذ كبـار الضـباط فيهـا والـذين بـدأوا يشـكلون بزعامـة رفعـت إحراجـات متعـددة لحـافظ الأسـد ومراكـز القوى الأخرى في الجيش والمخابرات والحزب!!

وبـرز علـى رئاسـة هـذا (التجمـع الـوطني الـديمقراطي) شخصـية سياسـية نصـيرية بـارزة هـو الشـاعر (أحمـد سـليمان الأحمـد) أخـو الشـاعر المعـروف باسـم (بـدوي الجبـل) وابـن شـيخ الطائفـة النصـيرية في سـوريا وأحـد كبرائهـا المـدعو (محمـد سـليمان الأحمـد) وهـو أحـد الـذين وقعـوا العريضـة الـتي طلـب النصـيريون فيهـا إلى فرنسـا الإبقـاء علـى احـتلال سـوريا وأيـدوا فيهـا احتلال اليهود لفلسطين وحرّضوا فيها على أهل السنة (وقد أوردنا الوثيقة خلال الصفحات الأولى من الفصل الأول).

أمـا هـذا النصـيري العريـق سـابقا –الـوطني الغيـور علـى الحريـات حاليـا –أحمـد سـليمان الأحمـد، فقـد كـان رئـيس تحريـر مجلـة الفرسـان الـتي يصـدرها رفعـت أسـد (المجـرم سـابقا) المعـارض حاليـا لديكتاتوريـة أخيـه كمـا يريـدون منّـا أن نصـدق. كمـا أنـه كـان نائبـه في رابطـة الأكـاديميين وخريجـي الدراسـات العليـا السـوريين الـتي أسسـها رفعـت بعـد أن حصـل علـى الـدكتوراه الفخرية من إحدى جامعات موسكو! ومازالت صلاته برفعت إلى اليوم معروفة مشهورة!!

هـذه الكتلـة النصـيرية السياسـية العسـكرية برئيسـها العلـني المشـبوه ورئيسـها الفعلـي رفعـت الأسـد الغـني عـن التعريـف، صـارت أحـد أعضـاء التحـالف الـوطني الموسـع الـذي يسـمى حاليـا (جبهـة الإنقـاذ) والـتي تضـم الإخـوان المسـلمين بالإضـافة للمزيج العلماني والباطني.

وحـتى لـو صـدّقنا وهـو افـتراض لا يقبلـه إلا رجـل أخـذ الله بصـيرته (أن رفعـت يريـد فعـلا معارضـة أخيـه) فـإن مـن الواضـح أن هـذه الكتلـة الـتي لاقـت ولاقـى رئيسـها (أحمـد سـليمان) الترحيـب والتبجيـل مـن حكومـة العـراق والأحـزاب السـورية العلمانيـة المعارضـة تشـكل مصـيبة أعظـم. إذ أن الإخـوان المسـلمين صـاروا بفضـل هـذه الكتلـة القويـة قـوة لا تـذكر إلى جانب القوى الكافرة والمرتدة في الحلف الجديد. لاسيما بعد انسحاب معظم قواعدهم الأصيلة.

2 – فُـتِح البـاب لـدخول الشـيوعيين القـوميين وهـم المعروفـون (جماعـة ريـاض الـترك) و(عمـر قشـاش) وهـو فـرع مـن الشـيوعيين يتبـنى الفكـر القـومي إلى جانـب شـيوعيته ولا يتبـع خالـد بكـداش الـذي يتبـع موسـكو، وكانـت المباحثـات جاريـة معهـم لإدخـالهم علـى أن يحـددوا موقفـا نهائيـا مـن حكومـة دمشـق ورئيسـها الأسـد ولا يعـودوا للمشـاركة في جبهاتـه الوطنيـة التقدمية. وكان آخر أخبارهم أنهم دخلوا والله أعلم! كذلك ترك باب الدخول مفتوحا لكل من هب ودب.

3 – تجـاوز عقـدة الحيـاء مـن قواعـد الإخـوان الإسـلاميين نحـو بعـض المصـطلحات والتوجهـات العلمانيـة الواضـحة الصـريحة الـتي دفعـت بهـم لشـيء بسـيط مـن المنـاورة أثنـاء صـياغة ميثـاق التحـالف الـوطني السـابق، إذ أعلـن كـل ذلـك بـلا مـداورة في المـؤتمر الصـحفي الـذي عقـده قـادة الأحـزاب والجماعـات الداخلـة في هـذه الجبهـة المرتـدة في بـاريس، والـتي مثـل فيهـا شـقّي الإخـوان السـوريين في الجبهـة كـلا مـن (عـدنان سـعد الـدين) عـن جماعتـه و(محمـد الحسـناوي) مسـؤول الإعـلام في

جماعـة أبي غـدة عـن جماعتـه. ولم يسـتح كـل مـن هـذين الممثلـين للإخـوان (المسـلمين)!! مـن الإدلاء بتصـريحات عجيبـة تؤكـد هـذا التوجـه فمـثلا في مقابلـة أجرتها مجلـة (اللـواء الإسـلامي) الإخوانيـة المصـرية مـع (محمـد الحسـناوي) حـول الموضـوع يقـول هذا (الحسناوي) الذي كان في يوم من الأيام داعية للعمل الجهادي المسلح داخل جماعته ما يمكن إجماله في :

أ – أن الجبهة هي عبارة عن توسيع للتحالف لدخول أعضاء وتجمعات جديدة مثل التجمع الوطني الديمقراطي.

ب – أننا نعول على قوة التجمع داخل سوريا وقوة أحزاب الحلف في خارجها!!

ج – أن الخيار حاليا في الصراع هو الكفاح السياسي.

د – اتفـق الجميـع علـى إسـقاط النظـام بأيـة وسـيلة وعلـى رأسـها الكفـاح السياسـي لإقامـة نظـام ديمقراطـي دسـتوري برلماني يكفل حرية الاعتقاد والتعبير وتأليف الأحزاب والصحافة...

هـ – ترك الباب مفتوحا لكل هيئة أو معارضة لنظام أسد توافق على ميثاق الجبهة..

(وصـورة عـن المقابلـة هـذه محفـوظ لـدينا سننشـرها لاحقـا إن يسـر الله) فتأمـل مـاذا بقـي لهـؤلاء بهـذه الارتباطـات والأفكـار مـن مقومـات هـويتهم كـإخوان وكمسـلمين!!؟؟ وبهـذه الصـورة قبلـت فرنسـا أن يكـون لهـذه الجهـة مكتـب رسمـي لهـا في عاصمة الأرض الحرة (باريس).

وهكـذا كانـت عضـوية جبهـة الإنقـاذ الـوطني لتحريـر سـوريا بميثاقهـا المرتـد الكـافر مـن النقـاط القليلـة المشـتركة بـين جمـاعتي الإخـوان المسـلمين جماعـة الشـيخ أبي غـدة وجماعـة عـدنان سـعد الـدين حيـث صـار لكـل منهمـا عضـو ممثـل فيهـا إلى جانـب بـاقي الأعضـاء مـن الكفـرة والمرتـدين والنصـارى والـدروز والنصـيرية والعلمـانيين مـن كـل الأشـكال والألـوان فـلا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم.

4 – مـن الواضـح لمـن يتـوفر عنـده أدنى معرفـة وعلـم بقواعـد السياسـة الشـرعية في الإسـلام أن بنـود ميثـاق التحـالف الوطني لتحرير سوريا لا تقل كفرا وردة عن بنود ميثاق الجبهة أو ماأعلن منها على الأقل..

كمـا أن كفـر وردة البعثيـين والناصـريين والقـوميين العـرب والـدروز والنصـارى (وكلهـم أعضـاء في التحـالف السـابق) لا تقـل –مـن وجهـة نظـر الشـرع– عـن كفـر الشـيوعيين والنصـيرية المتسـلطين علـى بـلاد الشـام. ولكـن الفاجعـة الحقيقيـة في نقطتين رئيسيتين بهذا التطور من التحالف المشؤوم إلى الجبهة المصيبة! وهما:

أ – أن حجـاب الحيـاء والمـداورة الـذي كـان العلمـانيون الكفـرة يـدارون فيـه الإخـوان المضـطرين لهـذا الحجـاب أمـام مـن تبقـى مـن قواعـدهم الـتي لـديها بعـض الحساسـية الشـرعية والدينيـة (ولا أقـول العلـم الشـرعي)، أن هـذا الحجـاب قـد زال نهائيا في إعلان مبادئ الميثاق وهذا له مداليل خطيرة لا تخفى على المتبصر العامل في ساحة العمل الإسلامي.

ب – أن محالفـة مرتـد كـافر (مسـاعد) (كمـا يزعمـون) علـى عـدو مرتـد كـافر (محـارب) أمـر قـد يستسـيغه عقـل مـن لم يعـد يكـن للأدلـة الشـرعية والحـلال والحـرام في السياسـة أدنى حرمـة. ولكـن مـا طبيعـة هـذه العقـول الـتي تستسـيغ محالفـة العـدو نفسـه!! محالفـة رفعـت الأسـد! ومـا أدراك مـا رفعـت وهـم يعلمـون!! محالفـة النصـيرية ووضـع مقـاييس جديـدة: هـذا نصـيري وطني ديمقراطي مسحوق مثلنا يعاني من ديكتاتورية ذاك النصيري الطاغوت الديكتاتوري...

والكـل يعلـم مـن هـم النصـيرية ومـن هـم الباطنيـة ومـا هـي تقيـتهم، والكـل يعـرف الصـلات الـتي مـا تـزال بيـنهم.. وهنيئـا لهـؤلاء الأوغـاد النصـيرية حقـا.. فلـو سـقط القسـم النصـيري الحـاكم فـإن القسـم النصـيري المعـارض هـو الجنـاح الأقـوى في النظام الموعود.. هنيئا لهم إن جازت تهنئة العدو الصائل على مسلمين يزعمون قيادة الجهاد ضدهم وصدق الشاعر:

ومن جعل الغراب له دليلا   يمر به على جيف الكلاب

وهكـذا يـذهب فريـق مـن الشـباب الغيـور ممـن تبقـى مـن شـراذم تائهـة متفرقـة مـن المجاهـدين يحـاورون أحـد أعقـل مـن في الإخـوان ليسـألون كيـف استباحوا لأنفسـهم هـذه الفعلـة شـرعا وعقـلا فيجيب...ويالهـا مـن نكسـة وجـواب ومـاذا يكـون جواب الآخرين إن كان هذا منطق العقلاء فيهم يقول:

(لقـد وجـدنا أنـه مـن الأفضـل لنـا أن نأخـذ بـالممكن المتيسـر حاليـا إذ لا نقـدر علـى مـا هـو أحسـن منـه وهكـذا فإننـا تحالفنـا مـع حليـف (مرتـد كـافر) لنقاتـل معـه عـدو (مرتـدا كـافرا ظالمـا مسـتبدا) ولـنقم مـع الحليـف المرتـد الكـافر (نظـام حكـم جديـد كـافر ولكنـه غيـر ظـالم وغيـر مسـتبدا!) كـي يتـيح لنـا النظـام الجديـد الموعـود هامشـا مـن حريـة الـدعوة والحركـة نـتمكن عـن طريقـه تحقيـق مزيـد مـن المكاسـب توصـلنا إلـى نظـام حكـم إسـلامي مـع الوقـت! ويضـيف: ولـدينا علـى بعـض المـذاهب والأقـوال لـبعض أئمـة السياسـة الشـرعية ضـمن الظـروف القـاهرة مندوحـة! ألـيس مـن الأفضـل لنـا أن يقـوم فـي سـوريا نظـام حكـم كـافر طبعـا (لأنـه لـن يحكـم بمـا أنـزل الله)[38] يتـيح لنـا مـا يتيحـه نظـام ديمقراطـي غيـر مسـتبد (كالـذي فـي الأردن أو مصـر مـثلا) نسـتطيع مـن خلالـه إيصـال صـوتنا ودعوتنـا للنـاس عبـر البرلمانـات والصـحف وحريـة الـدعوة والعمـل فـي المسـجد وغيره..وأضـاف –هـداه الله وغفـر لـه – (الجهـاد لتغييـر الظلـم بظلـم أخـف منـه واجـب) هـذا مـا قـرره ابـن القـيم مـثلا فلمـاذا لا نجاهـد لإزالـة الكـافر المسـتبد واستبداله بكافر غير مستبد!).

فـانظر إلى هـذا الفقـه وهـذه السياسـة الشـرعية وهـذه الطريقـة في القيـاس! ولـيس المجـال هنـا للمناقشـة الفقهيـة فـالغرض هـو سـرد الأحـداث المأسـاوية الـتي وصـلت إليهـا قضـية الجهـاد في سـوريا علـى أيـدي هـؤلاء الـذين كـانوا في يـوم مـن الأيـام إخوان مسلمون بل زعموا حمل راية الجهاد كما مر معنا.

3 - أوضـاع داخليـة : قيـادات بـلا قواعـد، قواعـد تائهـة متفككـة، محـاولات النظام النصيري في الابتلاع والتصفية:

منـذ بـدء الانهيـار والـذي يمكـن التـأريخ لـه بسـقوط حمـاة، وقيـام التحـالف الـوطني، وافتضـاح ممارسـات قيـادة الإخـوان المسـلمين وسـقوطها مـن أعـين قواعـدها وأعـين مـن حولهـا مـن الحركـات الإسـلامية ثم الضـربة التاليـة باعتقـال عـدنان عقلـة – رحمـه الله حيـا أم عنـد ربـه– بـدأت كمـا ذكرنـا في الفصـل الأول هجـرة مـن تبقـى مـن الشـباب في كـل الأنحـاء بـين باحـث عـن العمـل أو الدراسـة كـل يحـاول تأسيس واقعـه الـذي كـان موقوفـا علـى الجهـاد وعلـى الثقـة بقيـادة سـتذهب بـه إلى المجد والنصر والعودة للبلد أو إلى الشهادة في سبيل الله وعلى الحالتين فإنه ليس بحاجة للتفكير في الدنيا..

---

[38] وشكراً لأخينـا علـى الصـراحة والوضـوح إذ أن الآخـرين لا يجـرءون علـى وصـف الحكـم الـذي سـيقوم بأنـه كـافر بـل يـراودون علـى السـائل ويقولـون: هذا فقط لكي نسقط الأسد وبعدها يكون أمر آخر.

ومع تتابع الوقت عبر السنوات العشر تقريبا التي مضت حتى الآن على أحداث حماة، والتي كان من أهم ميزاتها استمرار اضمحلال الطليعة واستمرار انشقاقات الإخوان وتعسفاتهم ثم المصيبة التي أسلفنا في قيام جبهة الإنقاذ، واستبعاد الجهاد عمليا بشكل نهائي ثم أثر حرب الخليج على الإخوان السوريين سواء في العراق أو السعودية كل ذلك أدى بشكل متدرج إلى تقلص القواعد في صفوف الإخوان بشكل هائل..فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن القواعد الأساسية التي كان يعول عليها وهم الشباب المرابط في عمان وبغداد وجلهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين إبان خروجهم من سوريا في (1980) تقريبا هم اليوم في أعمار تتراوح بين الثلاثين والأربعين.. فمعظمهم ولاسيما بعد هذه الأحداث قد شرع يؤسس في حياته الخاصة! فتزوج معظم العازبين وخلفوا، وتخرج من الجامعات من درس وانصرفوا ومن اختار درب العمل لأمورهم الخاصة وتوزعوا في أقطار الأرض الأربعة، ولعب الزمن لصالح النظام النصيري المحتل دورا أساسيا لم يغفلوا عنه في استدراج كثير من ضعفاء النفوس الذين ملوا وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.. وعلى كل حال فمعظم الإخوة الذين غادروا ساحة بغداد وعمان للخليج أو اليمن أو أوربا أو سواها أسسوا حياتهم الخاصة بعيدا عن الإخوان بعد صراع مرير مع الفاقة والحاجة وقلة ذات اليد والقطيعة المخيفة ولم يعد يربطهم مع الإخوان إلا موضوع الوثائق التي لابد منها كي يتمكنوا نم الحركة، وموضوع التمثيل الذي يضمن لهم شخصية اعتبارية لدى الحكومات المضيفة لهم بوصفهم من الملاحقين الإخوان. وقد أدرك النظام هذا الأمر واستخدمه كما سنبين إن شاء الله.

ومن هذه الزاوية مازال الإخوان بشقيهم يتقاسمون الولاء النظري والاسمي لمعظم من لا يزال على رابطة بهم لهذا السبب وجل الشباب يصرحون بهذا بين بعضهم بل وأمام قيادات الإخوان إن ضمهم بعض الاجتماعات..

بقيت طائفة ضيقة من الشباب تمكن الإخوان عن طريق الإقناع بالشرعية أو بالكفالة المالية أو بالاستفادة من قصور عقول بعضهم الذي ما يزال يحلم بأن الجهاد وعبر هؤلاء القادة الإخوان ممكن، مازالوا مرتبطين بالقيادة مباشرة يعملون ببعض أجهزتها الصغيرة مثل الإعلام أو الخدمات أو اللجان الاستشارية أو الاجتماعية إلى جانب أعمالهم الخاصة، كما أن كلا الجماعتين ما يزال يحتفظ بكادر عسكري مفرغ في معسكر يتراوح عدده بين الثلاثين والأربعين نفراً لكل جماعة، وهو تواجد لابد منه حتى يمكن القول للباقين أننا ما نزال جماعة تعتبر (الجهاد) أحد الحلول الممكنة وتوفر جوا يُمكِّن من يخطر بباله أن يخرج للتدريب من الباقين وهم نزر يسير ونادر.

ومما يذكر أن هذا الكادر العسكري هو أكبر عند جماعة سعد الدين منه لدى جماعة أبي غدة لطبيعة توجه كل فريق ولأن بعض الشباب حول الجهاز العسكري لسعد الدين ما يزالون يحلمون بأن الطريق الوحيد إلى سوريا يمر عبر العراق، وما زالوا يسعون لهذا السراب الخادع دون النظر لطبيعة الراية من الناحية الشرعية، ولا النظر لحسابات العقل والمنطق حتى! ومع ذلك فهذا الكادر لا يجاوز العشرات ..

وكمثال واضح على قدرة كلا الجماعتين على الحشد نذكر أنه مر على النظام السوري أكثر من مرحلة ضعف شديدة نذكر منها اثنتان أولها إبان سقوط (شاوشيسكو) وهبوب رياح الضعف على الأنظمة الديكتاتورية وخلافات شديدة بين النظام السوري والغرب وخروج شائعات قوية بأن الغرب جاد فعلا في تغيير أسد.. وثانيها حرب الخليج والهياج الشعبي المؤيد للعراق (الذي يقاتل أمريكا وإسرائيل ويرفع راية الإسلام كما تم تصويره) بل وخروج مظاهرات

تأييد له ضد النظام في بعض مدن سوريا وهذا أمر في غاية الأهمية نظرا لحالة الإرهاب والانكماش النفسي لدى الشعب السوري.

في كلا هاتين المرحلتين حاول صدام حسين استنهاض المعارضة السورية والأحزاب عموما وعلى رأسها الإخوان والبعث السوري اليميني الموالي له وضغط عليهم بل إنهم تلقوا بعض التهديد والتوبيخ من المسؤولين العراقيين الذين قالوا لهم بالصراحة (إلى متى تبقون هكذا تأكلون وتشربون ..ماذا تريدون ؟ سلاح ؟ مساعدات ؟ تسهيلات ؟ تفضلوا) وترددت شائعات أن العراقيين جادون في طلبهم وتوبيخاتهم كي تحشد المعارضة أكبر ما تستطيع. وقيل يومها أن سعد الدين تعهد بحشد ألف رجل في المعسكر.. جاءت الأخبار لتفيد أن معسكر جماعة أبي غدة لم يزد على كادره المعهود نحو أربعين شابا وأن معسكر سعد الدين قد وصل فيه الحشد من مختلف الأعمار لما يزيد عن مائتي أخ بقليل خرج معظمهم مكرهاً لأنهم يسكنون في العراق! وكان هذا بالفعل هو حجمهم الحقيقي.[39]

وبدون مبالغة فإننا نقول أننا لو أخذنا بإحصائية حقيقية عدد الكادر القيادي في كل جماعة من الجماعتين الإخوانيتين من مراقب عام إلى مكتب تنفيذي (نحو ثمانية) مجلس الشورى (نحو عشرين) إلى رؤساء لجان نحو عشرة إلى رؤساء مراكز وإداراتها نحو (عشرين) إلى مندوبين في الدول المختلفة وإداراتهم نحو (عشرين) وهذه مناصب المسؤولية العامة لديهم أي يكون العدد نحو سبعين فإذا أضفنا إليهم نحو (ثلاثين) من مسؤولين أو مشايخ أو رموز في الجماعة وهم في جماعة الشيخ أكثر لقلنا؛ أن هذا الهيكل القيادي لكل جماعة هو من الناحية العددية ضعف ما لدى كل جماعة من أعضاء في القاعدة! أقصد الأعضاء الذين يمكن استدعاؤهم من الناحية العملية لعمل جاد، وهذا رقم متفائل جدا وهم يعرفون ذلك ولذلك يصرون على اعتبار كل الشباب الذين كانوا في يوم من الأيام مع الإخوان، والذين كان أكبر رقم لحشدهم أيام حماة نحو (1500)عنصر، مازالوا قواعدهم، ويحرصون على بيعتهم الشكلية ويرضون بها ويجبرونهم عليها بسبب الحاجة إلى الوثائق، وهو العامل الأهم أو الدعم المادي لبعض المحتاجين، أما إذا أردنا أن نكون جديين أكثر فنقول أن عدنان سعد الذين وبضعة عشر رجلا ممن حوله من المؤمنين به والشيخ عبد الفتاح وضعف هذا الرقم ممن حوله وهم القيادة الفعلية لتنظيميهما يعرفون أنهم لا يملكون تحريك رجل واحد باتجاه عمل جاد وهم على ما هم عليه بعد أن فقد الجميع الثقة بقدرتهم أولا ثم بدينهم أخيرا بعد ما ظهرت حقيقتهم ومواقفهم من الأحداث المتتالية مع الأيام وآخرها الأزمة العالمية في حرب الخليج التي كشفت كل القدور في مطابخ العمل الإسلامي ليعرف الجميع أنها كانت تطهو الوهم على مواقد مطفأة..

وهكذا نستطيع القول باختصار مرير جدا يعرفه العدو تماما وللأسف، أن قيادات الإخوان في كلا الجناحين (العضوين في جبهة الإنقاذ الوطني لتحرير سوريا) كما هو حال الأحزاب العلمانية الأخرى التي معهم في التحالف هم قيادات بلا قواعد، قيادات بلا راية وبلا مبادئ ثابتة.. قيادات بلا موارد ذاتية..قيادات بلا رصيد ذاتي من القوة المادية

---

[39] لا أنصح الإخوة الطيبين جدا والذين سيقولون هذه أسرار عسكرية بأن يتقوا الله ويتذكروا فقط أعدا وشبكات المخبرين التي مازالت تكشف في صفوف الإخوان ولاسيما جماعة سعد الدين والتي لم تترك سرا لم تنقله للنظام السوري، هذا فضلا عن أن هذه الأسرار لدى الحكومات المضيفة ذات الازدواجية في مخابراتها ولدى حلفائنا أو بالأحرى حلفائهم النصيرية بل إن القطاع الذي لايعرف هذه الحقيقة المرة هم المسلمون وللأسف ولابد أن يعرفوها والله المستعان.

أو العسكرية أو المعنوية.. هياكل فارغة مازالت موجودة لأن ارتباطاتها الداخلية والإقليمية والدولية ووزنها السابق وطبيعة اللعبة السياسية القذرة في المنطقة وهزال قواعدها وعجزها عن التغيير والبديل، ماتزال تساعدها على البقاء وتفرض وجودها الذي يوالي تفسخه وتعفنه بشكل متتابع غدا أكثر سرعة بعد العواصف العاتية في المنطقة أخيرا..

أما الإخوة المجاهدون والمتضررون الذين كانوا قبل هذا الدمار في قواعد الإخوان أو في قواعد بعض الحركات الفرعية الأخرى الأصغر حجما فلابد من ذكر حالهم عبر هذه السنوات العشر الأخيرة بعد دمار حماة ولاسيما في الخمس الأخيرة منها بعد أن تأكد العجز التام.. العجز عن أن يحقق الإخوان بأنفسهم أو المصلحون منهم تحولا نوعيا.. العجز عن أن يقوم المخلصون بحل جديد..العجز عن أن يسقط النظام بفعلنا وبفعل غيرنا.. انقطاع الأمل من أي حل مشرف أو أمين يعيدهم لبلادهم ..

ونظراً لأن عودة الذي دمرت دنياه إلى بنائها مرة ثانية تجعله يعود عودة النهم الخائف على ما يجني الطامع في تحصيل ما فاته- إلا من رحمه الله وهم قليل...

ونظرا للقدوة السيئة التي أعطاها الكبار وما غرسوه في نفوس الشباب من تباغض وتحاسد وتنافس على المكاسب وعقود العمل والإقامات والتسجيل في جامعات الخليج وغيرها، وما أعانوا عليه شيطانهم في شراء الذمم عبر صراعاتهم الانتخابية وتيارات مراكز القوى التي لا تنتهي..

ولأسباب أخرى تعود معظمها لطبيعة حياة الناس العاديين وصراعهم من أجل بناء الدنيا والجري وراء تراهاتها ومعافسة الأموال والأزواج والأولاد.. وفوق كل ذلك جو الإحباط النفسي التام مما جرى وفقدان الثقة بالقيادات وبالأقران وبالنفس بل وبنصر الله وفرجه، وفي ظل غياب رابطة تجمع الناس على توجيه ما وتربية ما .. فلا ارتباطهم بالإخوان بعد فقدان الثقة يوفر لهم اليوم ما وفره لهم سابقا من التربية الدينية والسلوكية على الأقل..ولا ارتباطهم بمشايخهم ومساجدهم كما كانوا في بلدهم المحتل ممكن وهم أغراب مشتتون يستهلكهم الجري الدؤوب لتحصيل عيش الكفاف الكريم..

لكل هذا وأكثر منه .. فإنك إذا نظرت في حال معظمهم ترى أن الغالبية العظمى لم تسلم إلا على دينها بحدوده العادية-والحمد لله على هذا إذ لم تسجل إلا حالات شاذة قليلة انسلخ فيه البعض حتى عن دينهم- أما الغالبية فحدود التزامها ممارسات المسلم العادي الذي لم يعد يجد لا الجرأة ولا الوقت ولا الحماس ليفكر بما هو أكثر من هذا. وأصبحت مفاتحته بأي ذكريات ماضية وأي حوار جاد عن قضيته ومصيره ومصير بلده ودينه نوع من الحديث الثقيل الممل الذي لا يجاوز الدوران في حلقات من النقاش الأجوف الذي لا يوصل إلا إلى فراغ. فإن خرج عن هذا في حالات شاذة إلى شيء من العمق والجدية ترى التصريح المباشر بالعجز عن أي قناعة جدية تنقله ولو إلى التفكير فقط بإمكانية العمل مرة ثانية.

إلى جانب الحالة العامة هذه فإنك تستطيع أن تتابع عشرات القصص وعشرات الحوادث التي تسمع فيها عن أخلاق فسدت، ومروءة تهاوت، ومعاملة مخجلة بين تجار اليوم من إخوة كانوا أقرانا في الجهاد ذات يوم.. وانحلال في الدين والخلق ومصائب لا تستحق أن تحملها هذه الأوراق..

أما مصيبة المصائب فيما حل بهؤلاء الإخوة فهي أن أجهزة المخابرات السورية العاملة بجد ونشاط ولاسيما في الدول التي لجأت إليها أعداد كثيرة كالسعودية ودول الخليج واليمن عبر سفارات النظام السوري هناك، تمكنت لاطلاعها عبر مخابراتها ومن استطاعت تجنيدهم من ضعاف النفوس في صفوف هؤلاء الحطام، ولعلمها الدقيق حقيقة؟؟؟عن طريق هذا وكثير من الوسائل الأخرى تمكنت من رصد الحالة النفسية لهذه الجموع وبدأت عمليات استدراج منظمة عن طريق لجان لتسوية أوضاع الملاحقين والمغادرين تحت ظروف شتى، تمكنوا من إقناع العشرات من ضعاف النفوس من تسوية أوضاعهم والحصول على جوازات سفر حقيقية ودفع بدل تخلفهم عن الجيش (بالعملة الصعبة بالطبع) بعد الإدلاء خطيا بتقارير مطولة عن نشاطاتهم السابقة في التنظيمات الإسلامية وعن سيرتهم الكاملة خلال السنوات التي تغيبوا فيها عن البلاد.. وقد نزل فعلا العشرات عن هذا الطريق وعادوا إلى سوريا ليكونوا مخبرين أو نصف مخبرين أو مرشحين لأن يكونوا بهذا السلك ساعة اللزوم شاءوا أم أبوا..

وتحار على من تضع اللوم..

على قيادات العمل من أولئك المجرمين الذين دمروا الجهاد، ثم دمروا الحركة الإسلامية، ثم دمروا قواعدهم على كل الأصعدة، ثم دمروا مبادئهم ومرغوا رايتهم الإسلامية بوحل الردة والعلمانية والكفر، ولم يبق إلا أنفسهم فراحوا يدمرونها ويصطرعون فيما بينهم فما يتركون على أنفسهم سترا إلا ويكشفوه، وما أدري ماذا سيهدمون بعد كل هذا؟! أم على شباب مسلم تاه بعد أن تحطم أمامه المثل وسدت في وجهه السبل فهام يتصارع على الدنيا لا يدري كيف ينالها .. لم يفر إلى رب.. لم يفر إلى دينه .. لم يفر إلى قرآنه.. كما فعل الآخرون فانهار وسقط! وكل نفس بما كسبت رهينة..

أم على الظرف كما يزعمون .. وما الظرف؟!

اللهم لا تفتنا .. الله ثبتنا.. اللهم إن أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

4 - سوريا في الداخل تدخل عامها الواحد والعشرين تحت الاحتلال النصيري وتكرس احتلالهم للبنان:

بعيدا عن كل مصائبنا في الخارج، مايزال الشعب المسلم في سوريا يرزح تحت الاحتلال النصيري والناس شرائح وطبقات..

- الفئة المنكوبة التي أصيبت بشهيد أو معتقل أو ملاحق مطارد وهي شريحة محدودة.. معظمها تعيش المحنة في ليلها ونهارها وتنتظر الفرج القريب .. بعضها نسي المصيبة تجاوزها وعاد لحياته العادية فكما يقول مثل السوريين (الحي أبقى من الميت) وتأخذ الحياة دورتها.
- الفئة الملتزمة القابضة على دينها كالقابض على الجمر وعلى أحر من الجمر.. تمضغ أحزانها..تلملم أحلامها.. تطبق ضلوعها على سر الأمل.. ملتزمون بالعبادات لا يكشف سرهم إلا حجاب النساء. فريضة لا مجاملة فيها ..فئة مشبوهة مراقبة متابعة.. شبابهم يعيشون صحوة، أبناء العشر سنوات أثناء الأحداث صاروا رجالا.. جاوزوا العشرين، هم وقود الأمل، لكنهم اليوم فئة يحاصرها الخوف.. ما يزالون طائفة صابرة محدودة لكن يحدوها الأمل.

- المسلمون العاديون..طبقة قليلة الالتزام ..عواطفها مع الإسلام..حاقدة كسابقاتها على النظام المحتل..تأخذها دوامة الحياة العادية والجري وراء لقمة العيش التي غدت صعبة..شبابها معظمه تائه.. ما زاد عن وقته الذي يستهلكه البحث عن لقمة العيش يقضيه في الترويح عن نفوس تائهة ..هذه الشريحة مازالت تتعرض لكل حملات التفسيق والتكفير بكل السبل ..وترى مجالات الحياة أمامها محدودة إلا عن طريق النفاق والرشوة وفساد الذمم..ضغط الحياة لا يرحم.. فرغم الموارد الهائلة لهذا البلد المبارك رغم الزراعة والتجارة والصناعات المتوسطة وأخيرا البترول الذي رفع سوريا إلى مصاف الدول المصدرة، مايزال الفقر والفاقة والضغط الاقتصادي هو السائد ورغم المليارات من المساعدات التي تلقتها سوريا لمواقفها المخزية السائرة في ركب إسرائيل وأمريكا ودول الخليج وهو حلف من الأغنياء الذين اشتروا العالم.. ما يزال الفقر والضغط هو السائد..
- الطبقة الطفيلية هي هي دائما.. تجار لا يهمهم إلا الكسب يرضون ويسخطون تبعا للسوق وازدهار الأعمال.. مرتبطون باستمرار مع الطبقة الطفيلية الثانية من أصحاب النفوذ من أبناء البلد خدام المحتل النصيري.. أعضاء الحزب.. صغار المخابرات وضباط الجيش من أهل السنة المطية التي تركبها السلطة ليسيطروا على الجميع.. وسط متخم بالفساد..عملاء ..بائعوا ذمم.. رشاوى.. فساد.. هؤلاء هم المرفهون في هذا الوسط المتعب بكل أشكال القهر والحاجة.
- ثم أزلام السلطة ..كبار أزلامها مزيج من أبناء الأقليات وبعض أبناء الأرياف الذين نزلوا المدينة بحقدهم على واقعهم السالف.. استوعبهم الحزب وترفع بعضهم في سلم المسؤوليات لدى السلطة. بعض أبناء أهل السنة ممن لم يبق لهم دين ولا ذمة ولا مروءة..تراهم بصور متعددة كبار ضباط الجيش والأمن والمخابرات..أعضاء كبار في الحزب ومؤسسات الدولة .. أعضاء مجلس شعب..وزراء ومدراء كبار..هؤلاء مصيرهم هو مصير السلطة وهم أداة المحتل الأعلى في إدارة شؤون البلد المحتل.
- وأخيرا النصيريون..

أسياد سوريا الحاليين بل سوريا ولبنان والمنطقة عموما بعد اليهود الذين أقاموا إسرائيل في قلب الشام المباركة رغما عن الجميع نعم النصيريون!

سرقوا الدم من شرايين هذا البلد المبارك ليجمعوه في جبالهم التي غدت جنات وأنهارا وقصورا ..وما زاد ففي بنوك الغرب هناك بعيدا تحسبا ليوم لابد آت إن شاء الله، عصابة منظمة أصبحت ذات خبرة في حكم هذا البلد الذي يفتقر جل أهله فيما يفتقرون إلى التضحية والأنفة..لقد قلمت معظم الأظافر ودجنت معظم النفوس وقضي على الكثير من مقومات الرجولة عبر سنين طوال منذ الاستقلال إلى حكم النصيريين إلى يومنا هذا..قوم نسي معظمهم الله فأنساهم أنفسهم وضربهم بهؤلاء الجبناء..النصيرية.. هم على أحسن الأحوال عشر سكان البلد بل أقل..بيدهم كل شئ.. لم الإطالة إنهم سلطة محتلة بكل ما للمحتل من مزايا وبكل ما لأجهزته من ممارسات..

ورغم كل هذا ماتزال الأخبار تأتينا أحيانا بما يثلج الصدر ..عودة روح الإسلام ودبيب الحياة في أروقة المساجد وتأجج الإيمان في أعماق الصدور والتماعها في عيون تنظر الخلاص وتعرف أنه حل وحيد ولعل الله يغير ما بالقوم بعد أن يغيروا ما بأنفسهم.. وإذا أراد الله شيئا فلا راد لحكمه..

وهاهم النصيرية يتسلمون لبنان..لقد تقسم النفوذ.. أخذ اليهود حصتهم والنصارى حصتهم والباقي حصة النصيرية إنهم يسيطرون عليه يديرون الجميع فيه الكل له حصانة وله من يدافع عن الأقليات فيه إلا أهل السنة في لبنان هم على شاكلة إخوانهم في سوريا بل أشد سوءا. إنهم تحت احتلال حقيقي من نصيرية سوريا وأزلامهم..

اللهم نسألك الفرج..

وما يزال شعاع الأمل يلتمع في كثير من المظاهر في الحنايا ينتظر يوم الفرج.. إنها الشام التي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها: "طوبى للشام.." "إن الله تكفل لي بالشام وأهله.." "ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها على الشام.." "إنها من الفرات إلى العريش.." "نساؤها ورجالها وعبيدها وإماؤها في رباط إلى يوم القيامة.." بل إنها مقياس الخير في أمة محمد عليه الصلاة والسلام " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم" إنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى..صلى الله عليه وسلم..

أين هو الحل؟! الله يعلم.. ها هي بوادر النور تتجمع من كافة الأرجاء وها هي صحوة الإسلام في الشام كل الشام وسوريا الشام جزء منه.

5 - حرب الخليج الصليبية اليهودية وأثرها على جماعة الإخوان المسلمين وقضية الجهاد في سوريا (مزيد من التصدع):

تسارعت الأحداث وتوالت الخطوب على الإسلام والمسلمين وكان في طليعتها في هذه الأيام النحسات حرب الخليج والحملة الصليبية اليهودية الجديدة على عقر دار الإسلام (سنورد في الفصل الملحق بالجزء الثاني شيئا من التفصيل حول هذه القضية إن شاء الله).

وكان من بين فوائد هذه الحرب الخبيثة (ورب ضارة نافعة) أنها كشفت الغطاء عن واقع المسلمين المتردي والحال العجيبة التي يعيشها المسلمون في هذه الأيام.. وهكذا كشف لمن كان على بصره شئ من غشاوة حالنا كما هو..لقد عرت هذه الحرب طبيعة الهجمة الصليبية اليهودية على العالم الإسلامي ..كفر وعمالة حكام العرب والمسلمين..

غياب دور علماء الإسلام (أو من يسمون هكذا زورا وبهتانا منهم) وضحالة موقفهم الذي تقاسمته معسكرات الضلالة الدولية والمحلية، غثائية العمل الإسلامي وتشرذمه في مواقف ضعيفة وهلامية..الخ . وسنذكر هنا ما يخص انعكاس هذه الحرب الشرسة الظالمة على وضع الإخوان المسلمين وهم الشريحة المتبقية من قضية الجهاد في سوريا.

لما هاجمت قوات صدام حسين الكويت وهددت كما زعموا حدود السعودية ودويلات الخليج، استنفر العالم وكان فيمن استنفر بالطبع السعودية التي هب الأمريكان -ولمخطط خبيث بالطبع- لنجدتها لشدة غيرتهم على الإسلام وحرماته -كما يقولون!!

وانقسم العالم الإسلامي وحركته وعلماؤه بين هذين العسكرين وصار لزاما على أي منتسب لدنيا الإسلام والمسلمين (حركات، علماء، مفكرين، صحفيين، إسلاميين) أن يدلي بدلوه في هذا الحادث الجلل.. فإما مؤيد لمعسكر أقزام الخليج ومن كان في حلفه من الصليبيين والنصرية وحكام مصر وإما مؤيد لصدام تحت راية (بعثية-قومية-إسلامية) طرحت شعار جهاد الكفار وصد الحملة الصليبية.. وإما الوقوف في معسكر حياد يدين الأمريكان ومن حالفهم ويتبرأ من راية صدام الخليطة..

وهكـذا كـان علـى العلمـاء والجماعـات والشخصـيات الإسـلامية بالمختصـر أن تُغضـب أحـد الطـرفين أو كليهمـا.. ولم يكـن بالإمكـان النجـاة مـن أحـد هـذين المـوقفين وخاصـة أن السـعودية لم تكـن ترضـى مـن أحـد إلا الوقـوف في صـفها، وكذلك كان ينتظر العراق ولاسيما ممن يعتبر أن له عليهم فضلا ويدا كالإخوان السوريين.

- فأمـا جنـاح عـدنان (سـعد الـدين) فكـان أمـره سـهلا فقـد كـان (سـعد الـدين) منـذ فـترة طويلـة تعـود لأيـام قيـام التحـالف الـوطني قـد سـقط في فلـك العـراق تمامـا، تأييـدا في كـل شـئ ودفاعـا عـن صـدام شخصـيا ومـن حولـه مـن شخصـيات مجلـس قيـادة الثـورة ومـن كبـار البعثيـين، ويـذكر لـه الكثـيرون مـن الإخـوة اليـوم مواقـف في هـذا الصـدد فقـد كـان أول مـن صـرح بـذلك للإعـلام العـربي بشـكل مكشـوف وكـان أولهـا مقابلتـه الـتي أوردناهـا في الفصـل الأول مـع مجلة الوطن العربي وذهب فيها إلى ما ذهب من الشهادة بالإيمان والإسلام على البعثيين العراقيين وقائدهم المهيب!.

ولـذلك لمـا قامـت حـرب الخلـيج كـان موقفـه سـهلا عليـه واضـحا للجميـع، فهـو مـع العـراق قيـادة وشـعبا وموقفـا، وكـان قـد كسـب ثقـتهم وصـار في كثـير مـن نشـاطاته السياسـية يعمـل كمنـدوب مرسـل مـن صـدام نفسـه في قضـايا عربيـة وإسـلامية كثيرة...

(بـل إن بعـض المتعصـبين في هـذه المدرسـة ذكـر أمـامي ذات مـرة أن صـدام رجـل يقـوم الليـل ويصـوم الاثنـين والخمـيس ويخطـط لإقامـة الخلافـة الإسـلامية ولكنـه محاصـر بالأقليـات والشـيعة والبعثيـين!! ولا يجـوز لكـم أن تحاصـروه بـالتهم! بـل إنـه سـيد مـن أهـل بيـت الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم ! فلمـا قلـت لـه يـا عـم -وكـان شـيخا عجـوزا- أمـا سمعـت بقـول الله تعـالى: {سـتكتب شـهادتهم ويسـألون } وهـل تلقـى ربـك علـى هـذه الشـهادة قـال لي إني مسـتعد لنـزول قـبري علـى هـذه الشـهادة! لقـد كـان هـذا بعـض نتـاج هـذه المدرسـة الـتي كـان علـى رأسـها (عـدنان سـعد الـدين) الـذي قـال في أكثـر مـن مشهد وأقسم : لقد قرأنا الكتاب -يقصد القرآن- على صدام ففاضت عيناه..)

ولـذلك مـا إن قامـت حـرب الخلـيج حـتى بـدأ عـدنان سـعد الـدين بحركـة واسـعة لجمـع قـادة حركـات إسـلامية علـى تأييـد صـدام وقامـت مجلـتهم (النـذير) بنقـل مقالاتـه وخطاباتـه، وبالمختصـر كـان موقـف هـذا الجنـاح مـع صـدام قلبـا وقالبـا ولـدينا وثـائق كثيرة ومقتطفـات مـن صـحف تنقـل خطاباتـه ومواقفـه في مهرجانـات في عمـان وبغـداد قـال في أحـدها (في عمان)مـا معنـاه "لا يهمنـا أن يكـون مـن يقـف معنـا في هـذا المعسـكر إسـلاميا أو قوميـا أو نصـرانيا..المهم أن يقـف هـذا الموقـف المشرف على مستوى الأمة وتاريخها.. ولهذا صنفته السعودية وحلفاؤها في معسكر صدام بوضوح وسهولة..

- أمـا جماعـة عبـد الفتـاح أبي غـدة فقـد كـان موقفهـا محرجـا.. فهـي مـن ناحيـة جماعـة يتواجـد رؤوسـها ومشـايخها وجـل قواعـدها ومصـادر تمويلهـا في السـعودية وبعـض دول الخلـيج ..ويتواجـد مـن تبقـى مـن شـبابها ومعسـكرها الشـكلي وبعـض قادتهـا وأجهزتهـا الهامـة كـالإعلام والوثـائق في عمـان وبغـداد هـذا مـن ناحيـة ومـن ناحيـة أخـرى فـإن قلـوب معظـم شـبابها حصـل لهـا مـا حصـل لسـائر عـوام هـذه الأمـة (الـتي تؤخـذ بـالعواطف) أيـدوا صـدام تأييـداً شـبه مطلـق بـل إن بعضـهم خـرج لبغـداد يريـد أن يقاتـل مـع العـراقيين. كمـا أن هـذا الموقـف القلـبي كـان لـدى معظـم القيـادات في هـذه الجماعـة وإن كانـت المصـالح الجماعيـة والشخصـية لقيـادات هـذه الجماعـة قـد اسـتقرت في السعودية والخليج على مدى عشرين سنة .. وذلك كان موقفهم على الشكل التالي:

- اجتمع بعض أعضاء مجلس الشورى وبعض قيادات جماعة الشيخ وعلى رأسهم نائبه الثاني (على أبو أنس بيانوني) وتدارسوا إصدار قرار يجمعون فيه بين المتناقضات موقف لا يغضب أيا من الطرفين وشكلوا لذلك لجنة انبثقت منها لجنة أخرى وعلى مدى عشرة أيام تمكنوا من صياغة بيانهم الذي كان ملخصه :

عدم الموافقة على غزو الكويت من قبل العراق والدعوة لحل المشاكل العربية بالحوار السلمي.

رفض التواجد الغربي والأمريكي في المنطقة واعتباره مقدمة احتلال.

التأكيد على أن موقفهم العام منبثق من موقف التنظيم الدولي (الذي كان قد أصدر بيانا باسم حامد أبي النصر المرشد العام من أربع صفحات يدور حول هاتين الفكرتين ولا يمكن الخروج منه بأي موقف واضح).

- وبعد الانتهاء من صياغة قيادات جماعة أبي غدة لبيانهم في عمان أرسلوا صيغته النهائية للشيخ عبد الفتاح أبي غدة (بالفاكس) حيث قرأه فعدل به تعديلات بسيطة وأقر صيغته النهائية وأعادها إليهم (بالفاكس) أيضا فنشروها داخليا وخارجيا وتناقلت موقفهم الصحافة والجهات الإعلامية المختلفة.

- إلا أن الذي أراده الإخوان بموقفهم غير الواضح هذا لم يحصل ! فقد اعتبره العراقيون غير كاف من جماعة يعتقد أنه قد أنعم عليها وزودها بكل ما طلبت في صراعها مع خصمه اللدود في سوريا، فاعتبر موقفها خيانة وعدم وفاء. ولكنه رضي منها جزئيا تركيزها على رفض موضوع الاحتلال الغربي الصليبي باسم الاستعانة ولم يرد أن يغير الموقف العملي الذي اتخذه بعض قيادات هذه الجماعة وعلى رأسهم علي أبو أنس بيانوني وبعض كوادرها العاملة بين عمان وبغداد.

ولكن الطامة الكبرى كانت في انعكاس موقفهم على علاقتهم في السعودية التي وجدت نفسها لموقفها العميل في خانة الاتهام من قبل معظم الإسلاميين، ولا تقبل من جماعة تعتبر أنها آوت قياداتها والمئات من أسرها المهجرة وفتحت لهم مجالات العمل..فكيف يتجرؤون على موقف يدين عمالتها لأمريكا.. وهكذا بدأت الضغوط على الشيخ عبد الفتاح ومن حوله من القيادات ذات النفسية الانهزامية أصلا من أمثال حسن هويدي، وفوزي حمد، وعبد القدوس أبو صالح، ومحمد على مشعل، وغيرهم وزعم هؤلاء أن ضغوط السعوديين وصلت لحد التهديد بترحيل (1500) عائلة من الإخوان والمتضررين السوريين والذي يعتبر أربابها من قواعد جماعة الشيخ عبد الفتاح ولو بالتبعية الاسمية.. وفجأة تمخضت الضغوط عن نتيجة عجيبة إذ رضخ الشيخ عبد الفتاح لها وخرج بتصريح غريب في لقاء له مع مجلة (المسلمون) السعودية قال فيه ما ملخصه:

[- تكذيب لبيانه السابق بكلام مجمل ذكر فيه أن ثمة بيانات مكذوبة صدرت باسمه دون علمه ! !

أنه يوجز موقفه بوضوح في عدة نقاط أهمها:

أنهم (الإخوان السوريون) جزء من الإخوان التنظيم الدولي الذي حدد موقفه في بيان معلن.

أدان احتلال العراق للكويت وطالب العراق بالانسحاب وعودة الحكومة الكويتية التي كانت سابقة للاحتلال!

أن الإجراءات التي اتخذتها السعودية بما في ذلك الاستعانة بالقوات العربية والإسلامية وغيرها! إجراءات جائزة شرعا عند الضرورة!

أضاف حرفيا "للملكة العربية السعودية مكانتها الكبرى في حياة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لقيامها بخدمة الحرمين الشريفين ورفعها راية التوحيد وتقديمها العون والإغاثة لكثير من الأقطار العربية والإسلامية ونحن والمسلمون جميعا نقف صفا واحدا للدفاع عنها ضد كل عدوان مهما كان مصدره]

طبعا بعد صدور هذا البيان. كان له أثر الصاعقة على قواعد جماعته المتبقية على قيادته الموجودة في عمان وبغداد وعلى رأسها (علي بيانوني) الذين وجدوا أنفسهم في موقف سخيف، إذ أن الشيخ لم يكتف بما صرح ولكنه قدم لذلك بتكذيبهم في بيانهم الذي كان قد أقره كما أسلفنا وتنصل منه.

وبدا واضحا أن بوادر انشقاق جديد تلوح في أفق جماعة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة..

إذ سرعان ما سارع (أبو أنس بيانوني) لإصدار بيان للصحافة أكد فيه على مشروعية بيانهم السابق في شبه تكذيب للشيخ ورفض لتصريحاته ولكن بأسلوب غير مباشر ..كما تجمد الوضع في عمان وتحفز العديدون للاستقالة! أما الشباب والإخوة في محيط الإخوان الذين يعتبرون قواعد للجماعة ولو شكليا فقد استقبلوا التصريح باشمئزاز..

بعد فترة بدأت حركة المشايخ من مستشاري أبي غدة بالحضور لعمان لتسوية الوضع وفي محاولة لتفسير موقفهم المخزي .. فكان ممن حضر (فوزي حمد) و(حسن هويدي) وكان تفسيرهم لما حصل أن الشيخ اضطر لهذا الموقف لحماية مئات العوائل التي تشكل تبرعات أربابها المصدر الأساسي لميزانية الجماعة كما قال (هويدي)، في حين اقترح (حمد) أن يكون موقف كل كتلة من أبناء الجماعة متناسبا مع سياسة الدولة المقيمين على أراضيها لأن الظروف صعبة!! ومازادت هذه التبريرات الشباب إلا استنكارا لهذا الانبطاح، حتى أن أحد الإخوة الذين حضروا إحدى هذه الجلسات قال لهم إذا كنا سنقدم تنازلات وولاء لعشرين طاغوتا من طواغيت الأنظمة فلماذا لم تريحونا من البداية وتقدموا مثل شهادات الزور هذه لطاغوت سوريا وحسب وكفانا الله شر القتال..

إلا أن قيادات هذه الجماعة توصلت لتسوية تفهموا فيها -كما يقولون- موقف الشيخ وإخوانه من القيادات (المتسعودة) وتفهموا ظروفها وتمت تسوية تمخضت في لانهاية عن استقالة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة وقيام تنافس بين محررين ممن حوله من (أعمدة النكسة) الإخوان المقيمين في السعودية وأرادوا ترشيح (حسن هويدي) وإخوان الأردن والعراق وأرادوا ترشيح (علي اليانوني) لمنصب المراقب العام. ويبدو أنه تفادوا الأزمة مؤقتا بتعيين شخص ثالث هو (فاروق بطل) فهو شخصية قديمة في الإخوان ترأس مركز حلب في فترة ما وسجن عدة مرات في سوريا ثم خرج فيمن خرج وكان من شخصيات الجماعة البارزة وأعضاء الشورى وهو مقيم منذ خروجه في السعودية.. وكما هي الحالة عموما تتضارب الآراء فيه خفضا ورفعا، ومايزال الوقت مبكرا للدخول في تفاصيل حول الرجل، إلا أن سائر ارتباطات الجماعة وعلى رأسها عضويتهم في (جبهة الإنقاذ الوطني) ذات الميثاق والبنود المرتدة التي برروا لأنفسهم قيامها والمشاركة فيها حصلت وهو عضو في مجلس الشورى، ومازال وهو مراقب عام لجماعته ويكفينا هذا فيه وفي جماعته انحرافا وميلا عن الحق نسأل الله العافية والسلامة لسائر المسلمين.

وهكذا كما نلاحظ فقد هزت حرب الخليج جماعة الإخوان السوريين على اختلاف أجنحتهم هزا عنيفا وزادت الوضوح على أكثر من صعيد لمن بقي في بصيرته شيء من غبش بعد كل ما سلف.. وإذا كان بالإمكان تسمية المرحلة الحالية في قضية الجهاد في سوريا فإن أوضح ما يمكن قوله أنها استمرار التفسخ والتحلل والتكشف على صعيد الإخوان

المسلمين، واستمرار الانحلال والانقراض لدور باقي الجماعات التي كانت فاعلة فيها وتكرس سيطرة الطغيان النصيري على سوريا ومن ثم لبنان وازدياد نفوذه في المنطقة حيث أصبح النصيرية أحد أهم ركائز النظام الأمني الأمريكي في المنطقة مع شركائه من الأنظمة المرتدة في مصر ودول مجلس التعاون الخليجي.

كان هذا الموجز أهم وأبرز أحداث وإرهاصات قضية الجهاد في سوريا خلال فترة 1987-1991. أوردتها موجزة لإكمال الفائدة من الكتاب الذي لم يكن الغرض الأول فيه سرد التاريخ الذي يحتاج لموسوعة مستقلة بذاتها.

وإنما كان الغرض هو إبراز جملة من القواعد والفوائد والنظريات المستفادة من التجربة الجهادية في سوريا وإبراز أهم مبادئها وفقهها السياسي الشرعي. ولم يكن ذلك ليتضح إلا برسم خط بياني تاريخي موجز وسريع لتلك الأحداث.

ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون فيما قدمنا زاد على الطريق لكل مؤمن صاحب حق، مجاهد في سبيل الله أينما كان في الشام أم غيرها من بقاع عالمنا الإسلامي الطاهر.

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

1991/5/15

الفهرسة الموضوعية :

هذه الأرقام حصل فيها تغيير ولا بد

إشارات ؟؟؟ في الكتاب هي كلمات غير واضحة من النسخة المصورة

نرجو إصلاح الخلل